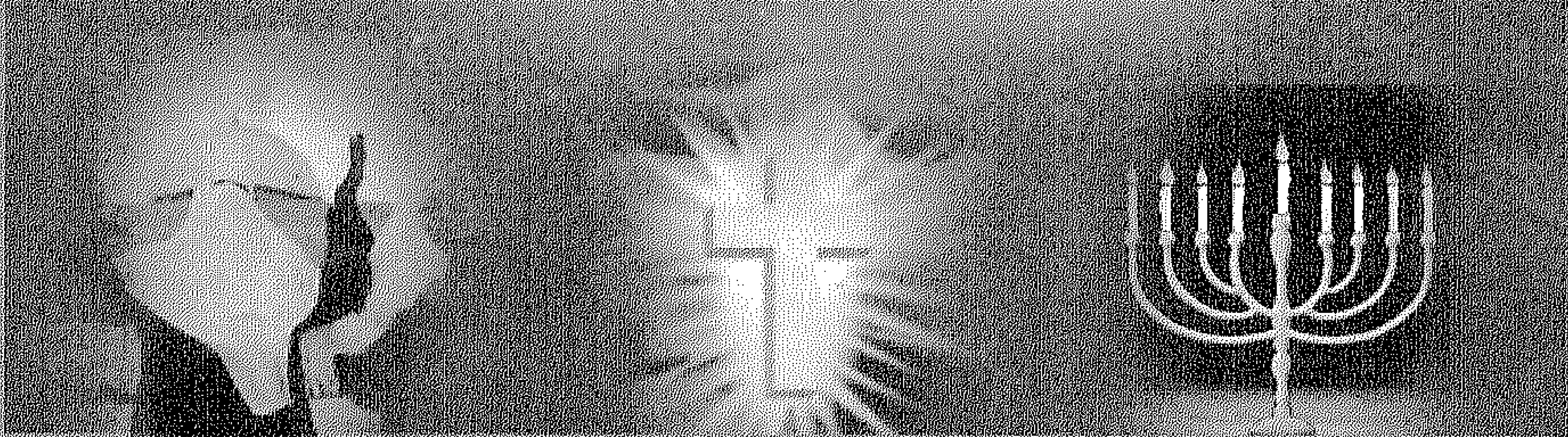
2001
الأوائل

عبد الرزاق رحيم صلال الموحى

العبادات في الأديان السماوية

اليهودية - المسيحية - الإسلام

المصرية القديمة
العراقية القديمة
اليونانية القديمة
الرومانية القديمة
الهندوسية
البوذية
الصينية
الزرادشتية
الصابئية



العبادات
في الأديان السماوية
اليهودية - المسيحية - الإسلام

عبد الرزاق رحيم صلال الموحى

العبـــادات
في الأديـان السـماوية
اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام

المصرية القديمة
العراقية القديمة
اليونانية القديمة
الرومانية القديمة
الهندوسية
البوذية
الصينية
الفارسية القديمة (الزرادشتية)
الصابئية

الأوائل

الكتاب: العبادات في الأديان السماوية (اليهودية - المسيحية - الإسلام)

المؤلف : عبد الرزاق رحيم صلال الموحى

التدقيق العام: إسماعيل الكردي

الطبعة الأولى 2001م

الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية

دمشق تلفاكس 2248255 ص . ب الإدارة 3397 توزيع 10181

موافقة وزارة الإعلام رقم49575 تاريخ 2000/10/30

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

صدق الله العظيم

(الذاريات 56)

الفهرس

بين يدي الكتاب

الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة منه توجب على مؤدى ماضي نعمة بأدائها، نعمة حادثة يجب عليه شكره بها[1]، والصلاة والسلام على هادي البشرية إلى النور بعد الظلام، شفيعنا يوم الدين، والمرشد إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً وبعد. . .

فإن الدين عند الله الإسلام: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

فالإسلام منهج متكامل للحياة تقوم فلسفته على أسس متينة، دعائمها الإيمان بالله الواحد الأحد. وبالملائكة والكتب السماوية والرسل، وبالقضاء والقدر، واليوم الآخر، هذه الدعائم التي انطلق منها المسلم نحو مفهوم واسع للحياة، محباً للخير ومقاوماً للظلم ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[3].

إن التباين الواضح في المعالم في سلوك الأمم والشعوب القديمة والحديثة والتي عبرت عنها معتقداتهم في أديانهم وبالأخص جانب العبادات، وكذلك نقص مكتبتنا الإسلامية بفرائض سنها الله جل وعلا على جميع خلقه. كل ذلك بالإضافة إلى أسباب أخرى هو الذي دفعني إلى اختيار موضوع الكتاب ـ العبادات في الأديان السماوية ـ لأتبين لنفسي ولأبين لأبناء جلدتي الحقائق التي خفيت على كثير منهم والتي أدت إلى التباين في نمط العبادات بكل أبعادها. فأبعدتهم عن بعضهم البعض.

لقد اتبعت الأسلوب الموضوعي في العرض والتحليل في كتابي هذا من خلال النص المنقول تارة، والمعايشة الميدانية تارة أخرى، فجاء كتابي مقسماً على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة.

---

(1) من خطبة للإمام محمد بن إدريس الشافعي، تفصيل آيات القران الكريم ص660.

(2) سورة آل عمران آية 85.

(3) سورة الأنفال آية 39.

الفصل الأول: تحدثت فيه على العبادات عند الشعوب والحضارات القديمة مركزاً فيها على الديانتين الزرادشتية والصابئية نظراً لما لعلماء الأديان المسلمين من وجهات نظر متباينة في كونهما ديانتين سماويتين أو غير سماويتين.

الفصل الثاني: العبادات في الديانة اليهودية. الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج.

الفصل الثالث: العبادات في الديانة المسيحية ـ الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج.

وقد بينت في الفصلين كليهما مدى تأثير الحضارات القديمة ممثلة بصور تعبداتها المختلفة على الديانتين كلتيهما.

كما أوضحت حكم القرآن الكريم في تلك الفروض الأربعة، ورأي العلماء المسلمين بها.

الفصل الرابع: العبادات في الإسلام ـ الصلاة ـ الزكاة ـ الصوم ـ الحج.

والله أسأل أن أوفق في عرض هذا الكتاب على الوجه الذي يرضي الله تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[1].

(1) سورة هود آية 88.

التمهيد:

احتلت العبادات والطقوس الدينية المختلفة مكاناً بارزاً ومؤثراً في حياة الأمم القديمة، مما انعكس ذلك إيجاباً على سيرتها الحضارية، فَعُدَّ العامل الديني من أقوى العوامل التي ساهمت في تحديد الأطر العامة، للعادات والتقاليد والأعراف والقوانين، كما أن له أثره إجمالاً في صياغة أسس الحياة [1].

إن الإنسان القديم قد عرف العقيدة الدينية منذ أن وطئت قدماه الأرض، ووضع العلماء للمقابلة بين الأديان ثلاثة أطوار مرت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة والأرباب هي:

1 ـ دور التعدد.

2 ـ دور التمييز والترجيح.

3 ـ دور الوجدانية[2].

وجاء في معجم لاروس للقرن العشرين:

(أن الغريزة الدينية مشتركة بين الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة البدائية.. وأن الاهتمام بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة)[3].

ويقول الفيلسوف المؤرخ الفرنسي (هنري جونسون): «لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات. ولكن لم توجد قط جماعة بغير معابد»[4].

وحلت صفة الإله محل الإله. وتجسمت هذه الصفة في شخص بشري مثل تجسيم صفة تدبير الكون في شكل (فشنو) وصفة الجبروت في شكل (سيفا) كما تدعي الأساطير الهندية[5].

---

(1) طه باقر. د. عامر سليمان. د.فاضل عبد الواحد علي، تاريخ العراق القديم ص5، مطبعة جامعة بغداد ـ 1980.

(2) العقاد، عباس محمود، موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية ـ المجلد الأول توحيد وأنبياء، ص41، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1970.

(3) دراز، محمد عبد الله (د.) الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص84، مطبعة السعادة، مصر، نقلاً عن:

Larousse du - Xxeme, Siecle article religion.

(4) الشريف، محمود (د.) الأديان في القرآن ص12، دار المعارف نقلاً عن:

Henri Bergson, Les Deus Sources de la Moral et de la Religion p. 105.

(5) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام. عرض وترجمة وتعليق د. رؤوف شلبي ص34.

ونظراً لعجز بعض العقول عن إدراك المعجزات والأعمال الخارقة للعادات والبركات على يد بعض الناس فقد صوروا هؤلاء الناس على أن روحاً إلهية قد حلت فيهم فولدت بذلك الألوهية البشرية، والبشر الإله مثل عبادة بوذا، وعيسى عليه السلام، وعلى الرغم من أنه لم يرد عنهما أنهما سميا نفسيهما بالإله، أو أنهما أمرا أحداً ببناء الأصنام[1].

وسرعان ما أرجح الفكر البشري ظاهرة التدين وأسندها في أصلها إلى مبدأين مرتكزين في بداهة العقول وهما (قانونا السببية والغائية) [2] وعندما يتفهم الإنسان هذين القانونين بصورة صحيحة فإنها توصل إلى عقيدتي التوحيد والخلود رغم أن البشرية منذ القدم تعرفت إلى خالقها الأوحد عبر فطرتها السليمة.

وخلال المسيرة البشرية للحياة على الأرض لم ينفك الإنسان في عباداته عن ممارسة شعائر الصلاة والصيام وتقديم الزكاة والوفود على الأماكن المقدسة. تعظيماً لها وتوقيراً. فتذلله وخشوعه ودعاؤه لمعبودة صلاة في هيئتها الأولى، ثم اقترب إلى الله بتقديم القرابين والنذور، تعبيراً عن طاعته واحترامه الآلهة، كما شارك صيامه في أيام شبه محددة مراسم التعبد. مضفياً عليها الرحمة والتوادد، من خلال تقديمه الزكاة والصدقات للكهنة خدمة المعبد. وللفقراء منمياً حسه الفطري الإنساني بمساعدة الآخرين. كما أعلن ولاءه المطلق لمعبوده، مجتمعاً مع بني جنسه في شعيرة من أكثر الشعائر الإيمانية اجتماعاً وتوحيداً للمخلوق الأوحد ففي الحج تصدح الحناجر بهتاف واحد بالوحدانية والإقرار بالعبودية الحقة لمن له الفضل في الخلق والإيجاد والتعظيم والتقديس.

إن الغرض من العبادات تمثلها حقيقتان أولهما تنبه الإنسان على الدوام، بأن العبادات تعني وجوده الروحي الذي ينبغي أن تشغله طيلة وقته بمطالب غير مطالبه الجسدية وغير شهواته الحيوانية، والحقيقة الثانية من العبادة المثلى التي تنبه إليها ضميره هو الوجود الخالد الباقي إلى جنب وجوده الزائل المحدود في حياته الفردية[3].

إن تأدية العبادات بصورة عامة، والصلاة خاصة، إنما جاءت من إيمان الإنسان قديماً بوجود قوة إلهية غيبية تسيطر عليه، وعباده كهذه نجدها في سفر التكوين على شكل عرض

---

(1) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص34.

(2) الدين د. محمد عبد الله دراز ص109.

(3) العقاد، عباس محمود، حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص 110، مطبعة مصر ط1، 1376 هـ ـ 1957م.

القرابين من قبل قايين (قابيل وهابيل) (وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سماتها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جداً وسقط وجهه) وهناك صلوات أخرى يذكرها العهد القديم من هذا القبيل[1].

وبعد نزول الوصايا العشر والشريعة على كليم الله موسى عليه السلام بدأ تقنين العبادات وجعلها أكثر وضوحاً من قبل، بعدما توضحت الألوهية الحقة للبارئ تعالى، فحددت للصلاة أوقات وأشكال. كما ظهرت حدود الزكاة بالعشور من الأموال العينية وغير العينية، وبانت أيام الصوم تحديداً وكيفية، وظهرت الأماكن المقدسة التي يؤمها المؤمنون لتعزيز الرابطة الروحية وشدها أكثر ببارئها من خلال طاعتهم لأوامر الأنبياء والرسل في استخلاص الدروس والعبر من عبير تلك الأماكن التي شهدت تجليات ربانية مفعمة بعبق الإيمان برب السماوات والأرض. وعمقت الديانة المسيحية الحقة بعباداتها الربانية الروحية في نفوس معتنقيها مفهوم الوحدانية المطلقة لله تعالى والتي جاءت كثورة روحية على المادية اليهودية المقيتة التي كانت سائدة آنذاك، لينتشل السيد المسيح عليه السلام المبادئ والقيم التي جاءت بها الديانة اليهودية من عبث أحبار اليهود بها وتحريفهم إياها، وأكمل حواريو المسيح عليه السلام المشوار من بعده بصبر وجلد إلى أن بعث الله حبيبه وأمينه الرسول الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم برسالة سماوية متكاملة تجلت فيها أركان الإيمان ودعائم السلام، وفيها العبادات المرسومة بخط جلي من غير لبس وغموض يؤديها المسلم من غير عناء وصعوبة، وهي موافقة لمتطلبات حياته الروحية ونظمه الحياتية الاجتماعية، فهو يؤدي صلوات خمس لربه بخشوع وإيمان وهي وسط بين الصلوات اليهودية والمسيحية، كما أنه يؤدي الزكاة بنصبها المعهود من غير أن يؤثر إخراجه لها على مدخوله المادي إذ أن نسبتها البسيطة لا تؤثر على مدخراته المالية. وحددت أيام الصوم بشهر رمضان المبارك وهو حد ليس بالقلة القليلة التي ادعى بها اليهود بصوم يوم واحد ولا بالكثرة المفرطة استحباباً عند المسيحيين ناهيك عن عدمه. أما الحج فقد حُدِّدَ إلى الكعبة الشريفة، كعبة خليل الله إبراهيم عليه السلام.

---

(1) انظر سفر الملوك الأول 22/8، وسفر الملوك الثاني 2/20، وسفر العدد 12/12، وسفر عزرا 6/9.

وهكذا أنزل الله ديناً واحداً على الناس جميعاً هو الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ [1] وهذا ما جاء به كل الأنبياء عليهم السلام[2]، بل إن القرآن يقرر أن الإسلام هو دين أهل السموات والأرض وقال تعالى: ﴿ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ [3].

وإلى هذا الدين وحده وجه الرسول الكريم رسائله إلى الملوك والرؤساء وأشهدهم على إسلامه وإسلام من معه، ومن قبله أيضاً. قال تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [4].

وعُرِّفَ الدين بأنه (الاعتقاد بوجود ذات ـ أو ذوات ـ غيبية علوية لها شعور واختيار ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد) [5].

---

(1) سورة آل عمران، الآية 19.

(2) انظر الآيات: (سورة آل عمران آية 19)، (سورة البقرة آية 127 ـ 132)، (سورية يونس آية 71 ـ 72)، (سورة البقرة الآية 133)، (سورة الذاريات آية 31 ـ 36)، (سورة يوسف الآية 101).

(3) سورة آل عمران، الآية 83.

(4) سورة آل عمران الآية 64 ـ 67.

(5) الدين. بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز ص144.رشدي عليان (د.). سعدون محمود الساموك، الأديان. دراسة تاريخية مقارنة ص25. دارالحرية، بغداد 1976.

ويرى الدكتور دراز أن التدين يخلق في الإنسان عنصراً نبيلاً سماوياً، وأن هذا العنصر خلق للبقاء والخلود[1].

وحاول الإنسان جاهداً في جميع طقوسه التعبدية، أن يوجد له شعائر نسكية تبعث في نفسه الراحة والاطمئنان، وتؤمن له العيش بسلام في وسط محيط تحيط به الأخطار من كل جانب. فآمن بعقائد دينية مبعثها الخوف من الظواهر الطبيعية والحيوانات المفترسة.

ويعزو الباحثون في الفكر الديني القديم الشبه في العقائد الدينية القديمة المنتشرة بين الأمم إلى عاملي الأصالة والانتشار[2]، مما حدا ببعض الباحثين الملحدين إلى استغلال فكرة الأصالة لإثبات أن عقيدة الألوهية، ما هي إلا عرض مادي طارئ على الفكر البشري، اخترعها مجموعة من الكهنة والقساوسة ليقنعوا بها العموم السذج من الناس، ولكن سرعان ما اختفت هذه النظرية بعد أن اكتشف الإنسان المزيد من عقائد الأمم القديمة التي تبين أن فكرة التدين فكرة قديمة مشاعة لم تخل منها أمة من الأمم في القديم والحديث، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات الهمجية[3].

ومن خلال مرحلة من مراحل التطور العقلي للإنسان تصور أن في مقدوره تسخير بعض الظواهر الطبيعية، وكان ذلك بداية الاعتقاد بقوة السحر القائم على مبدأ التشبيه والمحاكاة[4]. ولهذا كان إنسان العصر الحجري يمارس طقوساً سحرية ويؤدي حركات تنكرية يتقمص من خلالها ظاهرة طبيعية معينة أو شيئاً محدداً أصبحت الحاجة ملحة لوجوده[5].

---

(1) الدين. د. محمد عبد الله دراز، ص99. بتصرف.

(2) عامل الأصالة يقصد به اعتقاد الإنسان القديم بقوى خارقة تسبب للإنسان الموت الغير طبيعي مثل المرض، وعامل الانتشار يقصد به علاقات الإنسان الاجتماعية، وتعرفه إلى بني جنسه من خلال شتى وسائل الاتصال، راجع: الدباغ. تقي، الفكر الديني القديم، ص5 . دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد 1992.

(3) الدين د. عبد الله محمد دراز ص83.

(4) أي اعتقاد الإنسان القديم بإمكانيته استحداث الأشياء والظواهر الطبيعية عن طريق تقليدها.

(5) تاريخ العراق القديم، طه باقر، د.عامر سليمان، د.فاضل عبد الواحد علي ص5 ـ 6.

وبمرور الزمن توسعت مداركه العقلية فانتقل إلى مرحلة أخرى في التفكير والمتمثلة (بمرحلتي الحيوية والطوطمية) [1]. فالأولى تمثل الإيمان بأن للروح الموجودة في كل كائن ـ حيوان أو جماد ـ قوة وقدرة وتأثير على مجريات الأحداث اليومية، وأن الأرواح عبارة عن كائنات تتصل بالناس وأن جميع ما يصيب النفس الإنسانية من نجاح وتوفيق إنما مرده إلى تلك الأرواح أو العالم الروحي. أما التوتمية فتمثل بالرمز الذي اتخذته العشائر البدائية لنفسها سواء أكان مستمداً من المملكة الحيوانية أم النباتية أم القوى الطبيعية أم الجماد[2].

ولكن سرعان ما اختفت هاتان المرحلتان. وفي لحظات من التعبد عجز الإنسان عن تركيز التفكير في عظمة الإله، فصنع الآلهة الأصنام ليشاهد فيها بالبصر ما عجزت عن مشاهدته البصيرة[3].

(1) المذهب الحيوي ينسب إلى العالم الإنجليزي (تايلور) وهو يمثل تنبيه الإنسان الأول إلى الروح واعتقد بأن للموجودات الأخرى أرواحاً عبارة عن كائنات تتصل بالناس وأن ما يصيب النفس الإنسانية من نجاح وتوفيق أو من آلام ومصائب إنما يرجع إلى تلك الأرواح، أو العالم الخارجي، أما التوتم فهو الرمز الذي تتخذه العشائر البدائية لنفسها سواء كان مستمداً من المملكة الحيوانية أم النباتية أم القوى الطبيعية أم الجماد، انظر الأديان ص32 ـ 33.

(2) الأديان، دراسة تاريخية مقارنة، د.رشدي عليان، سعدون الساموك ص32 ـ 33.

(3) شلبي. رؤوف (د.) التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، عرض وترجمة وتعليق ص33، دار الثقافة ـ الدوحة.

الفصل الأول

العبادات في الديانات القديمة

المبحث الأول
العبادات في الديانات المندثرة

نظراً لأهمية العبادات في حياة الأمم والحضارات وما يرتبط بها من أثار تحدد معالمها وقيمها، واستدلالاً على أن الفطرة الإنسانية تتطلب الإيمان بعبادة معبود يخشاه الإنسان. وما يرافق هذا الإيمان من تقديم فروض الطاعات الأخرى من تقديم الزكاة والصيام والحج بصورتها البسيطة غير المعقدة رأيت من المناسب أن نتعرف إلى عبادات هذه الأمم لنشاهد بوضوح أصالتها، وتميز العبادات الإسلامية من سائر الشرائع.

المطلب الأول

العبادات في الديانة المصرية القديمة

اتسمت مظاهر العبادة عند المصريين القدماء بعبادة مظاهر الطبيعة المتجلية بوضوح في قرص الشمس[1]، الذي عَدُّوه (صديقاً لشعب مصر فتدفئه شتاءً وتأتيه بالحرارة صيفاً إلى جنب القمر وما يعتريه من ظهور واختفاء وصغر وكبر)[2].

ونظراً لانتشار التصورات حول ماهية الآلهة وطريقة عبادتها وما أحاط بها من نسيج خيال الكهنة، وتنبؤات العرافين، الذين حاولوا أن يسبغوا على طقوسهم التعبدية الطلاسم والرموز المبهمة، خاصة السحرية منها. كل ذلك أثر في عقيدتهم فالشعور الغريزي بالخوف والفزع من المظاهر الكونية، ومن الحيوان، ومن كل ما هو مجهول أسباب جعلتهم يحترمونها ويقدسونها، فأمست معتقداتهم منتشرة بصورة واسعة.

---

(1) أرجع المصريون آلهتهم من جهة أصلها إلى قوى الطبيعة، التي استمدوا مصادرها من الشمس والأرض والحيوان، فقدسوا الشمس وجعلوا لها إلها سموه (رع)، وقدسوا الأرض، وجعلوا لها آلهة عدة منها الإله (جيب) وفتاح. كما قدسوا الحيوان الذي كان في بداية أمرهمْ رمزاً للآلهة ثم عَدُّوه لاحقا إلهاً. للاطلاع يراجع محمد عبد القادر محمد (د) الديانة في مصر الفرعونية ـ دار المعارف. القاهرة 1984. رشدي عليان (د). سعدون الساموك، الأديان ص 54 ـ 55.

(2) إرمان، أدولف، ديانة مصر القديمة ص 165، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

ولم يكن للمصريين (دين كتاب) كما هو الحال في الأديان السماوية، بل لم يكن لهم كتاب مقدس[1] وإن كانت لهم كتابة مقدسة تحفظ في (بيت الكتابات المقدسة)[2] ويدور محور عباداتهم حول الآلهة وطقوسها، وما يقام لها من احتفالات، ومن تقديم القرابين والنذور، ولعل أهم ما يميزها هو (أن فكرة تعدد الآلهة ظلت مسيطرة عليهم عدا فترة حكم الفرعون (أخناتون)[3] ثم عاد بعدها المصريون إلى التعدد، ولكنهم في جميع عهودهم لم ينسوا عقيدة الإله الأعظم أو الإله الأكبر[4]. وحاول المصريون القدماء الوصول إلى فكرة المعبود الواحد، تلك القوة القادرة على فعل ما تريد ولكنها (لم تكن دعوة نبوة ورسالة ولعلها جاءت في زمن لم تتهيأ النفوس للوحدانية ونبذ الشرك، وتعدد الأرباب فهي دعوة كهانة وهم الذين يسترون ما يعلمون ولا يبوحون للناس بأسرار الديانة إلا بمقدار)[5].

إن دعوة (أخناتون) إلى التوحيد ليست هي الأولى، بل إن تاريخ البشرية يذكر أن الخليل إبراهيم (عليه السلام) قد دعا إلى الحنفية قبله بستمائة عام[6].

ويرى المؤرخون بأن عقيدة التوحيد وصلت إلى (أخناتون) عن طريق قبائل الهكسوس العربية التي حكمت في مصر زهاء قرنين من الزمن قبل عهد أخناتون. والهكسوس على اتصال بالمديانيين الذين كانوا يدينون بالإله الواحد (يهوه)[7].

ويرى آخرون أن لدعوة إدريس ويوسف عليهما السلام أثراً كبيراً في نفس (أخناتون) إذا علمنا أن النبيين كليهما عاشا في مصر. وقد أخبرنا القرآن الكريم عن حوار دار بين نبي

---

(1) يعتقد علماء الأديان أن الكتاب المقدس الذي يتداوله المصريون القدامى (آنذاك) هو كتاب الموتى، راجع الأديان ص 54 ـ 55.

(2) ميخائيل، نجيب (د) مصر والشرق الأدنى القديم. ص 62. مؤسسة المطبوعات الحديثة، ط3، مصر.

(3) لقد بلغ تحمس الفرعون (أخناتون) (1375 ـ 1258 ق.م) لدعوة التوحيد ما جعله يناوئ الآلهة الأخرى التي كان المصريون القدماء يعبدونها، وحمل الناس على ذلك. للاطلاع، يراجع استيندروف ـ ديانة قدماء المصريين ص 46 ـ 51، تعريب سليم حسن، مطبعة المعارف المصرية ـ ط1 ـ 1923.

(4) العقاد. عباس محمود، موسوعة العقاد الإسلامية، المجلد الأول، توحيد وأنبياء ص 322، دار الكتاب العربي، ط1، بيروت.

(5) سوسة. أحمد. العرب واليهود في التاريخ. هامش ص 170 ـ 171 دار الحرية، بغداد 1972.

(6) العرب واليهود في التاريخ ص 172، وانظر الأديان ص 56.

(7) انظر الأديان ص 62 ـ 63.

الله يوسف عليه السلام ورفاقه في السجن حول الوحدانية بقوله تعالى: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[1].

وعلى الرغم من ذلك فإن دعوة (أخناتون) لم تصل إلى التوحيد المطلق الذي عبر عنه القرآن الكريم ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [2].

ولقد كانت آلهة المصريين القدامى تتداعى من القمة إلى السطح حين يبزغ نجم آلهة كانت ثانوية، أو غريبة، وكانت الحالة السياسية للبلاد هي التي تؤثر على ذلك التداعي[3]. وجرت عادة المصريين أن يقيموا طقوسهم التعبدية كل صباح، ضمن حركات وسجدات، تتخللها أناشيد دينية وإحراق البخور، وتقديم القرابين وكذلك عندما يقوم الكاهن بفتح الحجرة الإلهية التي تضم الإله للتبرك وتقديم النذور من الطعام والشراب ثم يقفلها مساءً[4].

وتدلنا الآثار التاريخية من صور ومنحوتات أن عبادتهم لقرص الشمس فيه إيحاء ومقابلة بين ضوئه وظلمة الليل، وكذلك مقابلة بين الموت والحياة[5]. وقد ساعد خيال الكهنة والملوك على رسم مراسيم عبادية معينة تعمق فيهم روح الإيمان والانقياد لآلهتهم، مستمدة من الأساطير التي توارثوها عن أسلافهم[6]. وأن كافة الطقوس الدينية تجرى وتنفذ باسم الملك وتصبح أكثر قدسية وتبجلاً عند حجرة قدس الأقداس حيث مركز الإله[7].

(وعرفوا الصيام كفريضة دينية يتقربون بها من أرواح الأموات، ويعتقدون أن صيام الأحياء يرضي الموتى لحرمانهم من طعام الدنيا، وهو في الوقت نفسه تضامن معهم)[8]. ولازم

---

(1) سورة يوسف، الآية 39.

(2) سورة الشورى، الآية 11.

(3) الأديان ص 62.

(4) أندريه إيمار وجانين أوبوايه، تاريخ الحضارات العام، نقله إلى العربية فريد. م. داغر وفؤاد. ج أبو ريحان. انظر الصفحات 84، 105، 106 ومابعدها. منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 1986م.

(5) هـ . فرانكفورت، وجون. أ. ولسن وآخرون، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ص 59، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد 1960.

(6) ديانة مصر الفرعونية ص 165. وانظر ديانة قدماء المصريين ص 136.

(7) انظر الأديان ص 86.

(8) الكرملي، ناصر الدين أبي الفتوح. الصوم في القديم والحديث ص 36. مطبعة الكونكورد.

صيامهم طقوس عبادة الآلهة، وخاصة (أوزوريس)[1] إلى جانب أدائهم فروض الصلاة والحج وتقديم القرابين وقد (أدت الظروف الطارئة دورها في فرض وتحديد نوع الصيام أو الطعام المحلل.. أو ما عَدُّوه فرضاً أو نافلة وفي تحديد الامتناع المطلق أو المحدد من الطعام والشراب)[2].

وعليه، يعرف الصيام لديهم بأنه فريضة دينية يتقربون بها إلى الإله أو أرواح الموتى ممزوجة بشيء من الطقوس المبهمة التي رسمها الكهنة ويمتنعون فيه عن بعض المأكولات وصيامهم نوعان: هما صيام الكهنة وصيام الشعب، فالأول قد جمع بين كونه فرضاً أو استحباباً، فكانت له مواعيده المحددة وقد يرتبط بالتصرف المفاجئ[3] كما أنه (يتطلب من الكاهن خدمة المعبد لمدة سبعة أيام متتالية من غير ماء قبل أن يلتحق بالمعبد، وقد تمتد إلى اثنين وأربعين يوماً، ويبدأ صيامهم من طلوع الشمس إلى غروبها إذ يمتنعون عن تناول الطعام ومعاشرة النساء)[4].

وصيام الكاهن يمر بمراحل إذ (يصوم في التكريس الأول عشرة أيام عن أكل اللحم وشراب النبيذ، وفي التكريس الثاني يصوم عشرة أيام بعد تلقيه واجباته المقدسة أما في الثالث فيصوم صوماً رغبة منه لا فرضاً عليه)[5]، والكهان خلطوا صيامهم بالأسرار المبهمة معتقدين أنها تضفي القدسية عليهم، كما اعتقدوا ذلك في سائر طقوس العبادات، ففي الصلاة قصروا التراتيل فيها بالسرية والغموض ولم يسمحوا لعامة الناس بالاطلاع على شرح مضمونها، وليضمنوا بذلك لهم التبجيل والاحترام والتنعم بما سيحصلون عليه من واردات المعابد[6].

---

(1) الخطيب. علي (د)، الصيام من البداية حتى الإسلام ص 101 منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1980.

(2) ديانة مصر القديمة ص 213.

(3) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 104.

(4) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان ـ الإسلام ص 149، مطبعة السنة المحمدية ط4، مصر 1973، الصيام من البداية حتى الإسلام ص 105.

(5) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 103 ـ 104.

(6) الدباغ ـ تقي ـ الفكر الديني القديم ص 85. دار الشؤون الثقافية بغداد، 1992.

أما صيام الشعب فكان (أربعة أيام من كل عام تبدأ عندما يحل اليوم السابع عشر من الشهر الثالث من فصل الفيضان) [1].

وهناك نوع آخر من الصيام يحرم فيه أكل كل شيء من الطعام خلا الماء والخضر مدة سبعين يوماً ويصومون كذلك في الأعياد كوفاء للنيل، وفي موسم الحصاد، أما فريضة الحج عندهم، فتتمثل بزيارة أماكن تواجد الآلهة في المعابد المنتشرة في المدن ومنها زيارتهم لهيكل معبودهم (إيزيس) و(نتاح) في مدينة منفيس، و(أمون) في مدينة طيبة[2]. (وكانت أيام الحج عندهم من أسعد الأيام التي يتقربون فيها بالدعوات، وتقديم القرابين، وفق ما كان مألوفاً عندهم. وكانوا يغالون في الاعتقاد بسعادة أيام المراسيم الدينية الكبرى، ويذهبون إلى أن من يولد في هذه الأيام من أسعد الناس حظاً، ويزعمون أنه سيكون من كبار رؤساء الدين في المستقبل)[3] والحجاج كانوا يقدمون علامة على تعبدهم، نصباً يثبتونها بطريقة بربرية في نقوش مثبتة في معابدهم القديمة، وهذه النصب تعني، أن الإله قد استجاب إلى الدعاء. وهناك نذور أكثر بساطة، متعددة الصنع، مما يدل على قيام تجارة حقيقية ضخمة لمناسبة الحج)[4].

وخلاصة القول:

إن ديانة المصريين القدماء كانت تتأثر بالأحداث السياسية في البلاد[5]. وإن وحدانية (أخناتون) لم تصل إلى التجريد المطلق الذي هو طابع الديانات السماوية، وإن فكرة تعدد الآلهة ظلت مسيطرة عليهم. ومن المحتمل أن عقيدة التوحيد عندهم قد ارتكزت أو استمدت من وحي إلهي بصورة غير مباشرة وذلك لما يأتي[6]:

أ ـ احتلال المصريين الكثير من أقطار آسيا، واتصالهم بها قد أطلعهم على ما فيها من آثار النبيين من شرائع وعقائد، فربما نالت هذه الآثار من نفوس المصريين شيئاً وانتقلت مع العائدين منهم إلى مصر.

---

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 114.

(2) المصدر ذاته ص 104 ـ 105 بتصرف.

(3) مقارنة الأديان (الإسلام) ص 142.

(4) ديانة مصر القديمة ص 167 ـ 168.

(5) الأديان ص 61.

(6) المصدر ذاته الصفحات 61، 13، 63.

ب ـ أن نبي الله (إدريس) عليه السلام الذي عرفه المصريون باسم (حوروس) أو (هوروس) هاجر وأتباعه من بابل إلى مصر سنة (4500 ق.م) إذ كانت دعوته التوحيد وكان صديقاً نبياً، فيحتمل أن يكون لدعوته أثر لاحق على عبادة المصريين.

وكذلك الحال في هجرة خليل الرحمن (إبراهيم) عليه السلام إلى مصر، أما نبي الله (يوسف) عليه السلام الذي عاش في مصر مدة من الزمن وظل فيها (عزيزها) فقد أخبرنا القرآن الكريم أنه جادل بعض رفاقه جدالاً خفيفاً حول الوحدانية التي كان يدين بها في قوله: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾[1].

المطلب الثاني

العبادات في الديانة العراقية القديمة

عبد العراقيون القدامى آلهة كثيرة، وأعطوها صفات المقدس الإلهي وهي (الشعور العميق بشخصيته وبأن له القوة الخارقة والسيطرة الأبدية)[2].

إلا أنهم لم يعرفوا التوحيد المطلق للإله، ولكنهم نعتوا كبيرهم بـ (رب الأرباب) أو (الإله الأعظم) وهو ما يعرف (بالتفريد).

ويدور محور عباداتهم حول الآلهة المعبودة التي مرت بمراحل الحيوية والطوطمية قبل تكاملها[3]. وعدوا آلهتهم كائنات سماوية تتسيد القوى في الكون. إلا أنهم كانوا يعتقدون بأنهم قادرون على التأثير على مظاهر الطبيعة ـ وهي من أصول عباداتهم ـ وتسخيرها بالسحر القائم على مبدأ التشبيه وهو الاعتقاد بإمكان استحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه[4].

---

(1) سورة يوسف، 39.

(2) بوتير. جان، الديانة عند البابليين، ترجمة د. وليد الجادر ص 12، مطبعة الجمهورية، بغداد، 1970.

(3) الحيوية هي الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح كامنة في مظاهر الطبيعة وتجسيدها بهيئة إله. والطوطمية تجسيد الأرواح في النباتات والأصنام كإله لها تأثير كبير على مجريات الحياة العامة. راجع، فاضل عبد الواحد (د). وطه باقر، د. عامر سليمان، تاريخ العراق القديم ص 7، مطبعة جامعة بغداد 1980.

(4) الدباغ، تقي، الفكر الديني القديم ص 43، الأديان ص 73.

وكان من ذلك أن جسدوا آلهتهم بصور البشر والحيوان، وصوروا لها بيوتاً تعيش في السماء. ثم تطورت الفكرة فأسكنوها في المعبد[1].

إن جوهر عباداتهم مستمد من فكرهم الديني، الذي يستتبع ما يشعرون به، ويعتقدونه ديناً في صورته البدائية، المستوحى من محيطهم، وما رافقه من متغيرات طبيعية وبشرية، فألزموا أنفسهم بطقوس آمنوا أن في أدائها جلباً للخير والعطاء ودفعاً للمكروه.

وعباداتهم مقسمة إلى صنفين الأول عام، إذ يقوم به الفرد لتحقيق غاية الخلق من وجوده، والثاني خاص لدفع المكاره، كما أنها تنوعت تبعاً للطقس الذي يؤديه المتعبد في البيت أو في المعبد.

فنجدهم تارة يستعينون بالكاهن في ذبح القرابين، وما تبع ذلك من صلوات أو حرق البخور، وأخرى طقوس يقوم بها المتعبد نفسه بدون وساطة من الكاهن كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار.

وأبرز آلهتهم المعبودة (أنو) آلهة السماء، (أنليل) سيد الريح العاصفة، و(أيا) سيد الأرض[2].

ولعل أهم طقس تعبدي لديهم هو محاورة الآلهة ثم إقامة الصلوات والأعياد فالمحاورة نشأت تطبيقاً للمفهوم التشبيهي للآلهة، وأن تقديم القرابين على اختلافها والضحايا تفسر اقتناعهم بالهيمنة الإلهية على كل شيء)[3].

إن إقامة الصلاة للآلهة يعتمد على نوع المناسبة التي من أجلها أقيمت الصلاة، والتي تعني رفع شأن هذا الإله أو ذاك، فيقدم المصلي نفسه للآلهة، «ويركع أمامها ويقبل أقدامها، ثم يرفع يديه بالدعاء وتارة يرفع يده اليسرى إلى الأعلى، والأخرى توضع على الصدر، أو أنه يرفع يداً واحدةً للدعاء، والصلاة عندهم تقام في الصباح»[4].

---

(1) المعتقدات القديمة في العراق ص 40 ـ 42.

(2) الديانة عند البابليين، ص 50، الأديان ص 72.

(3) المفهوم التشبيهي استحدثه العراقيون القدامى وكذلك المصريون بأن نعت الملوك لأنفسهم ألقاباً تنم عن ألوهيتهم إشباعاً لرغباتهم.

(4) الأحمد، سامي سعيد. (د)، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، القسم الأول ص 206 ـ 207 مطبعة جامعة بغداد، 1978، الديانة عند البابليين ص 147.

ولا تكاد الصلاة تنفصل في أدائها عن بقية الشعائر، فهي تقدم مع تقديم القرابين وحرق البخور.

ويؤمن المتعبد بأن الآلهة تسمعه وتشعر به فيخاطبها بما يكنه لها من حب كبير لتبقى راضية عنه.

وأبرز طلبات صلاتهم الجماعية دعوتهم إلى محو الكوارث وأبعادها وجلب الخير ودفع المكروه، ويصاحب دعواتهم تراتيل دينية مصحوبة بالموسيقى والمغنيين الذين وضعت لهم نقابة تدير شؤونهم، وتقوم بتدريسهم، وكان أغلب المغنيين من الأسارى[1].

وارتبطت الصلاة لديهم بتقسيم السنة حسب مدار القمر إلى اثني عشر شهراً يضاف إلى ذلك بين حين وآخر شهر لموازنتها مع السنة الشمسية، وكل شهر مقسم إلى ثلاثين أو تسع وعشرين يوماً. وأول شهر يبدأ بظهور القمر الجديد الذي كان ظهوره يعد عيداً ترافقه الصلاة[2].

وارتبطت الصلاة بأعيادهم جميعاً، كعيد الزواج المقدس بين الآلهة أو بين الكاهن والكاهنة، وعيد رأس السنة[3].

والزكاة كانت ممثلة بالصدقة الموجبة للعطاء والتصدق سواء للآلهة أو للفقراء والمحتاجين، فكانت آلهة الزراعة والخصب تحثهم على التصدق بجزء من محصولهم للفقراء والمساكين.

وكان للكهنة خدمة المعبد النصيب الأوفر من الصدقات ممثلة بالقرابين والأموال وما يقدم من النذور.

وعرف الصيام عندهم باسم (شيتو)[4] إذ كان نفلاً وليس فرضاً ملزماً. فكانوا يصومون ثلاثين يوماً عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها، فيمسكون عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس إلى شفق غروبها، ويفطرون على غير اللحوم من الألبان والنباتات، إلا ما حرم منها، ويقسمون الثلاثين يوماً إلى ثلاثة أقسام:

---

(1) الأحمد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم ص 353 وما بعدها، الديانة عند البابليين ص 50.

(2) الأحمد، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، ص279.

(3) انظر، عباس، راجحة خضر (الأعياد في وادي الرافدين) رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، مقدمة إلى قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة بغداد 1976 الديانة عند البابليين ص1.

(4) فاضل، محمد، الحراب في صدر البهائية والبابية ص88، دار التقدم 1329.

1 ـ قسم يصومون فيه أربعة عشر يوماً متتالية في فصل الشتاء موافقة لأعداد الكواكب السبعة المشهورة وأفلاكها.

2 ـ قسم يصومون فيه سبعة أيام في الربيع.

3 ـ قسم يصومون فيه تسعة أيام في أواخر الصيف[1].

أما فريضة الحج فلم يعرفوها بالمعنى الحصري المحدد بمكان معين، إذ يقول د.سامي سعيد الأحمد[2]: تمثل الاحتفالات الدينية المقامة للآلهة الكبيرة في المعابد والمقرونة بمظاهر الفرح والابتهال مظهراً من مظاهر الحج، المصحوب بالصلاة والموسيقى تفخيماً وتعظيماً لآلهتهم. وتعتبر أماكن تواجد ـ نصب ـ آلهتهم أماكن مقدسة يقصدونها بين الحين والآخر لطلب حاجة أو دفع مكروه أو أي غرض آخر[3].

المطلب الثالث

العبادات في الديانة اليونانية القديمة

تبلورت العبادات اليونانية القديمة عبر مراحل متلاحقة، مكونة خلالها جملة طقوس وشعائر تعبدية مستوحاة من خيال وأساطير تجمعت بداخلها أفكار بشرية وإن طغت عليها المسحة الفلسفية على حساب المعتقد.

وتعرف الديانة اليونانية: بأنها مجموعة شعائر تعبدية من مزيج من فلسفة الأساطير القديمة، ونتاجات الفكر البشري الآني، المفعمة بالسحر والشعوذة.

وتميزت عبادتهم بتأثيرها بمظاهر الطبيعة والخوف والرهبة منها، كما قدموا الحيوانات شأنهم شأن الأمم الأخرى، بل أنهم عبدوا (الجماد) ومزجوا عبادته بطلاسم السحر والتخريف. «ونظراً لدخول الفلسفة في تفسير مظاهرهم الدينية لم تبرز بوضوح طرق عباداتهم، ويدلل على ذلك المكتشفات الأثرية في جزيرة (كريت) للحضارتين الميتية والمسيتية»[4].

---

(1) الحراب في صدر البهائية والبابيية ص88 وما بعدها.

(2) أستاذ التاريخ القديم في جامعة بغداد، كلية الآداب ـ قسم التاريخ. له العديد من المؤلفات التاريخية موزعة في الموسوعات العلمية والتآليف المفردة.

(3) قال لي ذلك خلال مقابلتي معه بتاريخ 1995/11/10.

(4) الحضارة المينية أنشأها سكان جزيرة (كريت) والجزر المجاورة لها ما بين سنة (2700 ـ 1100 ق.م). الحضارة المسينية تنسب لأقوام شبه جزيرة اليونان وجزر بحر إيجه في الفترة ما بين عام (1600 ـ 1100 ق.م)، انظر الفكر الديني القديم ص29.

وعبد اليونانيون آلهة متعددة في فترات زمنية متفرقة وهذا التعدد (مدعاة للتصلب والتساهل)[1]. وتنوعت أماكن العبادة لديهم بين موقد الدار أو موقد البلدية القائم في قاعة المدينة العامة، أو في شق في الأرض يسكنه إله أرضي[2].

وظلت صفة الإشراك ملازمة لديانتهم، فاختلفت نظرتهم للمعبود وتباينت، وهي نتيجة منطقية، لبعدهم عن مهبط الوحي وهم بذلك «لم يضيفوا إلى تراث البشرية الديني شيئاً وإنما أخذوا كل شيء عن الديانات الشرقية عن طريق الفينيقيين والكريتيين»[3].

وصوروا آلهتهم على شكل تماثيل في أول الأمر، ثم ظهرت في مرحلة لاحقة العبادة الطوطمية التي تتجسد فيها المعبودات المادية التي يحترمها البدائيون لاعتقادهم بوجود علاقة خاصة بتلك الماديات تمنحهم منافع متبادلة ومن هنا «جاءت عبادتهم للأشجار والأفاعي فنقشوا صورها على قرني ثور الذي كان أحد الرموز للآلهة»[4].

وأبرز آلهتهم المعبودة هي الآلهة الأنثى[5] لأنها تمثل في نظرهم رمزاً للإخصاب والعطاء، كما عبدوا (الربة الحية) ربة المنزل الحساسة، وأشهر آلهتهم (زووس) الذي قدموا إليه القرابين والنذور وأدوا له الصلاة المصحوبة بأصوات الناي والقيثارة والطبلة[6]. واليوناني المتعبد يشعر باتحاده مع الإله عند تأديته للطقوس، مثل المشي على القدمين مسافة طويلة في مواكب جماهيرية، وكذلك الصوم والتطهر وحمل المشاعل والرقص وشرب الخمرة[7].

وارتبطت شعائرهم بعضها بالبعض الآخر، فالصلاة لا تؤدى بمعزل عن تقديم الذبيحة، ففي حوار وضعه أفلاطون يحمل سقراط محدثه على التصريح «أن التقوى

(1) تاريخ الحضارات العام مج1 ص366.

(2) دورانت. ول. قصة الحضارة، مج1 ص349، ترجمة محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر. مصر.

(3) الأديان ص79.

(4) الهاشمي. طه، تاريخ الأديان وفلسفتها. من منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت 1963، الفكر الديني القديم ص211.

(5) الفكر الديني القديم ص214.

(6) الأديان ص74.

(7) الفكر الديني القديم ص212 وص216.

وضمان خلاص العائلات والمدن في معرفة ما يرضي الآلهة إما بتأدية الصلاة أو في تقديم الذبيحة»[1].

وأدت الأساطير والخرافات دورها في المعتقدات اليونانية والتي طورها فيما بعد الكهنة والسحرة فأصبحت «عمل إبداعي محض بطريقة لا شعورية»[2]. وتدل الرسوم التاريخية أن أداءهم للصلاة يكون وقوفاً وجثواً إلى الأرض، وامتداداً مصحوباً بقراءات التراتيل الدينية. ولم يكن لهم أوقات ثابتة للصلاة فهم يصلون حين يرومون الذهاب للمعبد، أو عند تقديم الذبيحة للآلهة أو استنزالاً للخير أو دفعاً لمكروه، أما الزكاة لديهم فيمثلها عطاؤهم من المال والذبائح لرجال الدين وخدمة المعبد كطاعة وولاء للآلهة وهذا العمل غير مقرون بمدة زمنية محددة، وإنما هو مرتبط بتقديم النذور والقرابين للآلهة طلباً ودفعاً للمكاره.

وارتبط الصيام بشعائر من وضع الكهنة. إذ أسبغوا عليها طابع الخفية وقسموها إلى أسرار صغرى، وأسرار كبرى[3]. «فالأولى تقام في فصل الربيع بالقرب من (أثينا) ويغمر فيها طلاب الأسرار أنفسهم بالماء فيستحموا ويصوموا، وعند طلب الأسرار الكبرى، وهي الفترة التي تدوم أربعة أيام لمن حاز الأسرار الصغرى، يعاد عليهم الاستحمام والصيام، والذين سبقوهم في الأداء في مثل ذلك الموعد من العام الماضي كانوا يؤخذون إلى بهو (الاندماج) حيث الاحتفال السري، وهناك يفطر المبتدئون والصائمون بأن يتناولوا عشاء ربانياً إحياءً لذكرى (رملتر) الإله»[4].

وأهالي مدينة (تورنتم) يصومون كل عام شكراً على النجاة من حصار نزل بهم فلما زال لازموا صيامهم[5].

وكان اليونانيون يصومون قبل الحرب رجاء النصر، أما رجال الدين في جزيرة كريت فيصومون مدى الحياة عن أكل اللحوم والأسماك والطيور[6]. وكان الشعب يصوم عشرة أيام قبل

(1) المصدر ذاته ص221.

(2) تاريخ الحضارات العام مج1 ص367.

(3) الصيام من البداية حتى الإسلام ص111، وقصة الحضارة مج2 ج1 ص242 نشر الجامعة العربية.

(4) الصيام من البداية حتى الإسلام ص111، قصة الحضارة مج2 ج1 ص242.

(5) قصة الحضارة مج1 ص 144. الصيام من البداية حتى الإسلام ص111.

(6) مقارنة الأديان (الإسلام) ص149، ط 4 .

خوض المعارك استنزالاً للنصر، كما أن المحصنات الأثينيات يصمن حافيات أياماً تسبق تنقيح القوانين التي تنقح كل سنة وكانت تصاحب عبارة (ديونسيوس) رياضة تقشفية[1]. وتباين صوم الشعب وأمر ذلك راجع إلى اختلاف تركيبته المتكونة من طوائف مختلفة الأجناس. تبعاً لذلك أصبحت وظيفة رجل الدين «تهدئة الضمير بالطقوس لإحيائه بالتحذير»[2].

«على أن ذلك لا يمنع أن يكون ما حيك حول الصيام من ترغيب نفسي كان كفيلاً لإقناعهم بممارسته»[3].

وآمنوا بأن (الصائم يستطيع قتل الأفعى إذا تفل في فيها)[4]. وتأثر الرومان بطقوس الصيام اليونانية فأصبح صيامهم شبيهاً به، أما أعيادهم فكثيرة، وكانت تصاحبها طقوس العبادة، وأشهرها عيد (أثينا) الذي يذكرهم بتوحيدهم سياسياً[5].

إذن فالصيام عندهم يمثل شعيرة الامتناع والحرمان المزوجة بتعاليم مبهمة وضعها الكهان ليختصوا بها وحدهم. والحج عندهم القصد إلى أحد نصب آلهتهم المنتشرة في مدنهم بغية لإرضائها وطلباً لترحمها في حفظهم من المكاره وجلباً للخير العام. ويتمثل الحج لديهم في زيارة هيكل (ديانا) في مدينة (أفسوس) وهذا الحج بدأ عندهم قبل ميلاد المسيح عليه السلام بنحو خمسين قرناً واستمروا عليه إلى بداية القرن الثاني قبل الميلاد وبعدها أخذوا يحجون إلى معبد (مينارفا) في (أثينا) عاصمة اليونان ومعبد (جوبيتر) في (أولمبيا)[6].

المطلب الرابع

العبادات في الديانة الرومانية القديمة

يدور محور العبادات عند الرومانيين حول الآلهة والمعبد، وما يرافقهما من شعائر أصبحت بمرور الزمن ذات قدسية مطلقة، إذ حاولوا التوفيق بين ما ورثوه من اليونانيين وبين طقوسهم المحلية، وكذلك ما جلبه الوافدون إليهم من مراسم دينية متباينة في هيئتها، فعبدوا

---

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص112.

(2) الصيام من البداية حتى الإسلام ص112. عن كتاب (الفن والمجتمع) تأليف هربرت ريد.

(3) انظر: المصدر ذاته ص112 ـ 113.

(4) الصيام من البداية حتى الإسلام ص112، وقصة الحضارة مج3 ج2 ص192.

(5) تاريخ الحضارات العام ج1 ص368، وانظر قصة الحضارة مج2 ج11 ص36.

(6) مجلة معهد الإسكندرية الديني ص142، السنة الأولى العدد الأول.

آلهة كثيرة تباينت في قدسيتها بين مدينة وأخرى، حتى قيل إن الروماني «يبتهل في دعاء واحد إلى آلهة كثيرة بل لم يعد في وسع الرومانيين التمييز بين تمثال الأرباب وتمثال قيصر»[1].

وإلى جانب الآلهة، عبد الرومانيون ملوكهم وأبطالهم وأمراءهم بعد أن اتخذوا هؤلاء جميعاً لهم رموزاً إلهية، بل أنهم (ألّهوا عائلة الإمبراطور الحاكم كلها)[2].

والطابع المميز للعبادة، هو الجمع «فالصلاة والذبيحة هما شيئان متلازمان فبعد أن يرش على الضحية الخمر تنثر عليها فتات الكعكة المقدسة، ثم يقوم مساعد الكاهن بذبحها ثم تفحص الأجزاء الداخلية فحصاً دقيقاً وخاصة الكبد»[3].

والكاهن يؤم المصلين بتلاوة تراتيل وأدعية بصوت خافت في حين يغني أحدهم على المزمار، ويقف الحاضرون في صمت عميق، وإذا ما حصل خطأ في إحدى هذه الطقوس أو عرقلة طارئة يجب إعادة جميع الطقوس وتقديم ذبيحة للتكفير عن الخطأ[4]. وأشهر آلهتهم المعبودة (ميثرا)[5] التي وفدت إليهم من إيران في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، والإله (جوبيتر)[6] إله السماء الصامتة، والإله (فستا) إلهة المدفن والبيت، والإله (جينوس)[7] الذي يرعى الإنسان من ولادته حتى وفاته، والإله (نبتس) المسؤول عن حفظ الأطعمة ومخزن البيت.

إن هذه الكثرة في الآلهة المعبودة،سببت لهم إرباكاً في إيمانهم مما حداهم إلى السخرية من طقوس تعبدها مما اضطر إمبراطور قسطنطين أن يسمح بفتح روما للمبشرين المسيحيين[8].

---

(1) بترى أ. مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم ص360، ترجمة يوئيل يوسف عزيز. مطبعة دار الكتب، جامعة الموصل 1977.

(2) و.هـ.ب. الرومان، ترجمة عبد الرزاق يسري ص52، نهضة مصر 1968.

(3) ولا يعرف سر اهتمامهم بالكبد وبين ما يعتقدون وجوده شراً بين الأحشاء. انظر: مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم ص97، وانظر: اليونان والرومان ص362 وص356.

(4) المصدر ذاته ص97.

(5) اليونان والرومان ص371.

(6) حوى، سعيد. (الله) ص 171، دار الكتب العلمية، ط 3 . بيروت 1981.

(7) اليونان والرومان ص371.

(8) انظر الأديان ص83.

واهتمت الدولة الرومانية بالدين كركيزة للاستقرار، فاعتنت بالكهنة وتثقيفهم، ففتحت لهم مدارس خاصة للعلوم الدينية، بعد أن هيأت لهم جميع مستلزمات التدريب والتدريس، ويترأس الكهنة (الحبر الأعلى) صاحب الكلمة الأولى في المجتمع الديني وعلى المستوى الشعبي والرسمي.

وهؤلاء الكهنة يعتقدون في عملهم بالفأل الذي يعتمد على طيران الطيور، أو أصواتها طبقاً لقوانين معروفة لديهم تؤلف علم الكهانة، كما سمحوا للنساء بامتهان الكهانة[1].

وصلاتهم عبارة عن خضوع وقنوت أمام الإله في المعبد في هيئات مختلفة، وقوفاً وجثواً، رافعين أيديهم تارة وخافضيها تارة، ويرددون التراتيل الدينية وطلب الرجاء والعفو من الإله مصحوبة بالموسيقى خاصة إذا كانت تؤدى بصورة احتفالية رسمية أو شعبية. أما صلاة الفرد فهي شبيهة بالصلاة الجماعية خلا كونها تؤدى بالبيت وبدون موسيقى[2].

أما الزكاة فهي عبارة عن تقديم الهبات والعطايا لرجال الدين والعاملين في المعبد، وتشمل ما يعطى للفقراء والمساكين من صدقات، وهي غير ملزمة للفرد ولكن لها مسحة دينية معتبرة لديهم.

ويستغل رجال الدين الناس في كل ما يقدم إليهم وذلك لمصلحتهم الخاصة، زاعمين أنهم وسطاء الناس في رفع طلباتهم للإله بالقبول.

أما فرض الصيام فهو «فرض مزيج من شعائر يونانية وهندية تجد في الجوع وعذاب الجسد ملجأ للتخلص من الخطايا والذنوب وصيامهم شبيه بصيام اليونانيين إذ تأثروا بهم، وخاصة في صيام الإله (أرنيس)»[3].

كما أنهم تأثروا بالمعتقدات الهندية التي ترى في الحرمان المتواصل والجوع المتعمد خير وسيلة للصفاء الروحي والقرب من الإله المعبود. وهذا ما عمد إليه عباقرتهم أمثال (ليكوزموس) مشرع أسبرطة و (فيثاغورس)[4] العالم الرياضي.

---

(1) مدخل إلى تاريخ الرومان ص96.

(2) استنتجت من ذلك من خلال اطلاعي على الرسومات التاريخية التي توضح هيئات صلواتهم أمام الإله، وهو ما أيدني به الدكتور سامي سعيد الأحمد خلال مقابلتي معه بتاريخ 1995/6/29.

(3) اليونان والرومان ص364 بتصرف.

(4) الصيام من البداية حتى الإسلام ص107.

وكانوا من شدة اهتمامهم بالصيام أن قاموا بإنشاء مدارس للتصوف في (أثينا وولفي وإيلوزيس) كانت أولى غاياتهم الاتصال المباشر بالإله عن طريق النسك[1].

ولم تبرز المصادر صيام الأفراد وتوضحه، بل بينت بإسهاب صيام الكهنة والأدوار التي يمرون بها، عبر تكريسهم منذ الصغر، إذ يمر الكاهن عبر تنسكه بمراحل حرمان من الطعام تشتد تدريجياً كلما أنهى تكريساً متقدماً إلى أن ينتهي ببلوغه مرحلة الكهانة الرئيسية[2].

وكان للظروف الطارئة كالتنبؤ بالغيب صيام خاص به، ونظراً لإيمانهم بالفأل فقد أولوا اهتماماً خاصاً بالمنجمين الكهان، فأفردوا لهم وظيفة رسمية في روما ومقرها دار البلدية[3].

وهناك صيام التنبؤ الذي تقوم به الكاهنات لاستعدادهن أكثر من غيرهن للتنبؤ، فيصمن ثلاثة أيام إلا من ورق الغار ليمضغنه، وتجلس الصائمة على نضد عال لتشتم أبخرة منتنة من موقد مشتعل يجبرها استنشاقه على الاضطراب الشديد الذي يعده الكهنة بأنه من عمل الآلهة، فتهذي بكلمات يتناولها الكهنة بحرص فيؤولوها بعدة وجوه من التفسير.

وقد يصيغون كلماتها شعراً يذيعونه على طالب النبوءة الذي يدفع بالمقابل المال[4].

ولم يعرف الرومانيون مفهوم الحج بالمعنى الحصري، بل كان مزيجاً من الاحتفال بهذا الإله أو ذاك ميلاداً أو زواجاً أو استنزالاً للمطر أو طلباً للنصر أو دفعاً للخطر فيقسموا المواكب الاحتفالية في كراديس منتظمة تبجل هذه المناسبة بمشاركة الملك ورجال بلاطه، وكان للظرف السياسي في بعض الأحيان دخل في تحديد هذا المفهوم خدمة لصاحب السلطة ويصاحب هذه الاحتفالية، الصلاة الجماعية، وتقديم الهبات والعطايا من الذبائح والأموال.

---

(1) المصدر ذاته ص109.

(2) المصدر ذاته ص109 وما بعدها.

(3) المصدر ذاته ص113.

(4) أخبرني بذلك د. سامي سعيد الأحمد في مقابلة أجريتها معه بتاريخ 1995/6/15.

المبحث الثاني
العبادات في الديانات الحية

نظراً لأهمية الديانات الحية في حياة الشعوب، رأيت من المناسب أن أتناول تلك الديانات ممثلة في صور عبادات الديانات الهندوسية والبوذية والصينية والزرادشتية والصابئية.

المطلب الأول

العبادات في الديانة الهندوسية

تقوم أسس الديانة الهندوسية على (الكارما)[1]. وتناسخ الأرواح، ووحدة الوجود، وتبعاً لذلك يتحدد الإطار العام لعبادتهم.

واهتمت دياناتهم بالطقوس والشعائر المرتبطة بالإله (براهما) فقدمت له القرابين وقدسته، باعتباره ليس مستقلاً في ذلك، بل يحل في جميع مخلوقاته الطيب منها والخبيث، فيشاركها آلامها وآثامها.

وعقيدتهم تقوم على عدم الاعتراف بقيمة الحياة، وأن ليس هناك حاجة لوجود إله يعبد، ولكن بمرور الزمن تغيرت نظرتهم حينما اعترفوا بتأليه مجموعة من القديسين فأقاموا الشعائر، وأخضعوهم للتناسل والتحلل. «وأصبح لكل شيء روح وقدسية، وأخذت كل آلهة وضعية معينة محددة، إلا أن الآلهة العليا أخذت لنفسها ثلاثة أقانيم تدعى الأول (براهما) ووظيفته الخلق والإيجاد، ودُعي الثاني (قشنوا) للمحافظة على الخلق والوجود، و(سيفا) المخرب الجبار»[2].

إن جذور دعوتهم هذه تقوم على أصول طوطمية قديمة مرتكزة على تقديس أرواح كثيرة، كما أنها ترجع إلى عبادة قوى الطبيعة فتشترك بالإيمان بالخرافات المتأثرة بالسحر والتعويذات.

---

(1) (الكارما): قانون الجزاء أو العدالة والانطلاق نحو انعتاق الروح من الجسد واتحادها بالإله (براهما) انظر الأديان ص 89 ـ 90.

(2) الأديان ص 88.

وتتجلى ملامح التفريد عندما يتوجهون بعبادتهم نحو الإله (براهما) متناسين بقية الآلهة، وينادونها برب الأرباب، بعد أن يضفوا عليها كل صفات الكمال والتقديس، ودعوتهم لبراهما وأقانيمه الثلاثة تشبه ما أخذت به المسيحية في قولها بالثالوث المقدس (الآب. الابن. الروح القدس)[1] بعدئذ.

والصلاة لديهم تشارك طقوس تقديم القرابين والنذور لآلهتهم وهيئتها إما وقوفاً أو جلوساً أو يرتلون الأدعية الدينية.

أما الزكاة: فليست فرضاً تشريعياً لديهم، بل إن الصدقة على الفقراء والمساكين أمر محبذ للنفوس، ومدعاة للتآلف والتوادد، كما أنهم يعدّون التصدق على الكهنة ـ خَدَمة الأماكن المقدسة ـ يلاقي في نفوسهم استحساناً كبيراً خاصة في أثناء تأديتهم لفريضة الحج[2].

والبارز من شعائرهم الصيام: الذي عدوه تطهيراً لكل شيء ففرضوا صياماً تقشفياً كالصمت والامتناع عن الأكل والشرب، قلما نجده عند سائر أصحاب الديانات الأخرى. وصيامهم تطوع ونفل وليس فرضاً مفروضاً عليهم. ويتوجه المتعبد بصيام الصمت بكل جوارحه وأحاسيسه نحو معبوده فيمسك بزمام قلبه، هادئاً، مركزاً فكره في الواحد، متجلياً في مذهب (اليوجا)[3] ويختلف صيام الكهنة عن صيام الشعب إذ تميز بكثرة أيامه وقسوته ويبدأ صومهم مع بداية كل فصل من الفصول الأربعة مضافاً بها اليوم الأول والرابع عشر من كل شهر قمري، ويصومون مدة كسوف الشمس ـ كالمسلمين. وفيه يكفون عن الصلاة والاتصال الجنسي[4]. ولديهم صوم (براك)[5] الذي يجعل الصائم طعامه وقت الظهيرة

---

(1) تلتقي الديانة الهندوسية مع الديانة المسيحية في مسائل العقيدة وطقوس العقوبات والكفارات المدعاة إلى التساهل المبالغ فيه المبني على الخير وكف الشر وتمكين لاطم الخد من الخد الأخرى، والدعاء للعدو بالخير والصلوات عليه وغيرها. انظر البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ص 467 وما بعدها، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند 1958.

(2) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص 467.

(3) مذهب (اليوجا) هو الركون إلى السكون عن الحركة في أوضاع مختلفة وإخضاع الحواس كافة للتأمل الروحي لفترة لم تحدد بوقت، راجع قصة الحضارة مج2 ج 3 ص 60.

(4) و (5) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 67 ص 66.

ثلاثة أيام متوالية ثم يحوله إلى وقت العتمة ثلاثة أيام متوالية. ثم يصوم ثلاثة أيام متوالية لا يفطر فيها البتة.

ومنهم من يصوم ما يزيد عن ساعة فلكية تبدأ بغروب الشمس وتنتهي بغياب الشفق الأحمر[1].

وتذكر (البيرونا) وهي من أسفارهم المقدسة ـ الصيام في قطعة شعرية محفوفة بهالة من التقدير، ومسبوقاً بصفة تؤكد وجوده في فلسفة ترى استقلال الأفراد وهما و (وحدة الوجود) حقاً[2].

وأصحاب العقيدة (الجندريهكنية)[3] يسجدون ويقدمون القرابين من الطعام والشراب لتمثال معبودهم ويصومون صوماً يستغرق النصف من كل شهر قمري ويفطرون عند طلوع القمر، فإذا انتهى الشهر وأتى الهلال الجديد أفطروا وأتوا إلى صنمهم بالقربان ثم صعدوا إلى الأسطح داعين آلهتهم بأن ترزقهم وتعفوا عنهم ثم يشرعوا في طعامهم.

وهناك ألوان أخرى من الصيام الذي ينتهي أحياناً بالموت تطبيقاً للزهد الماحق الذي لحق الجسد.

والحج عندهم تطوع وفضيلة، وليس مفروضاً عليهم وهو القصد إلى أحد البلاد المقدسة لديهم أو أحد أصنامهم المعظمة، أو الأنهار المطهرة، فيغتسلون بها، ويؤدون فروض الطاعة لمعبودهم، ويسبحون له، ويدعون، ويحلقون رؤوسهم ولحيهم، وهم يقدسون الحياض الطاهرة، ومعظمها في الجبال الباردة، وكونها فاضلة باتفاق أمر جليل فيها أو نص وارد في الكتب والأخبار[4].

---

(1) الصيام من البداية حتى النهاية ص 66.

(2) قصة الحضارة مج 2 ج 3 ص 211.

(3) (الجندريهكنية) هي عقيدة يخص معتنقوها القمر بالتعظيم ويعدونه من الملائكة وغرضهم الأصيل (فصل العقل عن الجسد) راجع: ابن النديم الفهرست ص 348 مكتبة ضياء، بيروت، 1964.

(4) تحقيق ما للهند ص 467.

المطلب الثاني

العبادات في الديانة البوذية

يدور محور العبادات البوذية حول التفكر والتأمل الروحي في حقيقة الوجود، وبوذا وأتباعه أنكروا وجود الله تعالى، خوفاً من أن تنشأ طبقة لاهوتية متسلطة تستغل عامة الناس، ولكنه في الوقت ذاته لم يدع الألوهية لنفسه، بل إن مريديه جعلوه إلهاً فعبدوه(1).

وذلك على الرغم مما جاء به من تعاليم تعد منهجاً خلقياً لفلسفة اجتماعية، غايتها التخفيف من آلام الناس والعمل على إسعادهم، وإلغاء الطبقات، وتحقيق المساواة بين البشر. ولما أنكروا وجود الله أخذت (النيرفانا) طريقاً جديداً في فلسفتها ومبادئها(2).

وتقوم أسس ديانتهم على فلسفة (الحب والسلام) والابتعاد عن ملاذ النفس، والرقي بالإنسان إلى مصاف الزهد والتقشف عبر تأملات روحانية عميقة تعظم دوره في المجتمع، إذ أنها تحرم العمل، ولم يرد عن بوذا، أنه زاول عملاً أو حث عليه(3).

ولهم كتب مقدسة تعرف بـ (سلال الحكمة الثلاث)(4) وهي من أضخم ما ورد في التراث التشريعي في أي دين من الأديان.

إن تعاليم بوذا في العبادات شيء وما جاء به أتباعه من بعده شيء آخر وخاصة في فرضي الصيام والحج. والصلاة لديهم عبارة عن تأملات عميقة في عالم الهيام اللاهوتي،

---

(1) انظر مقارنة الأديان، ج 4 ص 212 ـ 213، ط 4، 1976. والأديان ص 101، والمدخل لدراسة المذاهب والأديان ج1، ص 83.

(2) (النيرفانا): وتعني: نعيم النفس وخلودها في الراحة الأبدية، ولا يتأتى لها ذلك إلا بعد أن تمر بتجارب كثيرة قاسية تصفو فيها النفس من الرغبات الحسية.

انظر: الصيام من البداية حتى الإسلام ص 73 وما بعدها. ومقارنة الأديان ج4 ص 101 ط 3 مكتبة النهضة المصرية 1972.

(3) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 78.

(4) وتسمى السلة الأولى (سلة العقائد) وفيها وصف دقيق لقواعد التنسك والرهبنة، وتسمى السلة الثانية (سلة الأمثال) وتتناول مجموعة من المواعظ والأحاديث، وقيل إن بوذا أسماها (كنز الخمسمائة والخمسين قصة) و (كتاب الأمثال البوذية)، أما السلة الثالثة فتسمى (سلة الشريعة) وتشمل ما اشتملت عليه السلة الأولى بالإضافة إلى احتوائها على الروابط الاثني عشر (وتعني ربط البوذي بمعتقده، إيمانياً، كما تشمل على الحقائق النبيلة للبوذية، راجع: المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص 79 ـ 80، والأديان ص 100.

يقيمونها أمام تمثال بوذا في معابدهم جلوساً إذ يرتلون كلمات تنم عن التقديس والخشوع له، حتى أولئك الذين لا يؤمنون بألوهية بوذا فإنهم يرتلون ألفاظاً لاهوتية تنقش على عجلات يديرها الهواء والماء بخشوع وتضرع[1].

ويقيم البوذي صلاته في بيته منفرداً أمام تمثال مصغر لبوذا.

والزكاة. عندهم واجبة على الذين يملكونها في الحول أو الشهر (ومنهم من يرى أن نسبة الصدقة هي التسع لأنه يرى في ثلثه للادخار كي يطمئن إليه القلب وفي ثلثه الآخر أن يصرف في التجارة ليثمر. وفي ثلثه الباقي أن يتصدق به، وينفق ثلثاه في الدار)[2].

(وبعضهم من رأى قسمته أرباعاً، كما ألزموا أنفسهم بأداء الخراج الذي يلزم الأرض، أو المرعى إلى الوالي، وبالسدس أجرة على الزيادة من الرعية وحفظ أموالهم وحريتهم)[3].

أما صيامهم، فله جذور عميقة في الفكر الهندي، فهم صاموا صمتاً تأملياً طويلاً كما امتنعوا عن تناول الأكل والشرب (عدا الحليب)[4].

ويبدأ صيامهم، من منتصف النهار حتى فجر اليوم الثاني، ويصومون ثلاثة أيام متفرقة في السنة، أولها يوم اكتمال القمر في (مايس) من كل عام. وهو عيد ميلاد بوذا وثانيهما عند اكتمال القمر أيضاً في حزيران، وهو أول يوم في الصيام البوذي، وآخرها عند اكتماله في تشرين الأول وهو آخر يوم في الصيام الكبير[5].

وبعضهم يصوم يوماً من كل شهر عند اكتمال القمر في الرابع عشر من كل شهر قمري[6]. وللبوذيين أربعة أماكن يحجون إليها في الهند والنيبال وهي:

1 ـ المكان الذي ولد فيه بوذا ويدعى (غابة لمبيني).

2 ـ المكان الذي بدأ منه تباشير تعاليمه ويعرف بـ (سارنات).

3 ـ المكان الذي أشرقت فيه الحقيقة في الهند ويعرف بـ (بوذا جايا).

4 ـ وأخيراً يحجون إلى مرقده في قرية (كوسنياهر)[7].

---

(1) انظر الصيام من البداية حتى الإسلام ص 78.

(2) تحقيق ما للهند ص 466.

(3) تحقيق ما للهند ص 467.

(4) انظر الصيام من البداية حتى الإسلام ص 78.

(5) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص 82. والصيام من البداية حتى الإسلام ص 74.

(6) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص 82 ـ 83.

(7) المصدر السابق ج1 ص 82، والصيام من البداية حتى الإسلام ص 74.

والبوذيون يعترفون بأن طقوس العبادة في الصلاة والصوم والحج لم يأت بها بوذا، وإنما هي من وضعهم بعد وفاته. ويحتفلون بعيدين رئيسين مرتبطين باكتمال القمر. وببوذا نفسه.

المطلب الثالث

العبادات في الديانة الصينية

عبد الصينيون القدماء مظاهر الطبيعة، والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء (الملائكة) وأرواح الآباء[1].

وآمنوا بأن إله السماء كائن عظيم، يحب الخير ويكره الشر، وهو ما آمن به (كونفوشيوس)، وحثّ أتباعه عليه، بعد أن اعترف بوجود إله واحد (تي.ان) [2] صاحب العرش في السماء. وسلم (كونفوشيوس) بشرائع السماء، على الرغم من عدم اهتمامه بمعرفة شيء عن الله وأسمائه وصفاته، بل بذل جهده في إصلاح الناس. فكان الدين عنده مواساة اليتيم، والبر بالفقراء والمعوزين[3].

وكان يقول إن الإنسان لا يصل إلى مراتب التقدم عن طريق التعبدات بل يصلها عن طريق ذاته بالمعرفة الصحيحة[4]. وحدد لهم فضائل ونهاهم عن شرور أربعة[5]، ولكونفوشيوس كتب مقدسة خمسة ليس فيها ما يخص العبادات بل إن كتابه (المراسيم)

---

(1) أبو زهرة، محمد، مقارنة الأديان ص 89، مطبعة النصر، مصر 1965.

(2) شلبي، أحمد، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام. عرض وترجمة وتعليق. أصل اسم الكتاب (درى أدم سمغي محمد صلى الله عليه وسلم) بقلم د. حاج أورامج كاى رحمات بن داتو بحر الدين) راجع الأديان ص 106 ص 108.

(3) الأديان ص 106 وما بعدها، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام ص 107.

(4) الأديان ص 108.

(5) الفضائل هي احترام الوالدين وطاعة الصغير والكبير، والوفاء والأخلاق والحشمة والأدب والحياء والإحساس بالخجل. أما الشرور الأربعة فهي:

1 ـ فرض العقوبة بدون نص قانوني فإنه طغيان.

2 ـ توقع الطاعة التامة بغير تخير مناسب فإنه فجور.

3 ـ فرض الضرائب والإنفاق بتقتير فإنه إساءة استعمال الحكم.

4 ـ توقع الانصياع الفوري للأوامر المتأخرة فإنه السرقة.

للاطلاع، يراجع: كايرمان جوزيف حكمة الأديان الحية. ترجمة حسين الكيلاني ص 99 ـ 100 دار مكتبة الحياء، بيروت 1964، والمدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ج1 ص 99.

(لي.ك.انج) [1]. وضعه من أجل أن لا يقبل الناس على الطقوس الدينية ويهملوا الخلاصة والروح، إذ ركزت كتبه على تطهير النفس وتنزيهها وإبعادها عن السقوط في براثن الخطايا والآثام.

ويرى بعض الباحثين خلاف ذلك[2]، ونظراً لعدم ادعائه بالنبوة وبأنه صاحب عقيدة دينية، وقلة تطرقه للعبادات، ومسألة الخلق، وإنكاره الإيمان باليوم الآخر، وما يقع فيه من وعيد وعذاب، عُدَّ مذهبه نظاماً دنيوياً لا دينياً، وأنه في الأصل مذهب سياسي[3]. على الرغم من أنه قام بواجب العبادة، فقدم القرابين وكان يؤدي الصلاة صامتاً وهو جالس لا ينطق بالكلمات، كما أوجب على أتباعه الاستحمام قبل أداء الصلوات وكان يقول «المخطئ في حق السماء ليس له من يتوجه إليه إلا بالصلاة»[4] وهو بذلك متأثر بمعتقدات أسلافه ولعل التقاءه بـ (لاو - تنزو) مؤسس الديانة الطاوية في الصين أثر في ذلك[5].

واهتم كونفوشيوس كثيراً بالصدقة (الزكاة) ومساعدة الفقراء، إذ صرف جل عمله في الاعتناء بهم وإعانتهم بإبداء النصيحة لهم مما طغى ذلك على تعاليمه، ولم يكن له نظام خاص للصدقة.

أما صيامهم فكان كف الأكل والشراب لأمد غير محدد وحسب طاقة المتعبد وتحمله، إذ رأوا فيه تطهيراً للنفس ونقاء لها.

---

(1) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص 99.

(2) انظر المنوفي، محمود أبو الفيض، الدين المقارن ص 97، دار نهضة مصر القاهرة، 1970. وحكمة الأديان الحية ص 96. والشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم). الملل والنحل، الجزء الثاني ذيل الملل ص 21. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1961.

(3) الملل والنحل، ج2، ذيل الملل والنحل ص 21.

(4) الملل والنحل ج2، ذيل الملل والنحل ص 21.

(5) نشأت الديانة الطاوية أو الداوية جنباً إلى جنب الديانة الكونفوشيوسية في القرن السادس قبل الميلاد، ولم يدع (لاو) بأنه نبي أو صاحب عقيدة دينية إذ تنصب فلسفته على هجر التفكير إذ يرى أنه لا خير في الجدال والنقاش فهو يضر بالحياة أكثر مما ينفعها، كما يوجب على أتباعه معاملة الناس برفق وإحسان، وبعد وفاته ذهب أتباعه إلى تشويه أفكاره بأن حولوها إلى عقيدة تؤمن بمعبود لم يذكره في حكمه وأقواله ثم تحول الناس بعد فترة من وفاته إلى عبادته جاعلين منه إلهاً. فبنيت له المعابد. راجع: المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص 97. والأديان ص 110 وما بعدها.

وبعد وفاة كونفوشيوس قدسه أتباعه وألهوه فقدموا له القرابين في مواسم عُدَّت فيما بعد حجاً ـ غير ملزم ـ لهم وكان يرافق احتفالهم بهذه الفريضة الغناء والرقص على أنغام الموسيقى. كما أنهم كانوا يحجون إلى (هيكل تيان)[1]. الذي يمثل رفات أحد قديسيهم.

المطلب الرابع

العبادات في الديانة الفارسية القديمة (الزرادشتية)

اختلفت آراء علماء الأديان والمؤرخين والمفسرين حول زرادشت، وما دعا إليه. وهل أن مصدرها الوحي؟ أو أن ما جاء به من نتاجه الفكري؟

ويرى الشهرستاني أنه كان موحداً لله تعالى[2]، وعند ابن حزم (أن المجوس هم المصدقون بنبوة زرادشت والمكذبون بنبوة موسى)[3].

يقول العلامة محمد حسين الطباطبائي: «والمجوس المعروف أنهم المؤمنون بزرادشت وكتابهم المقدس (أوستا)»[4].

«وخلاصة القول ما جاء به زرادشت من جديد في الديانة أنه أنكر الوثنية وجعل الخير المحض من صفات الله، ونزل بإله الشر إلى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى، وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب، وقال: بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد، وحاول جهده أن يقصر الربانية على إله واحد، موصوف بأرفع ما يفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه»[5].

وحينما دعا زرادشت قومه إلى التوحيد نعت الله (أهورامزدا) بأسمى أوصاف السمو والألوهية الحقة[6]. ودخلت الريبة في تعاليمه عندما حدد للعالم أصلين، أحدهما للخير وسمَّاه

---

(1) مجلة معهد الإسكندرية الديني، العدد الأول، السنة الأولى ص 142.

(2) الملل والنحل ج1 ص 115، مطبعة الحيدري، بمبي، الهند 1314هـ.

(3) ابن حزم (أبو محمد علي بن حزم) الفصل في الملل والنحل 1.

(4) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج1 ص 358. مؤسسة الأعلمي، ط3، 1973.

(5) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، توحيد وأنبياء 107/1.

(6) انظر عبد القادر، حامد (د) زرادشت الحكيم ص 91 ـ 92، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، انظر: فصل (الله) في موسوعة العقاد الإسلامية مج1 ص 109 ـ 110.

(أهورامزدا)[1]. وآخر للشر وسماه (أهرمن)[2]، وزعم أنهما في صراع دائم. فكأنه جعل لله نداً في الخلق. وهذا التقسيم مدعاة للثنوية، ولكن المتتبع لما دعا إليه في صلواته وأدعيته التي يناجي فيها ربه يجعله في مصاف المصلحين. ويرجع هذا التباين في دعوته للتوحيد أو التنويه إلى عدم توافق من نقلوا عنه من الكتّاب وإلى ما ألحد فيه أتباعه من بعده.

وكفر زرادشت بآلهة قدامى الإيرانيين، ولم ينطق بأسمائهم، ولم يتضرع إليهم، وأنكر عليهم عبادتهم لمظاهر الطبيعة (الماء، الهواء، التراب).

وأولوا (أي الزرادشتية) للنار قدسية كرمز للطهر والسمو الرباني. وأمروا أتباعهم على الاحتفاظ بها متقدة مضطربة بالمعنى الرمزي والروحاني بعد أن أوكلوا هذه المهمة للكهنة، حيث يأتون خمس مرات في اليوم ليوقدوها من خشب الصندل، أو غيره من المواد العطرية[3].

ولزرادشت كتاب مقدس (الافستا)[4] وهو مجموعة مؤلفة من خمسة أجزاء مستقلة يختلف تاريخ تدوينها، وأقدمها يرجع إلى زرادشت نفسه الذي يشتمل على تعاليمه التي جمعها تلاميذه من بعده، وهو مكون من إحدى وعشرين نسكاً ـ أي كتاباً ـ لم يصل إلينا منها سوى كتاب واحد هو (القنديداد) ومعناه مخالفة الشيطان وفيه أبحاث عن خلق العالم وقواعد التطهير[5].

ولكتاب (الافستا) شرح يسمى (زندا فستا)[6] أما كتاب (الفسبرد)[7] فهو خاص بالمراسيم الدينية، وترتيبها، ويتألف من أربع وعشرين فصلاً، ولهم كتاب في الأدعية يسمى (أليسنا)[8] يقرأ عند تقديم القرابين.

---

(1) كلمة (أهورامزدا) مكونة من (أهو) و(را) و(مزدا) ومعناها على الترتيب (أنا. الوجود. الخالق) أو (أنا خالق الكون).

(2) كلمة (اهرمن) مرادفة لروح الشر أو روح الأذى والفساد، انظر: فصل (الله) مج1 ص 108 من موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، وانظر: الشريف بن محمود، الأديان في القرآن ص 87، دار المعارف، مصر، عبد القادر، حامد (د) زرادشت الحكيم ص 187. مكتبة نهضة مصر.

(3) الموصلي، داود الجلبي (د)، تعليق ونقل عن الفرنسية، القنديداد. لم يذكر اسم المؤلف. ص 3. مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل 1371 موسوعة العقاد الإسلامية مج1 ص 110.

(4) القنديداد، تعليق، داود الجلبي الموصلي، ص 3 ـ 4، انظر: الأديان ص 130.

(5) القنديداد، ص 4.

(6) (زاندفستا) كلمة مركبة من (زند) ومعناها: شرح، و(أفستا) ومعناها: نص فيكون معنى (الزندافستا) النص والشرح. راجع الأديان ص 130 والقنديداد ص 4.

(7) القنديداد ص 4.

(8) المصدر ذاته ص 4.

والصلاة عند زرادشت دعاء إلى (أهورامزدا) في كل مناسبة تتطلب ذلك ومثال ذلك دعاؤه المأثور (أرجو منك أيها الرب الخالق المطلق القدير أن تغفر لي ما ارتكبت من سيئات، وما دار بخلدي من تفكير سيما وما صدر عني من قول أو عمل غير صالح، إلهي إنني أرجو منك أن تباعد بيني وبين الخطايا حتى أحشر يوم الدين مع الأطهار والأخيار)[1].

وتروى الأساطير الزرادشتية، أنه فرض على أتباعه خمس صلوات في اليوم والليلة كانت واحدة منها عند بزوغ الشمس، وواحدة عند الظهر، وأخرى عند الغروب[2]. ولم تتطرق إلى الصلاتين الأخريتين.

ولم يفرض زرادشت على أتباعه زكاة ملزمة محددة ولكنه حبب لهم روح التعاون والتآلف الاجتماعي، ومساعدة الفقراء والمساكين بالمال والطعام. ونبذ في مجتمعة الفقر والعوز، ودعا إلى أن يكون الناس جميعاً بخير يأكلون من كد أيديهم لا من السؤال وعطايا الناس. ويقدم الزرادشتيون على تقديم الأموال والعطايا إلى من يحتاجها من الناس كما أنهم عمدوا إلى تقديم الأعمال النافعة أو المواد المفيدة للناس تكفيراً عن أخطائهم مثل إعطاء رجال الدين من الأسباب لإنجاز وظائفهم، وإعطائهم الأدوات الزراعية، كما يوجبون إعطاء المحاربين ما ينقصهم من أنواع السلاح، وحرم زرادشت الصيام على أتباعه لأنه ـ في رأيه ـ يحد من نشاطهم وحركتهم، كما رأى في الصيام إضعافاً للفلاح عن مزاولة عمله، وهو يريدهم أقوياء معللاً ذلك أيضاً بتوفير القوت لجميع الناس وانصب اهتمامه بالزراعة، واعتبرها عملاً وواجباً دينياً مقدساً، لأنه يعطي الثمار والخير للناس إلا أن (ماني بن فاتك)[3] الذي كان زرادشتياً متفقهاً في تعاليمها، وضع بعد وفاة زرادشت برنامجاً للصيام صارماً وشاقاً ولم يخل دين من الصيام إلا دين زرادشت[4].

---

(1) زرادشت الحكيم، د. حامد عبد القادر ص 91 ـ 92.

(2) الأديان في القرآن، محمود بن الشريف ص 87، زرادشت الحكيم، ص 91.

(3) (ماني بن فاتك): فيلسوف فارسي ولد عام 215م، درس ديانة قومه القديمة وديانة زرادشت، كما درس الدين المسيحي فأحدث ديانة تقوم على العقائد الفارسية والمسيحية حتى وصفها المؤرخون بأنها (زرادشتية ـ متنصرة) انظر: المنوفي، السيد محمود أبو الفيض، الدين المقارن الحديث في سائر الأديان العالمية ص 70. دار النهضة، مصر للطبع والنشر، ط1، 1970.

(4) البستاني، بطرس، دائرة المعارف ج1 ص 769، طبعة طهران.

وعمد أصحاب زرادشت بعد وفاته إلى تقديسه وتبجيله، فعظموا مرقده، وكذلك المشاهد التي عاش فيها. فحجوا إليه متضرعين مبتهلين، ولكن بمرور الزمن ضعفت هذه الشعيرة لديهم لتناقص عددهم وظهور الديانات السماوية[1].

وقد تأثرت الزرادشتية بالديانتين اليهودية والمسيحية في صورة الابتهالات، وتقديم البركات. كما أنهم أخذوا عنهم بعض حركات الركوع والجثو كما تبين ذلك الرسومات الدينية والمشاهد التي تصور المصلين وقت أدائهم للصلاة[2].

ولكن تلك التأثيرات تجلت بصورة أوضح في البحوث المتصلة بالملائكة والشيطان، حيث نجد تشابهاً بين الملائكة السبعة عند الزرادشتية وما تذكره (رؤيا يوحنا اللاهوتي) من كتب العهد الجديد[3].

المطلب الخامس

العبادات في الديانة الصابئية

اختلف العلماء والباحثون في حقيقة الصابئة وديانتهم، كما اختلفوا في مركزهم التشريعي نتيجة اختلافهم في حقيقة دينهم.

فروي عن أبي حنيفة[4] أنه عَدَّهم من أهل الكتاب، وقال أبو يوسف ومحمد[5] ليسوا من أهل الكتاب، وروي عن أحمد بن حنبل[6] أنهم جنس من النصارى، كما روي عنه أنهم من اليهود. وروي عن جعفر الصادق[7] أنهم ليسوا من أهل الكتاب وروي عن الحسن البصري[8] أنهم بمنزلة المجوس، كما روي عنه أنهم قوم يعبدون الملائكة.

وقال الإمام فخر الدين الرازي (ت 606هـ) إن «في الصابئية قوم يقولون إن مدبر هذا العالم وخالقه هذه الكواكب السبعة فهم عبدة هذه الكواكب ولما بعث الله إبراهيم عليه

---

(1) يعد الدستور الإيراني الزرادشتية أحد الأديان السماوية المعترف بها، أخبرني بذلك د. سعدون الساموك.

(2) الكوراني، علي سيدو، زرادشت والزرادشتية ص 592، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد 1975.

(3) انظر: زرادشت والزرادشتية ، علي سيدو الكوراني ص 594.

(4) هو النعمان بن ثابت الكوفي صاحب المذهب الحنفي (80هـ ـ 150هـ).

(5) أبو يوسف ومحمد صاحبان لأبي حنيفة وهما من الفقهاء.

(6) أحمد بن حنبل (164 ـ 241هـ) صاحب المذهب الحنبلي.

(7) جعفر الصادق بن محمد الباقر من أئمة أهل البيت (83هـ ـ 148هـ).

(8) هو الحسن بن يسار من فقهاء التابعين، وشيخ أهل البصرة، توفي سنة 110هـ.

السلام كان الناس على دين الصابئية، فاستدل إبراهيم عليه السلام عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله تعالى عنه في قوله ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾ [1]»[2].

ويفصل الشهرستاني (479 ـ 548هـ) في كيفية نشوء الصابئية بعد أن يقسم الفرق زمن الخليل إبراهيم عليه السلام إلى صنفين. حنفاء وصابئة ويرد في ذكر فرقهم، وفي نهاية المطاف يذهب إلى أنهم من الموحدين. وجاء في مجمع التفاسير رأي الخليفة العادل عمر بن الخطاب، الذي عدهم من أهل الكتاب، وأن ذبائحهم ذبائح أهل الكتاب، وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم، وقيل هم قوم بين اليهود والنصارى يحلقون أوساط رؤوسهم، وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة[3].

إن في الديانة الصابئية نظرات قديمة خاطئة، فيطلق على عبدة الأوثان والنجوم من الذين كانوا يسكنون أرض العرب (صابئة) وهم المعنيون (بالصابئة الحرانيين) الساكنين في مدينة حران، والذين في حقيقتهم لا علاقة لهم بالصابئة الذين ذكرهم القرآن الكريم[4].

فالحرانيون ليسوا هم الصابئة وإنما الصابئة هم المندائيون الموحدون لله تعالى ويرى الدكتور سعدون الساموك[5] أن تسميتهم بالصابئة الحرانيين قد استخدمها العلماء المسلمون.

---

(1) سورة الأنعام الآية 76.

(2) الرازي، الإمام فخر الدين، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين، مراجعة وتحرير علي سامي النشار ص 90، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1938.

(3) مجمع التفاسير، 135/1، دار الدعوة ط2، استانبول، تركية 1404هـ ـ 1984م.

(4) ورد ذكرهم في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم هي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ سورة البقرة الآية 62. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ سورة المائدة الآية 69. وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾ سورة الحج الآية 17.

(5) أستاذ الأديان في كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد.

والصابئة والمندائيون تسميتان لمسمى واحد يقصد به العقيدة الدينية التي جاءت تعاليمها مكتوبة باللغة الآرامية الشرقية المعروفة بالمندائية[1].

ويتخذ الصابئة من (صحف آدم) كتاباً مقدساً لهم، إذ يسمونها (كنزاربا)[2]. ومعناها (الكنز العظيم)[3]، ولهم كتب دينية أخرى[4] وبيوت العبادة تسمى (المندى) إذ يقيمونها قرب مصاب الأنهار ليسهل لهم أداء شعائر التعميد في النهر الجاري[5].

ويرجع اختلاف الباحثين حول حقيقة الديانة الصابئية إلى جملة أسباب توضحها لنا (ناجية مراني)[6] مفادها:

---

(1) انظر مراني، ناجية، مفاهيم صابئية مندائية، ص 51 وص 157. مطبعة شركة التايمس، ط2، بغداد 1981.

(2) نجم، الشيخ رافد الشيخ عبد الله، الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية ص7، مطبعة التايمس، بغداد 1980، الزهيري عبد الفتاح، الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، العرب البائدة، نقحه فريد عبد الزهرة المنصور. ص 97، مطبعة أركان ط1، بغداد، 1983.

(3) الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، ص 97.

(4) من كتبهم الدينية ما يأتي:

أ ـ سيدره أدنشماثة: أي الطويلة الأمد، وهو كتاب الأرواح الخيرة ويشمل التعميد أيضاً.

ب ـ كتاب النياني: شرح تراتيل الصلوات.

ج ـ ديوان أواثر: محاسبة الأرواح ووزنها على سيئاتها وحسناتها.

د ـ أسفر ملواثة: تفسير الاسم الديني للمواشة.

هـ ـ كتاب القلستا: خاص بعقد الزواج.

و ـ دراسة أديتهي: دروس وتعاليم النبي يحيى بن يوحنا.

ز ـ ترسر القشيالة: اثنا عشر سؤال وتفسيرها.

ح ـ حران مويشا: كتاب خاص بالدعاء.

ط ـ مصبتة أدهيبل ريو: يتناول فيه (عماد جبريل الملك).

ي ـ ألمة ريشة وألمة زوطة: تفسير عالم النور وعالم الظلام، للمزيد يراجع الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، ص 97.

(5) كانوا قديماً لا يجوزون غسل التعميد إلا في الأنهار الجاري ماؤها أما في الوقت الحاضر فسمحوا بالتعميد في الماء غير الجاري كالأحواض.

(6) هي من أبناء الطائفة الصابئية حاصلة على الدكتوراه من قسم اللغة العربية والدراسات الشرقية من الجامعة الأمريكية في بيروت. لها مؤلفات أدبية ونقدية. انظر كتابها: مفاهيم صابئية مندائية ص 76 وما بعدها، مطبعة شركة التايمس ط2، بغداد 1981.

1. كثرة الفرق والمذاهب وتعدد المقولات الدينيـة والفلسـفية في العـهد العباسي عـهد التـأليف والترجمة، مما أثر ذلك في بيان حقيقة دينهم.

2. ورود التعاليم الدينية الصابئية باللغة الآرامية التي تأثرت بمجيء اللغـة العربيـة ممـا أدى ذلك إلى اقتصار لغتهم على الكتابات الدينيـة والشـعائر الخاصـة وغـدت معرفـة تعاليمـهم وفهم مغزاها مقتصرة على جماعة محددة من رجال الدين، وجهل عموم الناس بها.

3. تكتم رجال الدين المندائيين وعزوفهم عن الخوض في الأمور الدينية بحضور الآخريـن، بمـا في ذلك أتباع العقيدة نفسها وذلك لاعتقادهم بأنها أمور جليلة لا يجوز الخـوض بـها أمـام من لا يفقهها، وهذا التكلم مدعاة للتقولات والتخرصات التي لا تتفـق والحقيقـة في أغلـب الأحيان.

4. انتحال فئات غير صابئية اسم الصابئة تخلصـاً مـن العقـاب الـذي يتوجـب علـى الفئـات اللادينية والتي كانت تقطن ضمن الدولة الإسلامية.

5. تعمد بعض الفئات الإساءة إليهم عن طريق الانتقاص من عقيدتـهم، ويؤيـد ذلـك مـا أورده العالم العربي (البيروني) في كتابه (الآثار الباقية عن القرون الخالية).

وقيل «والصابئة قوم عدلوا عن اليهودية والنصرانية، وعبدوا الكواكب والملائكة فكـانوا كعبدة الأوثان وإن كانوا يقرؤون الزبور»[1].

وللمفسر الشيخ المراغي رأيان:

الأول: هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة ويقرؤون الزبور.

الثاني: هم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم ويقرون ببعض الأنبياء والملائكة ويصلون إلى غير القبلة[2].

وينقل صاحب تفسير (روح البيان) حديث الأعرابي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لم يسم الصابئيون صابئيين؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لأنـهم إذا جـاءهم رسـول أو نبي أخذوه وعمدوا إلى قدر عظيم فأغلوه حتى إذا كان محمياً صبوه على رأسه حتى يتفسخ»[3].

---

(1) البروسي، إسماعيل حقي، روح البيان المجلد/1، ص 153 دار الفكر.

(2) المراغي، أحمد مصطفى، تفسـير المراغـي انظـر 134/1، 98/17، 162/6، دار إحيـاء الـتراث العربـي، بيروت ط2، 1985.

(3) روح البيان، إسماعيل حقي البروسي 153/1.

«إن الصابئيين والحنفاء شيء واحد أو طبقة واحدة، وأنهم أولئك الذين تخلوا عن دين الآباء الشركي أو الوثني وهم من مستنيري عرب الحجاز، ووجدوا الله ولم يستريحوا إلى اليهودية والنصرانية لما رأوا فيهما من مشاكل وانقسامات، وفي أهلهما من انحرافات ومتناقضات»[1].

وينسب د. محمود بن الشريف إلى صاحب كتاب (أبكار الأفكار) الإمام أبي الحسن علي بن محمد المكنى بأبي علي بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي الملقب (بسيف الدين الآمري) أشهر فرق الصابئة إلى أربعة وهي:

1. أصحاب الروحانيات: ويزعمون أن الكواكب الفلكية هياكل هذه الروحانيات.
2. أصحاب الهياكل: وهؤلاء يؤمنون بأن هذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون.
3. أصحاب الأشخاص: وزعموا أنه إذا كان لابد من متوسط مرئي فالكواكب وإن كانت مرئية، إلا أنها قد ترى في وقت دون وقت طلوعها وأفولها وظهورها نهاراً، فدعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة نصب الأعين تكون وسيلة إلى الهياكل، التي هي وسيلة إلى الروحانيات التي هي وسيلة إلى الله، فاتخذوا لذلك أصناماً وصوراً على صور الهياكل السبعة، كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة الكواكب[2].

إن أهم الفرائض الدينية التي تحددها الديانة الصابئية المندائية هي:

1 ـ التعميد أو الصباغة.

2 ـ الصلاة وتشمل الوضوء (الرسم بالماء) والتبريكات.

3 ـ التضحية وتشكل الزكاة والصيام[3].

وللتعميد مغزيان أولهما الطهارة الجسدية، وثانيهما الطهارة الروحية[4] إذ يكسب فيه المتعمد صفة دينية مقدسة تلازم سائر الشعائر الأخرى كالصلاة والصيام.

(1) الأديان في القرآن د. محمود بن الشريف ص 16 ـ 19. دار المعارف، مصر 1970.

(2) الأديان في القرآن ص 162 ـ 163.

(3) مفاهيم صابئية مندائية ص 107

(4) راجع الموجز في تاريخ الصابئة المندائية ص 111، الصلاة المندائية ص 7 ـ 8 الأديان ص 189 ـ 190، مفاهيم صابئية مندائية ص 108.

ويرجعون التعميد (المصبتا) إلى آدم عليه السلام[1]، وبالتعميد يصبح المندائي مندائياً بحق. فهو عماد الدين الصابئي. وبه تُمحى الخطيئة ويغفر له بعض الخطايا والآثام. وبمنحه الحياة الطاهرة الطيبة، وعند التعميد تقرأ مجموعة نصوص من كتاب الأنفس (سيدراأدنشاماثا) الذي يعتقدون نزوله على (آدم) عليه السلام.

ويجري التعميد بالكيفية الآتية:

يغطس المتعمد ـ بواسطة الكاهن ـ ثلاث غطسات في الماء الجاري، وثلاث ارتماسات لجبهة المتعمد، وشرب ثلاث جرعات من الماء الجاري، تعطى بكف الكاهن اليمنى، وأخذ العهد منه، ثم تتويجه بإكليل مظفر من الآس، ووضع اليد اليمنى على رأسه وأخذ العهد منه مرة أخرى، ويخرج المتعمد والكاهن من ضفة النهر، حيث يتم مسح جبهته بزيت السمسم المقدس (مثا) ليعبر عن بركة الله، وأخذ العهد منه ثالثة ثم تقديم الخبز المقدس (بهثا) وإعطاؤه الماء المقدس (ممبوها) وبعدها يشهد المتعمد شهادة التعميد، ثم يطلب التوسل من الخالق، وبعدها يعطي الكاهن العهد إلى المتعمد. وكذلك يعطي الكاهن العهد إلى المساعد ـ أي مساعد الكاهن ـ وتصاحب كل هذه الطقوس صلوات وأدعية وتراتيل[2].

أما درجات رجالهم الدينية فهي:

1 ـ الترميدا: وهي أقلها علماً وتعطى للمبتدئين.

2 ـ الكنزفراء: وهي الدرجة الوسطى من العلوم الدينية.

3 ـ الرشمة: (أي رئيس الأمة) ولا وجود لها عندهم لصعوبة تحصيلها من الناحية العلمية والدينية[3].

ويؤدي الصابئي ثلاث صلوات في اليوم، وأوقاتها في الصباح الباكر بعد بزوغ الشمس مباشرة، وفي الظهيرة عند الزوال والعصر قبل الغروب[4]. «وتقتصر صلاة المندائيين على الوقوف والركوع والجلوس على الأرض دون السجود وتستغرق قراءة الأذكار والأدعية فيها ساعة وربع ساعة تقريباً»[5].

---

(1) الصلاة المندائية ص 10.

(2) انظر، التعميد المندائي، الشيخ رافد الشيخ عبد الله الشيخ نجم ص 6 وما بعدها.

(3) الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ص 127 ـ 128.

(4) الصلاة المندائية ص 15، الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ص 102.

(5) الأديان ص 190.

كما أنهم يذهبون إلى القول إنها فرضت عليهم خمس مرات يومياً، إلا أنه بعد مجيء النبي يحيى عليه السلام أصبحت ثلاثاً، بعد أن ضم بعضها إلى بعض[1]. ويستقبلون جهة الشمال في صلاتهم. وعلى المصلي ارتداء غطاء على رأسه احتراماً لله[2].

يقول الشيخ رافد الشيخ عبد الله عضو المجلس الروحاني للطائفة الصابئية في العراق «إن قبلتنا باتجاه الشمال تمثل في اعتقادنا وجود عالم النور بهذا الاتجاه، ودليلنا إلى الشمال جغرافياً هو النجم القطبي أو نجعل يدنا اليمنى باتجاه شروق الشمس»[3].

وتقتصر صلاة الصبح على الوقوف باتجاه القبلة مع السجود (الانحناء) كلما ذكرت كلمة السجود. أما صلاة الظهر فتتلى في وقت الظهر وبعد سبع ساعات من صلاة الصبح حيث يقف المصلي باتجاه القبلة مع السجود (الانحناء) كلما ذكرت كلمة السجود أيضاً. أما صلاة العصر فتتلى قبل زوال الضياء ويفعل المصلي ما أداه في الصلاتين السابقتين في صلاة العصر[4].

ويشترط الوضوء قبل كل صلاة، وهيئته تشابه كثيراً الوضوء الإسلامي إذ يتم أولاً استحضار النية في القلب ثم تغسل اليدين مرة واحدة، أما الوجه فيغسل ثلاث مرات. ثم يمسح على الجبهة بنبل أطراف أصابع اليد اليمنى ومن اليمين إلى اليسار ويعاد المقطع ثلاث مرات. وبعدها يغسل الأذنين ثلاثاً، ثم يستنشق الماء ثلاث مرات، ويغسل مقعده مرة واحدة وبعدها يغسل الفم أي أخذ الماء باليد اليمنى إلى الفم ويرش على الجهة اليسرى، ويعاد ثلاث مرات، ثم يمسح على الركبتين ويعاد ثلاث مرات، ويمسح على الرجلين (الكاحلين) ويعاد ثلاث مرات، ثم يرمي الماء على الرأس بأصابع اليدين، وأخيراً يغمس المتوضئ قدمه اليمنى بالماء ثم اليسرى[5]. ويمكن اختصار الوضوء إلى مرتين بكرة وعشياً[6].

---

(1) الأديان ص 190، الصلاة المندائية ص 18، موسوعة العقاد الإسلامية مج1 ص 413.

(2) مفاهيم صابئية مندائية ص 121.

(3) قال لي ذلك خلال مقابلتي معه في منزله بتاريخ 1996/2/2.

(4) الصلاة المندائية الصفحات 24، 26، 27، وانظر: رومي، غضبان تعاليم دينية لأبناء الصابئية ص 32 وما بعدها، مطبعة الجاحظ، بغداد 1972، وانظر: دراور، الليدي، الصابئة المندائيون ص 351 ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي، مكتبة خياط، بيروت ص 64.

(5) الصلاة المندائية ص 16 وما بعدها، الأديان ص 188 ـ 189، مقالة خطية بعنوان (الديانة المندائية) مكتوبة بخط اليد، بقلم الشيخ رافد الشيخ عبد الله عضو المجلس الروحاني للطائفة الصابئية.

(6) مفاهيم صابئية مندائية ص 116.

«وللصلاة نواقض مثل الحيض عند المرأة والجنابة عند الرجل وفترة النفاس عند المرأة والأيام المحرمة (المبطلات) [1] كما توجد مبطلات للصلاة مثل الكلام أثناء الصلاة والبكاء والأكل أو الشرب والضحك وكل ما يخل بقدسية الصلاة أو يخالف الأدب» [2].

ومن مفسدات الوضوء، البول والغائط وخروج الريح ولمس الحائض والنفساء واللحم الأجنبي والأكل قبل الصلاة [3].

ويعد يوم الأحد (الهيشيا) يوماً مقدساً لديهم ـ كالمسيحيين ـ إذ تقام فيه غالبية الطقوس الدينية، ويعطل العمل فيه، وتقام فيه صلاة خاصة به، تتلى بعد الانتهاء من صلاة الصبح أو صلاة الظهر، أو صلاة العصر ويفضلون إقامتها في (المندى) [4]. ولديهم صلوات مستحبة كثيرة [5].

وتعد الزكاة (صدقات يا وزريوا أو زدقا) من أركان دينهم إذ يتقربون بها إلى الله (الحي العظيم) طلباً للأجر وغفران الخطايا.

وتعني الزكاة (العطاء مما يملكه الفرد الصابئي) [6] كما تعني أيضاً بنظر المندائيين الاعتراف بفضل الواهب الأعظم ومحاولة التقرب إليه والاقتداء به [7].

والصدقة بالمفهوم الديني هي الهبة الصادقة، المادية أو المعنوية، تلك الهبة التي يجب على كل مندائي تقديمها لإخوته وجيرانه ومعارفه وكل الذين يستحقونها، وأول مبدأ من مبادئ العطاء هو أن يزكي الفرد نفسه من الحقد والبغض لكي تكون زكاته مقبولة [8].

---

(1) الأيام المحرمة هي أيام يحرم فيها إجراء جميع الطقوس الدينية عدا الوضوء للصلاة وصلاة عيد شويان والتعميد الشخصي، وعدد الأيام المحرمة (36) يوماً متفرقة على جميع أيام السنة ومنها (12) يوماً تسمى ثقيلة وهي أيام السادس والسابع من شباط، والسادس والعشرون والسابع والعشرون والثامن والعشرون والتاسع والعشرون والثلاثون من أيلول واليوم الثاني من شهر كانون الأول، انظر الصلاة المندائية ص 43.

(2) الصلاة المندائية ص 18.

(3) الأديان ص 189.

(4) الصلاة المندائية ص 28.

(5) مثل صلاة عيد الست أيام أو ليلة القدر إذ تقتصر على الوقوف فقط مع قراءة التراتيل الدينية وصلاة الكاهن وهي أطول صلاة لديهم. وقد عدها الشيخ رافد الشيخ عبد ا لله بخمس وأربعين صلاة. راجع الصلاة المندائية ص 37.

(6) مفاهيم صابئية مندائية ص 121.

(7) المصدر ذاته ص 122.

(8) مفاهيم صابئية مندائية ص 122.

ومن شروط تقديم العطاء:

1 ـ أن يقدم ابتغاء وجه الله تعالى وطلباً للأجر وغفران الخطايا.

2 ـ أن تقدم الهبات سراً ولا يجوز التباهي أو التفاخر بذلك.

3 ـ يجوز تقديم الهبات علناً في مناسبات خاصة كالولائم التي تقام في الأعياد أو الأعراس أو بمناسبة الوفاة[1].

كما يحبذون التصدق في أي فرصة تحتاج إلى إسداء المساعدة للمحتاجين فتعد حينئذ واجباً دينياً، فقد ورد في كتابهم المقدس (كنزاربا) ما نصه:

«كل من وهب صدقة تقيه من البؤس الكبير»

«هبوا الخبز والماء والمأوى للمحتاجين من الناس»

«هب صدقة للعاني، وكن دليلاً للأعمى، وإن وهبتم صدقة يا مختارون فلا تجاهروا، إن وهبتم بيمينكم فلا تخبروا شمالكم وإن وهبتم بشمالكم فلا تخبروا يمينكم»[2].

يحتل الصوم عندهم أهمية دينية كبرى، فالصوم الكبير يمثل لديهم الكف عن الأذى بكل صوره. والامتناع عن إتيان القبائح والمنكرات، ومنها صوم اليدين عن القتل والسرقة وصوم الركبتين عن السجود للأصنام، وصوم القلب عن الباطل والفتن والنميمة، والصوم عن رؤية الباطل من الفحشاء والمنكر والغمز واللمز، وصوم الآذان عن سماع الشر وصوم الجسم عن الزنا، وصوم الرجلين عن الذهاب إلى الباطل[3].

أما الصوم الصغير فهو الامتناع عن أكل اللحوم في أيام معدودات عددها اثنان وثلاثون يوماً وهي عادة تسبق الأعياد الدينية أو تلحقها[4]. ويسمون أيام الصيام (مبطلات) حيث يبطل فيها النحر[5].

---

(1) المصدر ذاته، الصفحة نفسها وما بعدها بتصرف.

(2) النصوص منقولة من المقالة الخطية للشيخ رافد الشيخ عبد الله عضو المجلس الروحاني للطائفة الصابئية في العراق.

(3) الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين ص 109، مفاهيم صابئية مندائية ص 23 وما بعدها.

(4) مفاهيم صابئية مندائية ص 125.

(5) رومي، غضبان، تعاليم لأبناء الصابئة ص 34 وما بعدها. مطبعة الجاحظ بغداد 1972، دراور، الليدي، الصابئة المندائيون ص 352، ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي. مكتبة خياط، بيروت 1964، مفاهيم مندائية ص 125.

وذكر ابن النديم أنهم يصومون ثلاثين يوماً مجتمعة وقيل متفرقة أولها لثمان ليال يمضين من آذار، وسبعة أيام أولها التسع بقين من كانون الأول، وسبعة أيام أولها الثمان ليال يمضين من شباط[1] ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح[2].

أما مواعيد أيام صيامهم حسب أشهر السنة المندائية[3] فهي:

1 ـ شباط من 1 ـ 14، أربعة عشر يوماً بعد العيد الكبير[4].

2 ـ آذار 25.

3 ـ نيسان ـ إذ يصوموا أياماً غير محددة عدداً.

4 ـ أيار 1، 2، 3، 4 منه قبل العيد الصغير[5].

5 ـ سيوان أو حزيران ـ ويصومون فيه أياماً من غير تحديد.

6 ـ تموز 9، 15، 23.

7 ـ آب ـ ويصومون فيه أياماً غير محددة العدد.

8 ـ أيلول 26، 27، 28، 29، 30 خمسة أيام قبل عيد الخليقة (البنجة)[6].

---

(1) وهو نفس اليوم الذي عرفه النصارى الشرقيون ليبدؤوا بواسطته في تحديد اليوم الأول للصيام الكبير» انظر: الصيام من البداية حتى الإسلام ص 89 ـ 90.

(2) الفهرست لابن النديم ص 199.

(3) تبدأ السنة المندائية بشهر نيسان وتحتوي على (365) يوماً فقط وليس فيها سنة كبيسة وهي تقسم إلى الشهور. وفي كل شهر (30) يوماً ويعتبرون الخمسة أيام الزائدة شهراً يسمونه عيد الخليقة، وتقع بين الثلاثين من شهر (شمبلته) أيلول واليوم الأول لشهر (قينة) تشرين الأول، أما بدء التاريخ عندهم فينقسم إلى ثلاثة أيضاً:

الأول: بدء الخليقة، الثاني: عام طوفان نوح، الثالث: ولادة يحيى عليه السلام الأديان ص 193 ـ 194، الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين. ص 151، راجع مفاهيم صابئية مندائية ص 38 وما بعدها.

(4) العيد الكبير ويسمى (الضحوة) وهو يمثل لديهم ذكرى هبة الله تعالى الحياة وتبدأ شعائره من اليوم الأخير للسنة، ويستمر لليوم الأول من السنة الجديدة ـ وفيه يرتدون الملابس البيض ويتعمدون بالماء وينحرون الذبائح ويصومون عن أكل اللحوم، راجع الصابئة المندائيون، الليدي دراور ص 145، مفاهيم صابئية مندائية ص 142.

(5) وهو عيد الأزهار وموعده الأصلي اليوم الثامن عشر من شهر أيار ويسمونه (هبه الله الصغرى) وهو ذكرى نزول الملاك، الرسول جبريل (هيبل زيوا) إلى الأرض بأمر الله تعالى، ثم عاد إلى السماء مبشراً بازدهار الكروم وانتشار النور واندحار الظلام، انظر مفاهيم صابئية مندائية ص 142 ـ 143، الصابئة المندائيون ص 150.

(6) وهو ذكرى الأيام التي بلغ بها الخلق تمامه، ويقع هذا العيد بين الشهرين الثامن والتاسع، أي في نهاية الثامن، ويحتفل به بإقامة التعميد والصلوات وتقديم الطيبات على أرواح الموتى. انظر: مفاهيم صابئية مندائية ص 144.

9 ـ تشرين أول 2 يوم واحد بعد عيد الهبات[1].

10 ـ طابيت أو كانون الثاني 28، 29، يومان قبل العيد الكبير[2].

والتقسيم الحديث للصيام نوعان:

1) (صوماريا) الصيام العظيم: إذ يقولون بوروده في الكتاب المقدس (كنزاريا) القسم الأيمن /110 ما نصه:

«أمسكوا أعينكم عن الغمز واللمز ولا تنظروا بسوء أو تعملوه» وكذلك النص المرقم 111 و112 و113 و114 و115 و116 و117 و118 من القسم الأيمن.

2) (صوم مبطلاتا) صوم المبطلات: ويمتنعون فيه عن أداء المراسم الدينية وعن أكل اللحوم ومشتقاتها، وعند الاقتضاء عن العلاقات الجنسية خلال يوم أو أكثر من الشروق إلى الشروق[3].

أما شعيرة الحج فلا أثر لها في تعاليمهم الدينية، يقول الدكتور صبيح مدلول بادي[4] لم تشرع (الكنزاريا) ولا سائر الكتب الدينية الصابئية المقدسة تشريعاً يفرض عليهم الحج أو القصد بالمفهوم الإسلامي إلى مكان معين محدد. ولكننا نحبذ زيارة مرقد نبي الله يحيى عليه السلام الموجود في أروقة المسجد الأموي بدمشق، كما نحبذ زيارة المراقد المشرفة لأهل البيت عليهم السلام في كربلاء والنجف والكاظمية في العراق.

---

(1) وهو عيد التعميد، وهو ذكرى تعميد آدم والآباء الصالحين القدامى، ويقع هذا العيد في نهاية الشهر العاشر من السنة؛ انظر مفاهيم صابئية مندائية ص 145.

(2) مفاهيم صابئية مندائية ص 125.

(3) مقتبس من المقالة الخطية للشيخ رافد الشيخ عبد الله.

(4) أستاذ صابئي يعمل مُدَرِّساً في جامعة بغداد. كلية اللغات.

الفصل الثاني

العبادات في الديانة اليهودية

تمهيد:

إن الدين اليهودي دين سماوي، وعقيدة اليهود الحقة هي عقيدة إلهية مقدسة إذ أنزل الله سبحانه وتعالى (التوراة)[1] على موسى عليه السلام وفيها إقرار بوحدانية الخالق والاعتراف باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب والحساب وفيه أيضاً تشريعات أخرى تخص تنظيم الحياتين الدينية والدنيوية لبني إسرائيل.

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ﴾[2].

وتعد (التوراة) في نظر بعض علماء الأديان[3] أول كتاب سماوي أنزل على نبي من الأنبياء وأنها غير الألواح التي هي شبه مختصر لما في التوراة إذ تشتمل على الأقسام العلمية والعملية، قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً ﴾[4]. إشارة إلى تمام القسم العلمي و ﴿ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[5]. إشارة إلى تمام القسم العملي[6].

---

(1) التوراة مشتقة من قولهم (ورت ناري)، ووار يتها إذا استخرجت ضوءها لأنه قد استخرج بها أحكام شريعة موسى: انظر الأديان في القرآن ص 153 والكلام لأبي جعفر النحاس في كتابه (صناعة الكتاب).

(2) سورة المائدة الآية 45.

(3) ذهب إلى ذلك الشهرستاني في كتابه الملل والنحل، ويرى د. محمود بن الشريف في كتابه (الأديان في القرآن) أن رأي الشهرستاني فيه تفصيل غير دقيق عندما فصل بين التوراة والألواح، إذ أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسلاً كثيرين منهم من أعلمنا الله بهم ومنهم من استأثر المولى بعلمه، فإذا كان ذلك شأن الرسل وكل رسول معه كتاب فمن باب أولى أن يكون شأن الكتب السماوية، منها ما عرف ومنها ما لم يعرف، وإن ما ساقه الشهرستاني من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله تعالى خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده فإن الحديث يشير إلى أن التوراة كتاب إلهي لأنه أول كتاب إلهي، كما أن منطوق الآية الشريفة التالية لا يساعد على ما ذهب إليه الشهرستاني، قال تعالى: (إنَّ هذا لفي الصُحف الأولى صُحُفِ إبراهيم وموسى)، فقد أثبت أن لإبراهيم عليه السلام صحفاً ولموسى عليه السلام صحفاً.

(4) (5) سورة الأعراف الآية 145.

(6) الأديان في القرآن ص154.

واختلف في عدد الألواح بين الاثنين والعشرة، واحتوت الألواح على الوصايا العشرة[1].

إن طقوس العبادة اليهودية لم تثبت على حال معينة بل تطورت إلى جنب تطور العقائد[2] فالأقوام من قبلهم كانوا يدركون وجود قوى عظمى فوق ما تتصوره عقولهم، وقد شارك اليهود هؤلاء الأقوام في الاعتقاد بالإله الواحد، أو بمجموعة آلهة، فنظروا إلى أن آلهة هذه الأقوام تحمل من القدسية مثلما أعطوه لإلههم ومعبودهم (يهوه) مما دفعهم ذلك إلى الجنوح فعبدوا أصناماً وحيوانات.

ولم يبين العهد القديم بجميع أقسامه وضوح فكرة عبادة (يهوه)، إذ لازمت اليهود بعد تحريف ديانتهم لأن الأيام الأولى للرسالة قطعاً كانوا يؤمنون بالإله الذي بشر به موسى عليه السلام.

إن تفهم العبادات اليهودية وطبيعتها شكلاً وأداءً لا يكون بمعزل عن التأثيرات الخارجية الوافدة فبنو إسرائيل خالطوا شعوباً أرقى منهم فكراً وتنظيماً، فاقتبسوا منهم صوراً من الطقوس لازمت مسير شعائرهم.

فنظرتهم للآلهة تأثرت عبر تاريخهم الطويل بالأقوام التي عايشوها فاقتبسوا منهم كثيراً من العقائد فأدخلوها في منهاج تعبداتهم، ويتجلى تأثير الفلاسفة واضحاً في تفسيراتهم

---

(1) الوصايا العشر هي:

1 ـ أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر.

2 ـ لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما.

3 ـ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلاً.

4 ـ اذكر يوم السبت لتقدسه.

5 ـ أكرم أباك وأمك.

6 ـ لا تقتل.

7 ـ لا تزن.

8 ـ لا تسرق.

9 ـ لا تشهد على قريبك شهادة زور.

10 ـ لا تشته بيت قريبك.

انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص23 ـ 24.

(2) الفكر الديني الإسرائيلي. د.حسن ظاظا ص169.

الباطنية الرمزية لبعض العقائد التي يؤمنون بها ويقدسونها، مثلما عمد إلى ذلك الفيلسوف اليهودي (فيلون)[1] فأحدث بذلك ثورة دينية في بني إسرائيل، فتابعه أناس في التأويل والتفسير.

وبدأ مفهوم التوحيد واضحاً في التوراة مع ذكر الخليل إبراهيم عليه السلام إذ جعلت التوراة من (الرب الإله) رباً إلهاً لإبراهيم أول الأمر[2] وهكذا بالنسبة لبنيه إسحق ويعقوب وسائر الأسباط، ولكن اليهود سرعان ما انحرفوا عن جادة الحق - فابتعدوا بغيّهم وتعنتهم - عن التوحيد، وأشركوا بعبادتهم الأصنام والحيوانات. وبتقدم الزمن عمل اليهود للاطلاع على نتاجات الثقافات اليونانية ومن بعدها الإسلامية فتبلورت بوضوح فكرة التوحيد لديهم، وكذلك بالنسبة للعبادات التي يرى فيها فيلسوفهم (موسى بن ميمون) بأنها تذكار الله دائماً ومحبته وخوفه، والتزام الفرائض على العموم وأن يعتقد فيه تعالى ما هو ضروري لكل متشرع أن يعتقده، وهي الصلاة، وقول (اسمع)، وبركة الطعام، وما اتصل بها وبركة الكهنة والتعاويذ والكتابة على عقائد الأبواب واقتناء سفر التوراة والقراءة فيه في كل الأوقات[3].

وتختلف الفرائض الدينية باختلاف فرقهم، سواء أكانت تلك الفرائض مكتوبة أو مروية فالسامريون[4] مثلاً لا يؤمنون إلا بأسفار موسى الخمسة[5] أما القراؤون[6] فلا

---

(1) فيلسوف يهودي ولد في (20 ق. م) وتوفي سنة 70م، وحاول التوفيق بين أغراض الفلسفة العامة وأحكام النصوص الكتابية مما أدى ذلك إلى انشقاق حاسم بين القرائين وهم الملتزمون بالنصوص وبين الربانيين الذي يجيزون تفسيرها والتوفيق بينها وبين مفردات العلم ومذاهب الحكمة. راجع موسوعة العقاد الإسلامية مج1، ص83. وما بعدها.

(2) انظر سفر التكوين 12: 1 - 3، 13: 4 - 18، و15: 8 - 20، انظر: التراث اليهودي والفكري الفرويدي ص51.

(3) دلالة الحائرين ص659.

(4) هي فرقة تؤمن بنبوة موسى ويوشع عليهما السلام فقط وينسبون إلى السامرة ولا تعترف بهذه الفرقة سائر الفرق اليهودية وهي تعترف فقط بأسفار موسى الخمسة ويزعمون بأن لديهم نسخة قديمة منها ترجع إلى ما قبل ظهور المسيح. راجع: سوسة، أحمد (د) المفصل في تاريخ العرب واليهود ص335، دار الحرية للطباعة ط 50، بغداد، وانظر: تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص70.

(5) الأسفار الخمسة هي: التكوين والخروج واللاويين والعدد وتثنية الاشتراع.

(6) القراؤون: تنسب هذه الفرقة إلى عنان بن داوود الذي أسسها في بابل في القرن الثامن الميلادي ويحرمون التأويل ويتميزون بالتعنت والتصلب في طقوس العبادة. كما أنهم يميلون إلى الجبر في مسائل القضاء والقدر. انظر: تاريخ الديانتين ص71.

يقدسون إلا العهد القديم بأقسامه الثلاثة (التوراة، الأنبياء والكتب أو الصحف المقدسة) أما الربانيون وهم فقهاء فرقة الفريسيين[1] وهم الذين يكونون الكثرة المطلقة من اليهود فإنهم يؤمنون علاوة على العهد القديم بكتاب آخر جاءهم مروياً متواتراً ألا وهو التلمود[2]. يقول د. غوستاف لوبون (لم تكن الديانة اليهودية في كل زمان مطابقة لما نسميه اليوم باليهود)[3] ولما كانت العبادات تمثل عصب الحياة لكل ديانة، فاليهود غيروا وطوروا من طقوس عباداتهم ـ فأمست عباداتهم مزيجاً من طقوس الأقوام غير اليهودية أو بما جاءت به ديانتهم والديانة الإسلامية.

---

(1) الفريسيون: قيل إنها نشأت في (2 ق.م) وكان معظمهم من اليهود العاديين خلا الكهنة (الربانيون) الذين التزموا بتدقيق كثير للنصوص الشرعية وكانوا ميالين إلى احتقار من لا يحفظون قوانينهم الصارمة. انظر: موسوعة الكتاب المقدس ص232.

(2) اليهودية واليهودية المسيحية ص101.

(3) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص59.

المبحث الأول
اللـه في الفكر اليهودي

امتاز تاريخ الآلهة عند اليهود بعدم الاستقرار، إذ مرت عقيدتهم بمرحلتين:

الأولى: مرحلة التفريد والتي تمجد الإله (يهوه)، كأن هناك آلهة أخرى كثيرة في العالم.

الثانية: التوحيد المطلق لله تعالى التي عززها في نفوسهم موسى (عليه السلام)، ولكنهم سرعان ما تنكروا لها بعد وفاته، فصوروا الله في هيئة مجسمة اتسمت بصفات لا تليق به[1] منها ما ذكره سفر التكوين عن يعقوب عليه السلام ومصارعته للخالق وانتصاره عليه مما حدا بالله بمباركته وسماه (إسرائيل) لأنه كان قوياً على الله[2] واستمر هذا الاعتقاد عند اليهود قروناً عديدة، حتى بعد تدوين سفري التكوين والخروج (أي إلى ما بعد وفاة موسى عليه السلام) [3].

وحدث التطور الكبير على فكرهم على يد (موسى بن ميمون) [4] الذي أبعد معنى (التفريد) في الآلهة وجعل الله هو إله بني إسرائيل واقترب من معنى الألوهية عند المسلمين كما بينها عندما حدد أركان الدين اليهودي في ثلاث عشر ركناً[5].

---

(1) جرجيس، صبري (د)، التراث اليهودي والفكر الفرويدي ص91، مطبعة مخيمر ط1، 1970.

(2) (الساموك وعليان) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص54، انظر: الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين.

(3) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص53.

(4) هو من كبار مفكري اليهود وأحد طلاب الحاخام المقدس يهوذا هاناساي الذي كتب (المشنا) وهي أحد الشروحات المقدسة للتوراة. ولد بقرطبة عام 1135 م. نال حظوة من العلم، تعلم الكلدانية واليونانية، وقيل إنه اعتنق الإسلام في آخر حياته، وأن اليهود يقدسونه كتقديسهم لموسى عليه السلام. أشهر كتبه (دلالة الحائرين) انظر: ديب، سهيل، ترجمة التوراة تاريخها وغايتها ص94 ـ 95، دار النفائس ط1، بيروت 1972. تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص56.

(5) اعتمد موسى بن ميمون في وضع أركانه على الوصايا العشر التي تلقاها موسى عليه السلام من ربه ووضع فيها أركاناً حددت معالم الفكر اليهودي منها قوله:

آ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، ليس جسداً، وهو منزه عن أغراض الجسد وليس له شكل مطلقاً.

ب ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن به تليق الصلاة والعبادة ولا تليق بغيره.

جـ ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه وحيد ليس لوحدانيته مثيل على أي وجه كان.

د ـ أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه هو الأول وهو الآخر، للمزيد راجع تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص55.

إن القيمة الحقيقة لمفهوم التوحيد مستوحاة من التوراة التي عرضت الله في صورة لا تلتقي أساساً مع الصفات التي ذكرها القرآن الكريم بقوله: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (1). ولما كان الإله عند بني إسرائيل خاصاً بهم وجب أن يكون قريباً منهم بالصورة المرئية إذ ورد في سفر العدد في وسط هذا الشعب الذي أنت يا رب قد ظهرت لهم عيناً لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً(2) وأطلق على لفظ الجلالة (الله) في الكتاب المقدس عدة أسماء أهمها:

1 ـ (إيل) (3): وهو اسم جنس يدل على الألوهية بصفة خاصة، وهو اسم يدل على المسمى المحدد الذي هو (الله) كما أنه ورد في بعض اللغات السامية الأخرى التي يتكلم بها الوثنيون عن (الله) (4).

2 ـ (ألوهيم) (5): وهو صيغة جمع ليست للتفخيم أطلقتها الأسفار الأولى في التوراة على (الله) لاسيما في سفر التكوين والمزامير من الرقم 42 ـ 74 ولذلك سميت مزامير (ألوهيم)، ويرى المستشرق (غوستاف لوبون) أن كلمة (ألوهيم) هي بمعنى الإله الأعلى(6).

3 ـ (بعل) (7): ويعني في اللغة السامية (السيد) أو (الرب) وهو إله كان يعبده الكنعانيون واليهود يعتبرون اسم (بعل) مرادفاً لاسم الله أو الرب. فكان (بعل بريث) أي رب العهد الذي يعبدون به الله في (شكيم) زمن القضاة.

4 ـ (يهوه) (8): وهي أشهرها، وقد أطلق على (الله تعالى) في آخر مراحلهم، وهو لفظ معناه (الموجود) (الكامن) وهو الإطلاق الخاص بمعبود اليهود وحدهم. كما أطلقوه على أسماء

---

(1) سورة الحشر الآية 23.

(2) سفر العدد 14/14 وانظر: سفر التثنية: 7: 6، وانظر: لوبون، غوستاف، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص23 وص26. نقله إلى العربية عادل زعيتر مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر 1970.

(3) معجم اللاهوت الكتابي: مجموعة الباحثين، ص91. دار المشرق ط 2، بيروت 1988. مترجم عن الفرنسية من كتاب:

Rcoa bular de theologic biblique edition, 1974, Les Editiond Du Cerf Paris.

(4) معجم اللاهوت الكتابي ص91.

(5) معجم اللاهوت الكتابي ص91.

(6) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون ص63.

(7) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون ص63.

(8) معجم اللاهوت الكتابي ص91. شلبي، د.أحمد. مقارنة الأديان (اليهودية) ص176. وانظر: شنودة زكي، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج8، ص290، وانظر: سفر الخروج 1: 1 ـ 15.

مدنهم ونسبوه لأسمائهم[1]، وقيل إن معنى اسم (يهوه) يبدو بمعنى (سقط) [2] فيكون معنى يهوه (السقط) الذي يسقط ببرقه الأعداء. واستخدم اليهود لفظ (يهوه) وهو الاسم الذي يسمى فيه الرب والذي أوحي به لموسى عليهم السلام لأول مرة، بمعنى أنه لم يكن يدعى بهذا الاسم في العصور الأولى[3] وغالباً ما تترجم الكلمة (يهوه) في الكتاب المقدس باللفظ (الرب) والكلمة العبرية المعتادة للإشارة إلى الله هي (أيلوهيم) وفيما تعني الكلمة (يهوه) الكائن الأزلي الأبدي واستعمل اليهود كلمة (أدناوي) (ومعناها: ربي) [4] وقد اتخذ (يهوه) خلال تطوره مفهومه الزمني عند اليهود الكثير من خصائص آلهة إسرائيل المتعددة[5] وقد تطورت مفاهيم الألوهية على يد أنبياء بني إسرائيل الذين استطاعوا إدراكها ـ على الرغم من وضوحها ـ خاصة في عهد أرميا وأيوب وحزقيال[6]: وتجلت الألوهية بوضوح في سفر أشعياء إذ يقول هذا السفر:

1 ـ (أنا الله وليس آخر) [7].

2 ـ (أنا الرب ولا إله آخر غيري) [8].

3 ـ (أنا الرب ناشر السموات وحدي باسط الأرض) [9].

لم يعرف اليهود (الله) أحداً صمداً إلا بعد زهاء سبعمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام مستنتجاً ذلك من خلال الاطلاع ودراسات العهد القديم التي هي خليط من الحقائق والأساطير وقصص وأخبار وتقاليد[10].

---

(1) معجم اللاهوت الكتابي ص91، (اليهودية) ص176.

(2) كامل. مراد، الكتب التاريخية في العهد القديم ص34، المطبعة الفنية الحديثة، مصر، معهد البحوث والدراسات العربية.

(3) ناجي. س. المفسدون في الأرض ص16، الكتاب العربي، ط 2، دمشق 1963.

(4) موسوعة الكتاب المقدس، ص40.

(5) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص67 نقلاً عن كتاب (الإنسان وآلهته للدكتور مير سميث).

(6) الدملوجي، فاروق، تاريخ الآلهة، الكتاب الثالث في الديانة العبرانية ص89. وما بعدها. بغداد 1954، راجع سفر ملاخي 1: 2.

(7) سفر أشعياء 42: 5.

(8) سفر أشعياء 45: 21.

(9) سفر أشعياء 44: 24.

(10) الأحمد، سامي سعيد (د) الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية ص20، مطبعة الإرشاد، بغداد 1969.

يقول المؤرخ (توينبي): «كان من المكن للدين اليهودي أن يتطور عند بلوغه مرحلة التوحيد المطلق في (بابل) لولا إصرار اليهود على إبقائه ديناً قومياً خاصاً بالشعب اليهودي»[1].

ونظراً لإيمانهم بنظرية (الشعب المختار)[2]، وأن إلههم (يهوه) أعظم آلهة القبائل نشأت عندهم فكرة المسيح[3] المنقذ الذي يحقق ما وعدهم به، وتولدت لديهم فكرة أن الإله سينزل عليهم بنفسه بواسطة أحد الملوك ليعيد لهم سلطانهم وتتسع مملكتهم كما تحدث عن ذلك سفر زكريا عن السيد المسيح عليه السلام[4].

وساعدت كثرة الأنبياء المنزلين عليهم على شيوع فكرة التوحيد، وخاصة زمن (أرميا) وفي خلال فترة السبي البابلي التي ساعدتهم في التخلص من وثنيتهم لأن البابليين كانوا شبه موحدين، مما نتج عنه ظهور جماعات بينهم وأن في الطبيعة مظهراً من مظاهر الله التي لسوها خارج فلسطين والتي عبرت عن القوة الإلهية وعظمتها، وفي الوقت ذاته اضطرت الإسرائيليين القادمين من فلسطين إلى الإيمان بأن الله خارج فلسطين أيضاً[5] ويقص سفر (هوشع) الفصل بين الإسرائيليين وغيرهم من الشعوب ـ أي الفصل بين الذين يعبدون (يهوه) والذين لا يعبدونه ـ ويسير يونس عليه السلام على خطى (أشعياء) الثاني في المناداة بالإنسانية العالمية لا الإسرائيلية والانتصار لفكرة التعميم[6].

---

(1) أسود، عبد الرزاق محمد، الموسوعة الفلسطينية ج1، ص98. هامش رقم (2).

(2) أساس الفكرة عندهم أنهم يتحدرون من نسل آدم عليه السلام الذي هبط من السماء من دون أولاد وهم يؤمنون بنوعين من التطور: هابط من السماء فهو من الله وعلاقتهم بالله علاقة أبناء فسموا أنفسهم (أبناء الله) والجبابرة كما في سفر التكوين الثاني: التيار الصاعد من الأدنى من التراب، يمثل الأمم (أبناء وبنات الناس) فهم نتاج تطور صاعد من العناصر المادية. إنهم أبناء الأرض. والأمم حيوانات في نظرهم اتخذت لذاتها أشكالاً بشرية. للمزيد انظر: اليازجي. ندرة. رد على التوراة ص32. دار الغربال ط3، بيروت.

(3) جلال. ألفت (د)، العقيدة الدينية والنظم التشريعية ص32، المطبعة الفنية الحديثة، مصر.

(4) العقيدة الدينية والنظم التشريعية. د. ألفت جلال ص32.

(5) علي. فؤاد حسن علي. اليهودية واليهودية المسيحية، ص48 ـ 49 مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة 1968.

(6) اليهودية واليهودية المسيحية. د.فؤاد حسين علي ص50، فكرة التعميم: هي الاعتقاد بأن بركات الإله وغفرانه تشمل كل البشر وليس فئة أو شعباً محدداً بالذات وهي تقابل فكرة التخصيص بإله واحد لشعب واحد فقط مثلما هي الحال عند اليهود.

وقد عارض الأنبياء فكرة التخصيص، إذ نبذوا فكـرة خصوصيـة الإلـه الواحـد (يـهوه) لبني إسرائيل فقط بل إن (أشعياء الثاني، الذي ظهرت في زمانه أول رسالة نبوية سابقة لفكرة التعميم إذ أعلن أن عفو الله وغفرانـه سيأتيان لغير اليـهود، وأن ذلك ليس قـاصراً علـى الإسرائيليين فقط) [1].

يقول المستشرق الفرنسي (غوستاف لوبون): الله في سموه وجلالـه وروحـه هـو خـلاف (يهوه) الضاري الذي لم يكن بغيرته وغضبه وهزال انتقامه غير أخ لمولك وكاموش[2]. ويضيـف قائلاً: يهوه الجبار العبوس الذي هو معبود بني إسرائيل الكئيب وهذا الطاعون الذي ما انفـك يطالب بالقرابين والمحرمات واللحم المشوي والدم.. يهوه الحائر الذي يقطـر مـن دم الشـعوب المذبوحة، ومن لحم القرابين والحامي الوثيق لشعب صغير هزيل[3].

يقول سفر الخروج: ثم صعد موسى وهارون عليهما السلام وناداب وأبيهود وسبعون من شيوخ بني إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شـبه صنعـة مـن العقيـق الأزرق الشـفاف وكذات السـماء في النقـاوة، ولكنـه لم يمـد يـده إلى أشـراف بـني إسـرائيل، فـرأوا الله وأكلـوا وشربوا[4]. وقد اتخذ (يهوه) لنفسه خلال تطوره البطيء الكثـير مـن خصـائص آلهـة إسـرائيل المتعددة[5]، وكأنهم أرادوا أن تظل سمات وصفات آلهتـهم التي كـانوا يعبدونـها شـاخصة في عقولهم متمثلة بالإله (يهوه) الجديد.

يقول سفر (أشعياء): هوذا اسم الرب يـأتي مـن بعيـد غضبـه مشـتعل والحريـق عظيـم شفتاه ممتلئتان سخطاً ولسانه كنار أكلة ونفخته كنـهر غـامر يبلـغ إلى الرقبـة، ويسـمع الـرب جلال صوته، ويرى نزول ذراعه يهيجان الغضب ولهيب النار الآكلة والمطر العاصف وحجـارة برد[6]. وتعد صفات النار والحجارة من الصفات المشتركة بـين الـرب (يـهوه) وآلهـة الشـعوب القديمة والتي تمثل رمزاً للقوة الهائلة والسلطان. واليهود الذين عبدوا الأصنام والعجل الذهـبي

(1) انظر: سفر أشعياء 4: 1 ـ 2 يعلن عن خصوصية الإله الواحد لبني إسرائيل فقط وأن العفو عـن الإثـم المرتكب من لدن الناس قد شملهم فقط إذ يقول: عـزوا عـزوا شـعبي يقـول إلهكـم طيبـوا قلـب أورشـليم ونادوها بأن جهادها قد آن إثماً قد عفى عنه.

(2) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، غوستاف لوبون، ص26.

(3) المصدر ذاته ص23.

(4) سفر الخروج 24: 9 ـ 11.

(5) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص68 بتصرف عن كتاب (الإنسان وآلهته) للدكتور مير سميث.

(6) سفر أشعياء 30: 30 و 27 و 28.

والمتأثرون بالأفكار البدائية في الاعتقاد بالأرواح، والخوف من الشياطين أشركوا بربهم في التعددية والصفات، ولم يتخلصوا من هذا الإشراك إلا بعد قرون عديدة، إذ تطورت صفات الإله لديهم تبعاً لما جاء به الأنبياء المتعاقبون عليهم فقد ورد في سفر (أشعياء) (أنا الله وليس آخر) [1]، وقوله: (مصور النور وخالق الظلمة صانع السلام) [2]، وقوله (أنا الرب ناشر السموات وحدي باسط الأرض) [3] وتطورت كذلك الألوهية على يد الأنبياء (أرميا وأيوب وحزقيال) [4].

إن النظرة الإجمالية لموقف اليهود من الله تعالى تتجلى بالتأثير والنفعية الخاصة فعبر قرون مسيرتهم نهجوا سبيل تقليد الشعوب المجاورة لهم ذلك النهج البين الواضح في خط التوراة العام.

ونظراً لتعلقهم الشديد وحبهم المفرط للمادة فقد أسبغوا على (يهوه) كل الصفات البشرية التي تحقق رغباتهم المادية، مبتعدين عما يجل إلههم من صفات التكريم والإجلال والوحدانية المطلقة التي أدركوها متأخرين.

(1) سفر أشعياء 45: 5 و 18.

(2) سفر أشعياء 45: 21.

(3) سفر أشعياء 44: 6.

(4) راجع الدملوجي. فاروق، تاريخ الإله، الكتاب الثالث في الديانة العبرية ص89، وما بعدها، بغداد 1954، وانظر: سفر ملاخي 10: 2.

المبحث الثاني
النبوة عند اليهود

يعد مفهوم النبوة عند اليهود من المفاهيم غير المحددة بالمعنى والإطار فكثير من أنبيائهم قد بعثوا في مدد زمنية متصلة غير مفصولة بفواصل زمنية متباعدة، إذ نجد في سفر الملوك الأول أربعمائة نبي ظهروا في آن واحد[1].

ويتفق الفكر الإسلامي مع ما آمن به اليهود في عدم اشتراط كون النبي صاحب شريعة عامة، بل منهم من بعث ليخبر بأمر يتحدد في المستقبل أو وقع في الماضي، أو الإخبار بنزول عقاب على الأمة أو على شخص معين[2] كما أن غالبية الأنبياء بعد موسى عليه السلام لم يبعثهم الله تعالى بشريعة مخصوصة بل بعثوا من أجل أمور تخص أهل زمانهم (وكان عدد أنبياء اليهود كبيراً، وكان معظمهم رجالاً مصلحين أو نساءً أطلقوا على أنفسهم صفة النبوة وذلك كوسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها السياسيون لتخليص الدولة والشعب من الفوضى والتبلبل والتردي والانحلال السياسي والأخلاقي وقد زاد عدد الأنبياء عند انقسام الموسويين إلى دولتين يهوذا وإسرائيل[3]. وفسرت كلمة (النبوة) لديهم بعدة تفسيرات منها تفسير الحبر (موسى بن ميمون) الذي نحا فيه منحىً فلسفياً فقال «إن حقيقة النبوة وماهيتها هي فيض من الله عز وجل بوساطة العقل الفعال على القوة الناطقة، وثم على القوة المتخيلة بعد ذلك، وهذه هي أعلى مرتبة الإنسان وغاية الكمال الذي يمكن أن يوجد لنوعه»[4].

ويرى المفكر اليهودي (سيجال) أن كلمة (النبي) قديمة قدم بني إسرائيل[5] أما (ابن كمونة) فأعطى للنبوة منزلة أعلى من العقل فقال: (وهي طور.. وراء العقل تنفتح في عين

---

(1) انظر سفر الملوك الأول 7/22.

(2) انظر الآيات القرآنية المتعلقة بسيرة الأنبياء عليهم السلام.

(3) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص56.

(4) ميمون ـ موسى، دلالة الحائرين، تحقيق حسين أتاي، ص404 جامعة أنقرة 1974.

(5) سيجال، صموئيل ميشيل، حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل ص9 . ترجمة حسن ظاظا، جامعة بيروت العربية، منشورات الجامعة العربية 1904.

أخرى، يبصر بها الغيب، وسيكون في المستقبل، وأمور أخرى معزول عنها كعزل قوة التمييز عن مدركات العقل وعزل قوة الإحساس عن مدركات التمييز [1].

وتتأتى صعوبة تحديد مفهوم النبوة من كثرة الأنبياء المبعوثين، إلا أن الدور الذي قاموا به في نشر ما بعثوا من أجله سهّل من تلك الصعوبة. وأول لفظ للنبي أطلق على (إبراهيم الخليل) [2] عليه السلام ونعت موسى عليه السلام بأنه أعظم من نبي[3] لكونه مرسلاً إلهياً صميمياً، وعليه فالنبي بزعمهم يكون (فم الله فهو يسمع الشعب كلام الله أمام الشعب كذلك كان فماً للشعب أمام الله فهو الوسيط الخاص والعام) [4] وأطلق لفظ (الرائي) يعني صلة (رجل الله) بالله بينما الاسم (النبي) يعني صلة (رجل الله) بالأمة.

ونظراً لكثرة الأدوار التي مثلها المتنبئون فقد ظهروا على شكل جماعات[5] وهذا الأمر أثر على الفكر اليهودي (فعمدوا إلى التفريق بينهم، فإذا امتد الأجل بالنبي حتى يشهد الناس صدقه في نبوءة بعد أخرى، فذاك هو النبي المختار الذي يطاع، وربما قضى شطراً من حياته منبوذاً مهاناً بين قومه) [6].

والمتنبئون ينقسمون إلى ثلاثة أقسام[7]:

1 ـ نبي يتكلم باسم الرب.

2 ـ نبي يتكلم باسم آلهة أخرى.

3 ـ نبي يتكلم باسم إله إسرائيل ولكنه يصغي أكثر لما في قلبه على وحي ربه فيخلط بين ما يقوله هو بلسانه وبين ما يجريه الله على لسانه ليبلغه قومه.

تقول موسوعة الكتاب المقدس «لم تبرز خدمة النبوة إلى المقدمة قبل منتصف القرن التاسع إلا على يدي (إيليا وأليشع) وقد كانت أزمة وقعت في المملكة الشمالية هي ما دفع عمل هذين النبيين إلى الواجهة»[8].

---

(1) منصور، ابن كمونة سعيد، تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث ص2، مطبوعات جامعة كاليفورنيا 1967.

(2) انظر سفر العدد 12 ـ 6 ـ 8. ومعجم اللاهوت الكتابي ص797، وسفر التثنية 18 ـ 5.

(3) معجم اللاهوت الكتابي ص797.

(4) دلالة الحائرين. موسى بن ميمون ص404.

(5) انظر سفر الملوك الأول 722.

(6) انظر سفر صموئيل الأول 9: 9.

(7) معجم اللاهوت الكتابي ص797. حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل ص19، انظر: سفر صموئيل الأول 9: 7 ـ 9، سفر عاموس 7: 12.

(8) موسوعة الكتاب المقدس ص43.

«أما الأنبياء بعد موسى عليه السلام فكانوا مدرسين ومعلمين ومرشدين، هـادين للخير ولم يكونوا مشرعين»[1] ويؤكد العقاد بأن اليهود لم يعرفوا من معنى النبوة سوى الإنذار فكـانوا يسمون النبي بالناظر أو رجل الله ـ وإنما أخـذوا معنـى النبـوة مـن العـرب[2] والقـرآن الكريـم يعرض جانباً مهماً من تاريخ النبوة عند اليهود، ويكشف عن مـدى إمكانياتـهم في تقبـل أمـور الوحي، والالتزام بها، وقال تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ

---

(1) الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الخطيب، (النبوءات) وما يتعلق بها ص21. تحقيـق أحمـد حجـازي السقا، دار ابن زيدون، ط1، 1406 هـ ـ 1986 م بيروت.

(2) انظر موسوعة العقاد الإسلامية، ج1، ص838.

﴿ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٥١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٥٢ ﴾ (1).

يقول ابن كثير في تفسيره (إن بني إسرائيل بعد موسى كانوا على طريق الاستقامة مدة من الزمن ثم أحدثوا.. وعبدوا الأصنام ولم ينزل بين ظهورهم من الأنبياء من يأمرهم بمعروف وينهاهم عن منكر، وانقطعت النبوة في أسباطهم، ولم يبق من سبط (لاوي) الذي يتحدر منه الأنبياء إلا امرأة حامل قتل بعلها فأخذوها فحبسوها في بيت. واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاماً، فسمع الله لهم ووهبها (شمويل) (شمعون) وعندما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه بالتوحيد، وعندما دعاهم لطاعة الملك الذي طلبه تعيينه عليهم وهو (طالوت) رفضوا ذلك بدعوى أن طالوت ليس من سبط يهوذا فظهر التعصب العنصري والفئوي) (2).

ولا يمتنع عندهم أن يلهم الله بالرؤيا الصالحة، أو الدليل البين إنساناً من غير الأنبياء، ومن غير شعب إسرائيل(3) كما ألهم (أليمالك وبلعام) (4).

---

(1) سورة البقرة الآية 246 ـ 252.

(2) ابن كثير، (تفسير القرآن الكريم)، ج1 ص411، دار الفكر عمان، وانظر: تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير مفاتيح الغيب) ج6 ص183، ط3، دار الفكر 1405 هـ ـ 1980 م. وانظر: تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج3 ص100، دار الكتب المصرية 1967.

(3) العقاد، عباس محمود، حياة المسيح في التاريخ وكشوفات العصر الحديث ص44.

(4) بلعام: يذكر التاريخ اليهودي أنه نبي من بلاد ما بين النهرين أمره (بالاق) ملك مواب أن يلعن بني إسرائيل أثناء فترة تيههم في الصحراء، فرفض أول الأمر ولكنه أذعن لأمر الملك، ولكن ظهور ملاك الرب صرفه عن ذلك وبعد حين حاول إسقاط بني إسرائيل لكسب المكافأة التي وعد بها وذلك بإغوائهم لعبادة بعل. مات مقتولاً لما هاجم الإسرائيليون المديانيين، المصدر: انظر سفر العدد 22، 24، 31 موسوعة الكتاب المقدس ص64 ـ 65.

البيمالك: رجل صالح من بيت لحم، من نسل (يهوذا) متزوج من امرأة تدعى (نعمى) التي رتبت لزواج حماتها (راعوث) من (بوعز) جد النبي داوود عليه السلام، انظر: سفر راعوث 1 ـ 6. موسوعة الكتاب المقدس ص324.

«ومن هؤلاء الأنبياء من كان يستمع الوحي أصواتاً عالياً، ومن كان يحسه إلهاماً أو هداية، وغالباً ما كانوا يقصرون رسالتهم على النذير بالعقاب كلما خرج الشعب عن سنة الأولين وانحرف عن سواء العبادة»[1].

وخلاصة القول إن في التراث اليهودي نقاطاً جوهرية حول النبوة والأنبياء أشار إليها الأستاذ محمد كمال إبراهيم جعفر العميد سابقاً في جامعة القاهرة بقوله:

1 ـ إن من أنبيائهم من كانت دعوته مجرد امتلاء حماسي وشعور مفعم بالجدب ولا يتحقق ذلك إلا بوجود رسالة موحاة ينبغي تبليغها إلى الخلق.

2 ـ لا يوجد أي أثر للاستدلال الفكري في النبوءة العبرية فتعليم النبي يعنى بالمراس لا بالنظرية، كما أن رجوعه لا يكون للعقل أو النظر ولكن للإرادة[2].

(1) حياة المسيح في التاريخ وكشوفات الفكر الحديث، ص45.

(2) جعفر، د.محمد كمال إبراهيم، الإسلام بين الأديان ص297: مكتبة دار العلوم، القاهرة 1978.

المبحث الثالث
الصــــلاة

إن البحث في بدايات التشريع اليهودي للصلاة مهمة عسيرة لأسباب عدة منها، أن الباحث يجد نفسه أمام دائرة واسعة غير محددة المعالم، وتاريخ طويل متطور ومتجدد كل حين، فالصلاة لديهم في تغير مستمر، وتشعب لا نهاية له، ويمكن إرجاع ذلك كله إلى عدم تحديد التوراة وأنبياء العهد القديم لماهية الصلاة ـ شكلاً لا مضموناً ـ إلا بعد مدة السبي البابلي لاقترانها بتقديم القرابين للآلهة المعبودة.

«وكلمة الصلاة جاء أصلها من اللغة الآرامية، ومادتها (ص.ل.أ) (صلا) ومعناها ركع وانحنى ثم استعملت في التعبير عن الصلاة بالمعنى الديني المعروف، ثم استعملها اليهود، فأصبحت لفظة آرامية عبرانية، ودخلت العربية قبل الإسلام عن طريق أهل الكتاب»[1].

واستعمل اليهود (صلوته) في الأزمنة المتأخرة منذ عهد التوراة حتى أصبحت كلمة مألوفة وذات معنى ديني خاص[2]. وتكتب كلمة صلاة في اللغة العبرية (صلوتو) و(صالوته) و(سلوته)[3] وتعني (صلوات اليهود) في كتب اللغة (كنائسهم)[4].

وفي القرآن الكريم ورد لفظ (صلوات) بقوله تعالى (بيع وصلوات) أي كنائسهم موضع صلاتهم[5] وتعد الصلاة في التشريع اليهودي ضرورة روحية يستطيع من خلالها المتعبد مخاطبة خالقه، وطلب الانتماء إليه بالغفران والتوبة، ويعبر من خلالها على شكره على النعم الربانية كما يكبر فيها عن عظمة ربه وجبروته.

---

(1) علي، جواد (د)، تاريخ الصلاة في الإسلام، ص 7.

(2) تاريخ الصلاة في الإسلام ص 7.

(3) أخبرني بذلك الحاخام (روبين ناجي) رئيس الطائفة الموسوية في العراق أثناء التقائي به في مقر الطائفة ببغداد بتاريخ 1995/3/13.

(4) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح ص 396. دار الرسالة، الكويت 1403هـ ـ 1983م.

(5) مختار الصحاح للرازي ص 396.

والصلاة (هي الوسيلة الملزمة لتأدية عمل من الأعمال وهـذه الظـاهرة نتبينـها في العـهد القديم من الطريقة التي يعبر بها المصلي عن احترامه لله)[1].

ومن خلال هذا التعريف الأخير يحـاول العلمـاء ربـط معنـاه بمعـاني الصـلاة عنـد الشعوب الوثنية، التي ترى في الصلاة طريقاً للوصول إلى القوة الكامنة في المعبود ومحاولـة سبر أغوارها، لذا فقد اعتمدوا السحر والشـعوذة، وأدخلوهـا في مضـامين صلواتـهم وقيـل الصلاة هي (سلوك ظاهري جسدي) للعبادة متمثلة بالركوع مع حـني الـرأس للأمـام كـي تمس الجبين الأرض. واتخاذ وضع الجلوس المصحوب بتقبيل الأرض الذي يعزز من ذلـك السلوك)[2].

وتدل الكلمة العبرية للصلاة التي وردت بمعنى الدعاء والعبادة على ما كانت عليه عند اليهود، وأشهر هذه المصطلحات (تافيلا Tafila) وقد ترجمها المستشرق الألماني (جولد تسمر) بالابتهال إلى الله كحاكم والاستسلام له[3]، وعرفت (التـافيلا) باسـم (أميـدا) في عصـر اليـهود الربانيين (في القرن الثاني. م) وتوجبت قراءتها مع نص الشهادة في الصباح والمساء[4].

إذن كان الدعاء قريناً للصلاة، إن لم يكن هي بالذات، بل إني وجدتـهم يمزجـون دعاءهم بصلواتهم حتى يغلب الدعاء على الصلاة شكلاً ومضموناً[5]، وهذا ما عمـدوا إليـه عندما منعهم الفرس - في أثناء السبي البابلي - من أداء كامل صلواتهم (الشكل والمضمـون) بعد ما رأى الفرس أن صلاة اليهود دعاء على الأمم بالبوار والخراب فصاغ اليهود أدعيـة مزجوها بصلاتهم وسموها (الخزانة) وصاغوا لها ألحاناً عديدة فاجتمعوا على تلاوتها حتى يميزوها عن الصلاة، فلما أنكر الفرس عليهم ذلك قـالوا نحـن نغـني ونـنوح علـى أنفسـنا فخلوا سبيلهم في ذلك[6].

---

(1) اليهودية واليهودية المسيحية، فؤاد حسنين علي ص 72.

(2) Encyclopedia of Religion. Edited By James Hstiwgs Vol.1., P.119.

(3) Hertzoerg Arthur. Judaism. Prayer p.227. N.Y.

الندوي، أبو الحسن علي، الأركان الأربعة ص 63، دار القلم بيروت. تاريخ الصلاة في الإسلام ص 7.

(4) Hertzbeg Arthur, Judasm Prayer. p.227.

(5) شاهدت ذلك أثناء حضوري لصلاتهم في معبدهم (التوراة) الكائن في بغداد (خلف شارع السعدون).

(6) الجوزية، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر قيم، هدايـة الحيـارى في أجوبـة اليـهود والنصـارى ص 166، مطابع يوسف بيضون، بيروت، ط1، 1403هـ - 1981م. وانظر أبو طبة، أحمد التهامي، الصـلاة في الأديان الثلاثة ص 49، الدار التونسية، تونس 1401هـ - 1981م.

وقيل إن إطلاق لفظ الصلاة بمعنى الدعاء إنما يعود إلى (أن امرأة يهودية كانت تحمل هذا الاسم وتداولوه وأصبح هذا الدعاء مرادفاً لكلمة الصلاة)[1] ومن الألفاظ الأخرى التي تعبر عن الصلاة في اللغة العبرية لفظة (عتر)[2]. الذي يدلنا على جانب (صلى) بمعنى (رجا) أو (التمس) أي قدم قرباناً.

وَعَدَّ اليهود قراءة نصوص غير مختارة من التوراة صلاة في غير أوقاتها. واليهود قبل وقوع السبي عليهم كانوا يؤدون الصلاة مع تقديم القرابين (لإلههم) وكأن الشعيرتين شعيرة واحدة ولكنهم منعوا من تقديم القرابين بعد سبيهم[3] وفي العصور التي كان اليهود يتصورون فيها وجود الله حقيقة وروحاً بمعناه المادي الظاهر للعيان، وآمن اليهود ـ المتصوفة منهم ـ بأن جسد المصلي يستطيع أن يتلبس في جسد معبوده[4] وهي نظرة صوفية مبالغ فيها بشدة، ولكن بمرور الزمن تغيرت هذه النظرة نتيجة لوجود الأنبياء في استخلاص الوحدانية المطلقة له بصفاته المقدسة التي تبعد الذات الإلهية عن كل ما يمكن أن يشوبها من شوائب، فعمد المصلون إلى تقديم طلباتهم والتماساتهم إلى (يهوه) مباشرة ونعته بصفات هي أقرب إلى الوحدانية.

وتمثل الصلاة لديهم الانبعاث الجديد للدين اليهودي في الفترة التي أعقبت تدوين التوراة[5] (ويرى بعض الباحثين في تاريخ التشريع اليهودي أن الصلاة اليهودية بدأت ببداية خلق الكون باعتبار أن ديانتهم أول الديانات السماوية الموحدة كتابياً، ويعتقدون أن أول يوم الخلق هو (7 أكتوبر) 376 ق.م[6] ويتلون الشهادة في صلاتهم وهي اعتراف بالوحدانية لله تعالى.

---

(1) أبو طبة، أحمد التهامي، الصلاة في الأديان الثلاثة ص 49.

(2) اليهودية واليهودية المسيحية ص 74.

(3) كان أول تقديم للقرابين من البشر لله تعالى يعود إلى قابيل وهابيل عندما قدما قربانيهما لله تعالى، واليهود قديماً كانوا يقدمون الذبائح البشرية، ثم أبدلوها حيوانات، للمزيد: راجع اليهودية واليهودية المسيحية ص 73.وقصة الحضارة ج2، ص 345.

(4) انظر سفر التكوين، 12: 7 و28: 16 وسفر الملوك الثاني 5: 7. والمزمور 5: 8، راجع معجم اللاهوت الكتابي ص 522.

.Encyclopedia International Vo.10, p.69, N.Y.U.S.A. Copyright Grolier Incorporated

(5) .Encyclopedia Internal and Vo.10, p.69, N.Y. Copyright Grolier Incorporated

(6) الصلاة، الأديان الثلاثة، أحمد التهامي ص 73، نقلاً عن ترجمة من الألمانية إلى الفرنسية (ل. جوسبان).

.Croyances et Ries des Granes Religions, M.de Glasenapp I-Jospin

ومناسبة قولها كما يقول رئيس الطائفة اليهودية في بغداد هو: أن يعقوب قال لأولاده، ماذا تعبدون من بعدي؟ قالوا: «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، فحب إلهك من كل قلبك، من كل قوتك ولتكن هذه الكلمات التي أوصيك بها اليوم على قلبك..»[1] واستعداداً للشهادة يتلى دعاءان الأول يمجدون الله فيه والملائكة، وفي الثاني يمجدون الله لأنه أعطاهم الوصايا العشرة والتعاليم الواردة في التوراة[2]. والشهادة هي توحيد الله صباحاً ومساءً الذي لا يسمح بتصويره مادياً[3]. (والشهادة تقرأ في صلاتي الصبح والمغرب فقط كما أنهم يعتقدون أنها تطرد الشر والحسد والأذى وأنها تطفي نار جهنم)[4].

ويشترطون طهارة الموضع الذي يصلون فيه من النجاسات وجعلوها أماكن خالية من الصور والتماثيل باعتبارهم أهل التوحيد، لذا فهم لا يصلون في كنائس النصارى لقولهم بالتثليث النافي للوحدانية. كما لا يجوزون الصلاة في المقابر لأن الميت نجس، ولا في بيوت الراحة والمزابل وهي ما تقابل عند المسلمين الأماكن المنهي عنها نهي كراهة)[5]، ويشترطون في المصلين شروطاً لقبول صلاتهم كالطهارة الجسدية مثلاً. واشتراط الطهارة امتثال لقول الرب (واستعد للقاء إلهك يا إسرائيل)[6] ولا يجوزون ذكر لفظ الجلالة للشخص النجس.

أما إذا لمس اليهودي جثة ميت أو أجرى اتصالاً جنسياً أو لمس الحشرات أو دم الحيض والنفاس والخنازير فكل ذلك يوجب عليه التوجه للبيعة للطهر فيها وذلك بغسل جسمه كلية بالماء وكأنه بذهابه للبيعة يعلن طهارته من جديد لله تعالى[7].

واستدل فقهاء اليهود على تشريع الصلاة من نص ورد في سفر التثنية وهو (وتحبه وتعبد الرب إلهك من كل قلبك ومن نفسك).

---

(1) سفر التثنية 6: 4 ـ 9.

(2) مجلة بين النهرين، عدد 77 لسنة 1992 ص 43 وهي مجلة فصلية حضارية تراثية، مطبعة الأديب البغدادية من مقالة بعنوان (صلاة الصبح الطقسية في العهد القديم) للدكتور جاك إسحق.

(3) Encyclopedia International Vol.10, p.67, N.Y. Copyright Grolier Incorporated. 1963.

(4) تاريخ الصلاة في الإسلام د. جواد علي ص 15 ـ 16.

(5) سفر عاموس 4: 12.

(6) الصلاة في الأديان الثلاثة ص 81.

(7) الصلاة في الأديان الثلاثة ص 81.

إن كتاب (الصلاة اليهودية) يتحدث عن أن الله سبحانه وتعالى، في منحه الخير وفرضه الصلاة عليهم، إنما يحدد يومياً عملية الخلق والإنسان هو جزء من الخليقة فعليه أن يوهب روحه وجسده لمرضاة الله أثناء وقوفه للصلاة بين يدي خالقه[1].

ولكن أستاذ الديانة اليهودية في جامعة (هيروبوتيون) بولاية أوهايو الأمريكية (صموئيل. س. كوهون) يرى أنه لم يرد في التوراة أمر صريح بالصلاة لأن وضع العبادات التقليدي في العهد القديم كان مصحوباً مع تقديم الذبائح والقرابين ومع ذلك فقد اعتبروا الدعاء والصلاة وسيلة للتقرب إلى الله تعالى[2].

وعرفت أماكن الصلاة عند اليهود بالمحاريب[3]، والقرآن الكريم أطلق عليها لفظ (بيع)، ومفردها (بيعة) [4]، ويسميها يهود العراق اليوم (التوراة).

وتتفق جميع المصادر التاريخية على أن الصلاة المعهودة لديهم لم توضع إلا بعد السبي وفي عهد الأنبياء، وبعد تأسيس أمكنة العبادة والهيكل وخيمة الاجتماع، وعند تقديم باكورة الأثمار وبعد الانتهاء من الأعشار[5].

ويستدلون على عددها من (كتاب دانيال) إذ ركع على ركبتيه ثلاث مرات باليوم وصلى وشكر أمام ربه[6].

---

(1) كتاب الصلاة اليهودي أقدم كتاب يشتمل على مجموع الصلوات اليهودية اليومية، وضع في بابل في الفترة الممتدة من 846 ـ 864 م، وهو يختلف في وصفه للصلاة عن الصلاة اليهودية الحالية وبقي ما ينوف على الألف سنة بدون طبع إلى أن طبع في (وارشو) سنة 1865م، وضع (سعدي الجأون) رئيس مدرسة (سورا) في بابل كتابا (سدورا) للصلاة بين سنة 928 ـ 942 يحتوي على صلاتين من وضعه، عَرَّبَ إحداهما بنفسه، وعرب الأخرى (حسح بن يوسف) كما وضع موسى بن ميمون كتابين للصلاة هي (سيدور تفلون كل هشاتا) وكتاب (الياد) طبع مع ترجمته بألمانيا في بطرسبورج في سنة 1851م، انظر: مجلة معهد الإسكندرية الديني ج1 السنة الأولى، ص141.

(2) الأركان الأربعة ص63 ـ 64.

(3) القرآن الكريم يدلنا على وجود الصلاة في بني إسرائيل ومحافظة الأنبياء السابقين عليها، قال تعالى في سورة الأنبياء 73 عن إبراهيم الخليل عليه السلام وإسحق ويعقوب ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ وقال تعالى في سورة مريم الآية 31: ﴿ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ وقال تعالى في سورة آل عمران آية 43: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾.

(4) مختار الصحاح ص396.

(5) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان 179/1 ـ 181.

(6) انظر سفر دانيال 6: 1 ـ 2، والمزمور 6: 10 ـ 17، وسفر التثنية 26: 5 ـ 10، و13: 15.

«ويستدل من المزمور رقم (55) على أوقات الصلاة الثلاثة اليومية، (الصباح والظهر والمساء)» [1].

واليهود صلّوا قديماً واقفين وراكعين، فإبراهيم عليه السلام وأولاده وأحفاده فرضوا الصلاة بأوقاتها الثلاثة (الصبح والعصر والليل) ولكن الصلاة اليهودية بدأت واضحة المعالم تدويناً بعد تهديم نبوخذ نصر للمعبد إذ كان المصلي حينها ينحني في بداية كل صلاة وفي نهايتها، أما الكاهن الأعلى فإنه ينحني في كل اتجاه، وإذا ما حضر الملك للصلاة فإنه يبقى منحنياً طوال وقتها[2].

وكانوا يثنون ركبهم في أثناء الصلاة وهي عادة كان الجميع يؤدونها عند وقوفهم أمام ملوكهم كما حدث عند وقوفهم أمام هامان الوزير[3]وسليمان النبي عليه السلام (راكعاً ويداه مرفوعتان نحو السماء)[4] وأليا (صعد إلى رأس جبل الكرمل وخر على الأرض وجعل وجهه بين ركبتيه)[5] وقول عزرا: (وجثوت على ركبتي، بسطت يدي نحو السماء وقلت. . . .)[6]، وأما دانيال فكان (يجثو على ركبتيه ثلاث مرات في اليوم ويصلي ويعترف) [7].

واهتم أنبياء بني إسرائيل بالصلاة باعتبارها الشعور الديني العميق الذي يربط الإنسان بربه فصلاتهم من إيمانهم القلبي المفعم بنور النبوة[8]، بل نجد أن لبعضهم صلاتين، الأولى باطنية تعبر عما يختلج أنفاسه من شعور وأخرى ثائرة تشتمل على مختلف الآراء المفصلة بالدعاء والرجاء وما شبه ذلك[9].

(1) انظر الفكر الديني الإسرائيلي، د. حسن ظاظا ص169.

(2) Cyrus Adler And Others Vol. X p. 160.

(3) سفر الملوك الأول 8: 55.

(4) سفر الملوك الأول 18: 42.

(5) سفر عزرا 9: 4 ـ 5.

(6) انظر دانيال 6: 11.

(7) انظر سفر أشعياء 29: 13 و1: 15 وسفر عاموس 5: 35.

(8) سفر الملوك الأول 19: 4.

(9) مثلا صلاة أرميا 7: 14 و20: 7 و6: 11 و15: 10.

والأنبياء كانوا (رجال صلاة)[1] وهداية لعامة البشر، وصلاتهم كانت مناجاة ودعاء خالصاً لوجهه الكريم ورجاء بالخلاص والتوبة لشعوبهم[2].

«ولم تخرج الصلاة بمعناها العام عن مفهوم الدعاء واتخذت مسارها للأداء الملتزم للوقوف والجثو والركوع والسجود والانبطاح على الأرض إلا في زمن دانيال وعزرا»[3] ويؤكد المستشرقان (H.A.R.Gibb and Karmer). أن الركوع والسجود من أوليات طقوس الصلاة عن الديانتين اليهودية والمسيحية[4]، ويعد ركوع داوود عليه السلام أقدم ذكر للركوع في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[5].

ويحبون تغطية الرأس عند الصلاة يسمى (كيبوي Keepoy) لأن الله سبحانه وتعالى أوحى لموسى عليه السلام بأن على هارون ونسله أن يلبسوه تعبيراً عن الاحترام للنصوص المقدسة التي يقرؤونها في صلاتهم[6].

وكان اليهود قديماً يلبسون القلنسوة، وفوقها منديل صوفي رقيق أثناء الصلاة[7].

والطهارة نوعان: طهارة كبرى، وأخرى صغرى.

فالكبرى: يغطس الرجل أو المرأة ثلاث مرات وتتربص المرأة قبل الغطس إثر الولادة أو الإجهاض وعليها أن تنتظر خمسة عشر يوماً قبل التطهر بالغسل تقضي الأسبوع الأول في التربص لما قد يطرأ خلاله من ظهور بعض بقايا دم الحيض ثم تظهر وتحل لزوجها للمعاشرة[8].

---

(1) مثل صلاة إيليا بسفر الملوك الأول 36: 37، وراجع سفر أرميا 15: 11 سفر عاموس 7: 1 ـ 6.

(2) مثلاً صلاة إبراهيم عليه السلام من أجل خلاص سدوم ولأجل شفاء (البيالك) انظر سفر التكوين 18: 23 ـ 33 وصلاة يعقوب إخلاصه لأخيه عيسو انظر سفر التكوين 22: 29 ـ 31، ومناجاة يعقوب ربه (سفر التكوين) 32: 9 ـ 12.

(3) راجع الفكر الديني الإسرائيلي. د. حسين ظاظا ص169 ـ 170 الصلاة في الأديان الثلاثة ص51.

(4) الفكر الديني الإسرائيلي ص171.

(5) سورة التوبة الآية 24.

(6) الفكر الديني الإسرائيلي ص182، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص186، الأركان الأربعة ص65، الصلاة في الأديان الثلاثة ص63، وانظر لوتسك، هارفي عادات وتقاليد اليهود، تعريب مصطفى محمد، مطبعة الوطن ط1، الكويت 1989، ص46.

(7) موسوعة الكتاب المقدس ص30، إصدار دار منهل الحياة ـ لبنان، 1993.

(8) الصلاة في الأديان الثلاثة ص84.

والطهارة الصغرى تقع يومياً ويقوم بها اليهودي قبيل كل صلاة وتشبه عملية الوضوء في الإسلام وكيفيتها: ـ يأخذ لتراً من الماء الطاهر وعلامة طهرته صلاحيته للشرب، فالماء المالح وماء البحر غير صالحين ـ ثم يبدأ بغسل اليدين ثلاث مرات قبل إدخالهما في الإناء، ثم يغسل بعد ذلك كامل الوجه ثم يتمضمض ثم يعمد إلى مسح وجهه بمنديل ثم يتبع عملية الغسل بسلسلة من الدعاء حمداً للرب الذي أعطاه الماء طهوراً [1].

وفي الوقت الحاضر يكتفون بغسل اليدين فقط، ويعلل ذلك رئيس الطائفة اليهودية الموسوية بقوله: قديماً كانوا يغسلون الرجلين لأنهم حفاة أمام الرب والآن فالأرجل نظيفة على الدوام، فلا حاجة لغسلها لنظافتها[2]. وإذا لم يوجد الماء فإنهم يتطهرون بالتراب وكيفيتها: هو أن ينظف يديه بالتراب بحيث يفركهما به وبذلك تتم الطهارة[3] وهو ما يشبه التيمم في الإسلام، وكانوا ينادون للصلاة قديماً عند حلول وقتها بالنفخ في الأبواق المصنوعة من سن قرون الكباش[4] ومن المعدن[5] وفي الوقت الحاضر يستخدمون الأجراس[6].

وقبلتهم للمغرب إذا استقبلوا مغارب الأنوار[7]، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ ﴾[8].

ويرى موسى بن ميمون أن اختيارهم لجهة الغرب هو لسببين:

الأول: امتثالاً لقول التوراة (سكينة في الغرب).

الثاني: أن عابدي الأوثان كانوا يعتمدون لبناء هياكلهم وقصورهم فوق الأماكن المرتفعة خاصة الجبال، وأن سيدنا إبراهيم عليه السلام اختار جبل (الموريا) وأعلن فيه التوحيد وحددها لعين المغرب لأن قدس الأقداس يقع في الغرب من جهة هياكل الوثنيين الذي تقع

---

(1) الصلاة في الأديان الثلاثة ص84.

(2) رئيس الطائفة + الفكر الديني الإسرائيلي ص181 + المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص181.

(3) الصلاة في الأديان الثلاثة ج1 ص84.

(4) مجلة بين النهرين، عدد 70/69 لسنة 1990 ص76، مطبعة الأديب، بغداد، الصلاة في الأديان الثلاثة ص153، تفصيل الكتاب المقدس ص121 ـ 122، المطبعة الأميركانية، 1905.

(5) انظر عدد 10: 10.

(6) انظر سفر اللاويين 25: 9 وسفر عدد 10: 2 وسفر القضاة 3: 27.

(7) الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر الإلهية، محمد عبد العزيز الحكيم، ج1، ص66 لعام 1325هـ.

(8) سورة القصص الآية 44.

فيه جهة الشرق. وميز إبراهيم عليه السلام هذا البيت بالوحي وكان معلوماً لموسى عليه السلام لأن إبراهيم عليه السلام أوصى أحفاده بأن يكون هذا البيت بيت العبادة الذي صلى هو فيه فالتوراة لم تصرح أو تشخص إلى جهة الغرب بل أشارت إليه فقالت: (فأي موضع تخيره الرب)[1]، وتمثل جهة الغرب الجهة إلى بيت المقدس.

ويذكر موسى بن ميمون أن في اختيارهم للقبلة جهة الغرب عندهم حكم ثلاث هي:

1 ـ أن لا تتمسك به الأمم وتحارب عليه حرباً شديدة إذا علموا أن هذا الموضع هو غاية الشريعة في الأرض.

2 ـ أن لا يفسره الذين هو الآن بأيديهم غاية ما يمكنهم.

3 ـ وهي الحكمة الأكيدة أن لا يطلب كل سبط أن يكون ذلك لذاته ويفوز به فيقع من الخلاف والفتنة مثلما وقع في طلب الكهانة[2].

وينوي اليهودي للصلاة في قلبه وتسمى النية (كوانة)[3]. ويرى بعض المسلمين أن التبريكات المعروفة باسم (تقلاة) تقابل تكبيرة الإحرام عند المسلمين وهو رأي لا صحة له، لأن هذه التبريكات هي أدعية تسبق الصلاة عند اليهود. وترى موسوعة الأديان أن هذه الأدعية (تقلاة) تعني الوقوف في الصلاة أثناء قراءتها[4]. ويجب أن يكون لباس المرأة المصلية محتشماً وأن تغطي شعر رأسها بغطاء سموه (خيليا) وهذا يتبع درجة الإيمان بالنفس ولا يمانعون في حضورها خلاف ذلك، وعند ذكرهم لاسم الله الأعظم يدفعون أجسامهم في حركة إلى الأعلى بالوقوف على الأصابع برهة ثم يدعون دعاء توسل[5].

وتطورت الصلاة زمن أنبيائهم وبعدهم إذ أدخلوا عليها تعديلات وإضافات منها قراءات جديدة لنصوص من العهد القديم لم تكن لتقرأ من قبل كما أنهم استخدموا

---

(1) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون ص660 ـ 661، راجع معجم اللاهوت الكتابي ص522.

(2) دلالة الحائرين ص666.

(3) رئيس الطائفة الموسوية، دائرة المعارف الإسلامية مج14، ص 284 مطبعة الشعب (التقلا) هي اسم للصلاة، والتبريكات جزء منها وإنما سميت التبريكات بالصلاة فمن باب إطلاق الجزء والتقلا تتألف من جزأين: الأول: بيان تمجيد الله وعلمه وشكره والثاني: التماسات علمه وخاصة من ضمنها التبريكات (عميداه) للمزيد انظر في: Encyclopadia of Peligion. Edited By James Hasting.

(4) Encyclopedia of Religion and Ethict p.221.

(5) مشاهداتي لصلاة المغرب وما أخبرني به القائم على الإمامة (عزرا هارون درويش) كما أني رأيت حضور بعض النسوة الكبار الغير محجبات، وتعود الدعوة إلى تغطية شعر الرأس إلى مرحلة تدوين المثنا.

الشال[1] الذي يوضع على الكتفين وهو مصنوع من نسيج أبيض أو مستطيل الشكل في كل زاوية من زواياه حلية وثمانية أهداب أربعة منها بيض وتعرف بالعبرية (صيصت) وهي رمز لطلوع الفجر، والأخرى زرقاء ـ متفاوتة في زرقتها ـ والشال قسمان: صغير ويرتدى في الصلاة الفردية، وكبير يستخدم في الصلاة الجماعية كيوم السبت والأعياد وأهداب الشال تقوم مقام المسبحة عند المسلمين يسبح بها المصلي وعادة ما يكفن الميت بالشال الكبير[2]. ويعتقد المؤمنون أن الشال (رداء روحي تلف به أرواحهم عند الصلاة فيجعلهم وكأنهم ملائكة قديسون أصفاهم الله بحسن عنايته ورعايته)[3]. وللشال قرين آخر هو المعطف الذي هو الآخر تتدلى منه أهداب ولكن عددها أربعة ويسمى بالعبرية (الطليت) ويلبسونه عند الصلاة فقط[4].

وعند إلقاء نظرة تاريخية إلى الصلاة الجماعية اليهودية نجد أنهم كانوا يقيمونها يومياً في الهيكل أو في المجامع خارج أورشليم أو في البيت أو عندما يحين وقتها في الشوارع أو الساحات العامة[5].

وهناك صلاة الصباح التي تشير إليها المزامير 5، 3، 4 (إني أصلي إليك يا رب في الصباح)، مزمور 62/63 (الله أنت إلهي، إياك ابتسمت سحراً).

وهناك صلاة المساء وتشير إليها كتب دانيال (ق2، ق.م) (بينما كنت أتكلم. . . في وقت تقدمة المساء). ومزمور (141): (يا رب إليك صرخت أسرع إلي، أصغ إلى صوتي عندما أصرخ إليك تستقم صلاتي كالبخور قدامك ليكن رفع يدي كذبيحة مسائية).

إن صلاة الصباح والمساء مرتبطتان بسياق حياة الإنسان أي قبل الرقاد وبعد النهوض من النوم، وهما أقدم عهداً من صلاة الظهيرة[6] وتسميان الساعتين الشرعيتين أما بالنسبة لصلاة الظهيرة الذي يؤكد وجودها المزمور (55) ويذكرها داوود في مزموره

---

(1) الفكر الديني الإسرائيلي ص182، الصلاة في الأديان الثلاثة ص63، هامش رقم 19، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص188.

(2) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص1/1، الصلاة في الأديان الثلاثة ص62، الفكر الديني الإسرائيلي ص182.

(3) Authorized Dary Hebrew English Singers, London, 1966, p.1.

(4) Encyclopedia of Religion by Margery Silver University.

(5) مجلة بين النهرين العدد 70/69 لسنة 1970، ص75.

(6) أي أقدم تدويناً، أي أن تشريعهما الوضعي أقدم عهداً.

الخامس فيقول: (لكلماتي أصغ يا رب، بالغداة تسمع صوتي، بالغداة أوجه صلاتي نحوك وأنتظر)[1].

«إن كتاب دانيال يشير إلى أوقات الصلوات الثلاثة وذلك حينما أصدر الملك المجوسي (داريوس) مرسوماً أمر فيه أن توجه كل الصلوات إليه شخصياً إلا أن (دانيال) استمر بتوجيه أدعيته إلى الله»[2]. وكانت صلاتا المساء والصباح ترافقهما ذبيحتان يوميتان أمر بهما سفر الخروج 29: 38 ـ 42.

وتبدأ قبيل الساعة الثالثة بعد الظهر بتقديم ذبيحة من حمل حولي كما جاء في سفر العدد (اهتموا بأن تقربوا إلي. . . و عشر ايفة سميد ملتون)[3] ويحرقونها بالبخور على مذبح الرب (يحرق عليه هارون البخورا. . . مدى أجيالكم)[4].

إن محتوى صلاة المساء في العهد القديم تتألف من العناصر التالية[5]:

1 ـ ذبيحة المساء.

2 ـ قراءة وصايا الله العشر.

3 ـ بركتين (أي قراءة دعاءين).

4 ـ الصلاة المركزية (ليشمع) أي قراءة نص الشهادة (اسمع يا إسرائيل).

5 ـ بركتين ختاميتين.

6 ـ قراءات منتخبة من البركات الثماني عشرة التي سيأتي بيانها لاحقاً.

7 ـ قراءات الكتاب المقدس وتقرأ في أيام السبت والاثنين والخميس والأعياد فقط ويسبقها ترتيل من سفر العدد 10: 35 ـ 36 وآية من نبوءة أشعياء 23: 3 ثم صلاة يرفعها الشعب تبدأ (أيها الرب إليك العظمة والقدرة (المجد) [6].

8 ـ قراءة منتخبة لبعض المزامير.

---

(1) المزمور (5): 3.

(2) مجلة بين النهرين العدد 69/70 لسنة 1970 ص 74 ـ 75.

(3) سفر العدد 28: 2.

(4) سفر الخروج 30: 7 ـ 8.

(5) مجلة بين النهرين العدد 69/70 لسنة 1970، ص75.

(6) مجلة بين النهرين العدد 69/70 لسنة 1970 ص81.

أما بالنسبة للمزامير فيقرؤون[1]:

يوم الأحد المزمور (23).

يوم الاثنين المزمور (48).

يوم الثلاثاء المزمور (82).

يوم الأربعاء المزمور (94).

يوم الخميس المزمور (81).

يوم الجمعة المزمور (93).

يوم السبت المزمور (92)

وضمن ما استحدثوه في فرض الصلاة (التفلين) أو (التفليم) وهو عبارة (عن قطعتين من رق مكتوب في كل منها بعض أسفار التوراة مثل (اسمع يا إسرائيل) داخل علبتين صغيرتين من جلد الغزال أو أي جلد آخر. توضع فوق الذارع الأيسر مقابل القلب وتثبت بسير من جلد يلف على الذراع ثم على الساعد سبع لفات ثم على اليد[2].

وتثبت الثانية بسير أيضاً بعصابة فوق أعلى الجبهة في الوسط مقابل المخ ثم يعود ويتم لف السير الأول ثلاث لفات على الإصبع الوسطى أو الإبهام وإن كان المصلي أشول وجب عليه أن يربطها إلى الكف اليمنى ويتلو المصلي (وأخطبك لنفسي إلى الأبد وأخطبك لنفسي بالعدل والحق والإحسان والمرام وأخطبك لنفسي بالأمان وتعرفين الله)[3]. وعند وضع حافظة الذراع يقرأ (مبارك أنت يا الله إلهنا الذي قدسنا بوصايا وأوصانا بوضع التفليم)[4]. كما يقال وضع حافظة الذراع مثل القول (وأخطبك لنفسي. . .) ويراعى أن يوضع التفليم وقوفاً ولا يكون هناك فاصل بينها وبين الجسم، كخاتم أو ساعة وأن يلزم السكون وقت وضعها، وبعد الانتهاء من الصلاة يزال التفليم حسب ترتيب الوضع فتفك لفات الإصبع أولاً ثم تفليم الرأس ثم لفات الساعد والذراع ثم الحافظة[5].

---

(1) مزمور (23) فيه مديح للرب لأنه الحافظ من المهالك والصعاب. والمزمور (48) فيه تعظيم للرب وذكر جبل طهيوري والطوفان حوله. والمزمور (82) والذي نسب إلى (اساف) ففيه الحث على إنصاف المسلكين والبائسين، وأما المزمور (94) ففيه خطاب للشعب للتمسك بالشريعة وآدابها.

(2) اليهودية واليهودية والمسيحية 76، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص181.

(3) اليهودية واليهودية المسيحية، ص76.

(4) اليهودية واليهودية المسيحية ص76.

(5) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

يقول الحاخام روبين (ولا يوضع التفليم في أيام السبوت والأعياد ويوم الغفران بل يلبس في باقي أيام الصلاة الأخرى).

وقد اعتمد الفقه اليهودي في فرض التفليم على فهم حرفي ظاهري للقول الوارد في التوراة (وثبتها على يدك ولتكن عصائب بين عينيك) والحقيقة المراد هنا هو المعنى المجازي، وهو التمسك بها كما يتمسك الإنسان بشيء ثمين في يده والاهتداء بها[1].

«وعند وقوفهم للصلاة تبدو أقدامهم وكأنها قدم واحدة ويخفض رأسه ويغلق المصلي عينيه إن كان لا يقرأ، ويفتحها البصير، ويضع يديه على قلبه اليد اليمنى على اليسرى ويجب ألا يتكىء إلى شيء ويتجه نحو (بيت المقدس)»[2]. وإذا لم يعرف الجهة اتجه نحو رب السماء ـ إلى أية جهة غير مقصودة ـ والصلاة عندهم نوعان[3]:

الأولى، شخصية ارتجالية: وتتلى حسب الظروف والاحتياجات الشخصية ولا علاقة لها بالطقوس والمواعيد والمراسيم، (مثل صلاة إبراهيم ويعقوب وموسى ويوشع) عليهم السلام وتؤدى في أي مكان (فيونان) (يونس) النبي أداها في بطن الحوت، ودانيال عليه السلام في جب الأسود.

والثانية، الصلاة المشتركة: ويشارك فيها الجماعة علناً في أماكن مخصوصة وأوقات معلومة وحسب الطقوس التي يضعها ويقررها رؤوساء الدين والكهنة.

واليهودي يصلي ثلاث مرات في اليوم هي[4]:

صلاة الصباح:

وتسمى شحرين، ووقتها من بزوغ الشمس إلى ارتفاع النهار[5]، وينبغي للمصلي أن يرتدي الشال ويربط التفليم ويتجه لبيت المقدس ويبدأ بقراءة الأدعية والطلبات ودعاء يصبر منه على تنفيذ أوامره، وصلاة الصباح (وتتكون من أربع ركعات يفصل بين ركعة وأخرى

---

(1) الفكر الديني الإسرائيلي ـ حسن ظاظا ص182 ـ 183.

(2) مشاهدتي لصلاة اليهود.

(3) الفكر الديني الإسرائيلي ص169، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ص179، الصلاة في الأديان الثلاث ص147.

(4) انظر: موسوعة الكتاب المقدس ص196.

(5) الكلام لرئيس الطائفة اليهودية في العراق (روبين ناجي) ويرى أن فضيلة صلاة الصبح عندما يؤديها المصلي عند شروق الشمس.

أدعية وأذكار توحد الله وتحمده على جعله يهودياً من أحفاد إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويطلب من الله سبحانه لينال بها توبة ولا سجود فيها بل ركوع أو انحناء)[1].

ويعد طقس التوراة (يوم السبت) أو الأعياد طقساً مهماً، حيث يقف الرجل الذي يؤم المصلين، ويسمى (شيليح هصبور) في منصة مرتفعة نسبياً والمصلون جالسون على أريكتين متقابلتين أو أكثر ويبدأ بتمجيد الله ومدحه والجميع جالسون ويقرأ دعاء (إلهنا وإله آبائنا إبراهيم وإسحق ويعقوب الطارق القوى الذي إحسانه على العالم إن الشعب المختار. . .) ثم ينزل من المنصة برفقة مصلي آخر لإخراج التوراة من محلها المحفوظة فيه وفي أثناء ذلك يقرأ شيئاً من التوراة (سماع يا إسرائيل الله ربنا الله واحد أن ربنا واحد. إلهنا هو ربنا، مقدس هو)، ويحمل التوراة التي توضع داخل (الفلك)[2] أو (الصندوق). ويسير الاثنان إلى المنصة مع نغمة ترتيل ويقول (أعلن عظمة الله ولتعظيم مجده سوية يا إلهي إن ما لديك من العظمة والقدرة والمجد ما لديك هو النصر والجلال في جميع السموات والأرض)[3]. وعند جلب التوراة يقف الجميع إجلالاً لها وبخشوع وترفع إلى أعلى وتقرأ بعض الأدعية، ويفضل أن يكون القارئ من نسل (لاوي) حسن الصوت ويقول (تبارك الله مصدر كل التبريكات تبارك الله مصدر كل البركة الخالد، تباركت يا الله ملك الكون الذي اختارنا من بين كل الأمم وأعطانا التوراة فبوركت يا الله معطي التوراة)[4]. ثم يتم رفع التوراة إلى أعلى ويقول (هذه هي التوراة التي وضعها موسى أمام إسرائيل، هذه هي التوراة التي أعطاها الله بواسطة موسى)[5] ثم تفتح لفات التوراة وتوضع في وسط المنصة ويقوم شخص ثالث بالوقوف إلى جانب (شيليح هصبور) لتأشير آيات التوراة التي يقرؤها (شيليح هصبور) ثم تعاد لفات التوراة داخل العلبتين بالهيئة

---

(1) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص170.

(2) مشاهدتي لصلاة عيد الفصح (صلاة المغرب).

(3) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان 170/1 و.Hertzbers Arthur, Judaism, p. 228

لا حاجة لوجود الكاهن لسلوك الصلاة فالرابي (المعلم) هو الرجل العلماني من الناحية الفنية واليهودية دين الرجل العلماني والصلاة بديل ملائم للتضحيات.

Hertzberg Arthur, Judaism, p. 238..

(4) إن موسى عليه السلام من نسل (لاوي بن يعقوب)، وإن قبيلة لاوي لم تمتلك أرضاً في كنعان كما فعل الأسباط وإنما قرروا أن يتوزعوا على جميع الأسباط لغرض القيام بالفروض الدينية في كل الأسباط.

(5) انظر موسوعة الكتاب المقدس ص284، وانظر سفر التثنية 6 ـ 4 ـ 5، إنجيل لوقا 4 ـ 16 ـ 3، 6: 6، أعمال الرسل 13: 14 ـ 19.

نفسها التي جلبت بها، ويقولون: (تباركت عظمة الله العليا ـ عظمته عالية فوق السماء والأرض وعلم شعبه وعافا المخلصين، بني إسرائيل الذين الأقرب إليه)[1].

صلاة الظهيرة أو العصر:

وتسمى باللغة العبرية «(المنما) و(تفيلة هعربيت)»[2] ووقتها من انحراف الشمس من نقطة الزوال إلى ما قبل الغروب بعشرين دقيقة وفيها أربع ركعات يفصل بينها أدعية وأذكار وقراءة منتخبة من أسفار الزبور، وفيها اعتراف بالذنوب وطلب الغفران، والأدعية المقررة فيها تناسب وقت الظهيرة وفي صلاة العصر الشهادة، وقيل أول من صلاها داوود عليه السلام، إذ يقول في مزموره الخامس: (الغداة أوجه صلاتي نحوك وأنتظر).

صلاة المغرب:

وتدعى باللغة العبرية (عربيت) وقيل إن يعقوب أول من صلاها ووقتها من غروب الشمس وراء الأفق أي أن تتم ظلمة الليل (وتقابل صلاة العشاء تقريباً عند المسلمين) ويجوزون أداءها قبل وقتها بساعة في الأيام الاعتيادية[3]. أما في السبت فإنها تصلى بعد مغيب الشمس بعشرين دقيقة، وفي الأعياد الرئيسة تصلى بعد المغرب بعشر دقائق وهي تتكون من أربع ركعات يفصل بينها أدعية وأذكار وفيها طلب غفران، ويكثرون فيها من التوحيد لله[4] ويحبذون قراءة التوراة والتراتيل الدينية، ويشترطون أن يكون الإمام حسن الصوت ومن نسل (لاوي) وتعد البركات الثمانية عشر (شيمونة عشرة) مع قراءة نص الشهادة الركنين الأساسيين لصلاة المغرب[5].

ويقسم نص الشهادة إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مأخوذ من سفر التثنية (6 ـ 4 ـ 9) ويبدأ بآية التوحيد ثم وجوب محبة الله وإعلانها للملأ وربطها على الأيدي وعلى قوائم الأبواب ونصها (اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك، من كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم على قلبك).

---

(1) تاريخ الصلاة في الإسلام ص16، الصلاة في الأديان الثلاثة ص19.

(2) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص181، الصلاة في الأديان الثلاثة ص106 ـ 107.

(3) المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص181، الصلاة في الأديان الثلاثة ص106 ـ 107.

(4) الكلام لرئيس الطائفة الموسوية الحاخام روبين خلال مقابلتي معه.

(5) الفكر الديني الإسرائيلي ص172 وما بعدها، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ص180.

الثاني: مأخوذ من سفر التثنية ويذكرون وعد الله وإطالة حياتهم وتمام وصاياه.

الثالث: مأخوذ من سفر العدد 15: 37 ـ 41 حيث يذكرون وصية الأهداب وهي (أهداب الروب الذي يلبسونه في الصلاة (الطليت) الذي يذكرهم بوجوب طاعة الله والابتعاد عن الشر.

ولطائفة (اليهود الربانيين) صلاة تسمى (شيمونة عشرة). وتدعى (عاميدا)[1] و(تافيلا)[2] وعدد بركاتها ثمانية عشرة بركة، وأن الحبر (صموئيل الأصغر)[3] أقحم فيها البركة التاسعة عشر وترتيبها في العاميدة الثانية عشرة وهي ليست بركة، بل لعنة يصبونها على الفرق الأخرى من غير اليهود الربانيين[4] وخاصة على فرقة الصدوقين[5] وتعد هذه البركات هي الصلاة الحقيقية الفريدة لاحتوائها كافة النيات التي يتضرع المؤمنون من أجلها.

والبركات الثلاث الأولى والثلاث الأخيرة تمتاز من غيرها من البركات لأنها تقام أيام السبت والأيام الاعتيادية. أما الأدعية الموجودة بينها فلا تقال أيام السبت والأعياد[6] وقديماً كانت هذه البركات تحفظ غيبياً وتسهيلاً للذاكرة فكانوا يتخذون إصحاحات تدل على عدد كلمات كل بركة، فمثلاً آية سفر الخروج رقم 28 ـ 3 تحتوي على (17) كلمة وهو عدد الكلمات في البركة الرابعة وهكذا[7].

وتقسم البركات إلى ثلاثة أقسام وهي[8]:

1 ـ شباحيم: أي تسابيح، ويشمل البركات الثلاث الأولى (ربشونوت) ويحتوي على تسابيح وتعظيم الله تعالى.

---

(1) الفكر الديني الإسرائيلي ص176، الصلاة في الأديان الثلاثة ص189 ـ 190، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1، ص180.

(2) مجلة ما بين النهرين العدد 70/69 لسنة 1990، ص77.

(3) من رواة المشنا.

(4) الربانيّون ويدعون أيضاً (بالكتبة) إذ كانوا خبراء بالشريعة، أولوا الشريعة وطبقوها على الحياة اليومية، ومن أشهر رجالاتهم (عمالائيل) أستاذ (بولس الرسول)، انظر موسوعة الكتاب المقدس 259.

(5) هي فرقة لا تعترف إلا بالعهد القديم وترفض الاعتراف بالتلمود، كما أنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الآخر، وتعتقد أن العقوبات والمثوبات تحصل في الحياة الدنيا، ويقولون بأن ربهم الخاص (يهوه) الذي اختارهم ويذكر (ابن حزم) بأن مؤسس هذه الفرقة رجل يقال له (صدوق) يراجع تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص70. موسوعة الكتاب المقدس ص164.

(6) مجلة بين النهرين عدد (77) لسنة 1992، ص44.

(7) الفكر الديني الإسرائيلي ص76، الصلاة في الأديان الثلاثة ص 190.

(8) الفكر الديني الإسرائيلي ص77.

2 ـ بقاشون: أي طلبات وتوسلات ويشمل الثلاث عشرة بركة المتوسطة (أحعاعيوث) ويحتوي على طلبات خصوصية وعمومية للشعب.

3 ـ هوداؤوت: أي تشكرات، وهي أدعية ويشمل الثلاث البركات الأخيرة (أحرتوت).

واتفق علماؤهم على أن القسم الأول والثاني من هذه البركات لا يتغير مطلقاً في كافة الصلوات على مدار السنة. أما القسم الثالث فيتغير في أيام السبوت ورؤوس الشهور والمواسم والأعياد ويبدل بما يلائم الأوقات[1].

وهذه أسماء البركات مع بيان محل ورود ألفاظها في الكتاب المقدس[2]:

1 ـ أبوي: (الآباء) لورد ذكرها فيه[3].

2 ـ صبورت: أي القوات، منها تنسب لجبروت الله تعالى وتسمى أحياناً (تحيت هيتيم) أي ذكر فيها قيامة الأموات[4].

3 ـ قدوشت هشيم: أي قداسة اسم الجلالة[5].

4 ـ إنه حونن: وتعرف أيضاً بطلبة لأجل الفهم والحكمة[6].

5 ـ توشيه: أي التوبة[7].

6 ـ سلبيحة: أي العفو والسماح[8].

7 ـ بركة هيحاولة: أي لأجل شفاء المرض[9].

8 ـ بركة هاحوليم: أي لأجل شفاء المرض[10].

9 ـ بركة هشانيم: أي دعاء لأجل محصولات السنة[11].

---

(1) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(2) الفكر الديني الإسرائيلي ص176 وما بعدها.

(3) الفكر الديني الإسرائيلي (سفر الخروج 3 ـ 15) سفر التكوين 14 ـ 9، 15 ـ 1.

(4) سفر التثنية 10 ـ 17: أشعياء 5 ـ 20 مزمور 7 ـ 11 و18 ـ 3 و36، 84 ـ 10.

(5) مزمور 144: 14 مزمور 15: 26، مزمور 146: 6 ـ 7، دانيال 12: 2، سفر صموئيل الأول 2 ـ 6.

(6) مزمور 22: 4، 16: 3.

(7) سفر أشعياء 2: 23، سفر أرميا 3: 15 مزمور 44: 10.

(8) سفر أشعياء 55: 7.

(9) مزمور 9: 14 و25: 8. 119: 153 ـ 154 و35: 1و143 و 74: 22 و3: 58.

(10) سفر أرميا 17: 14 و30: 16. (11) مزمور 5: 5 و12، 103: 5 سفر أرميا 31: 14.

(11) سفر أشعياء 11: 12 و27: 13، و43: 5 و45: 20 و60: 9 وسفر أرميا 51: 27، سفر التثنية 30: 40 وسفر متى 4: 6 وسفر حزقيال 147: 2.

10 ـ قبوص جيلوت: أي دعاء لأجل جميع المسيحين[1].

11 ـ بركة هدين: أي دعاء لأجل الحكام[2].

12 ـ هشينيم: أي دعاء ضد الصدوقين[3].

13 ـ صديقيم يتيم: أي دعاء لأجل الصالحين[4].

14 ـ بنيان يروشليم: أي دعاء إعادة بناء أورشليم[5].

15 ـ بان حييمع: أي دعاء إعادة نسل داوود[6].

16 ـ تقلة: أي دعاء لأجل قبول الصلاة[7].

17 ـ عيوده: أي دعاء لأجل إعادة طقس العبادة في الهيكل[8].

18 ـ هواد دأه: أي دعوة على اعتراف وشكر[9].

19 ـ شالوم: أي طلبة لأجل السلام[10].

ومن صلاتهم المستحبة أذكر النماذج التالية:

1 ـ **صلاة الغفران:** ويؤديها الكاهن الخادم في المعبد مع كاهنين آخرين ليلة يوم الغفران مرة واحدة في السنة ويحتل هذا اليوم مكانة بارزة في تاريخ الفكر اليهودي فهو عندهم يوم الأيام ويوم التكفير عن الذنوب ومدته عشرة أيام، وتبدأ الصلاة بدعاء (الكل يدعو الله)[11].

---

(1) سفر أشعياء 1: 26، سفر هوشع 2: 21. مزمور 33: 5، 99: 4. سفر أشعياء 61: 8.

(2) مزمور 81: 15. سفر أشعياء 5/25.

(3) سفر أرميا 31: 20، سفر أشعياء 63: 15، مزمور 6/22 و25: 2 و7: 5و143: 8.

(4) سفر زكريا 8: 3، مزمور 147: 2 و89: 36 ـ 37 و152: 5.

(5) سفر هوشع 3 ـ 5، سفر أشعياء 56: 7، مزمور 13/1 و112: 9. وسفر التكوين 49: 1، مزمور 89: 4 و18 و21 و26 و25: 5 سفر حزقيال 29 : 1 و23/34. مزمور 132: 17. سفر أرميا 23: 5 و33: 15.

(6) مزمور 3/65.

(7) مزمور 65: 3.

(8) سفر ميخيا 4: 11.

(9) أخبار الأيام الأولى 49: 13، سفر صموئيل 22: 36، مزمور 79: 3و 38: 6 سفر أرميا 10: 6.

(10) مزمور 29: 10، سفر العدد 6: 47، سفر ميخا 6: 8، مزمور 8/6، مزمور 119: 165 و125: 5.

(11) التفليم، تحقيق أبو صادق ص88 وعادات وتقاليد، هارفي لوتسك ص75.

2 ـ صلاة القمر[1]: وتتلى في إحدى ليالي الأسبوع الثاني من كل شهر ويتوجهون بالكلام إلى القمر، إذ يكررون فيها ثلاثاً القول (لتكن طالعاً سعيداً لنا ولكل إسرائيل، مبارك مصورك، مبارك صانعك) ثم يرتفع المصلون كأنهم يقصدون القفز ويقولون (كما أننا نحاول أن نلمسك هكذا ليت كل الذين يقفون نحونا ليضروا بنا لا يقدرون أن يلمسونا).

وهناك صلاة مستحبة أخرى مرتبطة بالأعياد لديهم منها[2]:

1 ـ صلاة يوم السبت: ويرتلون فيه (البسماح حقادا) أي تقترن بمعنى العيد ويشترطون لإقامتها حضور عدد مناسب من المصلين والأيتام في الدار.

2 ـ صلاة عيد (شيعوت)[3]: إذ يقرؤون في صلاتهم الوصايا العشرة (عشيران ويرددون)، حيث يقومون بشرحها وتبيان مغزاها. ويصلون من الفجر إلى منتصف الذراع.

3 ـ صلاة عيد المظال (الشبيكون): ويحتفلون فيه في يوم (5 تشرين) ويستخدمون أوراق الأشجار أو السعف ليعيشوا تحته يوماً كاملاً، أما الآن فيكتفون بإقامة عرش رمزي في منازلهم يشيرون إليه أثناء الاحتفال بأغصان الأوراق[4].

4 ـ صلاة العشاء الخاصة بالافتتاح بعيد الغفران[5] (يوم كبر): المعروفة باسم (كل ندري) وهي تدعو إلى طلب الغفران من الله من الوعود التي قطعها اليهودي على نفسه ولم يف بها وترجع هذه الصلاة إلى العهود التي تعرضوا فيها إلى الاضطهاد، مما اضطرهم إلى اعتناق المسيحية محاولين جهد إمكانهم الرجوع إلى دينهم متى ما سنحت لهم الفرص، وطالب المغفرة عند تلاوته (كل ندري) يقوم إلى جواره اثنان من علية القوم، وينطقان كما لو أنهما في محكمة الأحوال الشخصية بالقسم الذي وقع[6].

5 ـ صلاة جماعية تدعى (مشاف): وحتى تعقد يجب أن لا يقل عدد المصلين عن (عشرة حتى يجيز لهم فتح التوراة والقراءة فيها)[7].

---

(1) اليهودية واليهودية المسيحية، فؤاد حسنين علي ص63 ـ 64.

(2) الصلاة في الأديان الثلاثة ص111.

(3) المصدر نفسه الصفحة ذاتها، وهو عيد يأتي بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع يوم (6 جوان) ويحتفل به بمناسبة نزول التوراة في جبل سيناء وقديماً يحتفلون به بمناسبة يوم الحصد.

(4) الصلاة في الأديان الثلاثة ص112.

(5) اليهودية واليهودية المسيحية ص63، وما بعدها.

(6) المصدر نفسه الصفحة ذاتها وما بعدها.

(7) اليهودية واليهودية المسيحية ص63.

6 ـ وهناك صلوات متفرقة لرجال الله وأنبيائه وردت في العهد القديم[1].

وقديماً كانوا يمنعون الأجانب من حضور صلواتهم، لأنهم معدودون من الحيوانات، أما في الوقت الحاضر فقد سمحوا بذلك ولكن بشيء من التحفظ.

إحصاء بكلمة (السجود) ومشتقاتها في التوراة:

سجود: سفر الملوك الثاني 5: 18، سفر أخبار الأيام الثاني 20: 8، سفر أرميا 26: 2.

يسجد: سفر التكوين 27: 29، 49: 8، سفر التثنية 17: 3/ سفر صموئيل الأول 10: 3، سفر صموئيل الثاني 15: 5، سفر نحميا 9: 6، سفر استيرمزمور 72: 11، سفر أشعياء 44: 15، سفر استير 3: 2، مزمور 66: 23، سفر أرميا 13: 10، المزمور 36: 2، سفر دانيال 3: 6، سفر حفنيا 2: 11، سفر زكريا 14: 17.

تسجد: مزمور 20: 5، سفر التثنية: 9، 23: 24، 34: 14، 14: 19، 26: 10، مزمور 1: 9، سفر ميخا 5: 13.

اسجد اسجدي: مزمور 19: 10، 22: 8، سفر أشعياء 24: 11، سفر التكوين 22: 5، سفر صموئيل الأول: 15: 25، مزمور 5: 7.

سجدوا: سفر الخروج 24: 9، سفر الملوك الثاني 17: 36، مزمور 97: 7، 99: 5، 9، سفر أيوب 16: 29.

سجدت، سجدتم، سجدت: سفر التكوين 37: 7، 24: 8، سفر التثنية 8: 19، 20: 17، سفر صموئيل الثاني 16: 4، سفر راعوث 2: 10، سفر صموئيل الأول 25: 23 و41، سفر صموئيل الثاني 14: 4، سفر الملوك الأول 1: 16 سفر الملوك الثاني 4: 27، سفر أخبار الأيام الثاني 7: 19.

تسجدون: سفر يشوع 23: 7، سفر الملوك الثاني 17: 35، 16، سفر الملوك الأول 9: 6، سفر أشعياء 36: 7، سفر أرميا 7: 2، 25: 6، سفر دانيال 3: 5 و14.

سجدا سجدتا: سفر التكوين 37: 6.

ساجدون: ساجدين، يسجد، ساجدة: سفر التكوين 37: 9، سفر حزقيال 8: 16، سفر جفنيا 1: 5، سفر التكوين 19: 1، 24: 53، 33: 3، 48: 12، سفر يشوع 5:

(1) انظر الصلاة في الأديان الثلاثة ص109.

14، سفر صموئيل الأول 20: 41، 24: 8، 28: 14، سفر صموئيل الثاني 1: 2، 14: 33، 18: 28، 24: 20، سفر الملوك الأول 1: 23، سفر أيوب 21: 21، 1: 20، 23: 7، 15، 24: 26، 47: 31، سفر حزقيال 18: 7، 34: 8، سفر القضاة 7: 15، سفر صموئيل الأول 1: 28، 15: 31، سفر صموئيل الثاني 9: 6، 12: 20، 24: 20، 15: 32، سفر الملوك 2: 19، 16: 31، مزمور 22: 29، سفر دانيال 2: 46، مزمور: 6، سفر أشعياء 6: 25. سفر التكوين: 19: 1، 24: 52، 33: 3، 48: 12، سفريشوع 5: 14، سفر صموئيل الأول 20: 41، 24: 8، 28: 14، سفر صموئيل الثاني 1: 2، 14: 33، 18: 28، 24: 20، سفر الملوك الأول 1: 23، سفر أيوب 21: 21، 1: 20، 23: 7، 15، 24: 26، 47: 31،سفر حزقيال 18: 7، 34: 8، 7: 15، سفر صموئيل الأول 1: 28، 15: 31، سفر صموئيل الثاني 9: 6، 12: 20، 24: 20، 15: 32، سفر الملوك 1: 47، 20: 19، 16: 31، 22: 29، سفر دانيال 2: 46، 9: 18، 18: 26، مزمور: 6. سفر أشعياء 6: 25.

المبحث الرابع

الزكـــاة

لا يوجد في اللغة العبرية لفظ خاص بالزكاة، بل يشير معناها في الترجمة السبعينية للتوراة[1]، إما إلى رحمة الله، أو رحمة الإنسان لأخيه الإنسان[2]. وتلفظ باللغة العبرية (صداقا)[3] وهي مرادفة للكلمة (زكاة)[4].

ويرى (موسى بن ميمون) أن كلمة (صداقا) مشتقة من (صدق) وهو العدل، والعدل هو إيصال كل ذي حق لمستحقه وإعطاء كل موجود من الموجودات بحسب استحقاقه فبحسب المعنى الأول لا تسمى في كتب الأنبياء الحقوق المتعينة عليك لغيرك إذا وفيتها (صدقة) بل (عدالة)، لأنك إن قضيت الأجير أجرته فلا يسمى ذلك صدقة بل عدالة[5].

وتعرف الصدقة في العهد القديم: بأنها بادرة صلاح من الإنسان نحو أخيه وهي في عرف كل الكتاب (اقتداء بأثر الله الذي هو أولاً أبدى دليل الصلاح نحو الإنسان)[6].

إن فكرة مساعدة الإنسان لأخيه وإحسانه إليه بمد يد العون إليه بمال أو غيره، فكرة قديمة قدم الدين، وقد ورد لفظها في العهد القديم في الكتب الثلاثة (دانيال، طوبيا، يشوع بن سيراخ)[7].

اليهود يرون أن الصدقة الصادرة منهم تجعلهم أرفع شأناً وأعظم قدراً، فهي مقبولة منهم لأنهم أبناء الله، وأحباؤه، وشعبه المختار، كما يرون ـ قديماً ـ أن من يتصدق من غير اليهود لا يتصدق بنية خالصة لوجهه الكريم وإنما يفعل ذلك كبرياء[8].

---

(1) هي ترجمة يونانية للتوراة وسميت بالترجمة السبعينية لقيام اثنين وسبعون حبراً من يهود مصر بالترجمة في الفترة الممتدة بين سنتي 282 ـ 280 ق.م، راجع وافي، علي عبد الرزاق (د). الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص22، القاهرة 1971.

(2) معجم اللاهوت الكتابي ص47، انظر سفر التكوين 47: 29.

(3) أخبرني بذلك رئيس الطائفة الموسوية خلال لقائي به بتاريخ 1995/5/1.

(4) تاريخ الصلاة في الإسلام ص7 نقلاً عن كتاب (غرائب اللغة العربية) لروفائيل نخلة اليسوعي.

(5) دلالة الحائرين ص412.

(6) معجم اللاهوت الكتابي ص470.

(7) المصدر ذاته الصفحة نفسها.

(8) أبو صادق، تحقيق، التفليم ص82، دار البصرى، بغداد.

ولكن هذه النظرة تغيرت في الوقت الحاضر وأخذت مفهومها الصحيح[1]، وللصدقة مكانة سامية في تعاليمهم الدينية، فقد وضعوها إلى جنب أقدم شعيرة دينية، وهي تقديم القرابين للإله، ويرون أن حرمان المتصدق قسطاً من أمواله إنما يرتب لنفسه كنزاً[2].

ويقول المزمور (41) «طوبى للذي ينظر إلى المسكين»[3].

ومن مصاديقها لديهم دلالتها على الأمانة الشخصية في الممارسات اليهودية[4] وبمرور الزمن أصبحت الصدقة عمل تقوى، لها فعل تأثير الأضاحي والغفران من الذنوب.

وتشمل أحكام الزكاة عند اليهود كما وردت في التوراة على ما يلي:

آ ـ ترك جزء من المحاصيل ولقط السنابل للغرباء واليتامى والأرامل. تقول التوراة (إذا حصدت حصيدك في حقلك ونسيت حزمة من الحقل فلا ترجع لتأخذها. للغريب واليتيم والأرملة لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يديك)[5]. وتقول أيضاً: (وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زاويا حقلك وكرمك لا تعلله ونثار كرمك في الحصاد. ولقاط حصيدك لا تلتقط، للمسكين والغريب تتركه، أنا الرب إلهكم[6]. فالنص الأول لا يوجب الصدقة على اليهود إذ يقول (ونسيت حزمة من الحقل. . .) يدلل على ذلك، أما النص الثاني فيوجب عدم حصد زوايا الأرض المزروعة بل تركها للغريب والمسكين حقاً لهم.

ب ـ عشور كل ثلاث سنوات لصالح الذين لا يملكون أرضاً تخصهم كاللاويين والغرباء والأيتام والأرامل[7].

والكهنة اللاويون، يأخذون العشور على نتاج الضمان، وينتفعون بما يبقى في الهيكل من القرابين[8].

---

(1) أوضح رئيس الطائفة الموسوية أن إعطاء الصدقة لليهود أو لغير اليهود واجب ديني يتم تنفيذه دونما تمييز في العرق أو الدين ـ بل يذهب سفر الأمثال 25: 12 إلى أبعد من ذلك فيوجب التصدق على العدو (إذا جاع عدوك فأطعمه خبزاً، وإن عطش فاسقه ماء).

(2) الكلام لرئيس الطائفة الموسوية.

(3) مزمور (41)/1.

(4) التفليم ـ أبو صادق ص82.

(5) سفر التثنية 24: 19.

(6) سفر اللاويين 19: 9 ـ 10.

(7) معجم اللاهوت الكتابي ص470.

(8) الكلام لرئيس الطائفة اليهودية.

يقول العهد القديم[1]: (في آخر ثلاث سنين تخرج كل عشر محصولك في تلك السنة وتضعه في أبوابك، فيأتي اللاوي لأنه ليس له قسم ولا نصيب معك والغريب واليتيم والأرملة الذين في أبوابك ويأكلون ويشبعون لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك الذي تعمل) [2].

وورد أول ذكر للعشور على لسان الكاهن (ملكي صادق) الذي بارك (أبرام)[3] وقال: «مبارك أبرام من الله العلي مالك السموات والأرض فأعطاه العشر من كل شيء»[4]. وورد أيضاً قول التوراة (لأنه لا تفقد الفقراء من الأرض لذلك أنا أوصيك قائلاً افتح يدك لأخيك المسكين والفقير في أرضك)[5].

يقول رئيس الطائفة الموسوية: (إن عشر محصول الأرض والأنفال كان واجباً على بني إسرائيل. ونصف مثقال من الدينار لمن كان في العشرين من عمره أو فوق العشرين، غنياً كان أو فقيراً، وقد ورد في سفر الخروج ما نصه: كل الشاقل هو عشرون جيره، نصف الشاقل[6] تقدمة للرب مثل من اجتاز من المعدودين ابن عشرين سنة فصاعداً، يعطي تقدمة للرب، الغني لا يكثر، الفقير لا يقلل عن نصف الشاقل حين تعطون تقدمة للرب للتكفير عن نفوسكم) [7].

---

(1) العهد القديم ويسمى (تناخ) وإن أول من أطلق لفظ العهد القديم هو بولص الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (إصحاح 14/2) وهو مجموعة الأسفار التي كتبت في عهد عزرا، الكاتب الهاروني ومجموعها تسعة وثلاثون سفراً جمعها رجال السنهدرين سنة 538 ق.م انظر: تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص35.

(2) سفر التثنية 14: 28 ـ 29.

(3) إبرام هو اسم نبي الله (إبراهيم) عليه السلام القديم: للاطلاع راجع الشرقاوي محمود، الأنبياء في القرآن ص144، مطبوعات الشعب، وراجع الاختلاف حول وجهات النظر حول اسم إبراهيم الخليل، دائرة المعارف الإسلامية ج1، طبعة دار الشعب.

(4) محمد، قاسم، التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من آدم حتى سبي بابل ستار باريس للطباعة، الهرم، مصر، 1992.

(5) سفر التثنية 15: 11.

(6) الشيقل (مثقال) ويساوي (14.55) غم، أما (المن) يساوي (50 شيقل) ويعادل (727.5) غرام، و(الككار) يساوي (60 مَنْ) ويعادل (3000) شيقل للمزيد راجع علي، فؤاد حسنين (د.) المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده، ص112 مطبعة الرسالة، مصر 1966.

(7) سفر الخروج 30: 13 ـ 15.

حدثني (عزرا هارون درويش) (إمام الجماعة في معبد اليهود) قائلاً: (ما سقط من المحصول عند حصاده على الأرض لا يلتقطه المزارع، بل يتركه للغرباء والمساكين والطيور، ويفعلون ذلك مع بعض الثمار تلك كانت في الزمان القديم، أما الآن فيعمد أبناء ديننا إلى تقديم الصدقات كل حسب طاقته، نقداً أو محصولاً زراعياً. ويضيف إمام الجماعة قائلاً: (وكانت أموال الزكاة تدفع إلى بيت مال القدس ينال فيها نسبة واحدة من الستين رجال الدين، أما العشر فكان للاويين من آل هارون، ويوقف عشره لضيافة الوافدين والحجاج وينفق على إطعام عامة المسافرين والفقراء والأيامى والأيتام).

أما الزكاة التي كانت تجبى بنصف شاقل فإنها تدفع إلى خيمة الاجتماع في القدس، إذ كانوا ينفقونها في شراء أواني المذبح[1].

يقول سفر الخروج: (وتأخذ فِضة الكفارة من بني إسرائيل وتجعلها لخدمة خيمة الاجتماع فتكون لبني إسرائيل تذكاراً أمام الرب للتكفير عن نفوسكم)[2].

يقول رئيس الطائفة الموسوية (إن تحديد العشر في التصدق نسبة لا تضر بالمتصدق مادياً، فلا تضره بضيق أبداً بل هي نسبة بسيطة يستطيع اليهودي أداءها للمستحقين من الأقرباء، الأقرب فالأقرب، وعدت الصدقة جزءاً من مجريات الأعياد الدينية، فقد كان إكرام الفقراء كثيراً ما يرتبط بترتيب احتفالاتهم، إذ تقول التوراة على لسان نبي الله داوود عليه السلام: وقسم على جميع الشعب على كل جمهور إسرائيل رجالاً ونساء على كل واحد رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب ثم يذهب كل الشعب إلى بيته.

وفي عهد تدوين التلمود، كان هناك نظام خاص في التصدق على الفقراء، والإحسان إليهم يتلخص بتقديم وجبات الطعام اليومية والنقود أسبوعياً، ويعهد بهذا التكليف إلى شخصين أو ثلاثة من الثقات الأمناء، وتقوم طائفة أخرى مكونة من ثلاثة أفراد تقع عليهم مسؤولية الفحص في أمر السائلين والفقراء. وكان يجب عليهم أن يكلموا مهمتهم مراعين عواطف المساكين والفقراء، واستمر هذا التقسيم طويلاً، ولكن في القرون الوسطى انتشرت ظاهرة التسول في المجتمع اليهودي التي قضت على هذا التقسيم وخاصة في القرن السابع عشر، وصورت هذه الحالة وصفياً في كتاب (ملك الشحاذين) لمؤلفه (تانك ويل) وقضى اليهود على هذه الظاهرة بعد مرور عشرات السنين[3].

---

(1) انظر سفر الخروج 30: 13 ـ 15.

(2) سفر الخروج 30: 16.

(3) الأركان الأربعة ص138، نقلاً عن دائرة المعارف والأديان.

يقول الكاتب اليهودي (G.F.MOOR) في كتابه اليهودية (Judaism) إن المبدأ الأساسي لهذا التنظيم هو جمع الضرائب للأمور الدينية، كما جاء في القانون الأساسي لليهود وهو أن يقدم عشر هذا العشر إلى رجال الدين[1]. إلا أن نشاط اليهود وحماسهم لجمع أموال الزكاة اختلف قوة وضعفاً ويتبع درجة التزام الفرد اليهودي وتطبيقه لتعاليم الشريعة، وبمرور الزمن أخذ التهاون في دفع هذا الحق مأخذه في نفوسهم، مما أزعج رجال الدين وحدا بهم الأمر إلى إنذار أبناء دينهم بوقوع العذاب عليهم، وأن غضب الرب وسخطه سيحلان عليهم، ولكن العامة منهم لم يستجيبوا لنداء رجال الدين مما زاد ذلك في اكتناز الأموال، فأصبحوا أثرياء بفحش كبير فمالوا إلى التأويل والتعليل بمنعهم الامتثال لهذه الفريضة[2]، والجدول التالي يبين مورد ذكر لفظ (العشر) ومشتقاتها الواردة في التوراة:

فهرست (العشر) وإشتقاقاتها في التوراة:

عشر: سفر التكوين 14: 20، سفر اللاويين 5: 11، 27: 30 ـ 31 ـ 32، سفر العدد 18: 26، سفر التثنية 12: 17، سفر أخبار الأيام الثاني 31: 5 ـ 6، سفر نحميا 10: 37، 13: 12، سفر أشعياء 6: 13، سفر حزقيال 45: 11.

عشر الأعشار: سفر التثنية 13: 6، سفر عاموس 4: 4، 8: 3، سفر أشعياء 4: 6، 7: 13.

عشر يعشر أعشر: سفر التثنية 14: 22، سفر صموئيل أول 8: 15، 17، سفر تعشير: التكوين 28: 22، سفر التثنية 14 ـ 22، 26: 12.

(1) الأركان الأربعة ص138، نقلاً عن دائرة المعارف والأديان.

(2) المصدر ذاته، ص140.

المبحث الخامس

الصـــوم

تعد فريضة الصيـام مـن أقـدم التشـريعات اليهوديـة[1] بعـد شـعيرة تقديـم القرابـين في الهيكل[2] التي انتهى دورها بخراب الهيكل على يد (نبوخذ نصـر) عـام (587 ق.م) وحلـول الصلاة التقليدية محلـها. ويتسـع مفـهوم الصـوم كثـيراً لـدى اليـهود وسـبب ذلـك راجـع إلى اجتهاداتهم في إيجاد أنواع منه جلها مرتبط بالحدث التاريخي، وما أفرزته طبيعتهم العدائيـة للأمم التي عايشوها، أو عاصروها، والتي غلب عليها طابع الحـزن، نتيجـة لتعرضـهم لشـتى أنواع المحن.

ولم يعرف الصوم كتشريع وفريضة ملزمة، مستقلاً عن بـاقي الشـعائر، بـل يذكـر لفـظ (الصوم) أو ما يدل عليه مع سياق طقوس شكلية معقدة.

(ويذكـر الصـوم تذليـلاً للنفـس، وترويضـها أمـام مغريـات الجسـد)[3]. وأسـبغ شـراح (الكتاب المقدس) بشقيه القديم والحديث على الصوم معان عدة يراد بها جميعاً قصد التقـرب إلى الله تعالى. وهو يعني (مراقبة اليوم للحصول على الغفران الإلهي معتمداً على إخلاص توبـة المرء وإرشاده لأخيه الإنسان إلى الطريق الصحيح)[4].

تقول موسوعة الكتاب المقدس بأنه (الامتناع كلياً عن الطعام والشراب يوماً واحـداً)[5]، كما عرف الصيام بأنه (الإمساك عن الأكـل والشـرب مـن الصبـاح إلى المسـاء، إلا أن المفـروض

---

(1) الكاملي، ناصر الدين أبو الفتوح، الصوم في القديم والحديث ص 21، مطبعة الكونكورد (بلا سنة ومكـان الطبع).

(2) أن كثيراً من فترات العهد القديم تتضمن أنّهم في مرحلة من مراحـل تاريخـهم كـانوا يقدمـون أول مولـود ضحية لإلههم، وقديماً كانوا يقدمون الضحايا من البشر مثلما عمد إلى ذلـك (يفتـاح) أحـد (قضـاة) بـني إسرائيل عندما قدم ابنته الوحيدة، وفاءً بنذره عند رجوعه منتصراً في محاربة العمويـين، انظـر موسـوعة الكتاب المقدس ص 1346.

(3) دائرة المعارف الإسلامية، إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشناوي. د. عبـد الحميـد يونـس ج14 ص 396، مطبعة طهران/ معجم اللاهوت الكتابي ص 488 ـ 489.

(4) Encyclopaedia International Vol. 10, p.69.

(5) موسوعة الكتاب المقدس ص 202.

بشريعة موسى من غروب الشمس إلى مساء اليوم التالي)[1]، وفي فترة ما قبل السبي البابلي أخذ الصوم معنى الانقطاع عن الأكل عموماً، أما في كتب الأنبياء فقد جاء بمعنى (عدم أكل الخبز حصراً)[2].

وفي مدة الأسر أخذ الصوم طابع الحداد والحزن، وكان يلجأ إليه عند الخطر، ويؤديه الكاهن استعداداً للإلهام أو إذا اعتقد أن الله ساخط عليه[3]. كما عرف الصوم بأنه (الالتجاء إلى الرب لطلب الصفح عن الخطأ[4] أو التماس شفاء[5] أو بعد ترمل[6] أو بعد نكبة وطنية[7] أو لنيل وقف كارثة[8]، كما أنه تعبير عن تواضع النفس أمام الله، وهو ما يعادل إذلال النفس)[9]. (واتخذ الصوم معنى الممارسات الدينية في الفترة من بعد عام (332) ق.م وليس هناك أي إشارة إلى أن اليهود اعتبروا الصوم كممارسة تقية قبل الأسر البابلي يحصل فيها على الثواب)[10]، ومن مظاهر صومهم (أنهم كانوا لا يدهنون رؤوسهم بالزيت ويبكون وينوحون وينثرون الرماد على رؤوسهم ويتركون أيديهم غير مغسولة، ويلبسون المسوح)[11] وربطوا صيامهم بأعيادهم، أي جعلوا الصيام يسبق العيد وينتهي به مشاركاً لخمسة عشر عيد أو تزيد[12].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية 69/11.

(2) دائرة المعارف الإسلامية ج11 ص 69 ـ 70 طبعة طهران.

(3) راجع سفر صموئيل الأول 28: 20 وسفر اللاويين 16: 29.

(4) الأركان الأربعة. أبو الحسن علي الحسيني الندوي ص 189.

(5) انظر سفر دانيال 39.

(6) انظر سفر يهوديت 8: 5.

(7) انظر سفر صموئيل الأول 7: 6، وسفر صموئيل الثاني 1: 12، وسفر باروك 1: 5 وسفر زكريا 8: 19.

(8) انظر سفر يوئيل 2: 12 ـ 17، وسفر يهوديت 4: 9 ـ 13.

(9) انظر: المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان. عبد الرزاق محمد أسود ج1 ص 178، معجم اللاهوت الكتابي ص 488.

(10) معجم اللاهوت الكتابي ص 488.

(11) دائرة المعارف الإسلامية مجموعة من الباحثين، ج14 ص 396، طبعة طهران، الكتاب المقدس (أنا الألف الياء) العهد القديم ص 2017، دار المشرق، بيروت 1989.

(12) الصوم في القديم والحديث، ناصر الدين، أبو الفتوح العاملي ص 21، الكتاب المقدس (أنا الألف الياء) ص 162.

والصيام لديهم نوعان:

الأول: فردي (شخصي) ويسمى صوم الأسر ويقع في حالات الحزن الفردي أو عند التكفير عن خطيئة اقترفها أحدهم.

الثاني: هو الصوم الجماعي، وهو غير ثابت، وغالباً ما يفعلونه عند حدوث حزن عام يقلقهم كالصوم عند رداءة المحصول أو غارات الجراد أو الهزائم في الحروب[1].

لقد فرضت الشريعة اليهودية صوم يوم واحد في السنة وهو (العاشر من الشهر السابع) ويسمى يوم الغفران (يوم كبور) ويبدؤون صيامه قبل غروب الشمس بنحو ربع ساعة إلى ما بعد غروب الشمس في اليوم التالي بنحو ربع ساعة، فهو لا يزيد بحال عن خمس وعشرين ساعة متتالية وهو عاشوراء اليهود، وما زال فيهم حتى اليوم)[2].

يقول سفر اللاويين (ويكون لكم فريضة دهرية أنكم في الشهر السابع في عاشر الشهر تذللون نفوسكم)[3] وبعد الصوم البابلي أقيم صومان دوريان آخران: واحد في الشهر العاشر وهو تذكار لبدء حصار أورشليم وآخر في الشهر السابع وهو تذكار للاستيلاء على المدينة أخيراً[4]. يقول الحاخام (عزرا هارون درويش): إن صوم الغفران يبدأ قبل غروب الشمس بـ (20) دقيقة ويستمر إلى ما بعد غروب اليوم الثاني بعشرين دقيقة لكل من بلغ سنة الثالثة عشرة[5] واشترطوا في صيام يوم الغفران ألا يقع يوم الجمعة أو الأحد أو الثلاثاء[6] ومما يدل على أن فرض الصيام كان واجباً «أن موسى عندما اختار عشرة أسباط ليكمل الـ (70) شيخاً للقاء الله تعالى وبعد أن أصبحوا شيوخاً أمرهم موسى عليه السلام أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا

---

(1) أخبرت بذلك أثناء مقابلتي مع أعضاء مجلس الطائفة الموسوية في العراق منهم (روبين ناجي، عزرا هارون درويش)، ناجي سلمان عرب) بتاريخ 1995/2/9.

(2) موسوعة الكتاب المقدس ص 33، إصدار دار منهل الحياة، لبنان 1993.

(3) سفر اللاويين 16: 29.

(4) موسوعة الكتاب المقدس ص 202.

(5) خلال لقائي به في مبنى الطائفة بتاريخ 1995/4/7.

(6) ظاظا. حسن (د) الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه) ص 68. معهد البحوث والدراسات العربية. الإسكندرية 1971، محاضرات في المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده ص 59.

ثيابهم»[1]. وقيل إن مدة يوم الغفران هو سبع وعشرون ساعة من قبل مغيب الشمس لليوم الأول إلى ما بعد غياب الشمس لليوم الثاني[2].

ويرى ابن كثير في تفسيره: أن صيامهم من العتمة إلى العتمة وإذا ما صلى أحدهم ونام صام عن الطعام والشراب والنساء[3]. ويرغب في أيام الصوم إخراج الصدقات للفقراء والمساكين وإطعامهم العشاء التقليدي[4].

وكان الصوم يقترن بالصلاة، ومن مظاهره عندهم شق الثياب إلى الحد المسموح وذر التراب والرماد على الرؤوس وعدم تمشيط الشعر وغسل الجسم[5]، وفي يوم الغفران يلبس اليهودي اللباس الأبيض المسمى (التليث) ويسمونه الصوم الأبيض، أما أيام الصيام المستحبة الأخرى فيرتدون اللباس الأسود ويسمونها أيام الصوم السود[6]. وأضافوا أياماً أخرى للصيام مستحبة لديهم تذكاراً للأحداث التي مرت بهم وهي:

1 ـ صوم يوم رأس السنة[7].

2 ـ صوم الفترة من اليوم الثاني إلى اليوم الحادي عشر من بداية السنة، وفيها يصلون صلاة الاستسقاء لأجل أن ينزل الله المطر عليهم بعد انحساره وهو في تصورهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون فيه[8].

3 ـ صيام ثلاثة أيام متفرقة من الأسبوع، منها الاثنين والخميس تحديداً وهي الأيام المخصصة عندهم لقراءة وتدارس التوراة[1].

---

(1) الرازي، محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر الفخر، ج15 ص 19. دار الفكر ط3 بيروت 1405هـ ـ 1985م.

(2) الموسوعة اليهودية (باللغة العبرية) إصدار مجموعة العلماء اليهود، ج22 ص 629 تل أبيب.

(3) تفسير ابن كثير ج1 ص 276، ط3، دار الأندلس، بيروت 1406هـ.

(4) الأركان الأربعة ص 190.

(5) موسوعة الكتاب المقدس ص 2.

(6) Jonathan Z. Smith, Fast, The world book Encyclopedia. World book, Inc. Copyright, 1989 .Vol. 7m p.52-53

(7) دلالة الحائرين، موسى بن ميمون ص 656، الصلاة في الأديان الثلاثة ص 115، مقارنة الأديان اليهودية ص 2282، 1996.

(8) دلالة الحائرين ص 56 الموسوعة اليهودية باللغة العبرية ج 22، ص 629 الصلاة في الأديان الثلاثة ص116.

4 ـ صوم يوم التاسع من آب ذكرى سقوط أورشليم وتخريب الهيكل الثاني وهو يوم حزن لديهم[2].

5 ـ خصصوا أربعة أيام للحزن والصوم هي:

أ ـ اليوم العاشر من الشهر الخامس (يوم احتراق الهيكل والمدينة).

ب ـ اليوم العاشر من الشهر (يوم ابتداء حصار أورشليم).

جـ ـ يوم يظن أنه الثالث من الشهر السابع (يوم استباحة نبوخذ نصر لأورشليم قتلاً ونهباً).

د ـ اليوم التاسع من الشهر الرابع[3] من كل سنة وهو يوم استيلاء الكلدان على أورشليم[4].

---

(1) ابن خوجة، محمد الحبيب (د) يهود المغرب العربي ص 78، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية.

(2) Encyclopaedia, Britannica, Vol. 9, p.107- 108 Printed in U.S.A., 1970, By Ene Britannica Inc.

(3) نظام السنة اليهودية وإن كان سنة قمرية ذات (354) يوم إلا أنها بدخول الكبس عليها لم تحافظ على خصائصها، وكانت بعد ذلك أقرب إلى السنة الشمسية ذات (365) يوم والسنة اليهودية سنة شمسية الاثنا عشر قمرية وهي:

1 ـ تشرى (30) يوماً (أكتوبر).

2 ـ حشوان (29 أو 30) يوماً (آخر اكتوبر ـ نوفمبر).

3 ـ كسيلوا (29 أو 30) يوماً (آخر نوفمبر ـ ديسمبر).

4 ـ طبت (29) يوماً (آخر ديسمبر ـ يناير).

5 ـ شباط (30) يوماً (آخر يناير ـ فبراير).

6 ـ آذار (29) يوماً (آخر فبراير ـ مارس).

7 ـ نيسان (30) يوماً (آخر مارس ـ أفريل).

8 ـ أيار (29) يوماً (آخر أفريل ـ مايو).

9 ـ سيوان (30) يوماً (آخر مايو ـ يونيه).

10 ـ تموز (29) يوماً (آخر يونيه ـ يوليه)

11 ـ آب (30) يوماً (آخر يوليه ـ أغسطس).

12 ـ أيلول (29) يوماً (آخر أغسطس ـ سبتمبر).

وحتى يواطئوا عدد السنين والحساب فإنهم يكبسون ويزيدون شهراً هو (آذار الثاني) أي بين آذار ونيسان ويحسب الأول (30) والثاني (29) يوماً يفعلون ذلك سبع مرات كل (19) سنة. والسنة عندهم سنتان مدنية وتبدأ بتشرين ودينية وتبدأ بنيسان ـ للاطلاع راجع: محاضرات في المجتمع الإسرائيلي حتى تشريده، ص 95 ـ الفكر الديني الإسرائيلي (أطواره ومذاهبه) ص 68.

(4) البستاني، بطرس، دائرة المعارف ج11 ص 69 ـ 70، مؤسسة مطبوعاتي طهران.

6 ـ صوم ثلاثة أيام نادت به (استير) الزوجة اليهودية الجميلة لملك فارس (ازدشير بن بابك) قبل أن تنقذهم من مؤامرة (هامان) وزير الملك، فلما نجحت مؤامرتها اتخذوا لذلك عيداً، وقر فيهم الصيام، وسمي هذا العيد (فوريم) أي القرعة التي عملها (هامان) لإبادتهم فردت عليه، وقيل إن لها صياماً معروفاً باسمها يقع في (13) آذار[1].

7 ـ أما صيام موسى عليه السلام الذي صامه لمدة (40) يوماً فلا يصومونه لاستحالته عليهم، لأن موسى عليه السلام لم يفطر خلالها. يقول سفر الخروج (وكان هناك عند الرب أربعين نهاراً وأربعين ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء)[2]. والصيام المستحب يبدأ وقته من الشروق وينتهي عند ظهور أول نجم الليل[3].

8 ـ صيام (أول نيسان) ذكرى مقتل أولاد هارون في المخيم[4].

9 ـ صيام (10 نيسان) إحياء ذكرى وفاة النبية (مريام) التي بشرت اليهود بأن الخير سيعمهم عندما كانوا في التيه بالصحراء[5].

10 ـ وأدى اليهود صوماً شمل الإنسان والحيوان معاً، ويدل عليه ما جاء في سفر يونان[6] إذ يقول (فقام يونان وذهب إلى نينوى.. فآمن من أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم وبلغ الأمر ملك نينوى فقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد، ونودي في نينوى عن أمر عظمة الملك قائلاً لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً، لا ترع ولا تشرب ماء، وليتغط بمسوح الناس والبهائم)[7].

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 121.

(2) سفر الخروج 34: 28.

(3) الأركان الأربعة ص 190، دائرة المعارف، بطرس البستاني ج1 ص 69 ـ 70.

(4) The Jewish Encyclopaedia Vol.5, p. 345.

(5) Ibid Vol. 5. P. 345.

(6) يونان هو: نبي الله يونس عليه السلام.

(7) سفر يونان 3 ـ 3 ـ 8.

11 ـ صام الفريسيون القدماء يومين في الأسبوع إذ ورد في إنجيل توما ضرب أمثال الفريسي الملتزم بتعاليم دينه فيؤدي الصلاة والصيام (أصوم مرتين في الأسبوع)[1].

وذكرت الموسوعة اليهودية خمسة وعشرين ذكرى مقدسة حزينة يستحب الصيام فيها هي:

1 ـ (أول نيسان) مقتل أولاد هارون في المخيم.

2 ـ (10 نيسان) وفاة النبية مريام.

3 ـ (26 نيسان) وفاة يشوع بن نون.

4 ـ (10 أيار) وفاة أيل الكاهن الأعلى وأولاده وأسر الفلسطينيين للملك.

5 ـ (29 أيار) وفاة صموئيل الكاهن.

6 ـ (23 سيوان) توقف الإسرائيليون عن جلب باكورة المزروع والحيوانات.

7 ـ (25 سيوان) أعدم الكهنة سيمون بن جايد وإسمائيل بن إيلثار.

8 ـ (27 سيوان) احتراق حنينة عندما كان ممسكاً بصحيفة التوراة.

9 ـ (17 تموز) انكسار الألواح وتوقف أيام الأضاحي وحرق أبو سيتموس للتابوت وإدخاله حتماً إلى المكان المقدس ودخول الرومان للمدينة.

10 ـ (أول آب) ذكرى وفاة هارون الكاهن.

11 ـ (9 آب) ذكرى خراب المعبد في القدس للمرة الأولى والثانية.

12 ـ (18 آب) انطفاء النور الغربي زمن الآحاد.

13 ـ (17 أيلول) وفاة الجواسيس نتيجة حدوث وباء.

14 ـ (3 تشرى) مقتل جداليا وجماعته في مدينة مرباح.

15 ـ (5 تشرى) وفاة (20) إسرائيلياً في سجن أكيبا.

16 ـ (7 تشرى) اليوم الذي سن به بأن يقتل الإسرائيليون بالسيف والجوع بسبب العجل الذهبي.

17 ـ (16 و7 ما دخوان) الذي أفتا به نبوخذ نصر عيون صدقيا وقتل أولاده.

---

(1) إنجيل لوقا 18: 12.

18 ـ (17 أو 28 اكلسيت) اليوم الذي أحرق به يهوه ياكيم النصوص التي كتب عليها باروخ ما أملاه عليه أرميا.

19 ـ (9 تبيشو) ترجمة التوراة اليونانية زمن بطليموس. ظلمة في العالم لثلاثة أيام.

20 ـ (9 تبيشو) وفاة عزرا.

21 ـ (10 تبيشو) حصار نبوخذ نصر للقدس.

22 ـ (8 شباط) وفاة المنقبين دون يشوع.

23 ـ (23 شباط) تجمع الإسرائيليين لحرب قبيلة بنيامين.

24 ـ (7 آذار) وفاة موسى عليه السلام.

25 ـ (9 آذار) الخصام بين بيت شامال وبيت وهليل[1].

والصوم عند اليهود اتخذ عدة مناح منها:

الامتناع عن العمل، إذ أوجب العهد القديم الامتناع عن العمل أياماً هي[2]:

أ) السبت من كل أسبوع متخذاً للمخالفين أشد العقوبات التي تصل إلى حد القتل والرجم (كل من صنع عملاً في يوم السبت يقتل قتلاً)[3] (فأخرجه كل الجماعة إلى خارج المحلة ورجموه بحجارة)[4].

ب) اليوم الأول واليوم الأخير من عيد الفطر الذي يستغرق سبعة أيام[5]، تقول التوراة (لا يعمل فيها عمل ما إلا ما تأكله كل نفس فذاك وحده منكم)[6].

جـ) اليوم الخمسون من قربان، وقال الرب يا موسى «قل لبني إسرائيل في الشهر السابع في أول الشهر يكون لكم عطلة، تذكار هتاف البوق بحفل مقدس، عملاً من الشغل لا تعملوا لكن تقربون وقودا للرب»[7].

(1) راجع: الموسوعة اليهودية (باللغة العبرية) ج12، ص 628 وما بعدها، يهود المغرب العربي ص 78 وما بعدها.

(2) الصيام من البداية حتى الإسلام، د. علي الخطيب ص 142، مقارنة الأديان ـ الإسلام، ص 150.

(3) سفر الخروج 31: 15.

(4) سفر العدد 15: 36.

(5) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 143.

(6) سفر الخروج 12: 23 ـ 25.

(7) سفر اللاويين 23: 25.

(ويعمل حالياً بجميع مضامين النصوص المتقدمة أعلاه، فيوم السبت على الرغم من قدسيته لديهم إلا أنهم يعملون فيه بالضرورة. أما المتبقون منهم فلا يعملون. أما في عيد الفطر فهو عطلة دينية لهم فلا يعملون فيها. ولكن ذلك لا يمنع من قيامهم بالأعمال التجارية..)[1].

والأيام التي لا يسمح فيها إلا بعمل واحد هي:

أ) يوم تذكار هتاف البوق وهو أول الشهر السابع، تقول التوراة (عطلة هتاف البوق بحفل مقدس).

ب) يوم الكفارة من عاشر الشهر السابع ولا عمل فيه إلا القربان.

جـ) اليوم الأول من عيد المظل والثامن عقبه[2].

وهو تقديم القربان وهو أداء لشعيرة دينية[3]. وقد أبطلت تقديم القرابين اليومية بعد السبي البابلي فصام اليهود عوضاً عن ذلك يوماً واحداً وعرف (بصوم تموز)[4] وهو تذكار لتدمير (أورشليم).

ولكنهم منذ أن أخذوا في بنائها، أصبح هذا الصوم على ما يبدو غير مناسب واليهود مجبولون بحكم طبيعتهم المادية الاستغلالية على كنز الأموال والمدخرات والمحاصيل الزراعية فجاء هذا الصوم (الامتناع عن العمل) محك اختبار حقيقي في صدق تعاملهم مع الشريعة التي نهتهم عن التوقف عن العمل في كل شيء حتى عن مصادر الإنتاج الرئيسية. وفي هذا الخصوص يقول العهد القديم: (لكي أمتحنهم أيسلكون في ناموسي أم لا؟)[5].

صوم الصمت:

هو استغراق الصامت في صمته المصحوب بذلة التوبة والندم والشعور بالخطيئة وهي رغبة منوطة بالاختبار وليس لها وقت محدد، وهي شعيرة دينية أخذها اليهود من الشعوب

---

(1) مقابلة مع رئيس الطائفة الموسوية (الحاخام روبين).

(2) راجع سوسنة سليمان في: أصول العقائد والأديان، نوفل بن نعمة الدين ص 11 بيروت، 1876 وانظر أيضاً:

- Encyclopaedia International, Vol. 10, p. 67.

(3) سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، ص 11، نوفل بن نعمة الدين جرجيس نوفل ـ بيروت.

(4) سفر اللاويين 23: 25، الصيام من البداية حتى الإسلام ص 143.

(5) سفر الخروج 16: 4 وانظر: سفر اللاويين 25: 20 ـ 21.

القديمة وتمثل رغبة عن الحديث إلى الناس بالتفرغ للعبادة[1]. وقد حوت ديانتهم على ثلاثة ضروب من الصمت هي[2]:

أ ـ **صمت السلوك**: وهو (كسلوك اجتماعي ناجح يبقي على الناس حبهم واحترامهم)[3]. ويصور العهد القديم الصامت عاقلاً إذ يقول: (ولذلك يصمت العاقل)[4]. ويرى كذلك (الجاهل يكثر الكلام)[5]، كما يصف الخصم بعد المجادلة بأنه سريع الغضب ناقص الفهم فيقول العهد (المحتقر صاحبه.. فيسكت)[6]. وهناك إشارة إلى هذا النوع من الصوم عندما صمت بنو إسرائيل وجميع الشعب وجاءوا إلى (بيت إيل) وبكوا وجلسوا هناك أمام الرب وصاموا ذلك اليوم إلى المساء)[7].

ب ـ **آية الصمت**: ولهذا النوع إشارات إحداهما في التوراة والأخرى في القرآن الكريم. فالتوراة تذكر أن حزقيال قد خوطب بالانعزال عن بني إسرائيل بعدما تمادوا في طغيانهم وتكرر الخطيئة من لدنه. تقول التوراة (اذهب، أغلق على نفسك.. لأنهم بيت متمرد)[8]، وكذلك عندما أخبرهم بقرب خراب (أورشليم). يقول العهد (وكان في السنة الثانية عشرة.. ولم أكن بعد أباكم)[9] أما إشارة القرآن الكريم فيحدثنا بها زكريا عليه السلام، حين بشرته الملائكة بيحيى من زوجته العقيم فقد طلب إلى ربه آية يعرف بها ليتلقى تلك النعمة بالشكر لربه فقال له تعالى ﴿ . . . ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾[10].

---

(1) معجم اللاهوت الكتابي ص 88، والصيام من البداية حتى الإسلام ص 135.

(2) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 135.

(3) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 135.

(4) سفر عاموس 5: 13.

(5) سفر الجامعة 10: 14.

(6) سفر الأمثال 11: 12.

(7) الصوم في القديم والحديث (ناصر الدين، أبو الفتوح العاملي) ص 25.

(8) سفر حزقيال 3: 25 ـ 27.

(9) سفر حزقيال 33: 21 ـ 22.

(10) سورة آل عمران الآية 41.

جـ ـ صيام الصمت: وهو استغراق الصامت في صمته ضارباً على نفسه ثوب التوبة من الخطايا والندم على ما اقترفه اللسان من بذئ الكلام وفاحشه. وهذا النوع من الصيام معروف لدى الديانات القديمة، كما أنه ليس له وقت محدد. وعبارة (قدسوا صياماً) و(نادوا باعتكاف) متكررة في العهد القديم، ويجد الصامت نفسه تائباً لربه، مستشفعاً بصمته. كما في توبة (اخاب) وذلته، يقول العهد (شق ثيابه وجعل مسحاً على جسده واضطجع بالمسح ومشى بسكوت)[1] وكذلك نصيحة داوود عليه السلام لبني إسرائيل: يقول العهد: (ارتعدوا ولا تخطئوا.. تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا)[2].

ويؤمر حزقيال بالصمت فيطيع وقد خوطب في ذلك: (يا بني البشر.. ارتعدوا ولا تخطئوا.. تكلموا في قلوبكم على مضاجعكم واسكتوا)[3]، وجاء بسفر حنينا (اسكت قدام السيد الرب لأن يوم الرب قريب)[4].

ويشير القرآن الكريم إلى صيام الصمت في بني إسرائيل، فقد مارسته العذراء مريم عليها السلام، قال تعالى على لسان مريم عليها السلام ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[5].

وحرموا أكل بعض أنواع الطعام كاللحوم في أثناء الصيام إذ حرم بعضها ظرف خاص، أو لاتصافه بصفة معينة أدت إلى تحريمه وهي: إذا حرم بعضها في ظرف خاص، ولما لحقته من صفة معينة أدت إلى تحريمه وعُدَّ صوماً أبدياً وهي[6]:

1 ـ **القربان:** الذي يقدم عن طريق الكاهن في المناسبات، (فقد يكون بقرة أو غنماً أو طيراً أو دقيقاً أو زيتاً أو لبناً، وبعضها يحرق كله ويحرم أكلها، أو يحرق جزء منه والباقي من نصيب الكاهن يحل له أكله أو أكل بعضها)[7].

---

(1) سفر الملوك الأول 21: 27.

(2) مزمور 4: 4.

(3) مزمور 4: 4.

(4) سفر حنينا 1: 7.

(5) سورة مريم الآية 26.

(6) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 124.

(7) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 125.

2 ـ **الحيوان:** ويشمل كل حيوان مشقوق الظلف ـ أي مشقوق الظفر ـ أو مجتر مثل الجمل والأرنب والخنزير ومن الطير النسر والعقاب والحدأة والبوم والكركي والبجع، والباشق بأنواعه، واللقلق والببغاء بأجناسه والهدهد والخفاش بأنواعه، كما حرم عليهم من حيوان البحر ما ليس ذا زعانف وحرشف وكذلك كل ما يمشي على بطنه أو على أربع من كل ما كثرت أرجله ومن كل ما يدب على الأرض. ولا يستثنى من ذوي الأربع إلا ما كان ذا (كراعين) يثبت بهما على الأرض فما كان كذلك كالكبش وغيره فقد حل، وحرم بصفة خاصة أكل اللحم النيء والمطبوخ في عيد الفطير وجاز لهم تناول اللحم المشوي.

3 ـ **الشحم:** تقول التوراة (كل شحم ثور أو كبش أو ماعز لا تأكلوا)[1].

4 ـ **الميتة:** فقد حرم ميتة حاصل طعامه وحرم شحم البهيمة وشحم بهيمة افترست كما حرم كل حيوان نطح إنساناً فقتله[2].

5 ـ **النجس:** مثل الدم وكل دم مسفوح حرام في الطير والبهائم.

6 ـ **الخمر:** وقد ورد تحريمها عند الدخول في خيمة الاجتماع في أثناء التيه في الصحراء وعدا وصية أوصى بها (يوناداب) بنية ألا يقربوا الخمر.

يقول العهد: «فقالوا لا تشرب خمراً لأن يوناداب بن يحارب أبانا أوصانا قائلاً: (لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد)[3]. وفي ذلك إشارة إلى تحريم أبدي للخمر وليس فقط في أيام الصوم. وليس في العهد القديم ذكر أن موسى عليه السلام شرب خمراً. ويتمسك شراح التوراة بتحريم اللحم ونتاجه بما ورد في سفر دانيال، وهي من أسفار الأنبياء وقوله زمن السبي ـ أي بعد وفاة موسى عليه السلام بقرون عدة ـ (وفي تلك الأيام أنا دانيال كنت صائماً ثلاثة أسابيع لم آكل طعاماً شهياً ولم يدخل في فمي لحم ولا خمر ولم أوهن حتى تمت ثلاثة أسابيع»[4].

---

(1) سفر اللاويين 7: 23.

(2) راجع سفر اللاويين 7: 11 وسفر الخروج 12: 22.

(3) سفر أرميا 35: 6.

(4) سفر دانيال 10: 2، 3.

وكلام دانيال لازمه (استجابة شخصية لزهد شخصي في لذيذ المأكل والمشرب والتنعيم كله نتيجة آلام الأسر التي يعانيها بنو إسرائيل من حوله في أرض السبي)[1]. ومع ذلك فلم يشاركوه في هذا الصوم.

ولو كان هذا التشريع من التوراة المنزلة على موسى عليه السلام لنادى بها قومه وما أسرع ما يستجيب له بنو إسرائيل طلباً لمرضاة الله خاصة وهم في الأسر.

ولا يمكن اعتبار صوم دانيال هذا فعلاً واجباً، وكالذي نادت به (استير)[2] فاستجيب له وصامه بنو إسرائيل بأمرها ثلاثة أيام[3].

ولو قضى دانيال في صيامه هذا على بني إسرائيل لخالف ما قاله موسى عليه السلام لكل إسرائيلي (إذ وسع الرب إلهك تخوفك كما كلمك وقلت: تأكل لحماً لأن نفسي تشتهي أن تأكل لحماً كل ما تشتهي نفسك تأكل لحماً)[4].

ولم يستثن موسى عليه السلام وقتاً يمنع فيه اللحم والنص لا يحرم اللحم. وصيام دانيال أقرب إلى (وصال الصيام) الذي مارسه الأنبياء (موسى ومحمد عليهما السلام)، فموسى عليه السلام صام أربعين يوماً، ولم يعد هذا الصيام فرضاً على قومه وصام عيسى عليه السلام مثلها ولم يصمه المسيحيون من بعده، وصام المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم هذا الصيام وأراد بعض الصحابة مواصلته فنهاهم عن ذلك فلما ألحوا واصل بهم يوماً ثم يوماً[5].

وفي الأسر البابلي صاموا أربعة أيام هي:

1 ـ صوم الشهر الرابع (تموز) ذكرى تدمير أورشليم والهيكل (587 ق.م) ولكنهم ما أن أعادوا بناءه أصبح هذا الصوم غير مناسب[6].

2 ـ صوم الشهر الخامس من (آب).

---

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 130.

(2) (استير) الزوجة اليهودية لملك اليهود (أورشير بن بابل) الذي يطلق عليه العهد القديم (أحشويروش) نادت استير بصوم ثلاثة أيام قبل أن تنقذهم من مؤامرة (هامان الوزير).

(3) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 131، بتصرف.

(4) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 132.

(5) المصدر ذاته والصفحة ذاتها.

(6) الكتاب المقدس (أنا الألف الياء) العهد القديم ص 2017 ولم يذكر صاحب المصدر سبب صيام اليهود في الفقرات 2، 3، 4.

3 ـ صوم الشهر السابع من شهر (تشرى).

4 ـ صوم الشهر الثامن من شهر (تبيتو)[1].

وكان بعض الربانيين يعدون صوم هذه الأيام واجباً عنـد الأزمـات وهنـاك أيـام أخـرى للصوم وضعوها لإحياء ذكرى بعض الأيام خاصة أيام النكبات ولم يتقبلها عامة الناس)[2].

وخلاصة الكلام في هذا البحث:

أن اليهود لم يأخذوا بما جاء به موسى عليه السلام في صيامه الأربعيني، وعدوه صياماً خاصاً بنبيهم، وهو تعليل باطل لأن موسى عليه السلام لم يخبرنا بأنه صوم خاص به.

وفريضة الصوم لها دور عظيم في الشعائر الدينية لـما تؤديـه مـن صقـل النفس البشـرية بطباع وأخلاق سامية عظيمة، والشريعة اليهودية عندما نزلت كأول تشريع كتابي مدون لدينـا لا يمكن أن تفرض صيام يوم واحد فقـط إلى جـانب تشـريعات فقهيـة متنوعـة نظمـت الحيـاة الدينية لهم بدقة، وكأن فرض هذا اليوم كعدمه، فما فائدة صوم يوم واحد في مدار السنة علـى الإنسان؟ وهل تأثيره كتأثير صيـام ثلاثـين يومـاً أو أربعـين يومـاً في النفـوس بحيـث تصقلـها وتهذبها روحياً؟

فهرست أدلة الصيام في التوراة:

1 ـ لزومه: سفر طوبيا 12: 8 سفر يوئيل 2: 12.

2 ـ فضله: سفر يهوه 4: 8، 8: 6، سفر أرميا 35: 194.

الصوم عن الموتى: سفر الملوك الأول 31: 13، سفر الملوك الثاني 1: 12، 3: 35، سفر الأيام الأول 10: 12، سفر الملوك الأول 14: 24، سفر الأيام الثاني 20: 3، سفر عزرا 8: 21.

صوم الأربعين وأمثاله في موسـى عليـه السـلام: سـفر الخـروج 24: 18، 34: 28 سـفر التثنية 9: 9، 18.

3 ـ أمثال الصوم: سفر الخروج 24: 8، 24: 28، سفر التثنية 9: 19، 18، سـفر القضـاة 20: 26، سفر الملوك الأول 7: 6، 31: 13، سفر الملوك الثـاني 13: 15، 12: 16،

(1) الأركان الأربعة ص 289 ـ 190، الكتاب المقدس (أنا الألف الياء) العـهد القديـم ص 2017، والمصـدران مطابقان لما قاله لي رئيس الطائفة اليهودية.

(2) الكتاب المقدس (أنا الألف الياء) ص 2018.

سفر أخبار الأيام الثاني 20: 3، سفر عزرا 8: 21. سفر تحميا 1: 4، سفر طوبيا 10، سفر يـهوه 8/4، 8، 6، مزمـور 34: 13، سـفر أرميـا 36: 9، سـفر دانيـال 10: 3، سفرمتي 4: 2، 14/9، سفر عاموس 1: 3، 14: 22.

صائماً صائمين: سفر دانيال 6: 18، سـفر أشـعياء 10: 30، 14: 23. صام صلمـوا صمـت صمتم صمنا: سفر صموئيل الأول 31: 13، سـفر صموئيـل الثـاني 12: 12، سفر عـزرا 8: 23، سفر تحميا 1: 4، سفر أشعياء 58: 3، سفر زكريا 7: 5، سفر أرميا 13: 3.

يصوم يصومون: سفر أرميا 14: 12.

تصومون أصوام، تصوم صوماً: سفر استير 4: 16، سفر أشعياء 58: 4.

صوم: سفر أخبار الأيام الثاني 20: 3، سفر عزرا 8: 21، سفر تحميا 9: 1 سفر استير 4: 3، مزمور 35: 13، 24/10، 69: 10. سـفر أشـعياء 58: 3، سـفر أشـعياء 58: 5، سفر أرميا 36: 6، سفر أرميا 36: 9 سفر دانيال 9: 3، سفر دانيـال 9: 3، سـفر زكريا 8: 19.

صاموا صمت صمتم صمت صمنا: سفر صموئيل الأول 31: 13 (صاموا سـبعة أيـام) سـفر صموئيل الثاني 12: 12 (لما كان الولد حياً صامت) سفر عزرا 8: 23 (فصمنا وصبينا من إلهنا).

4 (نمت أياماً وصمت وصليت)، سفر أشعياء 58: 3 (يقولون لماذا صمنا) سـفر زكريـا 7: 5 (لما صمتم فهل صمتم صوماً)، إنجيل متى 4: 2 (فبعد ما صام أربعين نهاراً)، إنجيـل متى 16: 17 (متى صمت فادهن رأسك و (أو) 13: 3 (فصاموا فحينئذ وصلوا).

يصوم يصومون: سـفر أرميـا 14: 12 (حـين يصومـون لا أسمـع)، إنجيـل متـى 9: 14 تلاميذك فلا يصومون. إنجيل متى 9: 15 (فحينئذ يصومون).

تصومون أصوام فصوم صوموا: سفر أشعياء 4: 16 صوموا من جهتي، نصوم: سفر أشعياء 58: 4 لستم تصومون كما اليوم).

صوم: سفر أخبار الأيام الثاني 2: 3 ونـادى بصـوم في كـل يـهوذا. (سـفر عـزرا 8: 21 وناديت هناك يصوم).

(غ 9: 1 واجتمع بنو إسرائيل بالصوم).

سفر استير 4: 3 وصوم وبكاء ونحيب.

مزمور 13/35 أذللت بالصوم نفسي، مزمور 9 ـ 1: 24 (ارتعشنا من الصوم) مزمور 69: 10 وأبكيت بصوم نفسي سفر أشعياء 58: 3 في يوم صومكم توجدون سفر أشعياء 58: 5 هل تسمي هذا صوماً.

سفر أرميا 36: 6 في يوم الصوم واقرأه أيضاً.

سفر أرميا 9: 3 والتضرعات بالصوم مسوحاً.

سفر زكريا 8: 9 صوم الشهر الرابع وصوم يوم 3: 5 ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً[1].

---

(1) راجع الكتاب المقدس، العهد الجديد مطبعة المرسلين اليسوعيين ص 566. وفهرست الكتاب المقدس ص 50 مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ص 41.

المبحث السادس
الحـــــــج

عرف البشر الحج بمفهومه العام منذ القدم. إذ لم توجد أمة من الأمم أو ديانة عند الناس إلا وعندها أماكن مقدسة تشد إليها الرحال، ويسعى الجميع إليها تبعاً لطرق وتقاليد وآداب كل سفر ديني، والإنسان غالباً ما يوجه أشواقه إلى ما يعتقد فيه القدسية، ووجوب الاحترام، ليشبع به رغبته في التعظيم لتلك الأماكن، منمياً حسه الديني، متغلباً على تأنيب الضمير.

وهو عندما يقيم تلك المراسيم في مشاهد جماعية روحية تشده، مع بني جنسه، ارتباطاً أقوى مع الإله المعبود، تنعكس إيجاباً على وضعه النفسي، فتتحسن وتهدأ حاله وتتطور.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾[2].

والحج عندهم هو: (رحلة يقصد بها المؤمنون إلى مكان مقدس بظهور إلهي أو بنشاط معلم ديني من أجل تقديم صلاتهم في إطار ملائم لذلك بصفة خاصة، ويجري التمهيد للحج ببعض طقوس التطهير وتتم الزيارة في تجمع من شأنه أن يظهر للمؤمنين الجماعة الدينية التي ينتمون إليها)[3].

وفرض التطور الزمني على اليهود مزارات متعددة متأثرين بالأقوام التي سبقتهم شكلاً ومضموناً، كما حدث من اقتباس اليهود للمعابد الكنعانية والآشورية.

(1) سورة الحج الآية 67.

(2) سورة الحج الآية 34.

(3) معجم اللاهوت، مجموعة باحثين لاهوتيين، ص257.

(ورواة التاريخ يجادلون في تبني مشروعية المعابد الكنعانية بحجة استخدامها من قبل الأنبياء السابقين وظهور التجليات الإلهية فيها على يد الأنبياء مثل إبراهيم وإسحق ويعقوب)[1].

والعهد القديم يذكر لبني إسرائيل مزارات مرتبطة بتاريخه المقدس، وفرض الحج بالمعنى الحصري في قول سفر التكوين: (ثم قال الله ليعقوب قم اصعد إلى بيت إيل وأقم هناك مذبحاً لله الذي يظهر لك حيث هربت من وجه عيسو أخيك)[2].

وفرضت التوراة في سفر الخروج على كل يهودي أن يحج إلى (المعبد المقدس) ثلاث مرات في السنة وجاء في سفر الخروج (ثلاث مرات يعيد لي في السنة)[3]، ويقول أيضاً (ثلاث مرات في السنة يظهر جميع ذكورك أمام السيد الرب إله إسرائيل)[4].

وتقول الموسوعة اليهودية: إن أداء الحج فرض على الذكور فقط دون الإناث والقاصرين والعميان والعرجان والمسنين، والمريض بالعقل والجسم، وكل شخص عليه أن يقدم شيئاً لم يحدد قيمته (صدقة)[5].

إن هذا التشريع لم يعمل به اليهود اليوم، يقول الحاخام روبين (يحج الجميع اليوم إلى (القدس) (المدينة المقدسة) حيث حائط المبكى، الذي يعده بديلاً للهيكل والمعبد اللذين لا وجود لهما الآن).

ويضيف كل من (ناجي سلمان) و(عزرا درويش) عضوا الطائفة اليهودية الموسوية في العراق قولهما:

«في الوقت الحاضر لا يعتبر الحج واجباً ملزماً اختيارياً على كل يهودي ذكر أو أنثى، شاباً أو شيخاً».

أما الدكتور أحمد شلبي فينقل عن كتاب (اليهودية Judaism) ومؤلف الموسوعة اليهودية قوله: إن كل يهودي رشيد يتحتم عليه أن يزور (بيت المقدس) مرتين في العام، وأن يبقى أسبوعاً كل مرة، ويبدأ الأسبوع يوم الجمعة[6].

---

(1) معجم اللاهوت، مجموعة باحثين ص257.

(2) سفر التكوين 35: 1.

(3) سفر الخروج 23: 14.

(4) سفر الخروج 34: 23.

(5) The Jewish Encyclopaedia. N.Y.

(6) مقارنة الأديان، اليهودية، ص21، ط4، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص67.

ويقرر تاريخهم أنه من أول القرن الرابع عشر قبل الميلاد كانوا يحجون إلى الموضع الذي به تابوت العهد، وكانوا لا يكتفون بحجة واحدة[1]. ويستخدمون الآلات الموسيقية المختلفة في صعودهم إلى (أورشليم) حتى تخفف من أتعابهم بالترنم[2].

والمفسرون العرب يرون أن المعنى الاصطلاحي للفظ الحج باللغة العبرية الذي يعطي معنى (يطوف) أو يدور، قريب من المفهوم الإسلامي للحج في الطواف حول الكعبة الشريفة[3].

ويكاد يتفق اليهود جميعاً على أداء فريضة الحج إلى (بيت المقدس) إلا فرقة السامريين (الذين يتوجهون في قبلتهم إلى جبل يقال له (عزيزيم) بين بيت المقدس ونابلس، إذ قالوا إن (يهوه) أمر داوود النبي أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله موسى عليه السلام فيه فتحول داوود إلى بيت المقدس وبنى البيت فيه مخالفاً أمر الرب[4].

وقد كان الاحتفال بعيد الفصح يعد حجاً عاماً عند اليهود ولكنه أصبح أكثر أهمية في (أورشليم) بعد مجيء المسيحية[5] ومناسك الحج وعدوها عيداً لهم فأصبحت المناسبتان وكأنهما مناسبة واحدة، والأعياد المرتبطة بالحج التي تقام في أورشليم هي:

1 ـ **عيد الفصح:** وفيه يحيي اليهود ذكرى الخروج من مصر ويعني الاجتياز وعبور موسى عليه السلام البحر، ويدور هذا العيد بين الثاني عشر من آذار إلى الخامس عشر من نيسان[6].

---

(1) مجلة معهد الإسكندرية الديني ص142، العدد الأول، السنة الأولى، ذو القعدة 1374هـ ـ يوليو 1955، مطبعة الأزهر، مصر.

(2) ومن الغريب أن نصي سفري التكوين والخروج واضحان في تحديد الحج ثلاث مرات في السنة دونما لبس أو غموض، وخلال مقابلاتي المتكررة مع أعضاء المجمع اليهودي يؤكدون على أن الحج مفروض عليهم مرتين وعندما واجهتهم بالنصين الآنفي الذكر، أبدوا استغرابهم من ذلك ولم يبرروا لي قولهم بالمرتين.
انظر: تفصيل الكتاب المقدس ـ بدون مؤلف ـ ص201، المطبعة الأمريكانية 1915، وانظر المزمور المرقم (84) والمزمور (123) سائر مزامير الصعود.

(3) يقول رئيس الطائفة الموسوية: في الوقت الحاضر يحج إلى (بيت المقدس) مرة في العام لمن له القدرة المادية والجسدية على تحمل السفر، وهو واجب خياري وتاركه ليس بآثم ولكنه لن يحصل على الثواب المرجو من أداء هذا الفرض. انظر: دائرة المعارف الإسلامية، مج7، ص304، طبعة طهران.

(4) انظر: سفر الملوك الثاني 23، وسفر أخبار الأيام الثاني 35.

(5) انظر: موسوعة الكتاب المقدس ص32.

(6) مقارنة الأديان اليهودية، وانظر: سفر القضاة 21: 9، وسفر الملوك الأول 8: 2.

2 ـ **عيد المظال**: وهو يطلق على الحج مجازاً[1]، ومدته ثمانية أيام من الخامس عشر من تشرين الأول، وحتى الثاني والعشرين منه، وهو يوم حج لهم، يجلسون خلاله تحت ظلال سعف النخيل وأغصان الزيتون، ويسميه يهود العراق (عيد العرازيل) وهي الخيام المصنوعة من سعف النخيل أو القصب تخليداً لإظلال الله لأجدادهم في أيام التيه عند خروجهم مع موسى عليه السلام في سيناء[2].

3 ـ **عيد الأسابيع (العنصرة)**: وفيه يقرؤون سفر (راعوث) الذي يذكرهم بالحصاد ولمناسبة إعطاء الشريعة لموسى عليه السلام والتصدق بجزء من محاصيلهم[3].

والأعياد الثلاثة وردت في (المشنا) وتسمى (بالرؤيا) أو (الظهور)[4].

والحج إلى بيت المقدس يسمى (الزيارة Reyiah)[5] أو أيام الزيارة مثلما يسميها يهود المغرب وشمال إفريقيا، فيزورون قبور عظمائهم، وممن اشتهر منهم كنبي أو ملك، أو رجل صالح إذ يكثرون الدعاء وطلب التوبة. (ويجتمعون فيه مساء اليوم السابع عشر من تموز إلى اليوم التاسع من آب ثلاثة وعشرين يوماً متتالية مقابل الجدار الغربي لهيكل سليمان وتبدأ هذه العبادة في اليوم التاسع من آب من نصف الليل)[6].

وقديماً اهتم اليهود بأماكن مقدسة أخرى غير بيت المقدس، فأعطوها قدسية واحتراماً باعتبارها أماكن للعبادة ظهرت فيها تجليات إلهية، وخاصة الجبال مهبط الوحي مثل (جبل حوريب) في طور سيناء، إذ نادى الله سبحانه كليمه موسى عليه السلام وأعطاه الشريعة.

(فقال لا تقترب إلى ههنا، اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة)[7].

---

(1) دائرة المعارف الإسلامية مج13، ص351، مطبعة الشعب مصر، وانظر: سفر القضاة 21: 9 وسفر الملوك الأول 8: 2.

(2) تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص65.

(3) الكتب التاريخية في العهد القديم ص42، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص65، انظر سفر التثنية 16: 1 ـ 17.

(4) The Jewish Encyclopaedia Vol, x. p.35.

(5) الأركان الأربعة ص279 ـ 280، نقلاً عن الموسوعة اليهودية.

(6) الأركان الأربعة ص28.

(7) سفر الخروج 3: 5.

وصعد (إيليا) النبي إليها[1] وكذلك صعد (اليشع) على جبل الكرمل ومما جاء في تقديسهم للجبال احتواؤها على مكان المذبح حيث تقام الذبيحة أولاً ومكان التابوت بعد رجوعه من فلسطين ثانياً[2]، كما تتلى الأدعية واللعنات على جبلي (جاريزيم) و(هيبال)[3] «فأجعل البركة على جبل جرزيم واللعنة على جبل هيبال»[4].

واليهود اقتبسوا هذا التقليد من الكنعانيين إلا أنهم خصوا به (يهوه) فقط، لذا فهم انتهوا إلى تركز العبادة في مكان واحد بعدما كانت المزارات عندهم متعددة. ويعد (الهيكل) مزاراً يؤمه الحجاج احتفالاً بالأعياد السنوية[5]، وينتصب (جبل صهيون) كملجأ أمين لهم وحصن لبني إسرائيل، يقول سفر يوئيل (والرب من صهيون يزمجر ومن أورشليم يعطي صوته فترتجف السماء والأرض، ولكن الرب ملجأ لشعبه وحصن لبني إسرائيل) [6].

ويذكر المزمور المرقم (48) جبل صهيون بالتعظيم ويحث اليهود على الطواف حوله، طوفوا بصهيون ودوروا حولها. عدوا أبراجها، ضعوا قلوبكم على متارسها. . . لأن الله هذا هو إلهنا إلى الدهر والأبد[7].

1 ـ (هلم نصعد إلى جبل الرب)[8].

2 ـ (ولا يفسدون في كل جبل قدسي) [9].

3 ـ (. . . لأن رب الجنود قد ملك في جبل صهيون في أورشليم) [10].

4 ـ (ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب في هذا الجبل وليمة سمائن) [11].

---

(1) انظر سفر الملوك الأول 19: 8 ـ 1.

(2) سفر الملوك الأول 18: 42، وسفر الملوك الثاني 1: 9 و4: 25.

(3) راجع سفر صموئيل الأول 7: 1.

(4) سفر التثنية 11: 29.

(5) موسوعة الكتاب المقدس ص334.

(6) سفر يوئيل 3: 5.

(7) مزمور (48): 22 ـ 14.

(8) سفر أشعياء 2: 2 ـ 3.

(9) سفر أشعياء 11: 9، سفر دانيال 9: 6.

(10) سفر أشعياء 24: 23.

(11) سفر أشعياء 25: 6.

5 ـ (ويكون أن كل الباقي من جميع الأمم الذين جاؤوا على أورشليم يصعدون من سنة إلى سنة ليسجدوا للملك رب الجنود) [1].

والمزمور المرقم (121) يذكر الحجاج الصاعدين إلى أورشليم بأن الله يحرسهم[2] فيقول: (أرفع عيني إلى الجبال من حيث يأتي عوني، معونتي من الرب).

وكذلك المزمور المرقم (132) يتناول صلاة التوبة الرابطة بين الكهنة واللاويين في الهيكل و(المدينة المقدسة) [3].

أما المزمور المرقم (133) فهو دعوة إلى الصلاة، أو حوار طقسي بين خدام الهيكل والحجاج[4].

ويحرمون في الطواف دخول النجس وأشعث الرأس ومخرق الثياب إلى (بيت المقدس)، وعلى كل زائر أن يقدس ـ أي ينظف ـ يديه ورجليه. ولتعظيم البيت عظم خدامه، فجعل للكهان أجمل زي وأحسنه[5].

وعند وصول الحجاج إلى مشارف مدينتهم المقدسة (أورشليم) يوجهون لها سلاماً تحية لها[6].

والسامريون يحجون إلى الهيكل الذي بنوه في (جرزيم) الذي ظل منافساً لهيكل القدس زهاء 200 عام من بنائه إلى أن هدمه رئيس كهان بيت المقدس (حنا هيركانوس) قبل الميلاد بأكثر من مئة عام ثم أعادوا بناءه[7]، ويهتم علماء اليهود بشروح الطقوس الدينية الخاصة بهذه الفريضة مبينين من خلالها مميزات معابدهم (المقدسة) إذ

---

(1) سفر زكريا 14: 16 ـ 18.

(2) الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) ص1287.

(3) الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) ص1287.

(4) المصدر ذاته والصفحة نفسها.

(5) دلالة الحائرين ص665 ـ 666.

(6) ينشد الحجاج اليهود بعض الأناشيد الدينية كمظهر من مظاهر الحج والزيارة مثل نشيد المراقي (انظر المزامير من 120 إلى 130) وهي أبيات رثائية متساوية السطور في الكلمات والعبارات ذاتها تكرر كالصدى من بيت إلى بيت وينشدون (نشيد صهيون) الذي يشيد بضيف الهيكل الإلهي الذي يعتبرونه ينبوع السعادة والعظمة للحجاج.

(7) موسوعة العقاد الإسلامية ج1، ص581.

يضعون شعائر دينية للحجاج الوافدين، وبالوقت نفسه يعمدون إلى وضع شعائر أكثر شبهاً بسابقتها للحجاج اللاحقين، يدور محورها حول وصف مذابحها وأنصابها[1].

ويشترطون لمن يدير تلك الشعائر السلامة من كل عيب جسدي كما أن (السماجات)[2] تعدم أهلية الكهان، لأن الفرد بنظرهم لا يعظم بصورته الحقيقية إلا بكمال أعضائه، وحسن ثيابه، وهذه العظمة إنما هي (للبيت المقدس) وخدامه.

ويذكر سفر الملوك الثاني، وسفر أخبار الأيام في العهد القديم أن النبي حزقيال هو أول من شرع فكرة الحج التوحيدية ـ ونفذها بعده (يوشيا) ومن ثم قرر الاحتفال في أورشليم بعيد الفصح وبعيدي الأسابيع والمظال وبذلك قضي على المعابد المحلية[3].

ولليهود مزارات قديمة قصدها حجاجهم، وهي متفاوتة الأهمية لهم[4].

وخلاصة القول في هذا المبحث: إن اليهود أدوا فريضة الحج بمناهج متغيرة الإطار، وإن اتفقت من ناحية المضمون ـ وهو التعظيم ـ فعمدوا إلى زيارة الأماكن المرتفعة كتذكار لذبيحة الرب، ثم انتقلوا إلى الاهتمام بقبور أوليائهم متأثرين في ذلك بالأقوام الوثنية التي عاصروها. وعندما بنى سليمان عليه السلام الهيكل والمعبد عدَّ ذلك نقطة تحول في تاريخ مقدساتهم محققاً لهم الوحدة الدينية في التوجه إلى مكان مقدس، كما أنه رسخ في نفوسهم ـ أي الهيكل والمعبد وليس سليمان النبي عليه السلام ـ عقيدة (الشعب المختار).

وأخيراً انتهى بهم المطاف في الوقت الحاضر في التوجه إلى (حائط المبكى) إذ يقفون أمامه في صف طويل واضعين أكفهم على الحائط يتباكون مجدهم الزائل، وتراثهم المتمثل بهيكل سليمان الذي يزعمون أنه مدفون تحت المسجد الأقصى[5].

---

(1) انظر سفر التكوين 13: 3 ـ 4، 26: 25، 33: 20.

(2) السماجات: جمع (سمج) بمعنى قبح، و(سميج) قبيح، انظر: مختار الصحاح للرازي ص312.

(3) يعتبر الاحتفال بعيدي الفصح والمظال في (أورشليم) المدينة المقدسة نقطة تحول مهمة في تاريخ التشريع اليهودي للحج، إنه اعتبر بداية انحسار التوجه والزيارة إلى المعابد المحلية لأداء فرض الحج. معجم اللاهوت الكتابي ص257.

(4) مثل مزار شكيم: انظر: سفر يشوع 24: 23 ـ 26، ومزار بيت إيل، انظر: سفر صموئيل الأول 10: 3، وسفر الملوك الأول: 12: 29 ـ 21، وسفر عاموس 5: 5 و: 13، ومزار بئر سبع، انظر: سفر عاموس 5: 5، ومزار عفره وصرعة، انظر سفر القضاة 6: 24 و13: 19 ـ 20، ويحتفل فيهما بذكرى ظهور ملاك الرب، ومزار شيلوه، انظر: سفر القضاة 21: 19، حيث مقر التابوت ويحتفل به كل سنة بعيد الرب، ومزار قبر النبي (صموئيل) في قرية الرامة (الجليل).

(5) يذهب اليهود في زعمهم هذا إلى محاولة تهديم المسجد الأقصى المبارك إمعاناً في تدمير المقدسات الإسلامية محاولين طمس المسجد المبارك.

المبحث السابع
رأي الإسلام في العبادات اليهودية

إن ما ورد في اليهودية من تشريعات بخصوص الشعائر الأربعة (الصلاة والزكاة والصيام والحج) ورد أيضاً في الديانة الإسلامية فقد اتفقت الديانتان على أن وجود هذه الأركان هي من أساسيات الدين ويؤكد القرآن الكريم ذلك عبر آياته البينات إذ تحدثت عن وجود الصلاة مثلاً فرضاً واجباً قبل الديانة اليهودية، فقد فرضها الله تعالى على خليله إبراهيم[1] عليه السلام إذ قال إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيۡرِ ذِى زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِىٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾[2].

وقوله: ﴿ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾[3]. وذرية إبراهيم عليه السلام إسماعيل وإسحق ومن ذرية إسحاق يعقوب إسرائيل فدعوة إبراهيم لبني إسرائيل أن يكونوا مقيمي الصلاة.

وصلى شعيب عليه السلام فعيّره قومه بصلاته، فقال تعالى على لسانهم: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ ﴾[4].

ثم يقرر إبراهيم عليه السلام مع من جاء من بعده من الأنبياء واجب الصلاة، قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾[5].

---

(1) ابتدأت الحديث من زمن إبراهيم عليه السلام باعتباره الأب الأكبر لليهود وإلا فالشعائر كافة فرضها الله تعالى قبل مبعث إبراهيم، قال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ ، سورة البقرة الآية 37.

(2) سورة إبراهيم الآية 37.

(3) سورة إبراهيم الآية 40.

(4) سورة هود الآية 87.

(5) سورة الأنبياء الآية 73.

ثم بين إبراهيم عليه السلام كمال الطاعة لله تعالى فقال: ﴿ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾(1).

ومن الأدلة على أن الله قد أمرهم بإقامة الصلاة والزكاة وأخذ عليهم الميثاق قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (2). ولكنهم حرفوا معاني الصلاة تارة، ونسوا ما استودعهم الله من الشريعة تارة أخرى، قال تعالى: ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ۙ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا ﴾(3).

وهم يعترفون بوجوب الصلاة وأهميتها، ولكن تأديتهم للصلاة شكلاً ومضموناً هي غير ما أرادها الله تعالى لهم، إذ عمدوا إلى صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود، كما أنهم لم يولوها القدسية التي تستحقها(4). وأقر إسماعيل عليه السلام الصلاة والزكاة، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾(5).

كما قرر الله تعالى، أن بني إسرائيل قد أضاعوا الصلاة بقوله: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾(6).

ثم جاء موسى عليه السلام وأمر بني إسرائيل بالصلاة لكنهم تركوها، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ

---

(1) سورة الأنعام الآية 162.

(2) سورة المائدة الآية 12.

(3) سورة المائدة الآية 13.

(4) من خلال حضوري المتكرر لصلاتهم لم أجد المصلين يولون إصغاء تاماً لإمام صلاتهم، فهم يتحدثون فيما بينهم أثناء الصلاة، مما دفعني الفضول إلى طرح أسئلتي واستفساراتي الخاصة بصلاتهم.

(5) سورة مريم الآية 55.

(6) سورة مريم الآية 59.

قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، ولما ترك اليهود الصلاة وشعائر الدين بعث الله تعالى إليهم عيسى عليه السلام لكي ينبههم على ذلك، وقد أنطقه الله تعالى وهو في المهد حينما قال: ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[2].

وأكد ذلك نبي الله زكريا عليه السلام عندما نادته الملائكة كما في قوله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾[3].

وأظهرت مريم عليها السلام أنها كانت على دين الأنبياء قبلها، فهي تصلي كما أمرت، قال تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[4].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: (إن الصلاة في أغلب الأديان صلاتان، مفروضة لأن الرب فرضها وغير مفروضة يستحب القيام بها ولا يؤنب تاركها، يقوم بها من يريد التقرب إلى الله. وقد أهمل اليهود والنصارى بعض الصلاة التي قد كان يؤديها أجدادهم ولذلك قل عددها كما تساهلوا في أوقاتها كما حدث ذلك في صلاتي العصر والمغرب) [5].

ومع ذلك يزعم اليهود أن لا شذوذ في صلواتهم!!، وفي صلاة عيد الغفران، يجتمع الركوع (حني الرأس قليلاً) والسجود معاً[6].

والتوراة تذكر مواطن كثيرة لركوع وسجود أنبيائهم أحصيت منها للسجود فقط أكثر من تسعين موضعاً في التوراة فقط وهذه الكثرة مدعاة إلى الالتزام بها والتقيد بها.

وقال الفخر الرازي في معرض تفسيره لقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[7]. قال: للآية عدة معان منها[8]:

---

(1) سورة يونس الآية 87.

(2) سورة مريم الآية 31.

(3) سورة آل عمران الآية 39.

(4) سورة آل عمران الآية 143.

(5) إحياء علوم الدين للغزالي ج1، ص178، القاهرة 1302 هـ.

(6) هذا ما ذكره لي رئيس الطائفة الموسوية خلال لقائي به بتاريخ 1995/5/9.

(7) سورة يونس الآية 87.

(8) التفسير الكبير ومفتاح الغيب للإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (544 ـ 604) مج9، ج17، ص154، دار الفكر ط3، بيروت 1405 هـ، 1985م.

(أي اجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلوها لأجل الصلاة).

وقال الفراء: واجعلوا بيوتكم قبلة إلى قبلة.

وقال ابن الأنباري: واجعلوا بيتكم قبلة أي قبلاً يعني مساجد.

واختلفوا في هذه القبلة أين كانت؟

وظاهر لفظ القرآن لا يدل على تعيينه، إلا أنه نقل عن ابن عباس (رض) أنه قال: (وكانت الكعبة قبلة موسى عليه السلام).

وكان الحسن يقول: الكعبة قبلة كل الأنبياء وأنها وقع العدول عنها بأمر الله تعالى في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة.

وقال آخرون: كانت القبلة جهة بيت المقدس.

والقائلون بأن لفظة (البيوت) مطلق البيوت، وتفسر القبلة برأيين:

الأول: أي متقابلة، **والثاني:** أي اجعلوا دوركم قبلة أي صلوا في بيوتكم.

وقيل أيضاً في تفسير آخر عن ابن عباس: (كانوا خائفين فأمروا أن يصلوا في بيوتهم)[1].

وفرضت الزكاة على بني إسرائيل وأكدها موسى عليه السلام، فغيرها اليهود وأبطلوها فتجدد فرضها من الله سبحانه على لسان عيسى عليه السلام بقوله تعالى ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[2].

وإن كانت الزكاة في الديانة اليهودية تختلف عما في الإسلام من حيث النصاب والعدد وغير ذلك من الفروع والأحكام لكنها كانت مفروضة، وأنها كالصلاة كانت مفروضة من لدن آدم وحتى محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[3].

---

(1) صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني ج1، ص595، دار القلم، ط5. بيروت 1406هـ ـ 1986م، وانظر تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير القرشي ج2، ص584، دار الفكر، عمان.

(2) سورة مريم الآية 31.

(3) سورة المائدة الآية 12.

يقول ابن عباس عن الزكاة اليهودية هي التي أمروا بها طاعة الله والإخلاص، وهو مقابل انحرافهم وتحريفهم لأحكام دينهم وشريعتهم التوحيدية[1].

وأوضح القرطبي في تفسيره أن زكاتهم هي التي كانوا يضعونها فتنزل النار على ما يتقبل ولا تنزل على ما لا يتقبل ولم تكن كزكاة محمد صلى الله عليه وسلم[2].

ويشهد القرآن الكريم أن الزكاة مفروضة على اليهود بقوله ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾[3].

أما فريضة الصيام فهي الإمساك عن الطعام والشراب والجماع طوال النهار، وما أحدثه اليهودي من الإمساك عن بعض المأكولات فهو من التحريف الذي وضعوه كما قال تعالى ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[5].

يقول شهاب الدين الألوسي في تفسيره (إن اليهود فرض عليهم صوم شهر رمضان فتركه اليهود إلى صوم يوم من السنة زعموا أنه اليوم الذي أغرق فيه فرعون)[6].

ويرى الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره (إن أسفار التوراة ليس فيها ما يدل على فرضية الصيام، وإنما فيه مدحه ومدح الصائمين وثبت أن موسى عليه السلام صام أربعين يوماً). كما نقل أبو السعود في تفسيره زعمهم في صيام يوم واحد وهو يوم غرق فرعون وقال (وكذبوا في ذلك فإنه يوم عاشوراء)[7].

---

(1) تفسير القرطبي ج2 ص 17، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(2) كانوا يقدمون زكاة أموالهم من الحيوانات كقرابين فجزء منها تحرق بالكامل، وأخرى يحرق جزء والباقي من حصة الكاهن، تفسير القرطبي ج2 ص17.

(3) سورة الأنبياء الآية 73.

(4) سورة النساء الآية 46.

(5) البقرة الآية 75.

(6) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) مج1 ج2 ص 56 ـ المطبعة المنيرية، مصر، انظر: الموسوعة الفلسطينية ج1 ص 22 ط1، الدار العربية للموسوعات.

(7) تفسير المنار، محمد رشيد رضا ج2 ص 144 ـ ط3، مطبعة محمد صبيح الأزهر، 1375 هـ.

وقد روي أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صام يوم عاشوراء[1] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم النبي المدينة واليهود تصوم عاشوراء فقالوا هذا يوم يصوم فيه اليهود، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (إنا أحق بموسى منهم وأمر بصيامه)[2].

قال تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾[3] قال تفسير صاحب الجواهر إن موسى عليه السلام صام أربعين يوماً وهو صيام لم يتخلله فطر[4].

ولم تتطرق الشريعة الإسلامية إلى الحج عند اليهود ولم يذكر القرآن الكريم أية إشارة عن ذلك بينما قد ورد ذكر الصلاة والزكاة.

وتأثرت الفريضة بظروف الواقع الديني المعاش فتطورت جنباً إلى جنب الحياة الدينية وطبقا لتعاليم الهيئات الدينية[5]. ويحاول اليهود إثبات أن شعائر الحج الإسلامي مقتبسة من أصول شعائر الحج عندهم.

ويرى صاحب (دائرة المعارف الإسلامية)[6]، أن هذه الدعوى هي مجوسية في الأصل، أدخلها البرامكة في الإسلام وما لها من أساس إسلامي وأن ما يحاول تأكيده المستشرق (هوف) في إثبات الدعوى بالرجوع إلى الأصل اليهودي في الحج من خلال المشابهة والموازنة بين الشعائر والطقوس عند المسلمين واليهود هي من محاولات زرع الشك في تعاليم الإسلام. وأنها تعاليم مقتبسة من التوراة متناسين أن أداء المسلمين لهذه الفريضة يختلف روحاً وشكلاً عما عند اليهود، ومن عدة نواح منها[7]:

---

(1) تفسير أبي السعود ج1 ص 144، دار العصور، القاهرة 1928م.

(2) عمدة القارىء 120/11 ـ 121، وانظر تفسير الطبري 76/2 ـ 77، دار الفكر العربي، بيروت 1978.

(3) سورة الأعراف الآية 142.

(4) دائرة المعارف الإسلامية ج14 ص 396 طبعة طهران.

(5) دائرة المعارف الإسلامية ج14 ص 396 طبعة طهران.

(6) راجع دائرة المعارف الإسلامية مج 14 ص 9 هامش رقم (1)، طبعة طهران، وكذلك طبعة الشعب بمصر ج3 ص 363 والجزء الثالث عشر ص 352 من نفس الطبعة.

(7) The New Encyclopaedia of Britannica Vol. 4, p. 262. Incyclopaedia Inc. 1986.

1 ـ اتفاق المسلمين كافة على أداء فريضة الحج بالترتيب دونما شك، خلافاً لليهود الذين يبتدعون طقوساً كل حين في توجههم لبيت المقدس أو إلى (جبل عزيزيم) أو إلى قبور أوليائهم.

2 ـ أن فريضة الحج بالكلية موجهة خالصة لله تعالى في طلب التوبة والغفران، في حين أن اليهود يجعلون قبور أوليائهم وسيطاً بين العبد وربه.

3 ـ أن (بيت الله الحرام) والحجر الأسود شواخص حية على القدسية والاحترام من لدن المسلمين وبدليل آيات الكتاب الحكيم. في حين أن اليهود ليست لهم تلك الشواخص المادية الحية، إلا اللهم قبور أوليائهم التي لا تقوى أو تثبت صحة مصداقية مفهوم الحج في كونه فريضة خالصة لله تعالى[1].

4 ـ حِفظ الله تعالى لبيته الحرام من كل معتد دليل على أنه بيته المقدس المصان، بخلاف، الهيكل والمعبد، المندثرين، اللذين خربا مرات عديدة وخاصة أيام السبي البابلي والفارسي.

ومع ذلك، فإن وجد بعض التشابه في بعض الطقوس بين الربانيين كوقوف المسلمين في عرفات، وبين وقوف بني إسرائيل على جبل سيناء، والامتناع عن الفحشاء فهي مدعاة لوحدة الأديان، فمشرع الطقوس واحد هو الله تعالى جل شأنه، والدين الإلهي واحد في جميع حيثياته وإن اختلف من دين إلى آخر فمرده إلى ملاءمته لظرف زمني دون ظرف آخر، ومع ذلك فاليهود اليوم يتنكرون ويحاولون أن يبتعدوا عن أداء تلك الطقوس التي لا نظير لها إلاّ في الدين الإسلامي فالوقوف على جبل طور سيناء، أصبح عندهم من مخلفات الماضي الديني وإن كان القليل منهم من يحترم الوقفة على جبل طور سيناء.

(1) في مقابل الحج عند المسلمين فإن اليهود يحجون إلى حائط المبكى الذي يمثل مجدهم الغابر ويتباكون عنده.

المبحث الثامن

تأثيرات الديانات القديمة على العبادات اليهودية

عاش بنو إسرائيل عبر تاريخهم الطويل مع أقوام عدة أثروا فيهم كما تأثروا بهم ولكن مقدار ما اقتبسوه من تلك الأمم كان كبيراً، فامتزجت عباداتهم بعبادات من جاورهم أو عاشوا وسطهم.

«إن الشرائع والتعاليم التوراتية، إنما جاءت انعكاساً لواقع المدة التي ظهرت فيها، خاصة في مدة السبي البابلي التي كرست لديهم فكرة العبودية والعرقية، فخرجوا بنظرتهم إلى باقي الشعوب بأنها أوطأ منزلة منهم، وأنهم هم وحدهم شعب الله المختار»[1].

ونظراً لما امتازت به طقوس العبادة من تنظيم دقيق في المعابد الإلهية فقد اقتبس اليهود من نهجهم المنسق من تقديم القرابين والنذور وغيرها. «إن تفهم الديانة العبرية مستحيل ما لم يؤخذ بعين الاعتبار وبشكل مستمر الديانات والثقافات الأخرى التي عنت وترعرت في وادي الفرات.

إن الأصول القضائية البابلية وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد الإلهية يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس الدينية»[2].

إن الكتب التاريخية[3] في التوراة وكتب الأنبياء[4] تظهر بوضوح مقدار الاقتباس والتأثير الذي صاغه مؤلفوها حتى أنهم يذكرون أسماء قديمة لآلهة عبدوها أو صفات

---

(1) الشوك، علي، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ص 115 ـ 116 دار السلام، لندن 1987.

(2) التوراة تاريخها وغايتها، نقلاً عن كتاب:

- Dictionary of Bibles, Charles Seribners & Sons, N.Y. 1909.

وانظر الأسس الدينية للحركة الصهيونية ـ رسالة ماجستير للطالب فرحان محمود شهاب، كلية الشريعة 1987.

(3) الكتب التاريخية في التوراة هي أسفار: يشوع، القضاة، راعوث، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول، الملوك الثاني، الأخبار الأول، الأخبار الثاني، عزرا، نحميا، طوبيا، يهوديت، استير، سفر المكابين الأول، سفر المكابين الثاني.

(4) أما كتب الأنبياء فهي: أشعياء، أرميا، المراثي، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عوديديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، حنينا، ملاخي، زكريا.

لها مستقلة أو مشتركة مع ما عبدوه، بالإضافة إلى أنها تأثرت بعبادات هذه الأقوام، يمكن اعتبارها أيضاً امتداداً لا عقائدياً أو فكرياً أو تشريعاً لها وهذا ما تؤكده النصوص التالية:

1 ـ (إن الديانة اليهودية جاءت امتداداً للديانة الوثنية الكنعانية التي توجت إيل (الإله الثور) كبير الآلهة كانت خطوة أولى نحو الديانة التوحيدية)(1).

2 ـ وذكر أرسطو أن الذبائح القديمة والاجتماعات تكاد تكون بعد جمع الثمار كأنها قرابين من أجل الفرجة، وهو ما يحتفل به في (عيد المظلة) وعلته قول التوراة (عندما تجمع غلاتك في الصحراء) يعني وقت الفرجة والراحة من الأشغال الضرورية)(2).

وقد وصلت تأثيرات العراقيين القدماء على التوراة عن طريق الحملات العسكرية والصلات التجارية والسياسية، متمثلة بقصة جنة عدن، وفي قصة نمرود الذي كان جباراً أمام الرب(3).

وذكرت قصة انتشال موسى عليه السلام من النهر في القرآن الكريم، كما ذكرت مصادر قديمة مثل حكاية سرجون الأكدي (2340 ـ 2284 ق.م) الذي قال: «وحملت بي أمي ووضعتني في سلة من الحناء قصيرة ورمتني في الماء الذي لم يغرقني وحملني الماء إلى (آكي) ساقي الماء فانتشلني ورباني واتخذني ولداً»(4).

كما نفذت إلى إصحاحات العهد القديم (حزقيال وزكريا ودانيال) معتقدات (الزندفستا)(5) التي لا تدعو إلى التوحيد المطلق بل للأثينية ولكنها كانت أيضاً تحارب الوثنية ولهذا فضلها اليهود.

«إن فكرة العجل الذهبي الذي عبده اليهود أيام موسى وهارون عليهما السلام كان أصله (عجل أبيس) الذي كان يعبده المصريون»(6).

---

(1) الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ص 279، كان المفروض من الكاتب أن يقول (المعتقدات اليهودية بدلاً من الديانة اليهودية، لأنه الديانة اليهودية ديانة توحيدية خالصة).

(2) دلالة الحائرين ص 656.

(3) مجلة (جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، دراسات في التاريخ والآثار) (8) ص 44، مطبعة الأمة، بغداد.

(4) مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص 1360.

(5) (الزندفستا) هو شرح الكتاب المقدس للزرادشتية (فستا).

(6) بدوي، أحمد زكي، تاريخ التطور الديني ص 24، مطبعة المجلة الجديدة مصر.

وخلال السبي البابلي تـأثر اليـهود بعبـادة الكواكـب والنجـوم المنسـوبة إلى الصابئـة، فاستغلوا هذا الاعتقاد الباطل (وزعموا أن الرقي والهزائم لها ارتباطات قوية بحركة الكواكب، وأن العمل إذا اقترن بالمشتري يكون تأثيره هكذا، وبعطارد يكون تأثيره غير ذلـك. . . إلخ)[1] ومن أشكال تأثرهم بعبادة الكنعانيين «عبد اليهود الأفعى في هيكل سليمان حتى أيام حزقيـال حوالي (720ق.م) وكانت عبادة الحية متبعة عند الكنعانيين فقد عثر على نصب لحية في قصر بيت مرسم يرجع تاريخه إلى الفترة ما بين (2000 ـ 1600 ق.م) نقـش علـى الجـزء الأسـفل منه آلهة مرتدية ثوباً طويلاً وقد التفت حول ساقيها حية كبيرة»[2].

(وهناك تشابه بين صفات (يهوه) وبعل وعشيرا وآلهة كلده وتمـوز، كمـا كـان اليـهود يسجدون أمام الشمس مولين وجوههم شـطر المشـرق في هيكـل أورشـليم) [3] وممـا يـرد في سـفر حزقيال، أنه كان في زمانه نساء تبكي الإله (تمـوز) في معبـد الـرب، وهـو دليـل علـى وجـود (تموز) الإله ابن عشتار معبود أهالي وادي الرافدين[4].

وتذوق اليهود الثقافات اليونانية فتأثروا بها (فكانت ترجمة التوراة إلى اليونانية القصـد منها هو رفع قدر دينهم في عيون اليونـانيين وكـان اليـهود ينظـرون بعـين الاحتقـار إلى ديانـة اليونانيين)[5]. واقتبس اليهود من الفرس والهنود والبابليين صوم الصمت)[6].

إن أماكن العبادة عند اليهود مأخوذة من المصريين القدماء في تقسيمها إلى ثلاثـة أقسـام (المذبح ـ والمحراب أو المكان المقدس (قدس الأقداس)[7].

«وقام أنبياء بني إسرائيل بدور إصلاحي كبير في تثبيـت الوحدانيـة لله تعـالى، وأمـروا الملوك بنشر دين الله بين ربوع ممالكهم مثلما حدث للملك يوشيا الذي أمـر خلالهـا الكهنـة ـ

---

(1) النبوءات (وما يتعلق بها) للرازي، ص 52 ـ 53، مطبعة ابن زيدون ط1 بيروت.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، الفكر الديني: القديم، ج1 ص49، القسم الأول، دار الطليعة، بيروت ط2 ـ 1993.

(3) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ـ ص 59.

(4) انظر سفر حزقيال.

(5) الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسـلامية. علـي سـامي النشـار، عبـاس أحمد الشـربيني ص50، كـان المفروض من الكاتب أن يقـول (معتقـدات اليونـانيين) لا (ديانـة اليونـانيين) لأنـه لم يثبـت لهـم ديانـة سماوية إذا ما فسرت كلمة (ديانة) بأنها سماوية.

(6) تاريخ التطور الديني. أحمد زكي بدوي. ص 25.

(7) يمثل المذبح المكان الذي يراق فيه دم الذبيحة. والمحراب المكان الذي يؤدي فيه المصلـون صلاتـهم. أمـا قدس الأقداس فهو أقدس موضع لديهم إذ كانوا يضعون فيه تابوت العهد ولوحي الشـريعة. انظـر تـاريخ التطور الديني ص25.

كما جاء في سفر الملوك ـ أن يخرجوا من هيكل الرب جميع الأدوات المصنوعة للعجل والعشتاروت وحرقها»[1].

(وهناك أوجه تشابه عديدة بين معتقدات التلمود والهندوسية منها أن عقيدة التناسخ موجودة لديهما (فالتلمود يرى أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً آخر لا يدخلون الجنة وإنما (تدخل) أرواحهم في الحيوانات والنباتات ثم تذهب إلى الجحيم لتدخل في الجمادات ثم في الحيوانات ثم في الوثنيين حتى ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها) [2].

وخلاصة القول: إن اليهود تأثروا في معتقداتهم التعبدية بما عند الشعوب التي عاصروها واندمجوا معها في نتاج فكري شبه موحد. مما أثر ذلك سلباً على أقدس كتبهم (التوراة) فخلطوا كلام الله بالمعتقدات الوثنية وعمقوا هذا المفهوم في شروحات التوراة المتعاقبة والتلمود بشطريه (المشنا والجمارا)[3] وكذلك كتاب الزوهار الخاص بالمتصوفة القباليين.

---

(1) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص 66.

(2) خان، ظفر الإسلام، التلمود، تاريخه وتعاليمه ص 71، دار النفائس، بيروت ط7، 1989.

(3) المشنا أو (المشنى): وتعني (الأصل أو النص أو المتن) والدرس والتكرار لأنه يكرر ما ورد في التوراة ويعيدها، وهي مشتقة من الفعل العبري (شانا) بمعنى (يثني) ومن الفعل الآرامي (تانا) بمعنى (يدرس) ومعناها باللغة العبرية (المعرفة أو القانون الثاني). انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان ص11. (تاريخ اليهود العام) د. صابر طعيمة ص 108/ قاموس الكتاب المقدس ص 290، موسى بن ميمون (إسرائيل ولفنسون) ص 43.

و(الجمارا): معناها الإكمال، بدأها أول مرة الحاخامان (جلمائيل) و (سيمون) أولاد الحاخام (يهوذا هاناسي) وكتبها من بعده الحاخام (اشي) ثم الحاخام (ابينيو) وأخيراً ختمها الحاخام (جوسي) سنة 498م: انظر: التلمود تعاليمه ص 21.

المبحث التاسع

التأثيرات الإسلامية في العبادات اليهودية متمثلة بالصلاة

أثرت العبادات الإسلامية عموماً على العبادات اليهودية على الرغم من شواهد من الكتاب المقدس، تبين أوجه الشبه بين تلك العبادات، وهذا أمر طبيعي إذ أن مصدرها واحد، وهو الله سبحانه وتعالى ووسيلة التبليغ واحدة في كل الأديان، وهو الوحي المنزل على الأنبياء دعاة الخير ورسل السلام إلى البشر أجمعين، ولكن اليهود اتخذوا من وحدة الأديان في تشابهها بحيثياتها بطقوس العبادة مدعاة ومدخلاً يبينون فيه مدى التأثير المزعوم لديانتهم على نشأة الدين الإسلامي متخذين من (تأثير السابق على اللاحق) حجة في جعل ديانتهم مؤثرة لا متأثرة بغيرها، متناسين اعتراف أحبارهم بتلك التأثيرات، التي وجدت لها أساساً في أقوال أنبيائهم أمثال سليمان ودانيال وداوود عليهم السلام الواردة في التوارة وفي كتبهم الفقهية التي وضعها كبار علمائهم أمثال الحبر موسى بن ميمون ونجله إبراهيم اللذين بَيَّنَا مدى فاعلية هذه التأثيرات، لفترة ليست قصيرة في محاولات جادة لانتشال طقوس عباداتهم من عادات دخيلة لا تمت بصلة إلى الدين بل لا تقوي من إيمان العبد بربه ويكاد يكون التأثير الإسلامي شاخصاً للعيان في العبادات اليهودية، وعلى الصلاة خاصة، لمناسبة قبولها أكثر من غيرها من الفروضات التعبدية الأخرى كالصوم والزكاة.

ويعود الفضل في بيان هذه التأثيرات إلى الحبر اليهودي (موسى بن ميمون) وابنه الحبر إبراهيم الميموني اللذين استمرت تعديلاتهما فترة تزيد على (30 سنة) [1] ومن ثم ألغى هذه التعديلات الحبر اليهودي الذي تسلم السلطة الدينية بعد الحبر اليهودي إبراهيم نجل (موسى بن ميمون) [2].

لقد وجد (موسى بن ميمون) أن صلاة اليهود المسماة (صلاة الهمس) لا تحقق غرض الصلة الحقيقية بين المصلي وربه، وأن وقوفه غير المقنع بين يدي ربه لا يحقق الغرض منه

(1) التأثيرات الإسلامية ص32.

(2) المصدر نفسه ص35.

لأن المصلي لا يردد مع الإمام الصلاة، بل يترك الإمام يتلو الأدعية والبركات بصوته المسموع الواضح من دون أن يردد وراءه ما يقول إذ ينشغل بأحاديث خارجة عن الصلاة مع زميله الجالس إلى جنبه[1]، كما أن الأحداث الذين يحضرون الصلاة عندما يرون الكبار يفعلون ذلك ويتجاذبون أطراف الحديث يقلدونهم فيسيرون على منوالهم، وكان الجمهور اليهودي لا يطالب بإلغاء الهمس بل يدعو إلى التخفيف المؤقت[2] ووقف الجارونيم[3] موقف المعارض من هذه التعديلات لأنها في رأيهم تعارض تعاليم التلمود التي تؤكد على الأداء همساً.

ويرى الحبر[4] (موسى بن ميمون) أن صلاة الجمهور بترديد مع الإمام يحقق القدسية للصلاة فيركعون جميعهم مع الإمام وكل الشعب متجه إلى الهيكل فيزول تدنيس اسم الله فقد شاع بين الأمم أن اليهود يتكلمون ويثرثرون في صلاتهم ويرى في عدم التفات المصلين إلى الرابي ساعة الصلاة سبباً مهماً دفعه إلى إدخال تعديلاته ويعلل (موسى بن ميمون) تعديلاته بسببين الأول داخلي والآخر خارجي وهو الخوف من بطلان الصلاة تقريباً ثم تدنيس اسم الله بين الأمم وهذا ما توضحه إجابته بهذا الخصوص وهذا نصها:

(على الرغم من أن ذلك هو ما تقول به الجمارا فإن اليهود في أقاليم العرب الذين يدققون في أن لا يتوقف الشخص أو يبصق أو يتحدث أثناء الصلاة بسبب أنهم أسروا بصلاتهم وقاموا بواجبهم، يتحادثون ويتوقفون أثناء تكرار الإمام لصلاة الجهر، وقد ساءت سمعتنا بين الأمم لهذا. . .)[5].

من ذلك يتضح تأثير الصلاة الإسلامية على الصلاة اليهودية لما تحويه من تنظيم نموذجي ونظام عسكري رباني، فالمصلي المسلم يمتنع تماماً عن أي انحراف عن الوضع الجسمي المطالب به وعن كل حركة لا تتبع الحركات المتصلة بالعبارة بل من زيغ العينين وشرود الذهن فأدخل عدد من علمائهم الانحراف قليلاً مرات ثلاث عن الوضع الجسمي المفروض.

---

(1) وهذا ما تأكدت منه شخصياً من خلال حضوري لبعض صلواتهم في (التوراة) وتحدث بعض المصلين مع زميل له أثناء الصلاة من دون اكتراث.

(2) التأثيرات الإسلامية ص32.

(3) (الجارونيم) لقب يعرف به رؤساء المدارس الدينية في العراق (سوراوموفيديتا) منذ أواخر القرن السادس إلى نصف القرن الحادي عشر الميلادي، وكان الجارون يشبه المفتش في الإسلام ويمثل السلطة الدينية المركزية التي تعمل على نشر تعاليم اليهود وتشجيع التفقه في الديانة اليهودية.

(4) الركوع هنا هو طأطأة الرأس إلى الأسفل ويشمل كذلك انحناءة بسيطة أقرب إلى الركوع الإسلامي عامة.

(5) التأثيرات الإسلامية ص34.

وقد علق الحبر الذي ألغى التعديلات على الصلاة مع قرار رفض تلك التعديلات بقوله:

(لقد زال السبب الذي جعل الميموني يكتب بأن هناك تدنيساً لاسم الله بل نحن الآن أسوأ من ذلك كثيراً في نظر الأجانب الذين يصفون صلاتنا كفراً. وأننا قد غيرنا توراتنا وبدلناها فلم لا نصنع ما نحن ملزمون به غير آبهين بما يقال؟)[1].

ويتحسر الحبر إبراهيم الميموني على إبدال عادة إكفاء الوجه بالإمالة جانباً أو إدارة الوجه مرتفعاً كمن يتطلع إلى السماء أو يرى في ركوع الأمم الأخرى في صلواتهم على أنه ركوع اليهود في سالف العصر ويقول: «لقد نسجوا من هذا حكايات وتحقق فينا القول (تجعلنا عاراً عند جيراننا، هزأة وسخرية لمن حولنا)»[2].

وتأثر اليهود بعادة (غسل الرجلين) عند المسلمين في وضوئهم وأخذوا بها (رغم عدم ورودها في الروايات التلمودية المأثورة)[3] ورغم المعارضة القوية من قبل المحافظين من علمائهم إذ ورد فقط غسل اليدين قبل الصلاة.

وورد تشريع (غسل القدمين) في كتاب (تثنية الاشتراع) للحبر موسى بن ميمون، مكتفين بها فقط قبل صلاة الصبح دون سائر الصلوات الأخرى ووقف منه المعارضون موقفاً متشدداً إذ رأوا في تشريعه هذا اقتباساً من نظريات فلسفية مستقاة من مصادر غير إسرائيلية[4] رغم وجودها في النسخة التلمودية للتوارة (بزاخوت 14: 2)[5].

وشاعت هذه العبادة، قبل زمن موسى بن ميمون ولكنه أصّلها وثبتها وعمل على إدخالها في فرض الوضوء واختلف مفسرو التوراة في تأويل كلمة (ورجليه) فقال بعضهم بأنها كلمة زائدة أو أن تكون خطأ من الناسخ، وزعم آخرون بأن المراد بها المعنى المجازي وهو رأي مفسري التلمود الفلسطيني[6]، أما مفسرو التلمود البابلي فقد فسروه بالمعنى الحقيقي[7].

---

(1) التأثيرات الإسلامية ص35.

(2) المصدر السابق ص56.

(3) المصدر السابق ص13.

(4) التأثيرات الإسلامية ص12.

(5) المصدر السابق ص13.

(6) التلمود الذي كتب في فلسطين يسمى التلمود الفلسطيني. التلمود الذي كتب في بابل أثناء السبي البابلي يسمى التلمود البابلي.

(7) التأثيرات الإسلامية ص13.

ويرجع الباحثون سبب هذا الاختلاف والحيرة في الأخذ بهذا التشريع ورفضه إلى (عدم ورودها في التشريع التلمودي القديم من ناحية وبسبب قلة المصادر عن وجودها بين يهود الأقطار الشرقية من ناحية أخرى) [1].

وكعادتهم في إيجاد ما يبرر تأثرهم بالطقوس الإسلامية فإنهم يرفضون أي تعديلات أو تأثيرات خارجية في العبادات وغيرها متذرعين بحجة محاكاة الاسم، وفي هذا برأيهم انتقاص من مكانة تشريعهم وعدم سد الثغرات فيه.

يقول شاعرهم الصوفي (مناحيم دي لونزانو) مخاطباً أبناء جلدته من اليهود متأثراً بما عند المسلمين من حسن التنظيم والدقة في الوضوء خاصة في عادة غسل الرجلين: (لا يكن العرب أكثر منك طهارة.. الذين يغسلون أيديهم وأرجلهم بالماء في الفجر والظهير وعشية. . . وحتى في الليل بينما يشتد البرد ويسقط الثلج)[2] ومما يؤكد وجود التأثير الآنف الذكر في الفقه اليهودي ورودها أيضاً في كتاب (كفاية العابدين)[3] وهو من كتب فقههم المشهورة لمؤلفه الحبر إبراهيم بن موسى.

ويرى بعض مفسريهم[4] أن عادة غسل القدمين نشأت في البداية عن مماثلة الصلاة للقرابين التي تستدعي ملزومية الغسل قبل كل صلاة، ولما كانت هذه العادة مقصورة في أدائها على صلاة الصباح فقط، نستنتج من ذلك أن هذا التحديد بصلاة الصباح يدل على المصدر الأجنبي للعادة.

وبخصوص عادة بسط اليدين في الصلاة فقد ورد ذكرها في سفر المزامير وسفر الملوك الأول[5]، وكانت شائعة في عصر الهيكل الثاني ولكن بعد تدمير الهيكل أهملت هذه العادة، وتعلل المصادر المسيحية سبب إهمال هذه العادة كونها إحدى نتائج الصراع اليهودي المسيحي، فعندما رأى اليهود أن المسيحيين أخضعوها لطقوسهم بأن جعلوها رمزاً لصلب المسيح، وجدوا أنفسهم مضطرين أن ينظفوا أيديهم منها.

(إن بسط اليدين محمود ومستحب في مواضع الطلب والاسترحام في الصلاة. لأنه هكذا رأينا سيرة الأنبياء في أدعيتهم) [6].

---

(1) المصدر السابق ص1 ـ 14.

(2) المصدر السابق ص21.

(3) التأثيرات الإسلامية ص27 ـ 28.

(4) انظر التأثيرات الإسلامية 25 ـ 26.

(5) سفر الملوك الأول 8: 23، 38، 54.

(6) التأثيرات الإسلامية ص89.

وفي المقابل يقول الراهب ترتوليان[1]: «إن اليهود لا يجرؤون على بسط أيديهم في الصلاة لأنها ملطخة بدم المسيح»[2].

ومن التأثيرات الإسلامية على الصلاة اليهودية جلسة البروك رغم وجود شواهد من الكتاب المقدس تشير إلى الجثو على الركبتين والجلوس على الرجلين.

فقد جاء في سفر المزمور (طوبى للجالسين في بيتك) [3].

وجاء في سفر صموئيل الثاني 22: 8 (فدخل الملك داوود وحل أمام الرب) [4].

وورد في سفر أشعياء 23: 18 (بل تكون تجارتها للجالسين أمام الرب) [5].

(الجلوس عند أنبيائهم يميل إلى صورة الجلوس الحسيدي[6] وهو ذاته الذي تفرضه العبادة الإسلامية في وقت الصلاة وهو الذي كان مألوفاً عند القرائين) [7].

وعرف بعض أحبارهم الجلوس الإسلامي بأنه بروك القرائين الموجود في صلاة سليمان ودانيال عليهما السلام[8].

إن التعديلات التي أدخلها (إبراهيم الميموني) تكشف عن جذور التفكير الصوفي لهذه التعديلات فيقول ما نصه (فهذه الحالة الجسمية، عندما يجلس المصلي ورجلاه منثنيتان من تحته مستقبلاً القبلة، تفيد في تطهير الفكر وإحضار النية وتهيئة المصلي للتجربة الصوفية ولإدراك (الحالة العظيمة) التي هي النبوة أو ما يشابهها وهذه هي غاية الناسك[9].

وكموقفهم من التعديلات، عارض[10] المحافظون هذا التعديل من باب (محاكاة الأمم) التي لم ير فيها الحبر إبراهيم الميموني أي بأس في تطبيقها بعد ما طبقها أنبياؤهم كما ورد في التوراة.

---

(1) ترتوليان: هو راهب يهودي مغربي له مؤلفات عدة في الديانة اليهودية.

(2) التأثيرات الإسلامية ص88.

(3) سفر المزامير 84: 4.

(4) سفر صموئيل الثاني 18/7.

(5) سفر أشعياء 23: 18.

(6) الحسيديون: هم أتقياء بني اسرائيل وتعني لفظة (حسيديم) بالعبرية (الأتقياء) وهم الذين قاوموا غزوات الثقافة اليونانية لحياة اليهود وحضارتهم.

(7) القرائيون: هم فرقة دينية يهودية متزمتة تميل إلى الزهد والتقشف والبعد عن متع الجسد: انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص71.

(8) راجع قاموس الكتاب المقدس ص122، التأثيرات الإسلامية ص73.

(9) التأثيرات الإسلامية ص75.

(10) التأثيرات الإسلامية ص75.

وفي حقيقة الأمر، إن المصلي عندما يأخذ وضع البروك في الصلاة يكون متهيئاً نفسياً وبصفة الخاضع الذليل لله سبحانه وتعالى أفضل من جلوسه على الأريكة وهو بكامل هندامه مرتدياً حذاءه أو نعله.

والاصطفاف في الصلاة اليهودية هو الآخر عادة تأثروا بها من المسلمين ولكنهم ينسبون التجديد فيها إلى المشنا[1]. (إن وقوفهم غير المنظم في الصلاة يسبب لهم إرباكاً فهذا داخل وذاك خارج وذلك يناقض ما كان عليه وقوف بني إسرائيل في سالف العصر. وما قيل في المشنا (يقفون مصفوفين) وهو النظام الصحيح وما خالفه فهو عادة فاسدة يجب ردها إلى الصورة الصحيحة)[2].

ويذهب الحبر موسى بن ميمون في شرحه (الآباء) [3] في معرض كلامه عن الاصطفاف: (ويقفون في فناء المعبد كل واحد بجانب صاحبه) [4].

كما أنهم كانوا يقفون في فناء المعبد صفوفاً كل واحد بجانب الآخر (صفوفهم) ويسجدون في يسر بحيث لا يضايق أحدهم رفيقه[5].

وإزاء هذه التعديلات شرع المحافظون منهم تشريعاً نقضوا به هذه التعديلات إذ يقول التشريع (ولا يقفون صفوفاً بل يقف كل واحد منفرداً)[6].

وعلى الرغم من قول المشنا (لأنك هكذا تقف الأمم في صلاتهم)[7].

وورد نص في سفر مراثي أرميا يقول (ويجلس وحده ويسكت) إذ اعتمده أحبارهم المحافظون فقالوا بجواز الصلاة منفرداً وبدون اصطفاف، وهو تفسير غير صحيح لمخالفته السياق الوارد فيه ونصه:

(جيد أن ينظر الإنسان ويتوقع بسكون خلاص الرب. جيد للرجل أن يحمل النير في صباه يجلس وحده ويسكن لأنه قد وضعه عليه يجعل في التراب فمه لعله يوجد رجاء)[8].

---

(1) المصدر السابق ص84.

(2) المصدر السابق والصفحة ذاتها، نقلاً عن كتاب (اليوبيل) لإسرائيل ليفي ص47 نص عبري.

(3) مخطوط بجامعة اكسفورد تحت رقم (280).

(4) التأثيرات الإسلامية ص85.

(5) التأثيرات الإسلامية ص85.

(6) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(7) التأثيرات الإسلامية ص85.

(8) سفر مراثي أرميا 3: 26 ـ 29.

الفصل الثالث

العبادات في الديانة المسيحية

تمهيد:

امتازت الديانــة المسيحية بأنـها ذات أصول شرقية مستمدة خصائصها من البيئة اليهودية التي ولدت بين أحضانها، والتي سرعان ما انتفضت عنـها لتعلن ولادة ديـن جديـد بعيد كل البعد عن الفكر اليهودي، بل هو نقيض لـه في عقائده الأساسية لأن طبيعة الدين المسيحي توضحها أصوله الأساسية المتمثلة بالخوارق التي جاء بها المسيح عليه السلام، وبسلطة الرؤوساء التي وردت في إنجيل متى 16: 19 و 18: 2018 وترك الدنيا والإيمان بغير المعقول[1]، وبالكتب المقدسة.

وعلى الرغم من إيمانهم بهذه الأصول إلا أنهم لم يستطيعوا التوفيق فيمـا بينـها، إذ لم يستطيعوا توضيح معنى عقيدة (ابن الله أو كلمته أو روح القدس).

ويرى المستشرق الفرنسي (شارل جنسيبير) أن ذلك راجع إلى نشأتهم أو ما نشؤوا عليه من تقاليد فكرية وكان هذا حال الفريسيين بالنسبة للمسيحية[2].

ويعزو تفوق الديانة المسيحية آنذاك على غيرها من الديانات إلى عاملين اثنين هما:

1 ـ أصلها اليهودي الذي حفظها من اتخاذ الحلول الوسط من خرافات الأساطير المنفرة للنفوس الرديئة.

2 ـ الواقع الإنساني للسيد المسيح وتمجيده المحقق لليقين الذي جاء به من عند ربه[3].

وتبعاً لذلك فقد تأثرت العبادات المسيحية بخطين أحدهما مباشر والآخر غير مباشر، فالأول يمثله التيار اليهودي بعباداته التقليدية التي سار عليها عيسى عليه السلام، واقتفى آثاره من بعده حواريوه.

والسيد المسيح لم يأت في بداية دعوته ليغير ناموس موسى عليه السلام بل جاء مكملاً ومجدداً لروحية التقوى التي أضاعها اليهود بالمراء والتضاهي بحب الظهور والمسيحيون

---

(1) يقصد بالإيمان غير المعقول عند عامة المسيحيين، هو أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها، وهو مع ذلك مما يجب الإيمان به، إذ يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك دون نظر، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت. انظر: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية. محمد عبده ص34، دار الحداثة، لبنان، ط2، 1983.

(2) جنسيبير، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها ص209، ترجمة د.عبد الحكيم محمود، المكتبة العصرية، بيروت.

(3) المسيحية نشأتها وتطورها. شارل جنسيبير ص205.

الأوائل كانوا يهود الأصل، فليس بمستغرب أن يكونوا قد اقتبسوا شكل عباداتهم من عبادات اليهود وإلى ذلك يشير سفر أعمال الرسل بقوله: «وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت وكانوا يتناولون الطعام معاً في البيوت» ولكن المسيحيين سرعان ما أدركوا أن الذبائح المقدمة في الهيكل لم تعد ضرورية إذ أن موت المسيح في نظرهم كان الذبيحة الحاسمة التي قدمت فداءً كضحية العالم، ومن هنا ابتدأت بوادر الخلاف بين اليهودية والمسيحية.

إن دعوة المسيح إلى ملكوت الله جابهت رفضاً يهودياً فالمسيح عليه السلام كان قليل الصبر على مساومات الدين التقليدي وبصفة خاصة الالتزام الصارم بالطقوس التي كان الفريسيون يعدون اتباعها المقياس الوحيد للتقوى[1].

وبعد رفع المسيح إلى السماء انطلق تلاميذه يبشرون برسالته فانقسمت منطقة انتشارهم إلى ثلاثة بيئات دينية هي[2]:

أ ـ بيئة دينية يهودية تتعصب لتوراتها وتنكر وتنبذ المسيحية والمسيحيين.

ب ـ بيئة دينية يهودية مسيحية تتمسك بالتوراة والإنجيل وتؤلف بينها، وهي محاولة عقيمة بين عقيدتين متناقضتين واستطاعت هذه البيئة أن تتبنى التوراة ولكنها أضاعت المسيحية.

جـ ـ بيئة مسيحية بحتة تنكر التوراة ولا تتبناها، ويمثلها الفلاسفة والحكماء وهؤلاء نبذوا التوراة واعتبروا تراثها هو الحكمة والفلسفة والمحبة المثالية التي جاء بها الفكر الرواقي الذي هو خليط من نتاجات الفكر الوثني والمسيحية واجتهد هؤلاء في أن جعلوا المسيحية فكرة أممية عالمية شاملة دون ربطها بأرض وشعب أو بعرقية خاصة.

إن ماهية العبادة المسيحية هي (توجيه الروح إلى الله بإخلاص واحترام، إما في حركة صامتة أو بتغيير خارجي) [3].

ويؤمنون بان الله عين اليوم الأول من الأسبوع ليكون يوم الراحة للمسيحي أي يوم الرب وهو يوم الأحد[4].

---

(1) جرجيس صبري. (د) التراث اليهودي والفكر الفرويدي ص47، مطبعة مخيمر، ط1، القاهرة، 1970.

(2) اليازجي، ندرة، رد على التوراة ص30، مطبعة الغربال، دمشق، ط3، 1987.

(3) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص39.

(4) المصدر ذاته ص41.

ولم يحددوا أياماً خصوصية للصلاة عـلاوة علـى يـوم الـرب، ولكنـهم يقيمـون مراسـيم تعبدية متى دعت الحاجة إلى ذلك.

أما أماكن العبادة فيقيمونها في الكنائس، أما الأديرة فتمثل غالباً أماكن تعبد الرهبان.

وأنواع العبادة في صورتها الخارجية ثلاثة أنواع: (جمهورية وفردية وعائلية) [1].

فالأولى: تعني صلاة الجماعة في الكنيسة.

والثانية: تمثل صلاة الفرد وحده لربه.

أما العبادة العائلية: فهي صلاة أفراد العائلة في البيت التي تشتمل على تهليل وقراءة نصوص من الإنجيل.

والشهادة في عرف المسيحيين: إجراء بعض الطقوس الدينية حتى يعد المولود من أبوين مسيحيين مسيحياً، وأهمها التعميد وتناول العشاء الرباني.

فالتعميد: هو سر مقدس يوليه المسيحي مـرة ثانيـة بعـد الـولادة الأولى، إذ يغتسـل أو يرش بالماء باسم الآب والابن والروح القـدس، ولا يصـح العمـاد إلا بواسـطة الكـاهن، إذ يقـام طقس احتفالي، أما تناول العشاء الرباني المتكون من الخبز والخمر فهو يمثل في نظرهم (فريضة الشركة مع المسيح الذي قدم الخبز والخمر في أخر عشاء له في الحياة الدنيا[2].

وللهيئات الكنسية الحق في وضع تشريعات دينية تنظـم شـؤون المسـيحيين التعبديـة، فأنشأ رجالاتهم مجالس خاصة تنظم كبار فقهائهم.

والدرجات الدينية لرجال الكنيسة ثلاثة[3]:

1 ـ الأسقفية: وتشمل البطريرك والمطران (المطراقوليط) الأسقف.

2 ـ الكهنوت أو القسيسية: ويضم الأكادياقون، الخوراسقف، الكاهن (القس).

3 ـ الشماسية: وتتكون من الشماس (الإنجيلي)،الرسائلي (هوخذيقنا).

وحصلت عبر الأزمنة المختلفـة، اختلافـات في العـدد والتسـميات ولكنـها متفقـة علـى التقسيم الثلاثي والأشخاص الرئيسيين (الأسقف ـ الكاهن ـ الشماس).

---

(1) المصدر ذاته ص40.

(2) المصدر ذاته ص51.

(3) مجلة بين النهرين عدد 85 ـ 86 ص207 سنة (22) ـ 1994 من مقالة للدكتور يوسف وهبي.

والكنيسة الأرثوذكسية[1] تتبع نظام التدرج الديني المسمى (الإكليروس) في إعطاء الألقاب الدينية لرجال الكنيسة، والذي يبدأ من البطريرك ثم يليه المطارنة ثم الأساقفة والقسس أصحاب الامتياز ويسمون (القمامصة) ثم القسس العاديون وهم أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور في الكنيسة.

أما الكنيسة الكاثوليكية[2] فتتبع النظام البابوي في التدرج الديني، إذ يرأس البابا الكرادلة وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، ومنهم يتكون المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية والتي تعتبر في نظرهم (إرادات إلهية مقدسة) لأن البابا في عرفهم هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، ويمثل كذلك إرادته التي لا تقبل الجدل والنقاش.

أما الكنيسة البروتستانتية[3] فيتعاون أعضاؤها على القيادة والوعظ وعدم المساس بالاستقلال الذاتي لكل كنيسة، ولكن فيها أيضاً (القس) ومعاونوه الذين يديرون شؤون الكنيسة ويرأسه مجلس إدارة الكنيسة البروتستانتية.

لقد تأثرت العبادات المسيحية بنظيرتها اليهودية من وجهتين:

الأولى: أن الاحتفال بعيد الفصح ينعكس في الاحتفال (بعشاء الرب).

الثانية: أن أنموذج الخدمات المسيحية الأولى بتأثير من خدمات المجتمع اليهودي بما فيها من قراءة في الكتاب المقدس وصلاة ووعظ[4].

لقد حاول المسيحيون أن يبعدوا طقوس عباداتهم من الشكليات التي وضعتها عليهم الديانة اليهودية في أول أمرها، ففي الصلاة تركوا لأتباعهم حرية التعبير عن الخشوع والتذلل.

«وليس السجود فقط نشاطاً يمارسه البشر على الأرض فإن السماء تشهد حمداً وتسبيحاً وسجوداً تؤديها لله خليقته كلها بشراً وملائكة»[5].

وهكذا أقام المسيحيون ديناً مختلفاً في أصوله وجوهره عن تلك المسيحية الشرقية النابعة عن أساسها اليهودي وسبب ذلك عدم وضوحهم في تفسيرهم لعقائدهم ونظرتهم لله ولعيسى عليه السلام، وهذه شهادة عالم مسيحي يصور لنا ما ذكرته آنفاً.

---

(1) المسيحية، أحمد شلبي ص206 ط4.

(2) المصدر ذاته ص207.

(3) المصدر ذاته الصفحة ذاتها.

(4) موسوعة الكتاب المقدس ص215.

(5) المصدر ذاته ص214 ـ 215.

«إن الغربيين لم يفهموا العقائد المسيحية في العصور القديمة قط كما لم يصلوا إلى إدراكها في العصور اللاحقة، وأن الديانة التي أنشؤوها على أساس منها باجتهادهم الخاص كانت دينية مختلفة تمام الاختلاف في روحها وجوهرها عن المسيحية الشرقية، ديانة مختلفة نبعت قبل كل شيء من رصيدهم الفكري والروحي متمشية مع عواطفهم وإن صبت في قوالب تبشيرية لا نوافقها تمام الموافقة»[1].

(1) يقصد بالغربيين هنا: الأوربيين عامة، نظراً لزعامتهم الدينية الكنسية وللأمم المسيحية، انظر: المسيحية نشأتها وتطورها ص209.

المبحث الأول
الألوهية والنبوة

أشارت الأناجيل المسيحية وأعمال الرسل إلى وحدانية الله تعالى الذي لا شريك له، كما تقرر أن عيسى عليه السلام رسول الله لبني إسرائيل فقط كما تبين ذلك النصوص الصريحة التالية:

1 ـ يروي مرقس في إنجيله قول عيسى عليه السلام (الرب إلهنا إله واحد وليس آخر سواه)[1].

2 ـ وينقل يوحنا عن عيسى عليه السلام قوله (أن أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم) [2].

وحول تقرير عيسى عليه السلام كرسول الله تعالى تذكر نصوص الأناجيل ما يأتي:

1 ـ أن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم[3].

2 ـ وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله[4].

3 ـ ينبغي أن أسير اليوم وغداً، وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين[5].

وعرفت موسوعة الكتاب المقدس الله بأنه (الكائن الروحي الشخصي الأسمى الكلي القدرة الذي لا تستطيع العقول أن تدركه لكنه أظهر للبشرية بعمل خلقه وبعمله المستمر في التاريخ) [6].

وبرزت عملية نقل المسيحية من الوحدانية إلى التثليث، ومن جعل عيسى عليه السلام إلهاً وأن رسالته عامة، وأنه ابن له قد ضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر، وأنه عاد بعد

---

(1) إنجيل مرقس 13: 30 ـ 31.

(2) إنجيل يوحنا 20: 18.

(3) إنجيل يوحنا 6: 14 و 7: 40.

(4) إنجيل يوحنا 8: 40.

(5) إنجيل لوقا 13: 33.

(6) موسوعة الكتاب المقدس ص40.

صلبه إلى السماء، ليجلس على يمين أبيه ليحاسب البشر، منذ أن ظهر بولس وأعلن نصرانيته ودخوله في المسيحية.

ولم يدع السيد المسيح عليه السلام طيلة حياته بالألوهية غير أن أقواله حول وحدة الوجود الروحية بينه وبين خالقه تعالى أوحت لهم بأن المسيح إله، أو ابن إله اتحدت به الصفات اللاهوتية بالصفات الناسوتية من قبيل الضحك والبكاء والجوع والعطش وغير ذلك، ناهيك عن تكلم المسيح بألفاظ لم يألف سماعها اليهود، ولم يوضحها المسيحيون أنفسهم ببيان جلي والمأخوذة من وحدة الوجود الروحية كقول إنجيل يوحنا (الله روح الذين يسجدون فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا)[1].

وأدى (بولس الرسول) دوراً كبيراً في دعوى التثليث، وهو الذي اطلع على ثقافات متنوعة، يونانية ومصرية، وخاصة الفلسفة الأفلاطونية الإغريقية التي استطاعت أن تغير مسار العقيدة الإلهية في المسيحية، إذ ظهرت قبلها (والسابق أستاذ اللاحق وصاحب السلطان أقوى في التأثير على الأضعف المنقاد، وهذا ما قرره فيما بعد مجمع (نيقية) عام 325 م والذي أقر الثالوث والأقانيم الثلاث)[2].

لقد حاول بولس في دعواته الثالوثية التمسك (بفكرة فلسفية هي خليط من تعاليم المدارس الفلسفية الإغريقية والإسكندرية الشرقية من جهة وثقافات الهند وفارس وأن يصهرها كلها في بوتقة واحدة)[3].

وواجه بولس المعارضة الشديدة في دعواه، خاصة إذا علمنا أنه قد اضطهد المسيحية بقوله (سمعتم بسيرتي قبلاً في اليهودية، أني كنت اضطهدت كنيسة الله بإفراط وأبلغها)[4].

ولكن أفكاره وجدت لها أرضاً خصبة في أوروبا أثناء تنقلاته إليها، في وقت كانت تعيش أوروبا على خرافات وأساطير تنم عن جهل مطبق وظلام دامس وجمود في التفكير الصحيح.

---

(1) إنجيل يوحنا 4: 24.

(2) شبلي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية ص33، الدار الكويتية، ط2 1973.

(3) إن بين اللاهوت المسيحي والأفلاطونية متشابهات كثيرة وإن افترقا في بعض التفاصيل فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث. راجع جوتيه ليون المدخل لدراسة الفلسفة. باريس 1923، وانظر: المسيحية ص11، ط4، عبد العزيز منصور حسين، دعوة الحق والحقيقة بين المسيحية والإسلام ص442. مطابع مذكور ط1 ـ 1963 القاهرة.

(4) رسالة بولس الأولى إلى أهل غلاطية: 13.

يقول بولس عن تلك المعارضة (كل من ينكر الابن ليس له الأب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الأب أيضاً، احذروا الذين يضلونكم)[1].

ويرى بولس أن المسيح (الابن من صورة الله الغير منظورة ويرى كل خلق)[2].

وحتى يضع (بولس) المبرر المقنع لتشريعاته يقرر تدوين التوراة والإنجيل تمهيداً لإملاء أفكاره وآرائه على الناس، فيصبغ على رسائله صفة الإيحاء، هذا (الإيحاء) نجده لديه حاصلاً في غيبوبة حدثت له، فتأثر بها، كما يخبرنا بذلك سفر أعمال الرسل، إذ يقول (وحدث لي بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلي في الهيكل أني حصلت في غيبة. . .)[3].

ويقول أيضاً في رسالته الثانية إلى صديقه (تيموثاوس) (كل الكتاب هو موحى به من الله)[4].

وبمرور الزمن خرج الأوربيون من سلطان الكنيسة الرومانية[5] فظهر منهم أناس يؤمنون بالله ولا يؤمنون بما ورد في كتبهم ولا يطبقون شعائرهم الكنسية واتسمت منهم طائفة بالربانيين (Diests) من كلمة (ديوس) بمعنى الرب أو الإله وسموا دينهم دين الطبيعة تميزاً لهم من دين الكنيسة، ومن أشهر الداعين إلى ذلك (لورد هربرت شربري) (Cherbury) المتوفى قبيل منتصف القرن السابع عشر الميلادي، فدعا إلى دين يقوم على أركان محددة هي: الإيمان بالله والفضيلة والتوبة واليوم الآخر، وقد وافقه في ذلك مجموعة من العلماء والمفكرين المسيحيين ووضعوا في ذلك كتباً.

ولكن هذا الأمر لم يدم طويلاً فسرعان ما عادت القوة إلى الكنيسة الداعية إلى فكرة التثليث، فحرمت على أتباعها قراءة نتاجات أفكار هؤلاء الموحدين وأخذت تملي قراراتها بهذا الشأن[6].

وخلاصة رأيهم في الله (الأب) هو الأقنوم الأول في اللاهوت، في رتبة الوظيفة والعمل، وأنه بكيفية لا تدرك، وهو الأب للابن الوحيد بالولادة الأزلية، وأن منه ومن الأب ينبثق

---

(1) انظر رسالة يوحنا الأولى 1: 15.

(2) الرسالة إلى أهل كولونسي 1: 15.

(3) أعمال الرسل 22: 17.

(4) الرسالة الثانية إلى تيموثاوس 3: 16.

(5) المسيحية، أحمد شلبي ص72. ط 4 بتصرف.

(6) من هذه القرارات قرار الفاتيكان الصادر عام 1929 ولا يزال معمولاً به لحد الآن إذ (تصل الكتب المحظورة قراءتها على الكاثوليك إلى خمسة آلاف كتاب ومنها جميع مؤلفات (ميرلنك. إميل زولا) ومنها أكثر مؤلفات (رينان) وجان جاك روسو وديماس الأب وديماس الابن وديكارت ولامينيه وفيكتور هيجو، ومنها (انحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها لجيبون. وتاريخ الأدب الانكليزي للينين).

الروح القدس وأنه في وحدة وشراكة متبادلتين مع الابن والروح القدس، وأنه المبدع الأصلي في الخلق والفداء[1].

وعرف المسيحيون النبوة: بأنها (معرفة الحوادث المستقبلية والاختيارية والأخبار السابق الأكيد بها وهي أعجوبة عقلية)[2].

أما النبي فهو (من يتكلم عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك من بنات أفكاره، بل هو من قوة خارجة عنه - هي قوة الله)[3].

أما النبي في عرف الكنيسة فيراد به (من صدق عليه وصف النبوة من حيث معناها الوصفي أي أن النبوة هي اليقين بحوادث آنية لا يمكن أن يهتدي إليها بأسبابها ومقدماتها بمجرد استدلال العقل)[4].

أما الرسول فهو (مبعوث وهو الشخص الذي يرسل في مهمة خاصة)[5]. وورد لفظ (النبي) في إنجيل يوحنا (إن هذا هو بالحقيقة النبي الآتي إلى العالم)[6].

ونقل لوقا قول عيسى (ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج أورشليم، يا أورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين)[7].

وقال المسيح في صلاته لله تعالى لأجل تلاميذه (كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم).

فلفظ المرسل هنا يشمل (عيسى) عليه السلام وكذلك تلاميذه الاثني عشر الذين اختارهم له رسلاً.

«دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر وسماهم رسلاً»[8].

وقد خرج مفهوم النبوة من معناه الحقيقي بعد مؤتمر نيقية الذي قرر إخراج عيسى عليه السلام من كونه نبياً ورسولاً إلى كونه إلهاً وابن إله[9].

---

(1) دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر ص22 - 23، مطبعة دار نوبار، القاهرة ط1، 1985.

(2) حول تاريخ الأنبياء، سيجال ص37.

(3) قاموس الكتاب المقدس. جورج بوست مادة (نبي)، أنبياء ص949.

(4) مفهوم النبوة في الديانات الثلاث، رسالة دكتوراه، سلامة حسين كاظم ص167.

(5) إنجيل لوقا 6: 13 انظر مجلة المشرق مج 27 ص342.

(6) يوحنا 6: 14 و 7: 20.

(7) إنجيل لوقا 13: 33.

(8) إنجيل لوقا 6: 13 انظر مجلة المشرق مج 27، ص344.

(9) وقد فصلت الدكتورة سلامة حسين كاظم في رسالتها للدكتوراه مفهوم النبوة عند المسيحيين فأغنانا عن البحث والتفصيل فيه.

المبحث الثاني
الصـــــلاة

لا يمكن فهم التقاليد التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام بمعزل عن تشريعات الديانة اليهودية. فرسالته عليه السلام مكملة ومجددة لرسالة موسى عليه السلام خاصة إذا علمنا أن الظروف السائدة آنذاك في فلسطين عند ظهور السيد المسيح عليه السلام لم تكن بحاجة إلى تشريع جديد يسد نقص ما في الشريعة اليهودية، تلك الشريعة التي كانت تسد احتياجات الناس من الطقوس والأحكام الدينية والمدنية والكفيلة باستتباب الأمن بين الناس وإشباع عطشهم الروحي من العبادات وخاصة الصلاة.

«لقد نبت يسوع في شعب يحب الصلاة وكان المعلمون (الربيون) يذكرون أجمل العبارات عن الصلاة ومن أقوالهم (الله قريب من مخلوقاته قرب الأذن من الفم)»[1].

وفي بداية حياته أقام المسيح عليه السلام صلاته في هيكل أورشليم مع بني إسرائيل ومشاركتهم سائر طقوسهم التعبدية الأخرى فصلى عليه السلام الساعتين الشرعيتين اللتين أمرت بهما الشريعة الموسوية في وقتي الصباح والمساء لأهميتهما، ولأنهما توافقان سياق الحياة اليومية للناس أي ساعة نهوضهم من النوم صباحاً وساعة عودتهم من العمل وخلودهم للراحة، وحتى بعد تشريع صلاة الظهر.

إن عيسى عليه السلام في نظر المسيحيين حرر الإنسان من قيود الشكليات والأطر التي فرضتها التعاليم اليهودية، مثل (السن بالسن) وقانون تكرار الكلام وشكليات الصلاة على رتيبة واحدة. فيقول متى في إنجيله «وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم فإنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم، فلا تتشبهوا بهم، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه»[2].

ولم يضع المسيحيون للصلاة شروطاً لازمة لإقامتها، بل حببوا إليها أموراً وضعوها من تلقاء أنفسهم، ولقد مارس المسيح عليه السلام تعليم الصلاة في يوم السبت المقدس عند اليهود،

---

(1) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي 262، إنجيل متى الجزء الأول من الإصحاح الأول الإصحاح الثاني عشر نقلها إلى العربية القس فايز فارس، ط2، إصدار دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

(2) إنجيل متى 6: 7 ـ 8.

وشاركهم فيها، يقول مرقس في إنجيله: (ثم دخلوا كفرناحوم وللوقت دخل المجمع في السبت وصار يعلم فبهتوا من تعاليمه لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكهنة)[1].

وكانوا يقيمون صلاة الصباح لأنها تمثل اكتشاف الحياة من جديد أو قيامه من عالم الأموات (النوم) إذ بعد توقف الحياة يأتي النور المشع وهو صورة من البعث الجديد لها، وأقامها المسيح على انفراد (وقام في الصباح الباكر فخرج وذهب إلى مكان قفر ليصلي هناك)[2].

أما صلاة المساء فكانوا يؤدونها قبل أن يأووا إلى فراشهم، وفيها يشكرون الله تعالى على النعمة التي أسبغها عليهم في النهار، ويستغفرون للذنوب التي ارتكبوها في أثناء النهار، وقد ورد ذكر صلاة المساء في المزمور 141 و140 إذ يقول (لتكن صلاتي كالبخور أمامك، وأرفع كفي كتقدمة المساء)[3].

وتعد مرحلة التشريع اليهودي بالنسبة للمسيحيين فترة مرحلية مؤقتة تم الالتزام ببعض أحكامها لفترة قصيرة متمثلة بالعهد المسيحي الأول، ويشبهونها بمرحلة الطفولة في التشريع الذي نما واكتمل فيما بعد في ظل التعاليم المسيحية كما يذهبون إلى ذلك.

ويؤدي المسيحي الصلاة في الهيكل أو في المجامع، وفي حالة عدم تمكنه من الحضور إليها يؤديها في الموضع الذي تحين فيه وقتها، سواء في البيت أو في العمل أو في الشارع.

إذن المسيحيون (يتشبهون ويقتبسون من اليهود العدد والوقت للصلاة)[4]. وأكد المسيح على فاعلية الصلاة والاستعداد الكامل لدى القدرة الإلهية للاستجابة لطلبات الإنسان الذي يصلي لربه في السماء)[5].

تلك الفعالية التي تزود الروح بالقوة التي تستطيع أن تهزم الشياطين كما حدث إنجيل متى عن ذلك عندما جاء رجل وطلب من تلاميذ المسيح عليه السلام أن يخرجوا شيطاناً من ابنه فعجزوا، فلما جاء المسيح عليه السلام أخرجه، فلما سأله التلاميذ عن أسباب عجزهم أجاب (إن هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصيام)[6].

---

(1) إنجيل مرقس: 1: 12ـ22، وانظر أيضاً: 3: 1 ـ 2 و6: 2، إنجيل متى 12: 9 ـ 10، إنجيل لوقا 4:16.

(2) إنجيل مرقس 1: 16.

(3) إنجيل مرقس 1: 35.

(4) النصرانية والإسلام. محمد عزت الطهطاوي ص 80، مطبعة التقدم، مصر.

(5) المسيح، شخصيته وشريعته وطبيعته، زكي شتورة ص 420، مطبعة العالم العربي، مصر 1975.

(6) إنجيل متى 17: 21.

واقتفى الحواريون ـ أنصار المسيح عليه السلام ـ أثره في إقامة صلاتي الصباح والمساء، يقول سفر أعمال الرسل:

(ودخل الرسل الهيكل في الفجر وطفقوا يصلون)[1].

(صعد بطرس إلى السطح نحو الظهر ليصلي)[2].

(فقال له قرنيلوس كنت قبل أربعة أيام في مثل هذا الوقت أصلي في بيتي عند الساعة الثالثة بعد الظهر)[3].

وأستطيع القول إن دعوة المسيح (عليه السلام) تتم بما هو آت:

1 ـ دعوته إلى الصلاة بلا انقطاع:

فهو عليه السلام يدعو إلى الصلاة كل حين[4] واتخذوا من هذا المعنى (قاعدة ذهبية) ليشدوا منها قوة الربط بينهم وبين الله تعالى، فعمدوا في القرون المسيحية الأولى إلى أن يحددوا للصلاة محطات قوة تجعلهم على الدوام في اتصال دائم مع خالقهم، بعدما كانوا لا يؤيدون هذا الرأي لظنهم أن ذلك ينافي القاعدة الذهبية الآنفة الذكر. فاعتمدوا في تنظيم صلواتهم على التقسيم المدني للنهار الذي يقسم إلى (12) ساعة ونصفها السادسة ومنتصف النهار بين الساعة 1 ـ 6 ويسمونها الساعة الثالثة، والنصف الثاني الساعة التاسعة.

وبمعنى آخر قسموا النهار بين العمل والصلاة، فبعد أن تقام صلاة الصباح تقام صلاة الساعة الثالثة (التاسعة صباحاً) ومن ثم صلاة الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهراً) وصلاة الساعة التاسعة (الثالثة عصراً) وصلاة المساء وأضافوا إليها صلاة قبل النوم، التي تقابل صلاة العشاء الإسلامية. وصلاة منتصف الليل[5].

ويجب التمييز بين صلاة المسيحي المتفرغ للعمل والراهب المتفرغ للعبادة، فالأول يشتغل طوال النهار فيتمسك بصلاتي الصباح والمساء فقط، أما الرهبان الذين يعيشون في الأديرة أو منعزلين فيقيمون الصلوات السبع وربما يزيدون عليها. ويؤدونها بعمق كالمتصوفة مستدلين برسالة بولس إلى أهل كورنثوس التي تقول (الصلاة بالروح)[6].

---

(1) سفر أعمال الرسل.

(2) سفر أعمال الرسل 5: 21.

(3) سفر أعمال الرسل 10: 20.

(4) انظر: إنجيل لوقا 18: 1.

(5) مجلة بين النهرين عدد 79 لسنة 1993 ص 57 مطبعة الأديب، بغداد.

(6) كورنثوس 14: 15.

وحول تشريع صلاة الظهر يقول د. الأب جاك إسحق[1]:

«وأضيفت صلاة الظهر زمن المسيح عليه السلام إذ وجد النـاس في الوقت متسع لشد النفس بصورة أقوى مع الله جل شأنه، وتطبيقاً لمبدأ فرض العهد الجديد يقول المسيح (صلوا في كل حين)».

وفي القرن السابع الميلادي ذكر (إسحاق النينوي): (إن الأعمال الصالحة صـلاة) وربط الآباء اليسوعيون مفهوم الصلاة الدائمة التي تجري في النهار عن طريق تقدمة الصباح لجميع هذه الأعمال[2].

2 ـ التأكيد على الروحانية دون الشريعانية (الطقوسية):

أكد السيد المسيح عليه السلام في تعاليم صلاته على السلوك الروحاني والنظرة الإيجابية الصادقة لله تعالى من دون مباهاة أو رياء، وهو بذلك يعالج بعض الحالات الغير صحيحة التي كان اليهود يعتمدون أداءها في صلاتهم كي تبرزهم أمام أعين الناس أنهم يصلون. قال المسيح عليه السلام (متى صليتم فلا تكونوا كالمرائين)[3].

[ولأن تلاميذه من الأميين فقد أضاعوا الكثير من تعاليم المسيح ونبوته، فكان يخاطبهم دائماً (يا قليلي الإيمان) ويقول لهم: (أيها الجيل الغير مؤمن إلى متى أكون معكم. . . إلى متى أحتملكم)[4].

وفي آخر يوم من حياته (قال لهم يسوع كلكم تشكون في هذه الليلة)[5] وفي الحقيقة شك بعضهم في ذلك، (ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا)[6]][7].

(1) د. جاك إسحق صاحب مجلة (نجمة المشرق) وصاحب امتياز مجلة بين النهرين الصادرتين في بغداد، ولد في الموصل عام 1938 وصاحب امتياز من معهد مار يوحنا الكهنوتي عام 1962. رسم كاهناً عام 1963 وفي عام 1967 دخل المعهد الشرقي في روما ونال الدكتوراه في العلوم الدينية الشرقية. قسم الطقوس (الليتورجية) نشر رسالة الدكتوراه باللغة الفرنسية (رتبة الغفران في كنيسة المشرق) يعمل حالياً أستاذاً في كلية بابل للفلسفة اللاهوتية ببغداد وفي جامعة (روح القدس) في (الكسليك) بلبنان.

(2) من مقالة بعنوان (الروحانيات) الدكتور ألبير أبونا، الأستاذ في كلية الفلسفة واللاهوت ببغداد.

(3) إنجيل متى 6: 5 ـ 13.

(4) إنجيل مرقس 9: 49.

(5) إنجيل متى 26: 31.

(6) إنجيل متى 28: 18.

(7) المسيحية، فاروق الدملوجي، ص 144، دار المعارف، مصر 1950.

ومعنى (الشريعانية): أن السيد المسيح لم يلزم أتباعه بفرض عبادة محددة بطقس محدد، وحتى بعد رفع المسيح عليه السلام وحصول القطيعة بين اليهود والمسيحية عام 70م واضطرارهم لإقامة شعائر خاصة بهم ومع ذلك لم يقيموا طقساً ثابتاً. ففي القرن الأول الميلادي (أخذوا يتلون الصلاة ثلاث مرات في اليوم دون تحديد أوقات معينة)[1].

يقول د. جاك إسحاق (مال المسيحيون الأوائل إلى عدم حصر الصلاة في أوقات محددة وساعات معينة تمسكاً بالقاعدة الإنجيلية الذهبية التي أوصت (بالصلاة المستمرة)[2].

وعلى الرغم من أنهم تمسكوا بالأوقات الشرعية الثلاث (الصباح، الظهيرة، المساء) إلا أنهم عمدوا إلى ربط[3] مواقيت صلاتهم بأحداث دينية يبجلونها ويعظمونها.

ويقولون إن المسيح لم يعترف بضرورة أداء الطقوس الدينية أو الابتهال الذي يردده الكاهن ويردد بعده المصلون وأوصاهم أن يصلوا وحدهم خاصة، (وحينما تصلون لا تكثروا الكلام باطلاً كالأمم. . .)[4].

3 ـ إن صلاة المسيح عليه السلام المذكورة في الأناجيل:

تذكر أنه صلى منفرداً طيلة مبعثه على الرغم من مشاركته لليهود في صلاتهم أول الأمر، وعلى الرغم من وجود قرابة بين صلاة تلاميذه واليهود من حيث المعنى والمبنى، لا سيما صلاة الطلبات الثماني عشر التي لا يزال اليهود يتلونها اليوم إلا أنها تمتاز عنها: بما فيها من البساطة وبالحرية التي يدعى الله فيها كما أن ترتيب الطلبات فيها هو أيضاً ابتكاري، وتبدأ بثلاثة أدعية: هي دعوة إلى الله لمجيء ملكوته، وليس فيها اهتمام بانتصار سياسي أو ديني ثم تأتي سلسلة الطلبات المعبرة عن حاجات التلاميذ الآنية، وفي القسم الثاني تستعمل صيغة المتكلم في الجمع فتجمع المؤمنين الأفراد في جماعة واحدة وهذه الصلوات وصلت عن طريق لوقا بصيغة أقصر أي خمس طلبات فقط وفي إنجيل متى وردت سبع طلبات[5] يقول (لوسيان كوب)[6] صحب المسيح عليه السلام ثلاثة من تلاميذه

---

(1) مجلة بين النهرين عدد 79 لسنة 1993 ص 56.

(2) إنجيل متى ص 57.

(3) إنجيل متى ص 53 ـ 58 (عن كتاب الدايداكية) أي تعاليم الرسل عن كتاب (قدم النصوص المسيحية) لجورج نصور ويوحنا ثابت.

(4) إنجيل متى 6: 7.

Enc of Religion-Introduction By Morgery Silver University Books Vol, 3. P. 149 N.Y.

(5) الكتاب المقدس (أنا الألف الياء) دار المشرق، بيروت، 1989، ص 51.

(6) لوسيان كوب: أحد أشهر شراح الكتاب المقدس في العالم المسيحي ـ ترك كتابة رسالته في الدكتوراة بناءً على طلب الكنيسة في الدعوة والتبشير ويدرس الآن في كلية بابل في الفلسفة واللاهوت (تفسير الكتاب المقدس) وهو من أصل بلجيكي (فلامنكي).

إلى جبل الزيتون لتعليمهم وبعد حين ترك تلاميذه واعتزلهم ليصلي وحـده، ورأوه يصلـي الصلاة اليهودية التي أداها في الهيكل)[1].

وكان السيد المسيح عليه السلام يدعـو إلى الصـلاة الانفراديـة بقولـه (فأمـا أنـت فمتـى صليت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصل إلى أبيك الـذي في الخفـاء فـأبوك الـذي يـرى في الخفاء يجازيك علانية)[2].

ويدل على ذلك أيضاً قول متى في إنجيله (بعدما صرف الجموع صعد إلى الجبل منفـرداً ليصلي)[3]. وقال مرقس (. . . وخرج ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلي هناك)[4].

وقال لوقا: (وأما هو فكان ينعزل في البراري ويصلي)[5].

وقوله أيضاً: (وفيما هو يصلي على انفراد كان التلاميذ معه)[6].

وقوله أيضاً: (وصعد إلى جبل ليصلي)[7].

وقوله أيضاً: (وإذا كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه..)[8].

وقال أيضاً: (وقال لهم صلواتي لكي لا تدخلوا في تجربـة، وانفصـل عنـهم نحـو رمـي الحجر وجثا على ركبتيه وصلى)[9].

والأمر الثابت الصحيح أنه عليه السلام كان يصلي وحده في الأوقات الحرجة أو عزمـه على أمر جليل وهو ما قاله لأحد أصدقائه (عندي اليـوم أعمـال كثـيرة وشـواقة فيلـزم أصـرف ثلاث ساعات في الصلوات لله ليرشدني وليهديني وليعضدني في أعمالي)[10] وتعرف الصلاة لغة بمعنى نظف[11]. وطهر وتأتي كلمة (صلـى) بمعنـى (قـوم). رفـع وعـرف (أفقريـوس) (ق 4م)

---

(1) ذكر هذا النص لي خلال مقابلتي له في داره ببغداد بتاريخ 1995/7/29.

(2) إنجيل متى 6: 6.

(3) إنجيل متى 14: 23 وانظر إنجيل مرقس 6: 45 ـ 46 وإنجيل لوقا 9: 28 و11: 11.

(4) إنجيل مرقس 1: 35.

(5) إنجيل لوقا 5: 16.

(6) إنجيل متى :18.

(7) إنجيل متى 28/9.

(8) إنجيل متى 1/11.

(9) إنجيل مرقس 22: 41ـ 42، وإنجيل متى 26: 38ـ 39.

(10) انظر تاريخ المسيح ـ إسحاق سنتاوس ص 85 المطبعة المصرية الإسكندرية 1904 وانظر:
The Bible Abnigdon & Sons Press, N.Y 1962 Vol. 4, P.862.

(11) قاموس كلداني عربي ـ يعقوب أوجين متا ص 636، منشورات مركز بابل، بيروت 1975.

الصلاة في الفكر الديني المسيحي بأنها (رفع الروح إلى الله) وعرفها القديس (أوغسطينوس 354 ـ 430) بأنها (حديث موجه نحو الله)[1].

وفي عرف التقليد الكنسي الشرقي يعد التأمل «أحد الطرق المختلفة لممارسة الصلاة»[2]. والصلاة لديهم نوعان:

1 ـ عقلية (فردية): وهي تأمل روحي يكون من العقل والقلب دون اللسان.

2 ـ لفظية (جماعية): وهي التي تترجم بلفظ اللسان عن الحركات العقلية والقلبية، وأقسامها ثلاثة: ـ التمجيد والشكر والطلبة. وهذا ما اشتملت عليه المزامير، وهي أحسن صلاة.

ولصحة الصلاة وتمامها وضعوا لها شرطين أساسيين هما[3]:

أولاً: أن تقدم باسم السيد المسيح عليه السلام يقول يوحنا في إنجيله: (الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً)[4].

ثانياً: أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بأنهم سينالون ما يطلبون طبقاً لما جاء في مرقس عن قول المسيح عليه السلام: (لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم)[5].

أما الأمر بالصلاة فمختلف لديهم لأنهم يرون الصلاة أمراً تلقائياً ينبع من ذات الفرد وإرادته ولا توجد سن محددة للصلاة كاشتراط البلوغ فما دامت الصلاة طلباً ودعاءً فكل الناس في حاجة لذلك فيستوي الجميع في ذلك. يقول بطريرك إنطاكية (مرغنا طيوس) (اجتهد أن تجعل عقلك في الصلاة لا يتكلم فحينئذ تستطيع أن تصلي)[6].

أما التعبير في الصلاة فلهم الخيار بتلاوة ما يشاؤون من كتابهم المقدس وما يناسب أحوالهم بشرط أن لا تخرج عن منوال المفهوم الروحي للصلاة الربانية[7].

---

(1) مأخوذة من محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة للدكتور ألبير أبونا الأستاذ في كلية بابل بعنوان (الروحانيات) 269 ـ 27 عن كتاب أصل الحياة الروحية، طبعة لبنان 1971، ص 244.

(2) مأخوذة من محاضرة مطبوعة على الآلة الكاتبة للدكتور ألبير أبونا الأستاذ في كلية بابل بعنوان (الروحانيات) ص 26 ـ 27 عن كتاب أصل الحياة الروحية، طبعة لبنان 1971، ص 244.

(3) محاضرات في النصرانية ـ محمد أبو زهرة ص 126.

(4) إنجيل يوحنا 16.

(5) إنجيل مرقس 11: 24.

(6) التحفة الروحية ص 22 ـ 23، النصرانية والإسلام ص 79 ـ 80.

(7) سيأتي بيانها لاحقاً.

والسيد المسيح ترك للمسيحيين أن يتلوا من العبارات ما يختارونه شرط أن لا يخرج عن قاعدة الصلاة التي علمها المسيح لهم لكي يصلوا على منوالها، وهي المسماة (بالصلاة الربانية) ويختارون أدعية في صلواتهم من سفر المزامير الذي يقولون عنه (خزانة ذهبية لصلوات داوود وغيره من الأنبياء)[1].

وهم يرون أن أعداء الإنسان ثلاثة (الشيطان والجسد والعالم) والأسلحة ضدها ثلاثة هي (الصلاة ضد الشيطان، الصوم ضد الجسد، والصداقة ضد العالم)[2].

وقد برهنت أسفار العهدين القديم والجديد على ضرورة الصلاة فقد جاء في العهد القديم: (الأب إلهك تتقي وإياه تعبد)[3].

(سبحوا يا عبيد الرب سبحوا اسم الرب)[4].

(طوبى للساكنين بيتك يسبحونك)[5].

(باسم الصلاة يأتي كل البشر)[6].

أما في العهد الجديد فقد ورد:

(اسهروا وصلوا)[7].

(اسهروا إذن وتضرعوا كل حين)[8].

(صلوا في كل وقت بالروح لكل صلاة وطلبة وفي ذلك اسهروا بكل مواظبة وطلبة من أجل جميع الأطهار)[9].

(كونوا على الصلاة مواظبين)[10].

(صلوا بلا انقطاع)[11].

---

(1) النصرانية والإسلام. محمد عزت طهطهاوي ص 79 ـ 80 مطبعة التقدم بمصر.

(2) التحفة الروحية ص 16 ـ 17.

(3) سفر التثنية 6: 13 و10: 1.

(4) مزمور 113.

(5) مزمور 84: 4.

(6) مزمور 65: 2.

(7) إنجيل متى 26: 41.

(8) إنجيل لوقا 18.

(9) أفسس 6: 18.

(10) رومية: 12: 12.

(11) التحفة الروحية ص 5 بتصرف.

ومنذ مطلع القرن الرابع الميلادي بدأ تأليف أول صلاة مسيحية عندما أمر مجمع نيقية (325م) ذلك «إن أساس جميع الأدعية (الصلاة) الواردة في العهد الجديد أصلها مستمد مما أداه المسيح عليه السلام في (كشماني)[1]»[2].

وعلماؤهم يرون «أن كلمة صلاة أصلها (آرامي) بمعنى ينحني أو ينثني أو يتمدد، وأن كلمة (صلوتا) معناها الانحناء واستعملت في بعض اللهجات الآرامية لتعني طقس الصلاة (الدعاء) ويمكن أيضاً أن يكون معناها الصلاة الشخصية وتسمى بالسريانية (الباعوثة)»[3].

1 ـ جثا على ركبتيه في صلاته ببستان الزيتون، يقول لوقا في إنجيله (وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى)[4] أي وضع الركبتين على الأرض.

2 ـ وصلى مطروحاً على الأرض، وقال مرقس في إنجيله (ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي..)[5].

3 ـ وصلى ساجداً. قال متى في إنجيله (ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي. . .)[6].

4 ـ وصلى راكعاً في ظروف احتفالية عند رجم (اسطفانوس) وهو يدعو الراجمين[7] وبولس في خطابه إلى أهالي (أفسس) وكل المسيحيين المودعين (لبولس)[8] فالجثو على الركبتين وضع طبيعي في الصلاة للتعبير عن التضرع أثناء العبادة[9].

يقول د. روبير بيولاي (بدأ المسيحيون في القرن السابع الميلادي بأداء الركوع المشابه للمسلمين)[10] ففي الصلاة الجماعية في الكنيسة يقوم الحاضرون للترنيم والدعاء، وأغلب وقتهم يقضونه جالسين، ويضيف (في الصلاة الفردية يوجد الانحناء الكامل على الأرض والركوع).

---

(1) كولوسي 5: 7.

(2) كشماني: المكاني الذي خان فيه (يهوذا الأسخريوطي) المسيح عيسى عليه السلام وسلّمه للجنود.

(3) The Interpreters Dictionary of the Bible V. 4, P. 862.

(4) Shorter Encyclopedia of Islam P. 491. B.

(5) إنجيل لوقا 22: 41: الجثو يقصد منه وضع الركبتين على الأرض فقط.

(6) إنجيل مرقس 14: 35.

(7) إنجيل متى 26: 39.

(8) سفر أعمال الرسل 7: 60.

(9) أفسس 20: 36.

(10) أفسس 21: 5.

(10) خلال مقابلتي في (الكنيسة اللاتين) ببغداد بتاريخ 1995/7/8.

يقول الراهب (يوحنا الدالياشي) الذي عاش في ق 8 م، وفي طقس كنيسة المشرق (النساطرة) عندما يتوجه الكاهن في القداس إلى المذبح فإنه (يسجد للأرض ثلاث مرات في المساحة الممتدة بين وقوفه أمام المصلين والمذبح)(1) وخلال مشاهدتي الحية لصلاتهم لم أجد للسجود مكاناً في صلاتهم.

وتعد الصلاة الربية أساس صلواتهم لقول المسيح (عليه السلام): «فصلوا أنتم هكذا. أبانا الذي في السموات ليقدس اسمك. ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم. واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير(2).

وكل صلاة تخرج عن المفهوم الروحي تعد باطلة، على الرغم من اختلافهم في إيراد طلبات هذه الصلوات وعددها. (وردت في صيغتين مختلفتين فصيغة لوقا أقصر إذ ورد فيها خمس طلبات بدل سبع وفي الأجزاء المشتركة فرقان أو ثلاثة فوارق ثانوية يتعذر أن نجزم أيهما الأقدم ففي كل منهما نجد مؤشرات على استعمالها في بيئتها الخاصة فالجماعات الأولى كانت تستعمل صيغاً مختلفة لهذه الصلاة)(3).

وتفسر الصلاة الربية وطلباتها بالآتي(4):

(أبانا الذي في السموات): مخاطبة التلاميذ أباهم المشترك وهو واحد(5).

(ليتقدس اسمك) «اسم الله وهو لفظ كتابي مألوف يدل بإجلال على كيانه ولا سيما في النصوص الطقسية».

يقول د. جاك إسحق في مجلة بين النهرين:

إن الطهارة التي نوجدها قبل الصلاة يجب أن تكون روحية لنقاء النفس دون شرط الطهارة الجسدية، وإننا نحبذ طهارة الجسم من كل دنس ونجس، وأما الوضوء فلا يقيمونه، (وقد ورد ذكر غسل الأيدي قبل أداء الصلاة في كتاب أقدم النصوص المسيحية لجورج نصور ويوحنا ثابت)(6).

---

(1) LENSEGNEMENT. Spirituel. De Jean Dalyatha, Robert Beaulay. P. 17, Paris, Beauechesne, 1990.

(2) معجم اللاهوت الكتابي 143.

(3) الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) العهد الجديد ص 51، دار المشرق بيروت ط2، 1988.

(4) إنجيل مرقس ص 52 ـ 53.

(5) إنجيل متى 23: 9.

(6) مجلة بين النهرين العدد 79 لسنة 1993 ص 55 بتصرف.

أما قبلتهم فإلى جهة شروق الشمس وهي غير قبلة المسيح عليه السلام لأن قبلته كانت لبيت المقدس وقد حولها (بولس) من تلقاء نفسه[1].

ويستخدمون دق (الأجراس) والنواقيس عند مناداتهم إعلاماً ببدء الصلاة[2] والصومعة بيت لعبادة النصارى[3]. ويستخدمون (دق الأجراس) والنواقيس عند مناداتهم إعلاناً ببدء القداس أو صلاة جنازة أو حفل التعميد أو التثبت [4].

ويذكر الكتاب المقدس بأن صلاة المساء أول ما أقيمت من الصلوات ثم صلاتي الصباح والظهيرة[5].

ولا يترتب على ترك الصلاة أي حكم ديني لأن الصلاة يعدونها من خصائص الإنسان ومن مشمولاته الشخصية[6].

ومحتوى صلاة المساء قديماً يتألف من العناصر الآتية[7]:

أ ـ ذبيحة المساء: التي تقدم قبل الساعة الثالثة بعد الظهر.. وهي حمل حولي وسمين.

ب ـ تلاوة الوصايا العشر[8].

جـ ـ دعاءين يمجدان الرب وتصفان حكمته وعظمته.

د ـ تلاوة الصلاة المركزية (شمع) أي (اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا هو رب واحد فأحب الرب إلهك من كل قلبك وكل نفسك وكل قوتك. . .)[9].

هـ ـ ثم يتلون دعاءين يعلنون فيهما اعترافهم بقدرة الله ويتضرعون فيهما لله لدرء الخطر عنهم.

و ـ ويقرؤون بعدها البركات الثماني عشرة وقراءات من التوراة خاصة أيام السبت والاثنين والخميس والأعياد يسبقها ترتيل يقرأ من سفر العدد 35/10 ـ 36 وآية من تبرئة (أشعيا 23: 3) ودعاء تمجيد الرب[10].

---

(1) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح للعلامة أبي البركات نعمان خير الدين الأفندي الألوسي البغدادي ص 308، ط1، لاهور 1303هـ.

(2) و(3) محيط المحيط ج2 ص 152، 53 لبطرس البستاني.

(4) الصلاة في الأركان الثلاثة ص 153.

(5) مجلة بين النهرين عدد 69 ـ 70 لسنة 1990، ص 74.

(6) يقصد من مشمولاته الشخصية: أي أن الصلاة جزء مما يملكه الفرد المسيحي كامتلاكه لدار أو كتاب. الصلاة في الأركان الثلاثة ص 170.

(7) مجلة بين النهرين عدد 69 ـ 70 لسنة 1990 ص 74 وما بعدها.

(8) انظر سفر العدد 28: 2 ـ 8.

(9) سفر التثنية 6: 4 ـ 9.

(10) مجلة بين النهرين عدد 69 ـ 70 سنة 1990، ص 78.

ز ـ يرتلون المزامير حسب النظام الآتي: (نهار الأحد المزمور 23 ـ (22)، الاثنين المزمور 48 (47)، الثلاثاء المزمور 82 (81)، الأربعاء المزمور 94 (93)، الخميس المزمور 81 (80)، الجمعة المزمور 93 (92)، السبت المزمور 92 (91)[1].

ح ـ وأخيراً جرياً على عادة اليونان القدامى بإشعال مصباح المساء فإنهم يقلدونهم في ذلك فيقولون (السلام عليك أيها النور الصالح العزين)[2]، ويقصدون بالنور نور المسيح.

وكانوا يطلقون على صلاة المساء تسمية (رتبة الشكر على النور)[3] وفي القرون المسيحية الأولى أقيمت أول صلاة جماعية في القرن الثالث الميلادي في عهد (هيبوليتس)[4]. ثم تتابعت إقامتها في سائر الأمصار المسيحية آنذاك. وفي القرن الرابع الميلادي قامت راهبة إسبانية تدعى (أبجاريا) أو (إيتاريا) بوضع كتاب (يوميات رحلة 381 ـ 383م) وضعت مشاهد هذه الصلاة في كنيسة القيامة بأورشليم إذ يبدؤون برتبة الإضاءة بين الساعة الرابعة والخامسة بعد الظهر، ثم قراءة المزامير المسائية ومنها (مزمور 141 و140) ويوجهون طلباتهم باسم المسيح ثم يعقبه طواف حول الصليب وقراءة من الكتب المقدسة[5].

---

(1) المصدر نفسه ص 84.

(2) المصدر نفسه ص 85.

(3) مجلة بين النهرين العدد (69 ـ 70) سنة 1990، ص 85.

(4) إنجيل مرقس ص 84.

(5) إنجيل مرقس ص 89. ووضع د. جاك إسحق الاختصاصي في الطقوس الدينية مخططاً لصلاة مسائية تتفق ونمط حياتهم اليومية في الوقت الحاضر، أوجزه بالآتي:

1) صلاة افتتاحية.

2) رتبة الإضاءة (يشعل المصلون شموعهم من مصباح يوضع أمام بيت القربان ويقوم بها القس وهم يرتلون المزمور 11: 105 ـ 112، (كلمتك مصباح لخطاي).

3) يشعل القس البخور مع ترتيلة مناسبة يشترك في قراءتها مع الحاضرين.

4) يقرؤون المزمور المسائي 141 (140) (يارب إليك صرخت).

5) يقرأ القس قراءة مختارة من الكتاب المقدس وشرحها.

6) ثم يقوم القس بتقديم أدعية لله وطلبات للجميع.

7) قراءة قانون الإيمان.

8) قراءة نص الصلاة الربية.

9) قراءة ترتيلة مسائية مناسبة ثم صلاة ختامية (دعاء).

10) قبلة السلام والمصالحة.

إن هذه التقسيمات العشر، عبارة عن أدعية وقراءات مختارة من المزامير والتوراة والإنجيل مع إشعال البخور يقوم به القس، أما باقي الحضور فهم جلوس.

أما صلاة الصباح عند المسيحيين فعناصرها الرئيسية مستلهمة من المراسيم والأدعية التي كانت ترفع في الهيكل، والمجامع، والعهد القديم لم يعط معلومات مفصلة منها بل اكتفى بذكر إشارات محددة، مثل (أخذ يسوع الخبز وبارك)[1].

وهي تحتوي على الطقوس أدناه[2]:

1 ـ الاستعداد للصلاة (نفسياً ـ إيمانياً)، وإقامة صلاة صامتة تسبق الصلاة الجماعية في الهيكل يتأملون فيها على انفراد بمعاني الكلمات التي يقرؤونها جميعاً.

2 ـ التبخير الصباحي: وهي رتبة تعد من مكملات الصلاة عندهم خاصة في أوقات الصلاة الرئيسة مثل طقس يوم الأحد وكذلك من مستلزمات الطابع الاحتفالي ومن مكملات صلاة المساء في كنيسة المشرق، فقد جاء في المزمور 140: 2 (لتكن صلاتي كالبخور أمامك).

3 ـ الذبيحة الدائمة[3]: وسبق ذكرها وقد اشترك رسل الكنيسة في تقديمها تنفيذاً لتعليمات الكتاب المقدس (مزمور 29: 2 ـ 8) والذبيحة التي تقدم قبل طلوع الشمس وتنتهي عند التاسعة صباحاً.

4 ـ قراءة المزامير الصباحية.

5 ـ تلاوة الوصايا العشر التي أعملت بعد تدمير الهيكل سنة (70م).

6 ـ قراءة الصلاة المسماة (اسمع) مع أدعية وقراءات مختارة من التوراة والإنجيل وأخيراً يدعون بدعاء معروف باسم (قديش).

وتتميز الصلاة الأسبوعية في يوم الأحد بخطبة يقدمها القس في موضع يقتضيه الحال وفيها وصف المسيح بأوصاف ما أنزل الله بها من سلطان، وعندها يخر الحاضرون على ركبهم ويجثون.

ويعقب الصلاة العشاء الرباني وهو تذكار للعشاء الأخير الذي تناوله المسيح في حياته وهو مكون من الخبز ويمثل جسد المسيح والخمر (عصير العنب) دمه، أما الآن فيقوم مقامها النقود التي يقدمها الحاضرون إلى القس.

وتتميز الصلاة في الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية بجملة أمور منها:

1 ـ صياغة الأدعية في أناشيد وترنيمات تغنى بألحان مرسومة ومقررة.

---

(1) إنجيل متى 26: 26. وانظر إنجيل لوقا 4: 16 ـ 30.

(2) مجلة بين النهرين عدد 77 ـ 78 لسنة 1992، ص 36، 38، 39، 47، 48، 50.

(3) إنجيل مرقس ص 39: 40.

2 ـ تتميز بصمت يسود الكنيسة عند ذكر (الله).

3 ـ التأمل والسكون عند بعض الأدعية.

أما الصلاة في الكنيسة الأنكاكتانية فلا وقت محدد لها إذ تتقدم العبادة أجراس تدق إيذاناً بوقت الصلاة وتتلى رقعة من الإنجيل، وكلمة الإيمان كنشيد يغنى به، وفي مناسبات خاصة يحتفل بتقليد العشاء الرباني، وهم يعتقدون أنهم بإحياء هذه الذكرى يزكون أنفسهم ويقوون أرواحهم[1].

وفي الصلاة البروتستانتية والكاثوليكية يجلس المصلون أثناء الصلاة على الركبتين مع وضع كفي اليدين مشتبكين عمودياً بمستوى الصدر، ولا ركوع ولا سجود في صلواتهم ما عدا الصلاة التي تقع في الكنيسة فإنه أحياناً فيها سجود من طرف الكاهن[2].

ونصارى الشرق التابعون للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية يقفون معتدلين مقدمين أيديهم إلى الأمام[3].

يقول القس كرم فرج[4]:

«وفي الكنيسة البروتستانتية الأسقفية يضمون الركبتين على الأرض ـ أي في جثو على الأرض عند تناولهم العشاء الرباني، يعتبر القداس لديهم طقساً مهماً ويسمون قداس يوم الأحد (يوم الرب) يقدم لله وهو واجب محتم في الآحاد والأعياد والمسيحيون يرجعون أصله إلى السيد المسيح الذي يقوله إنه أول من وضع سره في الكنيسة ليلة الأحد حينما أخذ خبزاً وبارك وكسر وأعطى تلاميذه وأوصى تلاميذه أن يفعلوا ذلك».

ويرجع القس الراهب (روبير بيولاي)[5] أن أصل القداس في الكنيسة الغربية الرسولية يرجع إلى العشاء الأخير للمسيح مع رسله قبل الموت، أما الكنيسة الشرقية فتؤمن بالعشاء المسيحي بعد صلبه.

---

(1) الأركان الأربعة: أبو الحسن علي الحسيني الندوي 70 ـ 71.

(2) و (3) الصلاة في الأركان الأربعة ص 134 ـ 135.

(4) الرئيس الروحي للطائفة البروتستانتيية الإنجيلية في العراق، يحمل عدة شهادات أكاديمية منها ماجستير في الأدب الديني من جامعة وست منشستر (West Mniester) في كاليفورنيا وماجستير لاهوت من الجامعة ذاتها.

(5) أستاذ الروحانيات في كلية بابل للفلسفة واللاهوت في بغداد، دكتوراه من مدرسة الدراسات العليا التابعة لجامعة السوربون له عدة مؤلفات كما شارك في عدة مقالات نشرت بموسوعات ألمانية وفرنسية منها (معجم المعلومات اللاهوتية والكنسية).

إن إقامة القداس في الكنيسة هو لتقديس الكنيسة موضع أداء فروض العبادة الدينية إذ تمسح جدرانها الأربعة بزيت الميرون من قبل القس، وقد تتدنس الكنيسة كأن يسفك الدم فيها أو يدفن فيها كافر غير متعمد فتتلى صلوات أخرى لزوال تدنيسها ويزول تقديسها نهائياً إذا انهدمت وتركت[1].

ومادة القداس تتكون من الخبز والخمر، ولقبول الخبز فيه شروط هي[2]:

1 ـ يمثل الجسد الطبيعي للمسيح. ويكون مصنوعاً من دقيق البر الخالص إشارة إلى عنصر التراب معجوناً بالماء الطبيعي، مذاباً به شيء من الزيت إشارة إلى عنصر الهواء والملح إشارة إلى عنصر النار.

2 ـ أن يكون مختمراً لقول المسيح (إني مطعمكم خميراً فتعودوا كلكم من ذلك الفطير تأكلون الآن فصاعداً الخبز المختمر معجوناً ومخبوزاً).

3 ـ يصنع الخبز على شكل قرص مستدير مطبوع في وسطه ختم مدور مقسم إلى اثني عشر جزء يسمى الجزء الواحد منه (الجوهرة) و(الجمرة) يثقب بخمسة ثقوب وقت خبزه إشارة إلى المسامير الخمسة التي سمر بها جسد المسيح عليه السلام على حد زعمهم.

أما الخمر فيحضرونها من العنب ويمزجونها مع كمية معادلة لها من الماء توضع في الكأس إشارة إلى الدم والماء اللذين جريا من جبين المسيح عندما طعنوه بالحربة على الصليب كما يزعمون، والمسيحيون يحبذون إقامته يومياً ولكنهم يعدون يوم الأحد يوماً مقدساً لأن المسيح قام بين الأموات فيه حسب معتقداتهم.

(وأجيزت إقامته في الأعياد والمواسم حسب الترتيب الكنسي ويومي الجمعة والأربعاء من كل أسبوع ونهت عن إقامته في أيام الصيام الأربعيني المقدس خلا يومي السبت والأحد والأعياد ونهت عن إقامته في يوم الجمعة لأن المسيح قدم نفسه ذبيحة دموية فوق خشبة الصليب (كما يعتقدون) فلا حاجة لإقامة ذبيحة أخرى)[3].

ومن آداب الصلاة وحضور القداس لديهم[4] طهارة النفس ونظافة الجسم والامتناع عن الأكل لفترة بسيطة، وتنحصر خدمة القداس في الكهنة باختلاف درجاتهم (الأسقف ـ القسيس

---

(1) تفسير القداس، إسحق ساكا ص 7 دمشق 1963 بتصرف.

(2) المصدر نفسه ص 8 ـ 9 بتصرف.

(3) تفسير القداس ص 9.

(4) تفسير القداس ص 17 بتصرف.

ـ الشماس ـ الكاهن)[1] والواحد منهم يمثل المسيح إذ يتلفظ ألفاظ المسيح في العشاء الأخير، وهو ينوب عن الحاضرين فترفع الصلاة من أجلهم[2].

ومن واجبات الكاهن لديهم حفظ نفسه طاهراً والتشبه بالصلحاء من رجالهم. يقول القس (لوسيان كوب)[3] إن أول مرة عقد فيها (قداس الأحد) سنة 96م وإن أول ذكر لها جاء في رسالة بولس الأولى إلى (أهل كورنثورس). ويستخدمون في قداسهم أدوات عديدة منها المائدة والغطاء والكأسين والطبلتين[4] والرباط والمنديل وآنية والكواكب[5]. والإسفنجة[6] والملعقة وبيت القربان[7] والصليب والمروحتين[8] والمبخرة وقد تضاف إليها أدوات أخرى. ولكل أداة من هذه الأدوات رموز تستخدم من أجلها فالمبخرة مثلاً تشير إلى الرائحة الزكية التي تمثل المسيح[9] وبعض هذه الأدوات لم تستخدم قديماً واستعمل فيما بعد كالملعقة[10]. يستخدمون الشموع والقناديل كأنوار مضيئة، وكما يظهر مما جاء في أعمال الرسل أن التلاميذ لما كانوا مجتمعين في أول الأسبوع لكسر الخبز إذ خطب فيهم بولس وأطال إلى نصف الليل.

يقول د. روبير بيولاي (في القرن السابع والثامن الميلاديين) كان رهبان كنيسة المشرق يقفون خلال صلاتهم، ويضعون الركبتين والجبين على الأرض (أي السجود) كما أنهم كانوا يضعون الركبتين على الأرض (أي الجلوس المشابه لجلوس التشهد) وفي أحيان أخرى كانوا يتمرغون كلياً على الأرض، ومثل هذه الأوضاع موجودة بالتحديد تطبيقاً عند الراهب (يوحنا الدالياثي) الذي عاش في منتصف القرن الثامن الميلادي[11].

---

(1) هذه أشهر درجات رجال الدين لديهم. فمعنى (الشماس) الخادم ويسمى قديماً (Scheliach Sibbur) وفي القرن السادس سمي (حزان Hazzan).

(2) تفسير القداس ص 12 بتصرف.

(3) مقابلتي معه في بيت الكنيسة ببغداد بتاريخ 12/12/ 1995 وانظر: رسالة بولس لأهل كورنثوس 10: 16 ـ 17.

(4) الطبلتان: لوح من خشب أو رخام مستطيل الشكل يجوز زخرفته، يقدسه الأسقف بتلاوة خاصة ويمسحه بالميرون (نوع من الزيت) إما في يوم خميس الأسرار أو أيام الخميس من عيد القيامة إلى الصعود وهو يشير إلى الصليب ولا يقدس عليه أكثر من مرة واحدة في اليوم.

(5) الكواكب: إشارة إلى السماء والكوكب التي ظهرت للمجوس عند ميلاد المسيح عليه السلام.

(6) الإسفنجية: تشير إلى منبر الرحمة الذي يجلس عليه المسيح في الحياة الأخرى.

(7) بيت القربان: ويسمى العرش ويكون فوق مائدة التقديس لتوضع فيه الكأس.

(8) المروحتان: يمسكها الشماس (الخادم) ليحركهما فوق هامة الأسقف.

(9) تفسير القداس ص 28.

(10) تفسير القداس ص 28.

(11) ذكر لي ذلك د. روبير خلال لقائي به في كنيسة اللاتين ببغداد بتاريخ 1995/3/23.

تقول المقالة المرقمة (22) في كتاب (يوحنا الدالياثي) (طوبى للنفس التي عندما تصبح ركبتيها على الأرض في الصلاة، ترى قبل أن يلامس وجهها الأرض، إشراق البهاء الموجود فيها)[1].

وعلى نقيض ما سبق ذكره يقول (لوسيان كوب) (في عيد الخمسين الواقع بين عيد الفصح (القيامة) وبين عيد العنصرة، لا يوجد سجود في الصلاة المسيحية حتى يتطابق هذا الأداء مع الموقف الروحي الداخلي في نفوسهم، أي مع المسيح في قيامته من عالم الأموات الذي يستدعي عدم السجود بل مباركته بالوقوف، وعد ذلك تشريعاً في مؤتمر نيقية سنة 325م والمسيحي يجثو على ركبتيه أمام تمثال مريم أو صورتها ويقدم الصلوات لها[2]. وللمسيحيين صلوات مندوبة كثيرة[3] يصعب حصرها، كما يؤمنون بأن كنائسهم تمثل قبلة لديهم ويقدسونها كثيراً، وربما ينشئونها على اسم من يعظمونه من رجالاتهم.

وارتبط أداء الصلاة المسيحية بالموسيقى، إذ ورد في الكتاب المقدس ذكر لكثير من الآلات الموسيقية، وهم يعزفون الموسيقى (بأنها صناعة يبحث فيها عن أحوال النغم من جهة

---

(1) Lense Gnment. Spirituel Jean Dalvatha. P. 116, no bert Beaulay Paris, Beauchesre 1990.

(2) راجع كتاب (الجواب الفسيح) لما لفقه عبد المسيح. للعلامة أبي البركات نعمان خير الدين الألوسي ص 308.

(3) منها:

1 ـ صلاة التعميد: وهي صلاة يبارك فيها القس الطفل لدخوله المسيحية فيعطيه الاسم المسيحي ويصب عليه بعض الماء ويثبت نصرانيته.

2 ـ صلاة التبريك للزوجين والدعاء لهما بالحياة الزوجية السعيدة.

3 ـ صلاة الإثبات والمصادقة: وهي تجرى للفتى المسيحي عندما يصل إلى سن البلوغ أو سن الثانية عشرة بحضور عدد من أقربائه وأصدقائه إذ يؤكد فيها انتماءه للمسيحية من جديد. وهو شرط أساسي لا يتم الزواج إلا بعد إجرائها وإتمامها.

4 ـ صلاة السلم: وتؤدى في الكنيسة وليس لها نص خاص بل للمصلي حرية التأليف في الدعاء بما يوفي الغرض المطلوب.

5 ـ صلاة الكهنوت: وتجرى في الكنيسة لمناسبة ترشيح أحد رجال الدين للحصول على رتبة الكاهن، ويشرف عليها أسقف كبير، وتدهن يدي المترشح بالزيت المقدس، ويصلون صلاة جماعية حيث يتولى الراهب الجديد رئاسة (صلاة القداس) تحت إشراف القس الأكبر.

6 ـ صلاة القربان المقدس وهي تتم للطفل دون سن (12) سنة بعد أن يتم تعليمه معنى القربان وسره.

7 ـ صلاة الاستسقاء: وتجرى في كل فصل ينحبس فيه المطر ويوضع لها نص يناسب الموضوع.

للمزيد، يراجع (الصلاة في الأديان الثلاثة) ص 118 ـ 121.

تأليفه للذيذ والنافر، وعن أحوال الأزمنة المتخللة بين النغمات من جهة الطول والقصر وهي تتم بجزأين: الأول علم التأليف وعلم الإيقاع ويسمى الأصول، أما الترنم فهو تطريب الصوت وإتقان الغناء حتى يصير شجياً والترنم الموزون يقال له إنشاد وبغيره ترتيل)[1].

وقد ورد في العهد القديم ذكر للموسيقى مرتبط بالشعائر والطقوس التقليدية (وقد وضعت كتب للترانيم من قبل أشخاص متعددين لعبادتهم الحياتية ثم اتخذت للعبادة الجماعية ويعتبر كتاب (اليسالتر) من أهم كتب الكنيسة اليهودية الذي اعتبره معظم المسيحيين مصدراً كافياً لأغنية العبادة)[2].

واهتم بنو إسرائيل باستعمال هذا الفن في تعبدهم لله سبحانه وتعالى في أعيادهم الدينية ومناسباتهم الوطنية والاحتفالية المفرحة والمآتم أيضاً.

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني ما نصه (ورثى إرميا يوشيا وكان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا في مراثيهم إلى اليوم وجعلوها فريضة على إسرائيل)[3].

واليهود في حجهم إلى أورشليم كانوا يطربون أنفسهم بالغناء والترنم ليخففوا من تعبهم وإرهاقهم في السفر، إذ جاء في سفر أشعياء ما نصه: (تكون لكم أغنية كليلة تقديس عيد وفرح قلب بالناي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل).

ويرون أن للموسيقى أثراً فعالاً في تنشيط العمل العبادي فهي (تساعد الجماعة على أداء العبادة أداءً حسناً وتساعد على توجيه الشعور والأفكار لله كما تستعمل كصيغة تعبيرية مباشرة عندما يؤدي الناس تهليلاتهم أو تسبيحاتهم أو صلواتهم، وهو لا يرضى بأية موسيقى توضع لكلمات مقدسة بل لا بد لموسيقى خاصة جديرة بقداسة المناسبة وجلالها)[4].

ويرى سفر التكوين أن موسى عليه السلام، أخبر عن أن (يوبال) الذي عاش قبل الطوفان كان أباً لكل ضارب في العود.

(واسم أخيه يوبال الذي كان أباً لكل ضارب بالعود والمزمار)[5].

---

(1) تفصيل الكتاب المقدس ج3 ص 508 ـ 509 المطبعة الأمريكانية 1905.

(2) الإسلام بين الأديان د. محمد كمال إبراهيم جعفر ص 222 ـ 223، دار العلوم، القاهرة، 1978.

(3) سفر أخبار الأيام الثاني 35: 25.

(4) الإسلام بين الأديان ص 227.

(5) سفر التكوين 4: 21.

وجاء أيضاً في السفر نفسه أن (لابان) قد اشتكى من صهره (يعقوب) الذي هرب خفية ولم يخبره حتى يشيعه بالفرح والأغاني والدف والعود[1].

(وقال لابان ليعقوب ماذا فعلت وقد خدعت قلبي وسقت بناتي كسبايا؟ لماذا هربت خفية وخدعتني ولم تخبرني حتى أشيعك بالفرح والأغاني والدف والعود؟)[2].

ويروي سفر الخروج أن الإسرائيليين لما عبروا البحر الأحمر نظم موسى تسبيحه ورنمها مع قومه وكانت أخته مريم تنشدها مع جميع النسوة وراءها بدفوف ورقص.

(حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب وقالوا أرنم للرب فإنه قد تعظم.. فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت مع جميع النساء وراءها بدفوف ورقص. وأجابتهم مريم رنموا للرب فقد تعظم..)[3].

وعندما أصبح داوود ملكاً، قسم وظائف اللاويين، فعين عدداً منهم لأجل الضرب في العود:

(فليأمر سيدنا عبيده خدامه أن يفتشوا عن رجل يحسن الضرب بالعود.. فقال لعبيده: انظروا لي رجلاً يحسن الضرب واءتوا به إلي)[4].

(ولما جمع الإسرائيليين على نقل تابوت الرب من قرية (نغاريم) شيعه داوود إلى أورشليم بأغاني وعيدان وربابات ودفوف وصنوج وإيوان)[5].

واستعان أنبياء بني إسرائيل عند تنبئهم بالغناء كما يورد ذلك في سفر الملوك الثاني فيقول: (والآن فاءتوني بعود ولما ضرب العواد بالعود كانت عليه يد الرب. . .)[6].

وقد ذكر الكتاب المقدس الآلات الموسيقية المستخدمة في العبادات وقد فصلها علماؤهم بشيء من التفصيل فلتراجع في مضامينها)[7].

---

(1) تفصيل الكتاب المقدس ج3 ص 512، المطبعة الأمريكانية 1905.

(2) سفر التكوين 31: 36 ـ 37.

(3) سفر الخروج 15: 1 ـ 20.

(4) سفر صموئيل الأول 16 ـ 17.

(5) تفصيل الكتاب المقدس ج3 ص 512، انظر: سفر أخبار الأيام الثاني 13: 8 و15: 6 ـ 28.

(6) سفر الملوك الثاني 3: 15.

(7) راجع الصفحات (514، 516، 517 ـ 521) من الجزء الثالث من كتاب تفصيل الكتاب المقدس.

ونظراً لشدة اهتمام المسيحيين بالموسيقى من الوجهة الدينية، لذا فقد عدوها العامل الوحيد الذي يوحد بين سائر الطوائف المسيحية، وإن المشاعر التي ينقلها المسيحي لربه يمكن أن تؤدى بأفضل صورها عن طريق الموسيقى[1].

وقد أصدر مجمع نيقية الثاني قراراً رسمياً جاء فيه:

(إن مادة المشاهد الدينية لا ينبغي أن تترك حرة تحت تصرف إبداع الفنانين بل ينبغي أن تستمد من المبادئ التي وضعتها الكنيسة الكاثوليكية والتقليد الديني)[2].

ولا يزال المسيحيون إلى يومنا هذا يستخدمون الموسيقى في طقوسهم التعبدية لاعتقادهم أنها تشكل مع قراءتهم لنصوص من الكتاب المقدس وحدة متجانسة. وتعد المزامير كتاب صلاة عند اليهود والمسيحيين، وقد دونها اليهود الأوائل بلغتهم العبرية ولم تترجم إلى اللغة اليونانية إلا في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد. لأجل أن يقرأها اليهود المشتتون، وهي الترجمة التي تعرف بالترجمة السبعينية[3].

وقد وضعها علماؤهم بين سفري أيوب والأنبياء واختلف العلماء في واضعيها «ونسب لداوود عليه السلام (73)، ولسليمان عليه السلام مزموران هما 72، 127 ولموسى عليه السلام مزمور واحد هو (90). أما (إسحاق) فله (12) مزموراً وهي (المزمور 50، 73- 83) أما قورح فله المزامير من (42، 4 - 49، 84، 85، 87، 88)»[4].

«في المجموعة العبرية مزامير لا عنوان لها تدخل عليها في الترجمة السبعينية تمهيدات جديدة. وهناك 84 مزموراً نسبت لداوود وأخرى إلى كتبة مختلفين مثل إرميا وحزقيال وزكريا وحجاي وبني يوداب وأصحاب الترجمة السبعينية يفسرون على طريقتهم ما في العناوين العبرية في دلالات غامضة»[5].

واليهود اعتنوا بالمزامير كثيراً ترنيماً وتأملاً، درساً وتمحيصاً لكثرة تلاوتها في صلاتهم وأعيادهم، وطقوس المجمع حتى قيل إن اليهود يولدون وفي أحشائهم هذا الكتاب.

---

(1) الإسلام بين الأديان ص 227 بتصرف.

(2) الإسلام بين الأديان ص 225 نقلاً عن كتاب جون ديوي (مقدمة للأخلاق).

(3) كتاب المزامير ص 10.

(4) اليهودية والمسيحية، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص 137، مطبعة هجر، ط1، 1409هـ - 1988م، المدينة المنورة.

(5) كتاب المزامير، مترجم عن الفرنسية مجموعة من العلماء اللاهوتيين ص 10، المطبعة الأمريكانية.

وفي العهد الجديد وبعد مبحث عيسى عليه السلام كثر استخدام المزامير، فيسوع المسيح عليه السلام يستشهد بالمزمور (110)[1] لإثبات ما للمسيح من منزلة رفيعة كما أنه يتلوه مع تلاميذه أناشيد (هلل)[2] التي كانت تختتم عشاء عيد الفصح، وهو على الصليب يتلو مطالع المزمور (22) فيقول (إلهي.. إلهي لماذا تركتني بعيداً عن خلاصي..).

كما يذكر الإنجيل أن المسيح عليه السلام في آخر ساعاته قرأ قطعة من نصوص المزمور المرقم (31) (لا تدعني أخزى مدى الدهر. بعدلك نجني، أمل إلي أذنك سريعاً أنقذني، كن لي صخرة حصن، بيت ملجأ لتخليصي. لأن صخرتي ومعقلي أنت أخرجني من الشبكة التي خبؤوها لي.. ارحمني يا رب لأني في ضيق).

وجرت العادة عند المسيحيين الأوائل أن يتلوا ويرنموا المزامير كما تشير إلى ذلك رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس:

«مكملين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب»[3].

وكذلك رسالته إلى أهل كولوسي «لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية مترنمين في قلوبكم للرب»[4].

واهتم شراح الكتاب المقدس بها باعتبارها أناشيد صلاة يتلوها المصلي في مناجاته رب العالمين، وهي في الوقت نفسه تسابيح تمجد الخالق الجليل على فضائله ونعمه على الناس.

وسفر المزامير اسمه ومعناه تسابيح (الاسم وارد في عنوان مزمور 145) ولا يتفق هذا الاسم مع جميع المزامير[5].

إن مصادر المزامير ثلاثة معروفة من عناوينها[6]:

أ ـ مزامير لبني قورح 42 ـ 49.

---

(1) كتاب المزامير ص 10.

(2) تفتتح بعض المزامير بلفظ (هللويا) أو (هلل) وهي بمعنى التمجيد والحمد لله.

(3) رسالة بولس إلى أهل أفسس 5: 19.

(4) رسالة بولس إلى أهل كولوس 3: 16.

(5) مدخل للعهد الجديد، لوسيان كوب، ج3، ص 1، بحث منهجي لطلبة كلية بابل مطبوع على الآلة الطابعة.

(6) مدخل للعهد الجديد ـ لوسيان كوب ص 2.

ب ـ مزامـير لبـني داوود 51 ـ 65 و67 و 68 ـ 71 و72 وتختتـم في المزمـور: 20 بـ (تمـت صلوات داوود بن سليمان).

جـ ـ مزامير لاساف (73 ـ 83) ومزمور (50).

ويرى علماء الكتاب المقدس أن سفر المزامير (كتاب ترانيم وصلـوات للكنيسـة مـن بعـد المنفى)[1].

أما أهم الأغراض التي خرجت إليها المزامير فهي[2]:

أ ـ المديح: وتشمل المزامـير (98 ـ 1 ـ 29 ـ 33 ـ 47 ـ 65 ـ 66 ـ 93 (96 ـ 100) ـ 104 ـ 105 ـ 111 ـ 113 ـ 114 ـ 117 ـ 135 ـ 145 ـ 146 ـ (148 ـ 150).

ب ـ أناشيد خاصة بـ (يهوه): (47 ـ 93 ـ 96 ـ 99).

جـ ـ تراتيل الفرد للشكوى والشكر والتوسل وقد سبق ذكرها.

وهناك مزامير تتحـدث عـن الملـوك بوضـوح ومرتبطـة بجـد ملوكـي، لـذا فقـد سميـت (المزامير الملوكية)[3]، فمثلاً المزمور (110) يدل على عيد تسلم الملك منصبـه في أورشـليم (قـال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميـك.. أنـت كـاهن إلى الأبـد علـى رتبة ملكي صادق) وكذلك المزمور 28.

ويعتقدون أن خصائص هذه المزامـير الملكيـة[4] (الشـفاعة) إذ يشـفع إلى يـهوه في الملـك أنبياء وكهان فيقول المزمور الثاني والسبعون ما نصه:

«اللهم أعط للملك وبرك لابن الملك. يدين شعبك بالعدل ومساكينك بالحق..».

إن ترنيمات المزامير تختلف من مزمور لآخـر وذلـك تـابع إلى النصـوص المترجمـة عـن الأصل العبري أو اليوناني، أو الأصل السرياني ومدونو المزامير إما قد جمعوا مزمورين في نـص واحد ليعطينا مزموراً واحداً أو العكس، ومثاله[5]:

---

(1) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(2) المدخل إلى العهد الجديد ص 5.

(3) المصدر نفسه ص 8.

(4) المصدر نفسه ص 9.

(5) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، المهندس أحمد عبـد الوهـاب ص 214. دار غريـب للطباعـة، ط 1، القاهرة 1398 ـ 1978م.

النص العبري	النص اليوناني	النص السرياني
المزمور من 1 ـ المزمور رقم (8)	1 ـ 8	1 ـ 8
المزمور من 9 ـ المزمور رقم (10)	9	9 ـ 10
المزمور من 11 ـ المزمور رقم (113)	10 ـ 112	11 ـ 113
المزمور من 114 ـ المزمور رقم (115)	113	114

وقسم العلماء المسيحيون المزامير إلى ثلاثة أقسام[1]:

1 ـ التسابيح. 2 ـ صلوات الاستغاثة والثقة والحمد. 3 ـ مزامير التعليم.

1 ـ التسابيح: واستخدمت للخدمة الطقسية (الليتورجية). وتتميز بطابعها الجماعي إذ يشارك جموع من الشعب في الموكب الاحتفالي بالمناسبة الدينية أعياداً كانت أو تتويجاً لملك ما أو شروعاً في الحرب. . . إلخ، إذ يقومون بالتطواف والتظاهر المهيب كالرقص والتصفيق والركوع والسجود فصاحب المزمور يوجه نداءه إلى جموع المصلين أو إلى عناصر من الشعب، أو إلى خدام العبادة، وبهذا يخلق جواً من الابتهاج، والمشاعر الإيمانية المفعمة بنغمة العبودية. ومجموعة هذه التسابيح موجهة إما إلى (رب العهد)[2] مثل المزامير (8، 19، 33، 100، 103، 104، 111، 113، 114، 117، 135، 136، 145، 50، 78، 105) حيث يتغنى بنو إسرائيل بمعبودهم. أو أنها تشيد بأورشليم وبهيكلها وتسمى (أناشيد صهيون) وهي (46، 48، 76، 84، 87، 122) وأخيراً فهناك أناشيد (الملك) وهي تشيد بحمية الله الجالس على عرشه ملكاً وقاضياً وسيداً للشعوب وفيها هتاف من الجموع يقوي الرب (ملك).

2 ـ صلوات الاستغاثة والثقة والحمد[3]: وتتناول هذه الصلوات تسبيح الرب المقدس والعادل والمحسن ويجمعها حالة الضيق والشدة فالاستغاثة شأن الصلاة التي تعبر عن الثقة بالمعبود، أما الحمد فيمثل الشكر لله على انتهاء الأزمة وسرور الجميع في ذلك وتحدثت عن ذلك المزامير (22، 30، 31، 54، 56 و60).

---

(1) كتاب المزامير، مترجم عن الفرنسية مجموعة العلماء اللاهوتيين ص 11، دار المشرق، بيروت، المطبعة الكاثوليكية 1984م.

(2) كتاب المزامير ص 11.

(3) على التوالي: كتب المزامير. المترجم عن الفرنسية ص 11.

إن مزامير الاستغاثة تحتوي على أربعة عناصر هي[1] دعاء بسم الله يليه دعاء التوسل، ثم عرض للأوضاع، ثم ابتهال، ثم يقين بالاستجابة.

والمصلي يقرأ أحد المزامير التالية في صلاتــه الفرديــة[2] (5، 6، 7، 13، 17، 22، 25، 26، 28، 35، 36، 38، 39، 42، 43، 51، 54 إلى 57، 59، 61، 63، 64، 69، 70، 71، 86، 88، 102، 109، 130).

أما مزامير الصلوات الجماعية للاستغاثة فهي[3]: 12، 44، 58، 60، 74، 79، 81، 83، 85، 90، 94، 108، 123، 133، 137).

3 ـ **مزامير التعليم**[4]: وهي موجهة للدرس والوعظ على طريقة الأنبياء، والتفكير الحكمــي في أمور الأخلاق ومنها (37، 49، 73، 112، 119، 127، 133).

والمزامير (78، 105، 106) مسهبة عن التاريخ المقدس وبخاصة ذكر الوعد والعهد المتطوع والخروج من مصر، والسير في البرية، والتجلي الإلهي على جبل سيناء والدخول في أرض الميعاد.

وتميز المزمور (34) بملامح من شعر الحكمة في شكر الفرد لربه [5]، ونظراً لأن تدوين المزامير جرى في عهد بني إسرائيل الأول فقد ارتبط بتاريخهم وذلك واضح في ذكر تقاليدهم والأخبار عن خروجهم من مصر مثلاً أو خروجهم من أورشليم.

---

(1) و(2) و(3) و(4) على التوالي: كتب المزامير. المترجم عن الفرنسية ص 11 وص 18 وص 18 وص 20.

(5) المدخل إلى العهد الجديد ص 10.

المبحث الثالث

الـــــزكـــــاة

لم يرد لفظ (الزكاة) في الأناجيل، بل ورد لفظ (الصدقة، والصدقات) في إنجيلي متى ولوقا فقط، وقد ورد ذكر (العشور في الأناجيل المسيحية كضرب أمثال للعظة، إذ ذكرت أن المسيح عليه السلام وضع مقياساً حدد فيه الصدقة مفهوماً وصفات، بعد أن دعا إلى الخلاص من رق العبودية كما شجب تصرفات اليهود اللاأخلاقية ودعا إلى إحلال القيم الأخلاقية النابعة من النية الصادقة المفعمة بالحقيقة من دون رياء محلها، مبتعداً عن الصور والتشكيلات التي بالغ وتمادى في رسمها اليهود بدافع حب الظهور والمراء أمام الناس.

ورد في إنجيل متى قوله: (احترزوا أن تضعوا صدقتكم قدام الناس لكي ينظروكم وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذي في السموات، فمتى صنعت صدقة فلا تصوت قدامكم كما يفعل المراؤون في المجامع والأزقة لكي يمجدوا من الناس)[1].

ويضيف أيضاً: (وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك، لكي تكون صدقتك في الخفاء فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية)[2].

ويأتي اللفظ اليوناني للصدقة المترجم (أجر)[3] كثيراً في إنجيل متى مرادفاً لمفهوم الصدقة في الديانة المسيحية، كما تدل الكلمة أيضاً على الأمانة الشخصية في الممارسات الدينية اليهودية المتعلقة بالصلاة والزكاة والصوم[4]. وأوصى السيد المسيح عليه السلام تلاميذه بالعمل بها أو بالدعوة لها.

ويؤمن المسيحي أن فرض (العشور) مفروض عليهم كما هو الحال عند اليهود، إذ تؤخذ العشور من الأموال النقدية وغير النقدية فتؤخذ العشور من بكر الغلات الزراعية ومن نتاج الحيوانات وتعطى لمستحقيها من الفقراء والمساكين، إلا أنهم يرون أن إعطاء العشر بهذا

---

(1) إنجيل متى 6: 1 ـ 2.

(2) إنجيل متى 6: 3 ـ 4.

(3) قاموس الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) العهد الجديد ص 50.

(4) وهذه الممارسات مذكورة في إنجيل متى (الصلاة 6: 5 ـ 6) (الصوم 6: 16 ـ 18) (الصدقة 6: 2 ـ 4). راجع قاموس الكتاب المقدس (أنا الألف والياء) العهد الجديد ص 50.

التحديد لا يقصد منه إلا الإيفاء التام بهذا الواجب أمام الله سبحانه، فالمسيحي لم يعد يلتزم بنسبة العشور التي تفرضها التوراة وإنما أصبحت الصدقات مفتوحة دون تحديد نسبة ما وهي بذلك تتداخل عندهم مع الصدقة الذاتية للفرد فلا يحصل بينهما التمييز وربما بمرور الزمن تضمحل الفريضة وتبقى الصدقة لأن الإنسان ميال إلى التصدق على الفقراء في أوقات غير محددة بالكم والكيفية كما هو الحال في العشور.

يقول القس كرم: وحيث أن الإنسان مؤتمن على المال فيجب عليه أن يتصرف في ضوء إمكاناته المادية وإن تقديم بكور الغلات وبكور الحيوانات وما يقدمه الفرد للمعبد والكنيسة من قرابين وعشور هي من أنواع الصدقة[1].

ويرون أن الصدقة تندرج ضمن مفهوم المحبة لله، إذ يرد في الإنجيل قول المسيح (فكيف تقيم محبة الله في ذلك الذي يغلق أحشاءه دون أخيه الإنسان)[2].

ويربط المسيحيون فعل الصدقة وأثرها بإيمانهم بالمسيح وحسب مراتبه في نفوس المصدقين به، وهي من عموميات الرسائل السماوية التي تنادي بالإحسان والتصدق على الفقراء، وحينئذ يكون معناها هو قصد جزاء رباني مثل ما في النص المنقول عن إنجيل متى الإصحاح السادس.

ويقول لوقا في إنجيله (هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنياً)[3] وورد في إنجيل لوقا أن رجلاً يدعى (زكا) قد طبق ما فعله (يوحنا المعمدان) باستبداله العشر التقليدي الذي كان سائداً قبل مجيء المسيح ببشارته المقاسمة بالنصف[4]. ولا يعتبر هذا التصرف ملزماً على المسيحيين بل هو تصرف ذاتي وتشبيه صرف بتصرف يوحنا المعمداني ويضع الإنجيل ذاته الحكمة التي تنطوي عليها أحكام الصدقات في نشر المحبة والألفة والتكافل بين الناس فيقول:

(أعطوا تعطوا كيلاً جيداً وليداً، مهزوزاً فائضاً يعطون في أحضانكم لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يكال لكم)[5].

ويحصر (الكتاب المقدس) مفهوم الصدقة بصفات محددة منها:

---

(1) من حديث شخصي من القس كرم راعي الكنيسة الوطنية الإنجيلية ببغداد بتاريخ 1996/3/6.

(2) إنجيل يوحنا 3 : 17، وراجع يعقوب 2 : 15.

(3) إنجيل لوقا 12 : 21.

(4) إنجيل لوقا 3 : 11.

(5) إنجيل لوقا 6 : 28 وانظر أيضاً 6 : 27 ـ 32.

1 ـ الإنفاق على المساكين، فمن أعطاهم شيئاً خيره دائم إلى الأبد[1].

2 ـ إعطاء الصدقة بنية صادقة لله تعالى[2].

3 ـ يفضل إعطاؤها سراً وليس أمام الناس[3].

أما (بولس) فيبين أن الإنفاق بكثرة هو اكتناز مدخر للحياة الآخرة، إذ يقول في رسالته لصديقه (تيموثاوس):

«وأن يصنعوا سلاحاً، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكون أسخياء في العطاء في التوزيع مدخرين لأنفسهم أساساً حسناً للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة (الأبدية)»[4].

وتأتي الصدقة بمعنى المكافأة، إذ جاء في إنجيل لوقا (بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين الجدع العرج العمي، فيكون لك الطوبى، إذ ليس لهم حتى يكافئوك لأنك تكافئ في قيامة الأبرار)[5].

ويميل لوقا إلى نزعة تصدقية متشددة في موضع آخر من إنجيله إذ يقول: (بيعوا ما تملكون وتصدقوا، اتخذوا لأنفسكم أكياساً لا تبلى، وكنزاً في السموات لا ينفد، حيث لا يقرب سارق، ولا يبلى سوس لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم أيضاً)[6].

وقال متى: (إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع مالك وأعط الفقراء لك كنزاً في السماء)[7].

ويؤكد كاتب مسيحي[8] أن ما جاء به عيسى عليه السلام في باب الصدقة هو جديد خالف به ما تعود به اليهود من إظهارها بمظهر الرياء.

ويضرب إنجيل مرقس الأمثال الموضحة لمعنى الصدقة إذ يروي مثال الرجل الغني الذي يتصدق بالمال الكثير، والمرأة التي تتصدق بفلسين، فيوضح بأن تلك المرأة قد تصدقت بما تملكه حقاً في حين أن الغني تصدق بفضلة رزقه وبقي رأس ماله محفوظاً[9].

---

(1) انظر الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس.

(2) انظر الرسالة إلى أهل رومية 12 : 8.

(3) انظر إنجيل متى 6 : 2 ـ 4.

(4) رسالة بولس إلى تيموثاوس 6 : 18 ـ 9.

(5) إنجيل لوقا 12 : 33 ـ 34.

(6) إنجيل لوقا 12 : 33 ـ 34.

(7) إنجيل متى 19 ـ 21.

(8) هو إسحق سنتاؤوس في كتابه (تاريخ المسيح) ص 72، المطبعة المصرية، الإسكندرية 1902.

(9) انظر إنجيل مرقس 12: 41 ـ 44.

وخلاصة القول إنه لم يرد لفظ الزكاة في جميع الأناجيل، وإنما ورد في إنجيلي متى ولوقا لفظ الصدقة فقط، وأن أجر المتصدق من الله مطلق غير محدد حتى يكثر الإنسان من الصدقة والتي يفضل إعطاؤها خفية حتى يكون الأجر أكبر. وإن فرض (العشور) وإن حدد بهذا القدر فهو غير ملزم به تحديد، فيستطيع المسيحي أن يدفعه أو لا يدفعه وأمر ذلك مرجوع إليه زيادة ونقيصة.

ولم يأخذوا بما ورد في العهد القديم من تقديم العشور للمحتاجين أو لرجال الدين واعتبروا تقنين (العشور) بهذا الحد غير ملزم عليهم وهو بذلك خروج عن اللاشريعانية التي رسمها لهم القساوسة والكهان الذين يرون في الطقوس المحددة بالكم وبالكيفية أمر باطل لأنه تكرار ممل لا ينفذ إلى أعماق الروح.

فهرست (العشر) في الكتاب المقدس:

عشر: (فأعطاه عشراً من كل. سفر التكوين 14: 20)، (عشر الإيفة من دقيق. سفر اللاويين 5: 11).

فك إنسان بعشر عشرة. سفر اللاويين 27 ـ 31 (وكل عشر الأرض من). سفر اللاويين 27: 3.

(وأما كل عشر البقر والغنم) سفر اللاويين 27: 32 (رفيعة الرب عشر). سفر العدد 18: 26.

(عشر حنطتك وخمراً) سفر التثنية 12: 17 (وأتوا بعشر الجميع بكثرة).

سفر أخبار الأيام الثاني 31: 5 (أتوهم أيضاً بعشر البقر) سفر أخبار الأيام الثاني 31: 6.

(وبعشر أرضنا إلى اللاويين) سفر نحميا 10: 37 (وأتي كل يهوذا بعشر) سفر نحميا 13: 12.

(وإن بقي فيها عشر بعد) سفر أشعياء 6: 13 (لكي يسع البث عشر الحومر) سفر حزقيال 45: 11 (الذي قسم له إبراهيم عشراً) الرسالة إلى العبرانيين 7: 2.

(إن لاوي أيضاً أخذ الأعشار قدر عشر إبراهيم). الرسالة إلى العبرانيين 8/7.

عشور: (عشوركم ورقائق أيديكم. سفر التثنية 12: 6) (وكل ثلاثة أيام عشوركم) سفر عاموس 4: 4.

عشار (لقب): (توما وحتى العشار. إنجيل متى 10: 3) (عندك كالوثني والعشار) سفر يعقوب 18: 17). فنظراً عشاراً اسمه لاوي). إنجيل لوقا 5: 27.

(واحد فريسي والآخر عشار) إنجيل لوقا 18: 10.

(أليس العشارون يفعلون) إنجيل متى 5: 46 (وبينما هو يبكي في البيت إذا عشارون)، إنجيل متى 10:9.

(كان كثيرون من العشارين والخطاة). إنجيل مرقس 2: 15.

(فلما رأوه يأكل مع العشارين.. ويشرب مع العشارين) إنجيل مرقس 2: 6، (وجاء عشارون أيضاً) إنجيل لوقا 3: 12، (جمعاً كثيراً من العشارين) إنجيل لوقا 5: 29. (وكان جميع العشارين) إنجيل مرقس 15: 1، (زكا وهو رئيس العشارين) إنجيل مرقس 19: 2.

(تعشيراً فعشر كل محصول) سفر التثنية 14: 22، (وبعشر زروعاً وكرومكم) سفر صموئيل الأول 8: 15.

(تعطيني فك إني أعشره لك) سفر التكوين 28: 22، (وأعشر كل ما اقتنيته) إنجيل لوقا 18: 12.

(متى فرغت من تعشير) سفر التثنية 26: 12، (تعشيراً تعشر كل) سفر التثنية 14: 22.

(فلهم وصية أن يعشر) الرسالة إلى العبرانيين 7: 5.

عشر: (قد عشر إبراهيم) الرسالة إلى العبرانيين 7: 1 ـ 6.

تعشرون: (لأنكم تعشرون) إنجيل متى 23: 23 وإنجيل لوقا 11: 42.

للاطلاع راجع (فهرست الكتاب المقدس) ص 3 ـ 4، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ط4، 1969.

المبحث الرابع
الصيام

اهتم شراح الكتاب المقدس بالصيام رغم اعترافهم بعدم وجوب فرضه فيه تحديداً آنياً أو كيفياً، ويعتبرونه إلى جنب الصلاة والصدقة أحد الأركان الأساسية لدينهم.

وما جاءت به المسيحية عبر مراحل تأثرها وتطورها يصعب تسميته بشرع سماوي، فالكثير الغالب فيه تشريع كنسي وضعه القساوسة والرهبان وصادقت عليه مجامعهم الكنسية التي عدت قراراتها ذات قدسية ملزمة على كل مسيحي، وإن من يخالفها يعد كافراً.

وليس في العهد الجديد وصية تطلب الصوم، إنما يفهم أمره أنه أمر اختياري يلجأ إليه المسيحي عند الحاجة ويقترن بالصلاة والتذلل وليس في الكتاب المقدس ما يحظر التنادي إلى يوم صوم وصلاة في كنيسة من الكنائس ولأجل حاجة ما[1].

والصوم لم يفرض في الأناجيل كفرض واجب بل ذكر فيها مدحه مع النهي عن الرياء وعدم العبوس في الصوم. (ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين)[2].

لقد كانت سيرة المسيح عليه السلام عبادة لله تعالى فهو في صلاة مستمرة مع ربه، أو صيام غير منقطع البتة (فصام أربعين نهاراً وأربعين ليلة وأخيراً جاع)[3].

إن المتصفح لسيرة السيد المسيح عليه السلام من خلال الأناجيل يبدو له أنه أراد للصائمين عدم إظهار صومهم[4] للآخرين لكيلا يصبحوا مرائين به كما كان يفعل اليهود آنذاك، وبما أن الصوم عبادة نسكية وتوجه إلى الله تعالى نجد أن المسيح يحث أتباعه على الصوم ويمدحه وهذا المديح اعتبره المسيحيون فرضاً كفائياً لا عينياً[5].

---

(1) انظر سفر اللاويين 16: 29، وسفر زكريا 7: 85: 19، سفر أشعياء 58: 3 ـ5، سفر يوئيل 2: 2: 13، يونان 5/3، سفر صموئيل الثاني 12: 16، 20، انظر: موسوعة الكتاب المقدس ص 202.

(2) إنجيل متى 6 : 6 وراجع النصرانية والإسلام ص 82 والمسيحية لأحمد شلبي، ط 4 ص 201 ـ 204 والمدخل إلى دراسة المذاهب والأديان ج1 ص 224.

(3) إنجيل متى 4: 1 ـ 2.

(4) انظر إنجيل متى 6: 16 ـ 18.

(5) انظر معجم اللاهوت الكتابي ص 488.

يقول الإنجيل: (ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين فإنهم يغيرون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين. . . وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكيلا تظهر للناس صائماً لأبيك الذي في الخفاء) (1).

ويرى فريق منهم أن المسيح عليه السلام لم يفرض عليهم صياماً إلا الصوم الكبير (صوم يوم الكفارة) السابق لعيد الفصح(2) وهو اقتداء بصوم اليهود المعروف بصوم (كيبور).

وظل المسيحيون الأوائل الذين كانوا ينتمون إلى السلالة الإسرائيلية يصومونه، أما المسيحيون الذين ينتمون إلى أصول أخرى فلم يلحوا في ذلك(3).

وتحكي الأناجيل(4) انتقاد فقهاء اليهود لتلاميذ المسيح لعدم صومهم بمحضر بينهم فأعلن المسيح عليه السلام أن الصوم واجب في مناسبات خاصة وأن الإنسان لا يصوم لمجرد الصوم، ولكن عندما يواجه احتياجاً أو أزمة كالتي مرت به عليه السلام في الصحراء عند مواجهته للشيطان فصام أربعين يوماً.. فهو لم ينكر بل انتقد رياء اليهود كما فعل الأنبياء من قبله(5).

إن الصيام كما تدل عليه الأناجيل كان طوعياً أيام المسيح عليه السلام وأصبح بعد رفعه كما يشير إلى ذلك إنجيل متى في الإصحاح التاسع وفي معرض رده على سؤال تلاميذ يوحنا (حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين لماذا نصوم ونحن والفريسيون كثيراً وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس جمعهم. ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون) (6)، فسؤال تلاميذ يوحنا يدل على أن الصوم تقليدي ليس بذي إلزام(7).

---

(1) إنجيل متى 6: 16 ـ 18، سفر زكريا 7: 25، سفر يوئيل 2: 13.

(2) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج11 ص70، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيلي طهران 1.

(3) الأركان الأربعة للندوي ص 191.

(4) Grolier Encyclopaedia, N.Y, Vol. 8, P. 179, 1961, printed in U.S.A. By Glorier, Incorporated, New Universal Encyclopaedia Vol. 6, p.3874, Printed in Great Britain by the Amelgated press, Ltd. London.

(5) سبيل المسيح، إبراهيم فارس ص 58، دار منهل الحياة لبنان 1988، وانظر: (الكتاب المقدس)، (أنا الألف والياء) ص 28. دار المشرق، ط 2، 1988 بيروت.

(6) إنجيل متى 9: 14 ـ 15.

(7) الإزائية الإنجيلية نظمها باليونانية والفرنسية الأبوان لاكلراغ ولافيرة الدومينكان ص 53. نقلها للعربية الأب مرموجي الدومنكي. مطبعة المرسلين اللبنانيين، لبنان، 1948، وانظر.
A concise Cyclopedia of Religion Knowledge by Elion Bengamin Sanford Charles-Webster Company p.334.

ولو صح فرضه من قبل نبيهم عليهم لبينه كتشريع محدد المدة والزمن ومـا يجـب فيـه وما لا يجب من الأطعمة والأشربة ولكنه لم يأت بذلك في الإنجيل.

ومن مظاهر الصوم عندهم دهن الرأس وغسل الوجه كرد فعل لما كـان يفعلـه اليـهود في صيامهم من نثر الرماد على الرؤوس وعدم غسل الجسم والملابس، يقـول المسـيح عليـه السـلام (أما أنت فإذا صمت فادهن رأسك واغسل وجهك..) (سفر متى 6 : 17).

وبعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء استمر تلاميـذه مـن بعـده بتطبيـق مـا جـاء في التشريع اليهودي بخصوص الصوم باعتبار أن ما جاء به عيسـى لا ينـاقض مـا فرضـه موسـى عليه السلام إذ يقول المسيح: (لا تظنـوا أنـي جئـت لأنقض النـاموس أو الأنبيـاء. مـا جئـت لأنقض بل لأكمل)[1] إلا ما كان مدعاة للتباهي والتظاهر أمام الناس، حتى ظهور بولس المشرع الأول للديانة المسيحية[2].

ومع ظهور البواكير الأولى للتشريع الكنسـي تحـددت بعـض معـالم الصيـام ومـا يجـب تناوله من طعام وما لا يجب عندما عرف الصيام بأنه (شريعة كنسية تكيفها الكنيسـة حسـب مقتضيات الزمان والمكان)[3].

أما عدم الأكـل في الصيـام فـهو (خـاص بالامتنـاع عـن أكـل اللحـم والألبـان والبيـاض بأنواعها) يومي الأربعاء والجمعة[4].. وقبل هو الامتناع عن الطعام من الصبـاح حتـى منتصـف النهار ثم تناول طعام خالي من الدسم ولا يعقد فيه سر الزواج[5].

والصوم لديهم نوعان:

1 ـ **صوم الصمت:** وهو الامتناع عن الكلام وتلتزم به كنيسة دون أخرى، وأن مجمع الرسل في أورشليم أقره سنة 70م.

---

(1) إنجيل متى 5 : 17.

(2) راجع أعمال الرسل 3: 2 ـ 4 و14 ، 23.

(3) و(4) الصوم من البداية حتى الإسلام، علي الخطيب (د) ص 151، المكتبة العصرية، بيروت ط1، 1980.

(5) المسيحية، مقارنة الأديان، د. أحمـد شـلبي ص 201 ـ 202، ط 4، 1974، النهضـة المصريـة، مصـر وموسوعة تاريخ الأقباط، المسيحية، زكي شتورة، ج1 ص 273، مطـابع البـلاغ ط2، القـاهرة، 1968، والصيام من البداية حتى الإسلام ص 157، وانظر المصادر التالية:

A) Jonathan Z. Smith Fast, The World Book, Encyclopedia World Book, Copyright, 1969. U.S.A., Vol, 7 p. 5253.
B) Encyclopaedia Britannica Vol. 9. 108. Printed in U.S.A. By Enc. Britannica.
C) Fasti Charbress Encyclopaedia Vol. 5, p. 599. Hazell Watson and Viney Ltd. 1962.

وهذا النوع من الصيام يلتزم به أكثر رجال دينهم ويرتبط غالباً بأيـام أعيـادهم ومناسـباتهم الدينية، فضلاً عن أن جماعات الأديرة بحد ذاتها تكاد تكون صامتة دوماً. أما صيام عامـة الناس فمرتبط برغبتهم الشخصية وأن أيامه معدودة ويحق للكاهن أن ييسر الصيـام للنـاس ليجتده في نفوسهم.

2 ـ الصوم عن أنواع الطعام: لا يشكل الصوم عند المسـيحيين بشـكل عـام صـوم اليـوم بطولـه ويمكنهم أخذ الإذن من رجال دينهم بعدم الصيام[1]. وفرض بولس أصواماً على المسـيحيين وتشهد بذلك رسالته الثانية إلى أهل كورنتوس منها[2] إن الناس صـاموا صـوم بولـس أثنـاء إلقاء القبض عليه في روما بدعوى دعوته لدين جديد، فلم يشـأ الحـاكم ـ عـامل رومـا ـ أن يحاكمه فيها لأنه كان رومانياً فأرسله إلى فلسطين فاتفق أن هاج البحر، فصام بولـس طلبـاً للنجاة وصام معه المسافرون مدة أربعة عشرة يوماً إلى أن أنجاهم الله مـن الغـرق، فـاتخذوا ذلك الصوم سُنّة.

وبعد وفاة بولس بـدأت مرحلـة جديـدة أخـرى في التشـريع الكنسـي للصيـام، إذ بـان بوضـوح تقنـين خـاص بـالصوم محـدد الأيـام والسـاعات والأطعمـة، خاصـة في القـرن الرابـع الميلادي، والدافع لذلك هو الحاجة إليـه وخوفـاً مـن شـعور عمـوم المسـيحيين بأنـه لا يـؤدي الغرض الذي من أجله ذكر الصيام في الأناجيل بعدما علموا أنه فرض تطوعي لا إجباري.

وبدأت الكنائس المسيحية بفرض أيام للصوم تختلف مددها بين كنيسة وأخرى ويرتبـط بعضها بحوادث جرت على المسيح عليه السلام كيوم القبض عليه مـن قبـل الحـاكم الرومـاني لفلسطين ويوم صلبه (كما يرى المسيحيون) ويوم مبعثه.

وسجل تاريخ التشريع لديهم أياماً فرضتـها الكنيسـة للصيـام في القـرن الأول المسـيحي والنصف منه حيث، نجد أن القديس (أبرينس) يتحدث عن أنواع من الصيام منها مـا يسـتغرق اليوم ومنها مـا يستغرق اليومـين أو بضعـة أيـام ومنـها مـا يسـتغرق أربعـين سـاعة متواليـة، واستمرت هذه الحالة مدة طويلة[3].

ومما زاد تطور الصيام لديهم احتكاكهم بالشعوب الوثنية فاقتبسوا منها بعض الشعائر، وكأن[4] المسيحية حافظت على الاسم ولم تحافظ على الكيفية ولكنه لم يعد امتناعاً عن الطعـام

---

(1) Jonathan Z. Smith Fast. The World Book Encyclopedia Vol. 7, p. 5253.

(2) الصوم في القديم والحديث، ناصر الدين أبو الفتوح العاملي ص 29، مطبعة الكونكورد.

(3) الأركان الأربعة ص 192.

(4) الصوم في القديم والحديث، ناصر الدين أبو الفتوح الكاملي ص 29.

والشراب في وقت معين، بل أصبح امتناعاً عن بعض أنواع الطعام. وظهرت أنواع من الصيام اشتركوا في أدائها في القرون المسيحية منها:

1 ـ القرن الثاني المسيحي فرض صوم (جمعة الآلام أو الصلبوت)[1]. وجعل صوماً شعبياً.

2 ـ صوم الأربعاء ويوم الجمعة من كل أسبوع، ومرد ذلك يرجعه بعضهم إلى أن اليهود كانوا يصومون يومين من كل أسبوع، وقيل إن الذين ينتظرون (التعميد يصومون يوماً أو يومين ويشاركهم الكاهن في الصيام. والنصارى يصومون يوم الأربعاء لأن يسوع ولد فيه والجمعة لأنه صلب فيه عندهم وهو صوم تطوع لا فريضة[2].

3 ـ صيام اليومين من كل أسبوع بما ورد في إنجيل لوقا (أصوم مرتين في الأسبوع)[3].

4 ـ أما في القرن الثالث فقد ظهرت أيام للصوم مختلف فيها، فكان بعضهم[4] ينهي صومه عند سماع الديك وآخرون إذا أرخى الليل سدوله. واختفى صوم الأربعين في القرن الرابع فلم يوجد له أثر[5] وحتى يوسعوا من قاعدة الصيام فقد فرضوه على المتهمين إذ عدت الالتزامات المفروضة عليهم شاقة مثل أن يكون الجاني حافي القدمين صائماً أربعين يوماً معتمداً على الخبز وحده في إفطاره، مما حدا بالبعض بالمطالبة بالتخفيف[6].

وتيسيراً للبحث قسمت الصيام في المسيحية حسب طوائفها إلى:

1 ـ الصيام عند الكاثوليك:

ويبدأ عندهم في منتصف الليل إلى نصف النهار، ويلتزم به من بلغ سن السابعة من العمر، وينتهي بالستين للرجال، والخمسين للنساء على السواء والصيام اللازم في الكاثوليكية هو (الصيام الكبير)[7] وهم يمتنعون عن أكل اللحم والألبان والبياض[8] بأنواعها يومي الأربعاء

---

(1) الأركان الأربعة ص 192 (المقصود بجمعة الآلام: هو يوم معاناة المسيح من آلامه وصلبه).

(2) منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، رسالة ماجستير معدة إلى مجلس كلية الآداب /جامعة بغداد/ قسم التاريخ الإسلامي. نيسان 1975 ص 192 (نقلاً عن كتاب التنبيه للمسعودي).

(3) إنجيل لوقا 18 : 12.

(4) الأركان الأربعة ص 192.

(5) إنجيل مرقس ص 192.

(6) شرح التعليم المسيحي. القس يوسف لويس ص 197 وما بعدها، مطبعة البرتيري 1939، مصر.

(7) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 151.

(8) يقصد بالبياض البيض والجبن والحليب والزبد.

والجمعة واليوم يلتزم الكاثوليك بصيام يوم واحد فقط (الصوم الكبير) بعد أن أبطلت غيره وجوباً[1].

والكنيسة الرومانية الكاثوليكية تلتزم بصيام الأربعين يوماً التي تسبق عيد الفصح ما عدا (الأحد) وهو صوم قديم وتسميه صوم (الينبوع) (Lent)[2] وتدل عليه كتابات علمائهم القدامى أمثال (أرينوس) و(ترتوليان) وهذا الصوم في بدايته كان قصيراً إذ كان محصوراً بأربعين ساعة الواقعة ما بين وقت صلب المسيح عليه السلام وقيامته بزعمهم.

وبمرور الزمن ازداد ليصبح أربعين يوماً حسب صيام موسى وأليا واليشع وعيسى (عليهم السلام)، وتقر الكنيسة الكاثوليكية صيام الصمت، مقتبسة من وصايا العهد القديم ثم جعلته تشريعاً كنسياً[3] وقد بالغت رهبنة ـ طائفة ـ (الترابيست) في جنوب فرنسا في صيام الصمت فأوجبت على نفسها ألا تتكلم طيلة حياتها فدعوا (بالسكوتيين)[4].

ويعتبر يوم تأسيس الكنيسة المسيحية يوم عيد وتذكار سعيد فيصومه الكاثوليك ويعرف بيوم (الأحد الأبيض)[5] (White Sundy) وهو الاسم الذي يطلق على عيد معروف لديهم باسم (هبة الروح المقدس) ويدعى بالإنكليزية (Penetcost).

واختلف في اشتقاق اسم (الأحد الأبيض)، فقيل إنه في بداية الكنيسة المسيحية الأولى كانوا يمارسون التعميد خلاله ويلبسون الملابس البيضاء لذلك سمي يوم الأحد الأبيض. وأصل هذا العيد راجع إلى العيد الثاني من أعياد اليهود وسمي كذلك لأن أيامه هو اليوم الخامس عشر بعد ثاني يوم عيد الفصح[6].

ولكن معناه تغير عند المسيحيين فقصدوا به جميع المدة المحصورة بين عيد الفصح وأعياد الأحد الأبيض فقط وإن جميع المدة البالغة (خمسين يوماً) تمجد بذكرى قيامة

---

(1) العنداري، سلاحك المسيحي، راجع الصفحات 183، 284، 288، مطبعة المرسلين اللبنانيين، لبنان، 1930.

(2) Enccyclopedia, Britannica, Vol, 9, P. 108.
- Aconcise Cyclopedia of Religion p. 961.
- Fast Chumbr Encyclopedia Vol. 5, p. 599.

(3) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 154.

(4) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(5) Fast chambers's Encyclopedia, Vol. 5, p. 599, Encyclopedia Britannica Vol. 9. P. 108/Aconcise Cyclopedia of Religion p. 961.

(6) Aconcise Cyclopedia P. 961. Fasti Chambers s Cyclopedia, Vol. 5. P. 559.

المسيح وهو يوم فرح، وعادة يصلون واقفين ولا ينحنون لأجل أن يوصفوا شخصيته السعيدة[1].

ولما فرضت الكنيسة الكاثوليكية على رعاياها يوم أيام الأربعاء والجمعة والسبت بعد أول (أحد من أيام الينبوع والأحد الأبيض) ويوم (14) أيلول و(13) كانون الأول وهذه تسمى أيام (الأمبر) (Ember) وهي مأخوذة من معنى (الرماد) الذي يواري الممارسون له على رؤوسهم كدليل على خضوعهم لله تعالى[2].

أما صوم يوم (جميع القديسين)[3] (All Saints) فقد تم إدخاله سنة (610)م كعيد إحياء ذكرى الشهداء الذين سقطوا في سبيل الدفاع عن الدين في الأول من مايس من السنة ذاتها ولكن سنة 834م صار يحيا في أول تشرين الثاني على أساس أنه يدخل جميع القديسين.

وبقي صيام الأربعين يوماً وصيام (الأمبر) يومي 14 أيلول و13 كانون الأول موضع صيام الكنيسة الكاثوليكية حتى سنة 1966[4].

(وفي عام 1966 أتى البابا (بولس السادس) بقوانين جديدة للصيام شملت أيام الصوم جميع أيام الينبوع والأحد الأبيض وعيد ميلاد المسيح وأيام (الأمبر). وقد انقضت أيام الأمبر إلى يومي (أربعاء الرماد) و(الجمعة الحزينة) وفيها يأكلون اللحم مع وجبة كاملة ووجبتين أخرتين ما يكفي لإعطاء القوة حتى يأخذ الصائم ما يحتاجه منها)[5].

كما حدد رجال الدين الأمريكان في تشرين الثاني 1966 متطلبات الصيام بالامتناع عن أكل اللحوم في جميع أيام الينبوع وحثوا أتباعهم على الامتناع التطوعي في أيام الجمع كعمل فردي، كما حثوهم على تقديس وصيام يوم ما قبل التناول (تناول العشاء السري) (Commonion)[6].

---

(1) Aconcise Cyclopedia of Religion P.961.

(2) Ibid. P. 961.

- Fasti Chamberes's Cyclopedia, Vol. 5, P. 599.

(3) New Universal. Encyclopedia Vol. 9, P. 3274 & Glorier Encyclopedia, Vol. 8, P. 187.

(4) Encyclopedia Britannica Vole. 9, 108.

(5) Ibid Vol. 9, P. 108.

- Fasti chamberts. Encyclopedia Vol. 5, P. 599.
- Encyclopedia International Vol. 7, P. 61, U.S.A. Printed.

(6) Encyclopedia Britannica Vol. 9, P.P. 108.

- Chambers s Encyclopedia Vol. 5., P. 599.
- Encyclopedia Internation Vol. 7, P. 61.

وأعطت الكنيسة الكاثوليكية السلطة لرجال كنيستها بإعفاء من رغب من أتباعها من الواجبات الدينية ومنها الصيام، مما مكنها من فرض أصوام متفاوتة بجانب فرائض أخرى على المتهمين بجرائم متفاوتة، يمارسونها عدة سنوات لا شهوراً وأياماً[1]، وهكذا بقي في قانون الكنيسة العالمي (الكاثوليكي) الصيام في جميع أيام الأحد ويوم القديس (مرقس) وأسبوع الفصح وأيام الطلبات (البركات) وجميع أيام السبت والجمعة[2].

2 ـ الصيام في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية:

تتفق الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية مع نظيرتها الكاثوليكية في الصوم الكبير باعتباره[3] أهم وأعم أنواع الصيام ومدته خمسون يوماً أو خمسة وخمسون يوماً ولديهم طريقة فلكية لضبط وقته من عام إلى عام، حيث أن النسيء يحول دون وضع تاريخ ثابت له، مضافاً إلى ضرورة ابتدائه بيوم (الاثنين) من أيام الأسبوع وهو أقرب (اثنين) إلى الاجتماع الكائن فيما بين اليوم الثاني من (شباط ـ فبراير) إلى اليوم الثامن من آذار (مارس) فأي يوم اثنين أقرب إليه فهو رأس ذلك الصوم[4] كما يصومون (صيام القدم) أي قدوم المسيح ويقع قبل عيد الميلاد[5].

ولهم أصوام أخرى أهمها:

1 ـ صوم الأربعين يوماً وهي أيام صامها المسيح، ويصومون قبلها أسبوعاً سموه أسبوع الاستعداد وبعده أسبوعاً آخر سموه أسبوع الآلام.

2 ـ صوم الميلاد ومدته أربعون يوماً من (25 نوفمبر إلى 6 يناير)[6].

3 ـ صوم العنصرة (الرسل) وتمارسه الكنيسة منذ عصر الرسل ليس له عدد محدد من الأيام ويترك أمره بيوم (أحد العنصرة) فإذا تقدم هذا الأحد زادت أيام الصوم وإذا تأخر انقضت وتنتهي تقريباً في (11) أيلول[7].

---

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 152/ التعليم المسيحي الأرثوذكسي أغناطيوس فرزلي ص 84، مطبعة أناتولي، الإسكندرية.

(2) Theodor Gaster Fasting with Encyclopedia, International EDITION, Vol. 11, P. 43. U.S.A. 1987.

(3) التعليم المسيحي الأرثوذكسي، أغناطيوس فرزلي ص 84، مطبعة أناتولي الإسكندرية.

(4) الصوم من البداية حتى الإسلام ص 157، وانظر: موسوعة تاريخ الأقباط المسيحية 273/1.

(5) Encyclopedia Britannica Vol. 9, P. 68.
- Fasti Chamberts Enc. Vol. 5, P. 599.

(6) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 157. وموسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج1 ص 273.

(7) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 157. وموسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج1 ص 273.

4 ـ صوم العذراء ومدته خمسون يوماً ابتداءً في (أول مسرى)[1].

5 ـ صوم نينوى ومدته ثلاثة أيام كالتي قضاها (يونان) (يونس النبي عليه السلام ببطن الحوت كما أوردها سفر يونان في العهد القديم 1: 17).

6 ـ ولهم صيام آخر[2] متفاوت بين اليوم والثلاثة أيام ويسمى صيام البراموت ـ الاستعداد ـ وعادة يسبق عيد العماد الذي يوافق يوم 11طوبة)[3] فإذا جاء العيد يوم السبت يكون البراموت يوماً واحداً (الجمعة) وإذا كان الأحد يكون يوم الجمعة و السبت وإن كان يوم الاثنين فيكون ثلاثة أيام (الجمعة والسبت والأحد) والكنيسة الأرثوذكسية كالكاثوليكية[4] في أخذها بالامتناع عن الحيوان و نتاجه أثناء الصيام الكبير والتشريعان كلاهما كنسيان لا إنجيليان.

وهكذا نرى كثرة أيام الصيام عند الأرثوذكس حتى لتصل في عددها[5] إلى (266) يوماً في السنة بضمنها ما ذكرت بالإضافة إلى أيام الأربعاء والجمعة وعيد القديس بطرس، وأنهم يمتنعون عن اللحم خلال الأسبوع الأول من (أيام الينبوع) وبعد ذلك يمتنعون عن أكل السمك والجبن والزبد والدهن والحليب عدا أيام السبت والآحاد[6].

وترى طائفة النساطرة[7] (أن الرجل الذي يجتهد في العبادة وترك التغذي باللحم والدسم ورفض الشهوات الحيوانية يصفي جوهره حتى يبلغ ملكوت السموات والأرض ويرى الله جهرة) [8].

---

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 157. موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج11 ص 70.

(2) Theodor H. Gaster, Fasting, Vol. 11, P. 43

(3) طوبة أحد أشهر السنة المسيحية ولعله الشهر الرابع عند اليهود والمسمى (طبت).

(4) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 158، نقلاً عن كتاب (الصوم في كنيستنا) القبطية الأرثوذوكسية للقس شنودة يوحنا ص 25، مطبعة الإسكندرية 1963، وموسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج1، ص 273.

(5) Theodor H. Gaster, Vol. 11, P. 43.

(6) Ibid. Vol. 11, P. 43.

(7) أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر زمن المأمون العباسي، وقال إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، العدم، والحياة، وإن الحياة والعدم أقنومين جوهريين (أي أصلين مبدئين للعالم) وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، وقال إن مريم والدة إنسان وهي ليست أم إله بالحقيقة وبذلك كفرته المسيحية في مجمع (أفسس) 431م للمزيد انظر: دائرة المعارف ـ بطرس البستاني ـ ج11 ص 70.
ونصارى العراق في العصر الأموي. رسالة ماجستير للطالب جاسم صكبان الربيعي مقدمة إلى جامعة بغداد ـ التاريخ ـ 1974.

(8) الملل والنحل للشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (9ط4 ـ 548) ج1 ص 225، تحقيق محمد سعيد كيلاني، مطبعة البابي الحلبي، مصر 1381هـ ـ 1961م.

وتفرض الكنيسة القبطية الأرثوذكسية أياماً شعبية للصوم شبيهة بما عند الكنيسة الكاثوليكية ومنها[1]:

1 ـ الصوم الكبير.

2 ـ صوم الميلاد وعدد أيامه ثلاثة وأربعون يوماً تنتهي بعيد الميلاد.

3 ـ صوم الرسل ويبدأ يوم الاثنين وهو مختلف في مدته بين (15 ـ 49) يوماً.

4 ـ صوم العذراء ومدته (15) يوماً.

5 ـ صوم نينوى مدته ثلاثة أيام التي صامها (يونس) عليه السلام في بطن الحوت.

وتحرم الكنائس الشرقية والغربية عقد الزواج في أيام الصوم الكبير الذي تحسب من جمعة البياض إلى الأحد، ومن بدء صوم الميلاد إلى ما بعد (عيد الغطاس) إلا إذا اقتضت الضرورة فيرخصه الأسقف، ويجوز عقد الزواج سراً لا علناً[2]، أما في الكنيسة البروتستانتية (فعادة لا يعقد الزواج في يوم الرب ـ يوم الأحد) [3].

3 ـ الصيام في الكنيسة البروتستانتية:

وتترك الكنيسة البروتستانتية [4] مسألة الصوم الشخصي الذي يقرر فيه الصائم لنفسه إن كان يصوم، وكيف يصوم، وتنوط رغبته الشخصية النابعة عن إحساسه الذاتي، فإذا ما صام وأفطر يحل له أكل ما يشتهيه من المأكولات فهو عندهم مستحب وليس بواجب [5].

---

(1) موسوعة تاريخ الأقباط المسيحية ص 273.

(2) مجلة المشرق، مجلة كاثوليكية، بإدارة كلية القديس يوسف، صاحب امتيازها الأب لويس شيخو. السنة الثامنة عشرة (1920) العدد 4 ص 319 بيروت.

(3) دستور الكنيسة الإنجيلية ص 48.

(4) كلمة (بروتستانت) مكونة من Pro-testimonia ومعناها من أجل الشهادة التبشيرية أو من أجل البشارة بالمسيح. والكنيسة البروتستانتية: تسمى بـ (الاحتجاجية) و(الإنجيلية) الذين يعتبرون الإنجيل المصدر الوحيد لديانتهم، وقد تأسست هذه الكنيسة بعد الثورة الإصلاحية التي قادها (مارتن لوثر) 1510م وتؤمن بأن للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية وإن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً. ولا تؤمن بالصوم ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى. ولا تؤمن بنظام الكهنة ولا البخور في الهيكل، وترفض عقيدة المسيح بعد موته بأن ذهبت نفسه الطاهرة وهي متحدة باللاهوت إلى الجحيم وأخرجت آدم وحواء وجميع الأنفس المسجونة بطائلة الخطيئة وأصعدتهم إلى الفردوس، للمزيد يراجع: (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء) د. أحمد رؤوف شلبي. دار البشير، مصر 1985. (تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية) ص 137 وما بعدها.

(5) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 161.

وتشهر الكنيسة البروتستانتية بالداعين إلى الانقطاع والمانعين الناس من أكل ما أحل الله مثل (مرائين ينطقون بالكذب وضمائرهم مكوية، ويمنعون الناس من الزواج من أكل أطعمة خلقها الله ليتناولوها بشكر كل من آمن وعرف الحق) [1] ولا يحبذون الصيام المندوب الذي أوجدته الكنيسة في مراحل متفاوتة من تاريخهم [2].

وتسير الكنيسة البروتستانتية (الأنكليكانية) البريطانية في منهج صومها على كتاب الدعاء (الصلاة) الخاص بها. وتترك تفاصيله إلى الجهات الدينية التي تدير الكنيسة (وهي على نقيض الكنيسة الكاثوليكية التي لا تعمل أي تمييز بين الصوم والانقطاع) [3] وتلتقي معهم في صيام الأربعين يوماً وكذلك يصومون (أيام الأمبر) [4] كما يصومون (صيام القدم) أي قدوم المسيح الذي يقع قبل عيد الميلاد [5].

وتختلف الكنيسة البروتستانتية عن القبطية [6] بأن الأولى تنكر الصيام والثانية تتمسك به، والبروتستانتية لا تتمسك بالصلاة على أنفس الموتى والصالحين وطلب الرحمة لهم، والقبطية تتمسك بذلك، والبروتستانتية لا تعترف بالأعياد المقامة إكراماً للمسيح أو للشهداء والقديسين والتي تتبعها الكنيسة القبطية وتهتم بها.

4 ـ صيام طائفتي الأرمن والقبط:

تذكر دائرة المعارف [7] بأن أشد أنواع الصيام عند المسيحيين هو عند الأرمن والقبط إذ يصومون الأربعاء والجمعة من كل أسبوع إلا ما وقع منها بين الفصح والصعود ويصومون عشرة أسابيع من كل سنة وهي:

---

(1) انظر: رسالة بولس إلى أهل كولوسي 4: 2، 3، والصيام من البداية حتى الإسلام ص 161 ـ 162.

(2) يقول القس كرم: لا توجد أيام مخصوصة أو محبذة للصيام في الكنيسة البروتستانتية، ولكن المرء عندما يجد نفسه في حاجة تستدعيه إلى الصيام كطلب للشفاء من مرض، وطلب فرج من كربة الميت به أو لأي حاجة أخرى فإن عليه الصوم. ذكر لي ذلك خلال مقابلتي معه في مقر الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية الوطنية في بغداد بتاريخ 1996/3/7.

(3) New Universal Encyclopedia, Vol. 6, P. 327.
- Grolier Encyclopedia P. 198.
- Encyclopedia Britannica, Vol. 9. P. 108.
- Fasti Chamberts Vol. 5. P. 599.

(4) A Concise Lycyclopedia Religion Knowledge P. 691.

(5) Encyclopedia Britannica Vol. 9. P. 108.
Fasti Chamberts, Vol. 5, P. 599.

(6) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 162.

(7) دائرة المعارف ـ بطرس البستاني، ج11، ص 70، طبعة طهران.

1) بعد الأحد الأول من عيد الثالوث.
2) بعد عيد التجلي.
3) بعد عيد انتقال العذراء.
4) صيام عيد الصليب في أيلول.
5) بعد الأحد الثالث عشر من عيد الثالوث.
6) بعد الواحد والعشرين من عيد الثالوث.
7) الصوم السابق لعيد الميلاد.
8) صوم الميلاد.
9) صوم المر.
10) صوم الفصح.

والملاحظ على الصوم المسيحي ارتباطه بالأعياد والأحداث التاريخية التي مرت عليهم حزناً أو فرحاً وهم بذلك متأثرون ومقتبسون من سابقيهم من البابليين والفرس واليونانيين والرومانيين.

وفي نهاية بحثنا عن الصيام عند المسيحيين أذكر ما اتفقت عليه الفرق المسيحية بخصوص الصيام فهي قد رفعت الأناجيل من طريق التشريع وأبعدتها عن التوجه له، وأعطت الكنيسة وحدها هذا الحق، كما أنها لم تر بأساً بالاتصال الجنسي بين الزوجين فهذا لا شأن له بالصيام ولا يفسده من قريب أو بعيد.

واختلفت في نقاط عدة منها:

1) لون التكليف بالصيام، فلا اتفاق بينها على أن يكون فرضاً.
2) لا اتفاق بينها في بداية أو نهاية مدة الصيام وأمر ذلك متروك للصائم ينهيه متى شاء ما دام لا يطيق الاستمرار على ذلك.
3) الصمت يقبل عليه الكاثوليك أكثر من غيرهم، وله شأن في برامجهم الدينية.
4) أقرت الكنيسة الكاثوليكية صيام السبت ومنعه الأرثوذكس إلا في سبت واحد يقع قبل عيد القيامة مباشرة[1].

ومن جميع ما ذكرت يتضح أن السيد المسيح عليه السلام لم يصم أو يدعو إلى صيام[2] ما صاموه آنفاً فهو صام أربعين يوماً في البرية فقط، وجميع صيامهم متأثر بما توارثوه من الأمم

(1) الصيام من البداية حتى الإسلام ص 162 ـ 163.
(2) دائرة المعارف الإسلامية ج 14 ص 397 طبعة طهران.

الوثنية خاصة الهنود والفرس واليونان والبابليين، فمن الفرس اقتبسوا تعاليم (مثرا) ومن الهنود تعاليم (بوذا) ومن اليونانيين وثنيتهم المعهودة، والمسيح عليه السلام خرج من الدنيا ولم يصم خمسين أو خمسة وخمسين يوماً، ولم يصم صيام (يونس) وهو الأولى به منهم، ثم من أين لهم أن يحرموا اللحم؟

إن تحريم أكل اللحوم إن هي إلا عادة جرت عند الوثنيين ومن يدعى بالصابئة الحرانيين [1].

وجاء ذكر الصيام في الأناجيل على النحو الآتي:

1) صفاته: إنجيل متى 6: 16

(فإن اليهود الأنقياء يمارسون بالإضافة إلى الأصوام الطقسية أصواماً طوعية وهي المقصودة هنا ومن أن يسوع المسيح لا يعلق عليها أهمية كبيرة فإنه لا ينكر الصوم في حد ذاته، بل ينتقد فقدان معناه).

(راجع سفر يوئيل 2: 12. سفر زكريا 7: 4 ـ 5).

2) قدرته:

أ ـ إنجيل متى 17: 21 أي أن الصائم يستطيع أن يعمل المعجزات كتحريك الجبل من مكان لآخر أو إخراج الشيطان من نفسه.

ب ـ إنجيل مرقس 9: 29 في الإصحاح قراءة مختلفة فمرة يقول: إن هذا الجنس إشارة إلى عملية إخراج الشيطان من نفسه لا تتم إلا بالصلاة). ولكن في إنجيل متى 17: 21 يذكر الصلاة والصوم.

3) أمثال:

أ ـ إنجيل متى 245 (الفترة التي قضاها موسى على الجبل) سفر الخروج 34: 28، إنجيل متى 9: 9 و18 أو إلى الأربعين سنة التي قضاها بنو إسرائيل في البرية، سفر العدد 14: 34.

ب ـ إنجيل متى 9: 14 ـ 15 (الجدل في الصوم، راجع الإصحاح 6: 16).

جـ ـ إنجيل لوقا 2: 37 (يدل على الكمال المثالي للصائم رغم كبر السن).

---

(1) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، إلى نهاية القرن الرابع، الناشر، الدار التونسية، السلسلة السادسة، ط1، 1986، نقلاً عن كتاب دلائل النبوة ص 149 وص 164.

د ـ إنجيل لوقا 18: 12 (إن ما يقوم به المؤمن (الفريسي) بأعمال التقوى دلالة على الإيمان والتيقن من دينه وعدم انتظاره شيئاً من الله).

هـ ـ سفر أعمال الرسل 13: 2 (أداء فريضة العبادة ومنها الصوم استعداداً لمهمة جديدة).

و ـ أعمال الرسل 14: 12 (إن الحث على الثبات في الإيمان يؤدي إلى اجتياز صعاب كثيرة لا يجتازها إلا المؤمنون بالصلاة والصيام).

الرسالة الثانية لأهل كورنثوس 6: 5. والآية 11: 27 من نفس الرسالة (خدمة الله تأتي بثباتنا في الشدائد والمضايق والمشقات والجلد والصوم) [1].

إنجيل متى 4: 2 (فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيراً).

إنجيل متى 9: 14 ـ 15 (حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً، وأما تلاميذك فلا يصومون؟ فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس بينهم ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون.

إنجيل مرقس 2: 18 ـ 23 (وكان تلاميذ يوحنا الفريسيون يصومون فجاؤوا وقالوا لهم لماذا يصوم تلاميذ يوحنا والفريسيون وأما تلاميذك فلا يصومون) 20: فقال لهم يسوع هل يستطيع بنو العرس أن يصوموا والعريس معهم ما دام العريس معهم لا يستطيعون أن يصوموا.

إنجيل لوقا 5: 23 (وقالوا له لماذا يصوم تلاميذ يوحنا كثيراً أو يقدمون طلبات وكذلك تلاميذ الفريسيين أيضاً وأما تلاميذك فيأكلون ويشربون؟).

43: فقال لهم أتقدرون أن تجعلوا بني العرس يصوموا ما دام العريس معهم؟

35: ولكن ستأتي أيام حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون في تلك الأيام.

(1) للاستزادة يراجع الكتاب المقدس ـ (أنا الألف والياء) الصفحات 53، 196، 254، 414، 154، 560.

المبحث الخامس

الحــــج

لم تتطرق الأناجيل إلى فريضة الحج بالمعنى الحصري إلى جهة محددة كما أن عيسى عليه السلام لم ينوه إلى هذا الواجب الديني، ولكنه عند بلوغه سن الاثني عشر (يصعـد) ـ أي يذهب ـ مع أمه وخطيبها يوسف إلى أورشليم تنفيذاً لأمر الشريعة اليهودية.

يقول إنجيـل متـى (وصعـد يسـوع إلى أورشـليم)[1] وهـذا الصعـود مرتبـط بعيـد الفصـح اليهودي. يقول يوحنا (وبعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى أورشليم) [2].

ويخبرنا سـفر أعمـال الرسـل أن المسيح عليـه السـلام بعـد رفعـه إلى السـماء وبخمـس وعشرين عاماً يصمم القديس (بولس) [3] بالقيام بحج العنصرة[4].

وسجل التاريخ المسيحي الأول لم يشر من قريب أو بعيد إلى ضرورة زيارة الأماكن الـتي ارتادها وعاش فيها السيد المسيح عليه السلام.

وعرف الحج: بأنه (رحلة إلى مرقد القديس أو زيارة إلى مكان مقـدس آخـر، ويتـم ممارسة هذا الطقس لدوافع مختلفة، فهي لأجل الحصول على المساعدة الروحية أو لأجل القيام بصيام التشكر أو القيام بفعل تكفيري) [5] وهي عقوبـة ذاتيـة ينزلهـا الآثـم بنفسـه وبخاصة توجيه من الكاهن، والمسيحيون ينظـرون إلى جسـد المسـيح هـو الهيكـل البديـل لهيكل اليهود[6]. فاقتصروا في أول الأمر الزيارة إلى ما يمثل رمزه وهو ـ المذبح ـ الموجود في

---

(1) إنجيل يوحنا 2: 13، 22: 33 و5: 1 و7: 11، انظر تاريخ المسيح، إسحق سنتاؤوس ص 19.

(2) إنجيل يوحنا 5: 1.

(3) كان بولس يهودياً يحارب المسيحية بضراوة وقتل الكثيرين من أتباع عيسى عليه السلام إلا أنـه ادعـى بأنه التقى بروح السيد المسيح وهو في طريقه إلى دمشق فهداه إلى نوره فخصص مـا تبقـى مـن حياتـه في خدمة الدين الجديد، كتب رسائل وأعمالاً كثيرة يتحدث عنها الكتاب المقدس ممـا رسـم أموراً مـيزت الديانة النصرانية بمميزات جديدة. راجع تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية ص 93 وما بعدها.

(4) انظر أعمال الرسل 20: 6 و24: 11. وانظر معجم اللاهوت الكتابي ص 258.

(5) معجم اللاهوت الكتابي ص 258.

(6) New Encyclopedia Britannica, Vol. 8, P. 442 Inc. 1986.

كل كنائسهم ـ الذي يمثل مكان صلب المسيح[1]، إذ يعتبرونه مكاناً مقدساً، لذا فهم يعتبرون جسد المسيح المصلوب يمثل الذبيحة الكاملة للرب والتي تقدس ذاتها بذاتها[2]. ثم تعداه إلى أماكن مقدسة أخرى.

ويسمى المسيحي الذي يقوم بهذا الواجب (المقدسي) نسبة إلى بيت المقدس[3] وتعتبر المزامير المرقمة من (120) إلى الرقم (134) تراتيل يتغنى بها المقدسي وهو يتوجه إلى بيت المقدس.

والحج عندهم بمعنى القصد إلى مكان تقدس بظهور رباني تجلت فيه القدرة الإلهية متمثلاً بكنيسة أو قبر أو مشاهد لقديسيهم[4].

ويرى المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) [5] أن المكان ـ أياً كان ـ إنما جاء تقديسه من خلال شعور الناس واعتقادهم بأن له قوة جذب روحية تلقائية تشدهم إليه، كما أنه يعبر في نظرهم عن الرغبة في إزالة مواطن التمسك بالحياة الدنيوية.

وخلاصة ما ذهب إليه (ماسينيون) أن الأماكن المقدسة انعكاس لله المقدس[6].

يقول عيسى عليه السلام: (حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهنا أكون في وسطهم)[7]. ولشذ ما اهتم المسيحيون بعد حين بزيارة كل من فلسطين وروما، حيث تمثل الأولى مهبط المسيح عليه السلام، ومكان صلبه ورفعه حسب اعتقادهم وهذه لها مدلولات روحية اهتموا بها.

---

(1) انظر الرسالة إلى العبرانيين 13: 10.

(2) انظر إنجيل يوحنا 17: 19.

(3) البستاني، بطرس، محيط المحيط ج1، 347، مكتبة لبنان. وانظر: سفر صموئيل الثاني 6، وسفر الملوك 12: 32 ـ 33. وسفر الملوك الثاني 23: 1 ـ 2.

(4) دائرة المعارف الإسلامية ج7 هامش (1) ص 304 طبعة طهران.

(5) ماسينيون مستشرق فرنسي ولد في 25 تموز سنة 1883 وهو أستاذ متخصص بالدراسات والبحوث العربية والإسلامية درس في فرنسا وعمل أستاذاً في جامعة القاهرة للفترة (1912 ـ 1913) وأستاذاً مساعداً في (كوليدج) بفرنسا (1915 ـ 1924) أصبح مديراً لمجلة العالم الإسلامي التي صدرت عام 1919. انتخب عضواً في لجنة منح الإجازات الدراسية في اللغة العربية للفترة من 1949 ـ 1955. ثم أصبح مديراً لمعهد الدراسات الإيرانية، توفي عام 1962، للمزيد انظر: مجلة الفكر المسيحي السنة العشرون: العدد 196، حزيران.

(6) النجار، متى (ترجمة) لويس ماسينون، جان موريون ص 77 ط 1، بتصرف سنة 1981، بيروت.

(7) إنجيل متى 18 : 20.

أما روما فهي تحوي جثمان القديس بطرس والقديس بولس، وفيها سراديب الموت الموجودة في حاضرة الفاتيكان ولأنها مثوى شهداء المسيحية الأولى وأصبحت روما مركزاً للكنيسة، مصدر تشريعهم الأول[1].

وبدأ الاهتمام واضحاً بالمزارات الدينية المتمثلة بمولود المسيح عليه السلام ونشأته وأضرحة القديسين خلال القرون الوسطى وبالأخص منذ عهد قسطنطين سنة 306م، فشرعوا لها طقوساً يتحتم على روادها القيام بها. كما أقاموا لها ما يقومها ويساعد الحجاج على أداء هذه الشعيرة الدينية ويبدأ الحج هنا بالحصول على البركات من الكاهن[2] الذي يرتدي ملابس خاصة مميزة لهذا الطقس وعند عودته من الرحلة يرتدي قبعته ويضع شارة تدل على المرقد الذي زاره، وعلى طول طريق الرحلة يجد أماكن مخصوصة لخدمته وراحته.

وكان رهبان فلسطين يذهبون إلى أوروبا لجمع الصدقات لإقامة مثل هذه الأماكن للحجاج والفقراء[3].

والمسيحيون يعتبرون حملتهم الصليبية على فلسطين حجاً مسلحاً، هدفه سياسي بحت وشعاره ديني مبطن[4] كما أنه بداية العصر الجديد أرادوه وهو استعمار الشرق وإيقاف المد الإسلامي.

والحجاج في العصور الوسطى[5] يرتدون لباساً رصاصياً مميزاً وقبعة ذات حافة طويلة ويحملون كيساً للمتاع، ويتلقون تكريماً طوال رحلتهم لا يعطى للمسافرين العاديين، لمكانتهم الدينية.

ولكن الحج بمرور الزمن انحرف عن رسالته الدينية فأصبح طريقاً للكسب المادي من خلال الاتجار بالبضائع والسلع المختلفة[6]. وهم يرجون من الحج التكفير من الذنوب أو

---

(1) مجلة معهد الإسكندرية الديني، السنة الأولى، العدد الأول ص 142 ذو القعدة 1374هـ يوليو (1955م) مطبعة الأزهر، وانظر:

a) The Encyclopedia of Religion and Ethics Vol. 10, P. 18.
b) Britannica Jouriour Vol. 12, P. 189, By Encyclopedia, Britannica Inc. 1962.

(2) The New Encyclopedia Britannica Vol. 8, P. 442.

(3) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج6 ص 694.
Britannica Jonuior, Vol. 12, P. 189.

(4) Britannica Jonuior, Vol. 12, P. 189.

(5) Ibid. Vol. P. 189.

(6) Ibid. Op. Cit. P. 189.

للشفاء من المرض أو للحصول على فضائل خاصة، مثلما حصل لملك إنكلترا[1] (هنري الثامن) إذ حج حافياً بأمر البابا (أوريان الرابع) إلى قبر القديس (توماس بيكت) الذي قتل عام 1170م وحذا حذوه الأغنياء والفقراء.

ومن أهم الأماكن التي كانوا يرتادونها جبل صهيون وجبل الزيتون ووادي يهو شافاط وبيت لحم وجبل تابور وكنيسة (حيدانيا) [2].

ويزورون جبل الجلجلة مكان صلب المسيح حسبما يعتقدون.

أما الزائر بعد أن يستحم في نهر الأردن كان يأخذ غصناً من النخل ليقدمه عند رجوعه إلى خوريه ـ رجل الدين ـ لكي يضعه على المذبح علامة لتكميل زيارته ومن هنا سمي زوار فلسطين في القرون الوسطى (بالنخيليين)[3].

ولكن في القرن السادس عشر الميلادي حدث انعطاف كبير في مفهوم الحج إذ خرج عن مفهومه وغرضه الديني الصرف وعلى أيدي رجال الدين المصلحين فصوروه على أنه عمل طفولي عديم النفع والجدوى، مستندين في رأيهم على (اعتراف أوزبرغ) عام 1350م الذي رأى في ثراء الحجاج من وراء التجارة عملاً منافياً لما رسم للحج، مما جعل غالبية الشعب تنظر باستهزاء إلى الحجاج ومما يؤدونه من طقوس في شعيرتهم الدينية هذه. مما حث الكنيسة الكاثوليكية على أن تسقط عن أتباعها فريضة الحج[4].

وبتغيير الظروف السياسية والاجتماعية للأمم المسيحية سرعان ما تغيرت نظرتهم للحج مما أوجب على الكنيسة إعادة النظر فيما فرضته من تعاليم إلى نصابها الأول. وكأنهم في ذلك يخضعون الحج لأهوائهم وميولهم، مما حدا بالكنيسة الكاثوليكية بأن تعرف الحج بأنه (أعمال ذات قيمة دينية معتقدين بأن الحجاج يستحقون مكافأة سماوية) [5].

---

(1) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج6، ص 693.

(2) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج6 ص 694 ـ 695. الجواب الفسيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ص 125 مطابع المجد. تمثل هذه الأماكن مكان ارتياد السيد المسيح عليه السلام، فجبل الزيتون يمثل المكان الذي قضى فيه المسيح آخر لحظات حياته قبل رفعه، كما أنها مشاهد حسية للمسيحيين تذكرهم بسيرة نبيهم وجهاده في بث رسالته السماوية.

(3) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج6، ص 695.

(4) The New Encyclopaedia Brittanica Vol. 8, P. 442.

(5) Britannica Jounior Vol. 12, P. 189.

وعني الكاثوليك بالشعيرة عناية فائقة، فحيث ما وجد الكاثوليك وجدت الأماكن المقدسة ومنها:

يزورون مغارة لوردز (Lords) بفرنسا ومزار القديسة (آن) [1] البيرية في كيوبك بكندا كما أن مختلف الكنائس لهم أماكن يقدسونها يسمونها (Relic) [2] إذ يقولون إنها تعطي امتيازات خاصة فوق الطبيعية، وللكنيسة الروسية الأرثوذكسية مزارات منها[3] - بالإضافة إلى أورشليم - دير ثالوث الأقدس في (كيان)، ومزار القديس ألكسندر (تفسكوي) قرب بطرسبرج.

أما الكنيسة البروتستانتية المتمسكة بنصوص الإنجيل فقط فلا تعترف بالحج إلا أنهم يزورون قبر المصلح (لوثر كينك) في (إيبورت) أنكلو شاير[4].

وكدليل على تزايد اهتمامهم أقاموا جمعيات تحث الناس على زيارة فلسطين كل سنة كما حثوهم على زيارة مصر حيث يذهبون إلى (منف وطيوه) لزيارة الصوامع التي كان يقيم فيها القديس أنطونيوس والقديس (بولس الطيوي)[5] وأصبح لكل مسيحي مزاراته الخاصة يؤمها مع أبنائه تمثل في غالبيتها رفات قديسيهم أو أي شيء يذكرهم بالمسيح وأمه عليهما السلام، (مثلما ادعت الكنيسة الألمانية)[6] بأنها تفتخر منذ سنة 1190م بأن فيها قميص السيد المسيح أو الكنيسة الإيطالية[7] التي تدعي بأن لمريم العذراء بيتاً فيها في مدينة (لوراتو) والكنيسة الإسبانية تتبجل ببعض آثار مريم العذراء والقديس يعقوب الرسول في (كمبوستل وفي (رومية) كان يقام يوبيل ديني آخر سنة من كل قرن فجعله البابا (الكيمنفس السادس) في آخر

---

(1) (آن) قديسة ناضلت كثيراً في سبيل نشر الديانة النصرانية وتحملت في سبيل ذلك آلاماً كثيرة Ibid Vol. 12, P. 189.

(2) (Relic) أثر مقدس مرتبط بقبر قديس أو شهيد، منير بعلبكي، المورد ص 774، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1967.

(3) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج6 ص 696.

(4) The New Encyclopedia Britannica, Vol. P. 442.

يقول القس كرم: لا يوجد ما يسمى بالحج أو الزيارة في الحياة المسيحية قديماً أو حديثاً، ولا يعتبر هذا الفعل ممارسة روحية تقوي إيمان المرء حتى الأماكن التي عاش فيها المسيح لا تجب زيارتها، ولكن لا مانع من زيارتها للاطلاع تاريخياً عليها.

(5) دائرة المعارف، بطرس البستاني ج 6 ص695.

(6) دائرة المعارف ج 6 ص695.

(7) دائرة المعارف ج6 ص 695.

كل (خمسين سنة) والبابا (أوريانوس السادس) في آخـر كـل (33) سـنة وأخـيراً جعلـه البابـا (بولس الثاني) في آخر كل (25) سنة[1].

ومن خلال ما تقدم يتضح أن النصارى اتخذوا من قبور أوليائهم مزاراً يشد إليه الرحال فعمروها وجملوها. وأصبح مفهوم الحج لديهم يأخذ طابع الزيارة إلى مكان تقدس بظهور رباني حسب مصطلحاتهم، أو إلى مرقد قديس لأجل الحصول علـى الغفـران وتقويـة الـروح المعنويـة وشدها أكثر نحو ذلك المكان.

ولكن سرعان ما اهتم المسيحيون بزيارة فلسطين مهبط المسيح، وبمرور الزمن اتخـذ مفهوم الحج منحىً آخر عندما جعلوا من الحملات الصليبية حجـاً سياسـياً مسـلحاً كـان هدفه المبطن السيطرة على فلسطين وما جاورهـا مـن البلـدان، وأخـذوا يـهتمون بارتيـاد الأماكن التي كان يرتادها عليه السلام مثل جبل صهيون وجبل الزيتون ووادي يهوشافاط وجبل تابور وجبل الجلجلة وكنيسة صدقايا وجميعها في فلسطين ثم اهتمـوا بزيـارة رومـا حيث جثمان بطرس وبولس وفي نهاية المطاف أوجدت كل فرقة مسيحية مـزارات تؤمـها خاصة بقديسيها.

1) دائرة المعارف ج6 ص 695.

المبحث السادس
أثر الديانات القديمة على العبادات المسيحية

اعتنق الإنسان عقائد وأديان كثيرة مختلفة بعضها عن بعض، ولكنها متشابهة من حيث المضمون، وإن كانت تختلف في المسميات.

والسمة البارزة لها هي العمل على تقديس المصلحين خاصة بعد وفاتهم مع إدخال كثير من العقائد الوثنية الأخرى السابقة لوفاة هذا المصلح، وذلك أن مغزى جميع الأديان المنزلة على الأنبياء واحد لا يختلف في المصدر والمضمون ولكن الإنسان بضلاله صيرها إلى التحريف والفساد من خلال ما أدخله من الخرافات الوثنية وبما اخترعه من أوهام زينتها له تصوراته المترسبة عبر أحقاب الماضي البعيد، المتمثلة بالكم الهائل من المعبودات البشرية أو غير البشرية كقوى الطبيعة مثل الهواء والماء، أو الأجرام السماوية كالقمر والشمس كما أوضح القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴾[1].

وقد تأثرت العبادات المسيحية بعبادات الوثنيين وهم لا يخفون هذا التأثير أو ينكرونه بل يعترفون به باعتباره من نتاج الحضارة الإنسانية التي يتفاعل أبناؤها فيما بينهم حتى في مجال العقيدة[2].

---

(1) سورة الأنعام الآية 74 ـ 78.

(2) صرح لي بذلك كل من د. بيولاي، والدكتور يوسف حبي خلال مقابلتي معهما.

وأشد ما تأثروا به هو عبادة الإله الذي صوروه في ذلك الثالوث الذي قدسوه، والذي اشتهر بين سكان الهند وجنوب شرق آسيا والقبائل الأوربية القديمة قبل مجيء السيد المسيح عليه السلام[1].

والديانة المسيحية في أصولها دين سماوي أنزله الله سبحانه على عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، بمعاونة الحواريين وتلاميذهم خلا (بولس)الذي عمل على تقويض المسيحية الحقيقية، والذي (استطاع بصبره الشبيه بصبر رجال السياسة أن يخلط مبادىء اليهود الأخلاقية بعقائد اليونان فيما وراء الطبيعة وأوجد طقوس خفية جديدة)[2].

ويرى العالم الفيلسوف المسيحي (ول دورانت) أن (بولس) هو واضع حجر الأساس في عقيدة التثليث تلك العقيدة التي أدخلوا بها عيسى عليه السلام في شركة ثالوثية مع الله ومن ثم يصبح هو الإله المشتمل على الأقنومين[3] الآخرين.

لقد فتح (بولس) للمسيحية الباب إلى القول بالتثليث وأصبحت كلماته التي ضمنها رسائله كتاباً مقدساً لها ما للإنجيل[4] من حرمة واحترام[5].

إن عقيدة التثليث في حقيقتها غريبة على العبادات المسيحية، وأهل التوراة لم يعرفوا التثليث ولا اعتقدوه يوماً، ولكي يجعل مؤسسو اللاهوت المسيحي من هذه العقيدة أو العبادة مصدراً ودعائم، فقد قاموا بتأويل نصوص وردت في التوراة نظروا إليها على أنها أساس للتثليث، منها[6]:

1 ـ ما ورد في سفر التكوين وقال الله: (نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) [7] فالضمير (نا) الذي تحدث به الله عن نفسه كان ذلك عند المسيحيين إعلاناً عن التثليث، فإن الله لم يتكلم بصيغة الجمع إلا باعتباره ثلاثة في واحد.

---

(1) و(2) الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص309. دار المعرفة ط2، بيروت 1396هـ، 1976م.

(3) الأقنوم هو الشخص.

(4) الإنجيل كلمة يونانية معناها (البشارة) وتطلق اصطلاحاً على كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام ـ راجع كتاب الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة، عبد القادر شيبة أحمد، مطابع شركة المدينة، جدة.

(5) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص 313.

(6) المصدر ذاته ص 269 ـ 270.

(7) سفر التكوين 1: 26

2 ـ ما جاء في سفر التكوين أيضاً: (وقال الرب الإله: هوذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارفاً الخير والشر) [1] فكان المتكلم هو الله ممثلاً في أقانيمه الثلاثة.

3 ـ ما ورد في سفر أشعياء (منذ وجوده أنا هناك.. والرب السيد أرسلني وروحه) [2]، فالضمير (نا) يشير إلى (الابن) والسيد الرب يشير إلى الآب و(روحه) هو (الروح القدس).

4 ـ ما جاء في سفر التكوين (وهكذا تباركون إسرائيل قائلين لهم ويباركك الرب ويحرسك. يرفع الرب بوجهه عليك ويمنحك سلاماً فيجعلون اسمي على بني إسرائيل وأنا أباركم)[3].

5 ـ وكذلك ما ورد في سفر التكوين على لسان يعقوب وهو يبارك حفيديه (الله الذي سار أمامه أبواي إبراهيم وإسحاق.. الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم.. الملاك الذي خلصني من كل شر ـ يبارك الغلامين) [4]. وأشار يعقوب إلى الروح القدس قائلاً (الله الذي رعاني منذ وجودي إلى هذا اليوم) وأشار للابن قائلاً و(الملاك الذي خلصني من الشر).

أما بولس فإنه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى (ع) وقال إن المسيح أرقى من إنسان، وهو نموذج إنسان جديد ـ أي عقل سام متولد من الله) [5].

عمق الوثنيون المتنصرون مبادىء وثنيتهم في الدين الجديد فغيروا بذلك حقيقة ما دعا إليه عيسى عليه السلام.

قال (جوستين مارشير) وهو مؤرخ لاتيني عاش في القرن الثاني الميلادي إنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى (ع) هو المسيح ويعتبرونه إنساناً محضاً وإن كان أرقى من غيره من الناس وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من المستنصرين من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل[6].

وبولس بما عرف عنه من ذكاء وفكر متحصل من علوم اليونانيين والرومانيين والمصريين، استطاع أن يعزل السيد المسيح عن اليهود بأن يجعله مسيحاً غير (المسيا) الذي

---

(1) سفر التكوين 3: 22.

(2) سفر أشعياء 47: 16.

(3) سفر التكوين 48.

(4) سفر التكوين.

(5) العقائد الإسلامية، السيد سابق 62 ـ 63، دار الكتاب العربي، بيروت، مكتبة العلوم، لبنان.

(6) العقائد الإسلامية، السيد سابق ص 63، نقلاً عن كتاب (كنز العلوم واللغة).

ينتظرونهم لخلاصهم، حتى أنه استطاع أن يقنع المسيحيين بقبول تشريعات من عنده لا من الرب ومنها عقيدة التثليث التي نقلت المسيحية من عبادة الله الفرد الصمد إلى عبادة ثالوث مقدس[1].

(إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها، ذلك أن العقل اليوناني المتحضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها وأصبحت اللغة اليونانية التي ضلعت أداة الآداب والطقوس المسيحية وانتقلت الطقوس الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة)[2].

يقول العالم الفرنسي روبير بيولاي[3] وظهرت في القرن الثاني المسيحي تيارات فكرية متأثرة بالغنوصية[4] التي تأثرت باليونانية، وفي الإسكندرية تأثرت المسيحية بأفكار قديمة منها ما دعا إليه فيلمون[5] اليهودي في فلسفته ومن ذلك قول بولس:

«إن المسيح هو حكمة الله، وابن الله الأول. وبكر كل خليقة. فإن فيه الكل، الكل به، وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل. وليس هو المسيح المنتظر (المسيا) اليهودي[6]».

إن الفكر العقائدي المسيحي تأثر بالوثنية وبين ما هو مادي وإنساني وفكرة (إن الإنسان يجب أن يتجرد من إنسانيته حتى يتحد بالله التي جاء بها أفلاطون حتى يرفعه إلى مصاف الملائكة، ولم يتأثر برأيه إلا الرهبان، أما عامة الناس فرفضوا ذلك، مما حدا به إلى استعمال الرموز والخيال الرمزي وعكسها على الطقوس الشرقية وتبعه في ذلك (مكاريوس) في القرن الرابع الميلادي، وهو يشبه ما جاء به (بولس) من آراء صوفية غامضة في تفسيره لما دعا إليه من التثليث) [7].

---

(1) راجع (المسيحية) ص 106 ـ 107، أحمد شلبي ط4، وكورنثوس الأول 7: 10، 12، 25.

(2) النصرانية والإسلام، محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ص 87 نقلاً عن كتاب (قيصر والمسيح) لول دورانت.

(3) مقابلة أجريت معه بتاريخ 1995/5/14.

(4) الغنوصية، فكر مزج بين اليهودية والمسيحية وأفكار هرطقية وثنية متطرفة (ثنائية).

(5) من فلاسفة اليهود، ولد 30 ق.م ومات 70م.

(6) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، عبد الكريم الخطيب ص 305 نقلاً عن قصة الحضارة (ول دورانت).

(7) انظر: المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص 305.

ويضيف بيولاي: إن الروحانيات المسيحية الداخلة في الطقوس التقليدية قد تأثرت بفلسفة أفلوطين الذي تأثر بدوره بالفكر المسيحي والفكر الرواقي[1].

كما يشير إلى وجود تيار فكري عارض كل تأثير فلسفي على الكتاب المقدس والمتمثل بالفلسفة اليونانية الوثنية، ولكن بعد القرن الرابع الميلادي كيّف المسيحيون أنفسهم لقبول ذلك التيار، وأخذوا يؤولون نصوص كتابهم المقدس تبعاً لاتجاهات وفلسفات غريبة عن المسيحية التي نادى بها السيد المسيح عليه السلام وحواريوه الاثنا عشر وتأثرت التيارات المسيحية بما أدخله الأسبينيون[2] من معتقدات حول طبيعة الإله الواحد إذ اقتبسوا منهم المسميات فسموا (الله) بـ (الآب) وأخذوا عنهم طقس العشاء السري الذي كانوا يمارسونه كل سنة، كما اقتبسوا منهم عدم أكل اللحم أيام الصيام[3].

لقد حدث التزاوج بين الفلسفة والعقيدة المسيحية الذي أنتج ديناً جديداً فضلاً عن الفلسفة لأن اللاهوت المسيحي اقتبس من نفس المنهل الذي كانت فيه الأفلاطوية الحديثة، حيث التشابه بينهما خير دليل على هذا التزاوج[4].

يقول الراهب الفرنسي بيولاي: لقد تأثرت روحانيات قديسون مسيحيون في العصور المسيحية الأولى بأفكار هرطقية[5] متمثلة بنتاجات فلاسفة اليونانيين والإسكندريين، استطاع هؤلاء القديسون فيما بعد من احتوائها وكونوا بنيوية دينية خاصة بهم تحتوي على أساسية ثابتة في جميع الاختبارات الدينية الإنسانية في كل زمان ومكان، فمثلاً قد توجد (بنية)

---

(1) تيار فلسفي ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد اهتم بدراسة الأخلاق وغايتهم السيطرة على الشهوات ويؤمنون أن ليس هناك فرق جوهري بين المادة والروح، فالروح مادة شفافة كالهواء. والمادة هي روح ثقيلة ويعتبرون العالم حقيقة واحدة حية وله روح إلهية وله مادة يحبها الروح. راجع فجر المسيحية، الكتاب الثاني: رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى: المطبعة الأميركانية، بيروت، 1956.

(2) الأسبينيون، كونوا مع المسيحيين شعباً واحداً في بداية المسيحية الأولى وهم قوم سكنوا فلسطين حتى وادي النيل قبل مبعث عيسى عليه السلام تميزوا بحفظ تقاليد الإنسان وكانت مهنتهم التطبيب والفلسفة، يقرون بالإله الواحد وبخلود النفس وعدم فنائها وبانحدارها من الأفكار الأثيرية بتعقل بالقيود الجسدية وبعد انحلالها من قيود الجسد تعود إلى (الفلا) فرحة لانعتاقها من السجن الأرضي.

(3) المذهب الروحاني، عبد الله أباحي 370ـ 372، عام 1966م ـ 1386هـ.

(4) المسيح في الكتب السماوية الثلاثة ص 247 عن محاضرات في النصرانية ص 42 ومفهوم النبوة في الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية أطروحة دكتوراه (لسلامة حسين كاظم) كلية العلوم الإسلامية 1412هـ.

(5) الهرطقية: فكر مسيحي خارج عن العقائد الكنسية.

(أساس إنساني ثابت) مشتركة في موقف البابلي المتدين الذي يرى في النور المنتشر في الهيكل نوعاً من تجلي ما هو إلهي) [1].

وحول تبني ثروات الشعوب الفكرية ومقدراتها بقدر ما هي خيرة يضيف العالم الفرنسي (بأن هذا التبني لا تنكره الكنيسة إذ أصدر المجمع الفاتيكاني الثاني قرارات بهذا التبني الذي عمل على تطهيرها وتقويتها ورفعها) [2].

في محاولة جريئة حديثة قام د. بيولاي بتطبيق مبادىء البنيوية على دراسة الأساطير والأفكار المجازية والنماذج الكتابية محاولاً فيها ربط ما جاء في الكتاب المقدس من وثنيات قديمة بالنماذج المقدسة والتوفيق بما أصدرته الكنيسة من مقررات على مر العصور في وجه تيار يحاول تشذيب الكتاب المقدس من تلك الوثنيات.

كما يرى (بيولاي) أن الفكر المسيحي يؤمن بأن فكرة التجسد هي قمة العلاقة البنيوية بين الله والمسيحية، وأن البنوة هي نوع من تلك العلاقة. وهي تحقيق كامل من تلك العلاقة ولم تكن فكرة التثليث من نتاج فكرهم الديني بل عرفها قبلهم البابليون والآشوريون (فالبابليون أول من قالوا بالتثليث في الألف الرابع قبل الميلاد، ولكنهم جعلوها مجموعات مميزة المكانة والقدرة، كل مجموعة ثلاثة، المجموعة الأولى على رأس الآلهة وتتكون من إله السماء وإله الأرض وإله البحر. والمجموعة الثانية إله القمر وإله الشمس وإله العدالة والتشريع، وأما تحديد الآلهة بثلاثة فهو عمل له صلة بعبادة الأبطال، ومرجعها إلى الجماهير التي كانت تعبد البطل لعمل رائع قام به ثم يتخذ البطل له زوجة، وتسجد لها الجماهير وينجب الزوجان، ويعين البطل أحد أبنائه ليتولى مكانه فيما بعد فتسجد له الجماهير فيتم بذلك الثالوث) [3].

وقال المرحوم الأستاذ د. محمد فريد وجدي (نعم كان الثالوث موجوداً في ديانة المصريين بالنسبة لآلهتهم الوطنية وقد اندثرت تلك الديانة والثالوث الهندي موجود للآن لدى الملايين من الناس في الهند والصين، وهو أن البراهمة يعتقدون أن الخالق تجسد أولاً

---

(1) التيار الشرقي السرياني، مقالة مطبوعة بالآلة الطابعة، د. روبير بيولاي ص 38 ـ 39 وانظر الرسالة الثانية فورنثوس 4: 6.

(2) التيار الشرقي السرياني ص 39.

(3) المسيحية ـ أحمد شلبي ص 114 ط4.

في (براهما) ثم في (قشنو) ثم في (سيغا) ويصورونهم ملتصقين إشارة إلى هذا التجسد الثلاثي) [1].

ويشير الخواجة كمال الدين في مؤلفه عن (المسيحية) إلى أن تعاليم عيسى عليه السلام وكلماته لا تتسق مع اتجاه الكنائس في العهد الحاضر وأن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعارة من الوثنية[2].

أما المصريون والإسرائيليون وهم أقدم حضارة من البابليين فيقولون بالتعدد رغم قولهم بالتوحيد لإله جليل سيد الآلهة جميعاً، الإله الأكبر الذي يحيي بالحق كما هو الحال في (نشيد أكون) [3] وعرف أهل الإسكندرية التثليث بعد احتلال الإغريق لمصر، وبعدما أصبحت مدينتهم مركزاً لحياة مصر القديمة. فأقام فيها قائدهم (بطليموس) معبد (السرانيوم) الذي كان يعبد فيه نوع من الثالوث الأرباب مكون من (سيرابيس) و(إيزيس) و(حورس) ولم يكن الناس يعبدونها أرباباً منفصلة بل هيئات ثلاثة لإله واحد.

ومن أشهر علمائهم (أفلوطين) 205م ـ 270م[4] الذي جدد على يديه مذهب أفلاطون فعرفت بالأفلاطونية الحديثة، وخلاصة مذهبهم أن قيمة الوجود يوجد (الواحد) أو (الأول) وهو جوهر كامل فياض وفيضه يحدث شيئاً غيره هو (العقل) وهو شبيه له. وهو كذلك مبدأ الوجود. وهو بدوره يفيض فيحدث صورة منه هي (النفس) وتفيض النفس فتصدر عنها الكواكب والبشر، وبعبارة أخرى ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة أما لفظة (الكلمة) الأقنوم

(1) العقائد الإسلامية ـ السيد سابق ص 61، المسيح في الكتب السماوية الثلاثة ص 240، العقائد الوثنية في الديانة الوثنية ص 55.

(2) النصرانية والإسلام. محمد عزت الطهطاوي ص 61، وانظر المسيح في الكتب السماوية الثلاثة ص 240 وما بعدها.

(3) راجع (المسيحية)، أحمد شلبي ص 114 ط4، المسيحية، لفاروق الدملوجي ص 162. والعقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 63.

(4) إن مذهب أفلاطون في الوحدانية هو الإنكار لها. ويقول إن الواحد غير الأحد لأن الواحد قد يدخل في عداد الاثنين والثلاثة والعشرة ولا يكون الأحد إلا فرداً بغير تكرار. والباحثون لا يذكرونه في معرض الكلام عن التنزيه في وصف الله تعالى لأن مذهبه أقرب إلى الغيبوبة الصوفية منه إلى التفكير الواضح في المنطق المعقول. أما طريقته في التنزيه فهو يمعن في الزيادة على كل صفة يوصف بها الله فلا يزال يتخطاها ثم يتخطاها كلما استطاع الزيادة اللفظية حتى يتقطع بصلة بينها وبين جميع المدلولات المفهومة. والمسلمون يقولون بالأحدية فالله واحد أحد، قال تعالى «قل هو الله أحد، الله الصمد»، للمزيد يراجع كتاب (الله) سعيد حوى ص 174 وما بعدها، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1981.

الثاني من الثالوث المقدس عند المسيحيين فقد استخدمها بهذا المعنى كل من الآشوريين والكلدانيين والهنود والمصريين إذ كان الآشوريون يدعون (مردوخ) الكلمة ويدعونه أيضاً - ابن الله البكر - وكانوا يتوسلون إليه بهذا الدعاء (أنت القادر الموفق، ومانح الحياة أنت الرحيم بين الآلهة، أنت ابن الله البكر الرحيم، أنت ابن الله البكر، خالق السموات والأرض ومالكها ليس لك شبيه ومحي الأموات) [1].

يقول العالم (فرد تينكهام):

«كان (فولو) يدعو الكلمة وكانوا يعظمونه جداً ويصفونه بهذه العبارات (فولو الكائن قبل كل شيء. . . ابن الله البكر. الخبز السماوي الأبدي.. ينبوع الكلمة.. الإله الثاني - اسم الله - الفادي [2].

يقول الأستاذ (بونويك) (Bonwick) في كتابه: Egyptian Belief and Modern thought P. 402. «وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين - الوثنيين القدماء - هي قولهم (بلاهوت الكلمة) وإن كل شيء صار بواسطتها وإنها - أي الكلمة - منبثقة من الله وإنها الله».

وكان بلاتو - أفلاطون - عارفاً بهذه العقيدة الوثنية وكذلك أرسطو - وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي لسنين) [3].

ويضيف (دوان) [4]: كان الكلدانيون يقولون للكلمة (قمرا) كما يقول اليونانيون. هو الصانع للعالم والحاكم عليه. وأن ليس من شيء أعظم منه إلا الله.

«سأل (توليو) ملك مصر الكاهن (تيتسوكي) أن يخبره، هل كان قبله أحد أعظم منه؟ أو هل يكون بعده من هو أعظم منه؟ فقال الكاهن: نعم يوجد من هو أعظم وهو أولاً: الله ثم الكلمة ومعهما روح القدس، ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة، وهو واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية» [5].

---

(1) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 63.

(2) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 64.

(3) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 63.

(4) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(5) المصدر نفسه ص 61.

وفي عاصمة الهند (دلهي) يوجد قبر (أبولو) المقدس الذي يدعى (الكلمة) [1].

وعرف الوثنيون الصلب والفداء كذبيحة تقدم للآلهة نتيجة لذنوب البشر يقول العلامة (دوان): إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة (ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جداً عند الهنود الوثنيين وغيرهم) [2].

ويقول العلامة (M. William) في كتابه: Hinduism P. 36

«. . . ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية مما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها.. وهي: إني مذنب ومرتكب الخطيئة وطبيعتي شريرة وحملتني أمي بالإثم، فخلصني يا ذا العين الحندوقية يا مخلص الخاطئين يا مزيل الآثام والذنوب»[3].

أما الأستاذ (هوك) فيقول في كتابه (رحلة هوك ج1 ص 326) ما نصه «ويعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس والخطية»[4].

وتقول السيدة Jameson في كتابها: The History of our Lord: «كان المليتيون يمثلون الإله إنساناً مصلوباً مقيد اليدين والرجلين بحبل على خشبة وتحت رجليه صورة حمل»[5].

ويقول (موري) في كتابه: .Manual of my theology P. 384: «يحترم المصريون (أوزيريس) ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة» [6].

وحل الثالوث المقدس (الأب والابن والروح القدس) محل الثالوث الوثني في الإسكندرية بعد دخول مصر في الديانة المسيحية[7].

وعرف المكسيكيون القدماء إلهاً مثلث الأقانيم يدعونه (تزكتاليبوكا) ومعه إلهان آخران أحدهما واقف عن يمينه والثاني عن يساره، وهما (اهوتزليبوشنكي) و(ثلالوكا).

---

(1) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(2) المصدر نفسه ص 74.

(3) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 75.

(4) المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

(5) المصدر نفسه ص 79.

(6) المصدر نفسه ص 78.

(7) بدوي، أحمد زكي، تاريخ التطور الديني ص 30، مطبعة المجلة الجديدة مصر.

وعندما أرسل المسيحيون قساوستهم للتبشير هناك عام 1145م كتب أحدهم بعد عام من عملهم كتاباً جاء فيه:

«إن الهندوس يؤمنون بإله كائن في السماء، وإنه مثلث الأقانيم وهو الإله الآب، والإله الابن، والإله روح القدس، وهؤلاء الثلاثة إله واحد»[1].

أما الثالوث اليوناني فيمثله[2] (مينوس وراد أفانت وإيباك) أولاد الإله (زوس) الإله الأعظم و(فينوس) هو رأس الثالوث وعليه ملاحظة أعمال أخويه وله القول الفصل في حل الخلافات بينهما، وخاتمة أعماله تقديم تقرير لأبيه الأعظم).

وتخصيصهم يوم (الأحد) للعبادة له أصل في الديانة القديمة إذ كان يعرف بيوم الشمس[3].

وهناك شبه كبير بين الاثنين بحيث أن المسيحية تأمر بعبادة المسيح وترغم معتنقيها على قبول المحال ككون الثلاثة واحد والواحد ثلاثة وتدعو إلى أن من يؤمن بصلب المسيح هو الفائز بملكوت الله وتغفر كل آثامه وخطاياه. وإنها تحد من نشاط الفكر واستقلالية الإرادة من حيث ارتباطها بسلطة الرؤساء وبمقتضى ما دونوه في كتبهم المقدسة[4].

1 ـ اليونانيون يقيمون الاحتفالات باسم عيد (ياخيوس) في اليوم الخامس والعشرين من كانون الأول ـ ويعرضون تمثالاً للآلهة، إلطفل نائم في سلة ليشاهده المؤمنون.

2 ـ والمصريون يحتفلون في التاريخ نفسه واليوم ذاته بميلاد المخلص هو هوروس ويعرضون ـ كاليونانيين ـ في معابدهم طفلاً ويقفون بالقرب منه تمثال الإله إيزيس البتول[5].

3 ـ الفرس ـ كذلك ـ يحتفلون بميلاد ميثرا في اليوم نفسه فينيرون الشموع داخل كهف ويحرقون الجذور ويوزعون الخبز والشراب على الحضور بعدما يبارك لهم الكهنة وكانوا يشيدون له يومها تمثالاً حجرياً[6].

---

(1) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 67.

(2) تاريخ الآلهة المسيحية ص 163.

(3) موسوعة عباس محمود العقاد ـ توحيد وأنبياء ص 174.

(4) شبهات النصارى وحجج الإسلام، محمد رشيد رضا، ص 6، مطبعة المنار ط1، 1322هـ.

(5) المسيح في الكتب السماوية الثلاثة ص 239.

(6) المسيح في الكتب السماوية الثلاثة ص 240.

4 ـ المكسيكيون ـ كانوا يعتقدون أن المخلص (كوتيز لكوئل) ولد من الإله الأعظم (تتزكاتليبوكا) من العذراء (سوشكوتزال) كما كانوا يقيمون الاحتفالات بمناسبة موت إله شمس الشتاء وأولاده وإله شمس الصيف وبالعكس.

5 ـ البابليون ـ يحتفلون بميلاد الإله تموز في الخامس والعشرين من كانون الأول أيضاً.

6 ـ الرومان ـ يحتفلون بنفس اليوم بموت الإله (انيسين) و(أنيس) بن العذراء أشهر آلهتهم حيث كانوا يسيرون جماعات وبعد مرور خمسة أيام يحملون شاباً بعد ربطه إلى الهيكل وتبكي الكهنة ويتضرعون من أجل عودة الإله وفي منتصف الليل تعلن الكهنة قيامة الإله (أنيس) وحينها يقيمون الأفراح.

7 ـ هنالك ألقاب لبعض الآلهة أعطيت للمسيح[1] منها:

أ ـ مبشر ـ هو الكلمة، وهو حمل الله الذي يأخذ خطايا العالم.

ب ـ أوزيرس ـ وهو قاضي الأموال وإله الحياة والحاكم الأبدي وأب الطيبة والصدق.

جـ ـ هوروس ـ هو الراعي الصالح، المولود الوحيد، المخلص.

8 ـ في الهند يعتقدون أن (كرشنا) ولد في كهف حين كانت أمه وخطيبها (هارنين) الملك الذي أمر بذبح الأطفال والقصة هذه مرسومة على سقف معبد (اليفانتا).

وهذه صور من تأثر الديانة المسيحية بالديانات الوثنية منها:

أ ـ تأثر المسيحية بالديانة البوذية:

بـوذا	السيد المسيح عليه السلام
1. ظهر في السماء عند ولادته نجم واهتدى الناس إلى مكان ولادته ليسجدوا له.	1. طلع نجم حين ولادته وقاد جماعات المجوس إلى مكانه وسجدوا له[2].
2. ولادته كانت في يوم الخامس والعشرين من كانون الأول وظهر نجم يرشد الناس نحو مكان ولادته.	2. ولادته كانت في الخامس والعشرين من كانون الأول وظهر نجم يبشر بمولد المخاض ويرشد إلى مكان ولادته.

---

(1) المصدر نفسه.

(2) المجوس: هم المنحرفون عن الديانة الزرادشتية ويقدسون النار كمصدر للنور، راجع دائرة المعارف باللغة الفارسية (يارفرهنكي دانش وهنر) فهرست العلم والفن ـ برويز أسدى زاده وآخرون، مؤسسة مطبوعات الأشرت، طهران، 1345 شمسي.

بــوذا	السيد المسيح عليه السلام
3. احتفلت أهل السماء بولادته وتضرعت إليه كي يمنح الناس السلام والسعادة لأهل الأرض ومن عليها.	3. حين ولد المسيح جاءت الملائكة مسبحة لله وتحمد المولود وتبشر بالفرح للناس والسلام للعالم.
4. كان مولده خطراً على الملك وملكه وأراد قتله.	4. كان عيسى عليه السلام خطراً على الملك هيردوس وفرت به أمه إلى مصر في طفولته.
5. وحين قرب بدء دعوته حاول الشيطان مارا تضليله.	5. وحين بدأ عيسى عليه السلام دعوته ظهر له الشيطان محاولاً تضليله.
6. وعد (مارا) بوذا برئاسة العالم إن ترك دعوته الدينية.	6. فأخذه إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها[1].
7. لم يسمع بوذا كلام (مارا) وانتهره.	7. لم يستمع عيسى عليه السلام لقول الشيطان وصاح به (خسأت أيها الشيطان) [2].
8. وبانتصار بوذا على (مارا) أمطرت السماء زهوراً وهب الهواء بعبير طيب.	8. وبانتصار عيسى عليه السلام على الشيطان هبطت الملائكة وكرمته.
9. وصام بوذا فترة طويلة.	9. وصام عيسى عليه السلام أربعين يوماً.
10. الصلاة عند البوذيين تقودهم إلى الجنة ما دامت تقام باسم بوذا.	10. صلاة المسيحيين تقبل أيضاً ما دامت تقام باسم عيسى عليه السلام وينالون رضا الرب والجنة بسببها.
11. وحين مات بوذا ودفن. شقت الأرض المدفون فيها وعاد للحياة بقوة.	11. وإذا زلزلة عظيمة قد حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس فوقه[3].

---

(1) إنجيل متى 4: 8 وإنجيل لوقا 4: 6.

(2) إنجيل متى 4: 10.

(3) إنجيل يوحنا 1: 1.

بـــوذا	السيد المسيح عليه السلام
12. وصعد بوذا إلى السماء وبعد تبليغ رسالته.	12. وكذلك عيسى عليه السلام بعد أن بلغ دعوته إلى أهل الأرض.
13. سيعود بوذا وبعودته يملأ الأرض فرحاً ونعيماً.	13. ويعود المسيح يحكم الأرض ويسود النعيم والسلام في أرجائها.
14. يكون بوذا حاكماً يحاسب الناس بعد البعث والقيامة.	14. يجلس المسيح عن يمين الرب ليحاسب الناس[1].
15. بوذا ليس به بداية ولا نهاية وهو الأبدي.	15. في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.
16. ويروى عنه أنه قال: (إني أحمل وزر العالم ليصلوا إلى السلامة):	16. وعيسى عليه السلام هو مخلص البشرية من الخطيئة الأصلية.
17. ويروى عنه أيضاً قوله: أخف عن الأنظار أعمالك الطيبة وأعلن عن سيئاتك[2].	17. وعيسى عليه السلام كان يوصي بإخفاء الأعمال الطيبة والإعلان عن السيئات والخطأ.
18. وكانت وصيته لأتباعه الشفقة حتى للأعداء.	18. أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا لأجل من ينعتكم ويضطهدكم[3].
19. وينصح بوذا أتباعه بترك الدنيا وإيثار الفقر لينال البركة.	19. أوصى عيسى عليه السلام بالزهد وترك الدنيا لأنه حيث يكون كنزك يكون قلبك[4].
20. وكان الهدف الأسمى لبوذا الدعوة للدخول في ملكوت الله.	20. ودعوة عيسى عليه السلام مجملاً عبارة عن الدخول في ملكوت الله.
21. ونادى بوذا بالرهبنة ولم يجز إلا حال الخوف من الزنا.	21. والفكر المسيحي يرى أنه من الأفضل ترك الزواج، ولكن عند خوف الزنا جاز الزواج لأنه خير من الاحتراق بالنار[5].

(1) مقارنة الأديان المسيحية ص 182، ط 6.

(2) مقارنة الأديان المسيحية ص 182، ط 6.

(3) إنجيل متى 5: 44.

(4) إنجيل متى 6: 21.

(5) مقارنة الأديان ـ المسيحية الصفحات 180، 184، ط 6.

ب ـ أوجه التشابه والتأثير بين المسيحية وعبدة (بعل):

محاكمة بعل	محاكمة المسيح
1. قبض على بعل وحوكم أمام الجميع.	1. قبض على المسيح ووقف أمام الجميع للمحاكمة[1].
2. أدموا جسد بعل بعد المحاكمة. ومع بعل متهم حكم عليه بالموت ومع العادة العفو كل عام عن مذنب حكم عليه بالموت، وطلب الجمهور إعدام بعل والعفو عن الآخر.	2. حينئذ بصقوا في وجهه ولكموه وآخرون لطموه[2] وكان لا بد أن يطلق لهم في كل عيد رجلاً فصاحوا قائلين: ارفع هذا أو أطلق لنا برابا[3].
3. بعد موت بعل خيم الظلام وانطلق الرعد ورعب الناس.	3. أظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل[4].
4. أقاموا على قبره الحراس كي لا يسرق.	4. ثم جلسوا هناك يحرسونه[5].
5. الأمهات جلسن حول قبر بعل يندبنه.	5. وكان هناك نساء كثيرات ينظرن عن بعد وهن اللواتي تبعن يسوع من الجليل يخدمنه[6].
6. قام بعل من بين الأموات وفي بداية الربيع صعد إلى السماء.	6. فقال لهن لا تنذهلن إنكن تطلبن يسوع الناصر المصلوب إنه قام وليس هو هنا وهوذا المكان الذي وضعوه فيه[7].

جـ ـ تأثر الديانة المسيحية بالديانة الميثيرية:

وتأثرت الديانة المسيحية في بعض أفكارها العقائدية والتعبدية بديانة اليونان والرومان القديمة المعروفة بديانة (ميثرا) ومنها[8]:

---

(1) إنجيل متى 27: 11.

(2) إنجيل متى 26: 67.

(3) إنجيل لوقا 23: 18.

(4) إنجيل لوقا 23: 45.

(5) إنجيل متى 27: 36.

(6) إنجيل متى 27: 25.

(7) إنجيل مرقص 16: 6. وانظر: مقارنة الأديان (المسيحية) ص 178 ـ 180، ط 6، 1978.

(8) انظر المسيح في الكتب السماوية الثلاثة ص 242.

ما يقوله أصحاب ميثرا	أقوال النصارى في المسيح عليه السلام
1. ولد (ميثرا) في كهف في 25 ديسمبر.	1. ولد المسيح في غار في 25 ديسمبر.
2. دفن ميثرا ولكنه عاد للحياة وقام من قبره.	2. المسيح بعد دفنه قام من قبره.
3. ميثرا جاء ليخلص البشر من خطاياهم.	3. صلب المسيح ليخلص البشر من الخطيئة.
4. صعد ميثرا إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون.	4. المسيح صعد إلى السماء بعد قيامته من قبره.
5. حواريو ميثرا اثنا عشر حوارياً.	5. وكان للمسيح اثنا عشر تلميذاً.
6. من أوصاف ميثرا الحمل الوديع.	6. المسيح حمل الله الوديع.
7. التعميد يجرى باسم (ميثرا).	7. باسم المسيح يعمدون بوصفه ختم عهد النعمة لهم.
8. يقام كل عام حفل مقدس بذكراه.	8. يقام حفل (العشاء الرباني) يعتبر طعاماً روحياً مقدساً.
9. من أوصاف (ميثرا) الذبيح، الفادي، وتاج المؤمنين، ورمز للطهارة، وسبط بين الله والبشر، وشمس الحياة.	9. من صفات المسيح عليه السلام أنه الفادي الذي قدم نفسه ذبيحة لفداء العالم وهو إكليل حياتهم، ومطهر للقلوب، ووسيط بين الله والناس، وشمس البر.

ويتضح لنا أوجه الشبه الكبير بين (ميثرا) إله الرومان واليونان من خلال دراسة عصر حكم الإمبراطور قسطنطين لفلسطين الذي سمح بدخول الديانة المسيحية لإمبراطوريته مع محافظته على شعائر وتقاليد الديانة الميثيرية.

المبحث السابع

العبادات المسيحية الواردة

في القرآن الكريم ورأي الإسلام فيها

تحدث القرآن الكريم عن العبادات المسيحية، إذ تطرق إلى الميثاق الذي أخذه على بني إسرائيل في عبادة الله تعالى وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإحسان والصدقة.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2].

وتحدث القرآن الكريم عن عبادة المسيح لله سبحانه وتعالى وأن أول كلمة نطق بها عيسى وهو في المهد هي إعلانه العبودية المطلقة لله إذ قال: ﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾[3].

---

(1) سورة المائدة آية 12.

(2) سورة المائدة الآية 14.

(3) سورة مريم الآية 30.

وقال تعالى في سورة عمران على لسان المسيح ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[1].

وقال تعالى في سورة النساء: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾[2].

وجاء في سورة المائدة: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3].

لقد أحدثت قضية التثليث انشقاقاً واسعاً في المسيحية قديماً فانفصلت كنائسها عن بعضها (وما نسب في إنجيل يوحنا بخصوص تثبيت الألوهية للمسيح أمر مستبعد الصدور عنه لأنه كان آخر الأناجيل تدويناً بل كتب بعدها بعشرات السنين)[4].

وقال تعالى في سورة الزخرف على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[5].

وتشير الآية (31) من سورة مريم إلى أن الله تعالى قد فرض الصلاة والزكاة فرض وجوب وعلى المسيحيين الالتزام به وتطبيقه لا تركه لمزاجهم وحاجتهم الآنية إليه، فأوصى الباري تعالى نبيه عيسى عليه السلام بذلك.

(1) سورة آل عمران الآية 51 ـ 52.

(2) سورة النساء الآية 172.

(3) سورة المائدة الآية 72.

(4) عبد العزيز، منصور حسين، دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والإسلام ص 442، مطابع مذكور ط1، القاهرة 1963.

(5) سورة الزخرف الآية 64.

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[1].

أما فرض الصيام فأشار إليه تعالى بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

فقوله تعالى: ﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يدل على أن من كتب لهم الكتاب هم أصحاب دين سماوي ويدخل المسيحيون في ذلك، وتأتي (كتب) بمعنى الفرض الواجب تطبيقه على من كتب عليه ذلك. ولم يتطرق القرآن إلى الصيام المسيحي في غير هذه الآية الكريمة.

ولم يتطرق القرآن الكريم إلى المسيح المسيحي بل تحدث عنه إسلامياً موضحاً شعائره ومناسكه.

ويفسر الطبري قوله تعالى: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴾[3].

فيقول: (منسكاً: عيداً. . . وقيل عنى بذلك: إراقة الدم أيام النحر بمنى)[4].

ولا يستبعد أن يكون معنى (عيداً) إشارة إلى مكان يؤديه المقدسيون (الحجاج) المسيحيون عند قصدهم إلى مدينة (أورشليم) أيام العيد مثلما حدث عند صعود عيسى عليه السلام إلى (المدينة المقدسة) وكان ذلك في عيد الفصح اليهودي، أو ما قام به القديس (بولس) عندما صمم على القيام بالحج في عيد العنصرة بعد خمس وعشرين سنة من رفع المسيح عليه السلام.

وتناول المصحف الشريف كفر النصارى ودعواهم الباطلة على عيسى عليه السلام بأنه إله ابن إله وأن أمه والدة إله، وأنه ثالث ثلاثة (الآب والروح القدس).

---

(1) سورة مريم الآية 31.

(2) سورة البقرة الآية 183.

(3) سورة الحج الآية 67.

(4) مصحف الشروق المفسر الميسر. مختصر تفسير الإمام الطبري ص 380. دار الشروق، بيروت.

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (1).

﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (2).

وفي سورة التوبة يصور الكتاب المجيد دعواهم بأن المسيح ابن الله وهم بذلك يرددون قول من سبقهم من الوثنيين الذين جعلوا من عظمائهم آلهة أو أبناء إله ولم تخل الأمم المسيحية من الموحدين لله والمؤمنين برسالة عيسى عليه السلام قديماً وحتى حديثاً(3) والأريسيون كانوا من الموحدين أيضاً.

وقام يحيى المعمدان بتعميد المسيح في ماء نهر الأردن كرمز للطهارة، والمعمودية في المفهوم المسيحي تعني اعتراف الإنسان بخطاياه إذ يقول إنجيل لوقا (يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا) (4).

ولا شك أن الغرض من الناسوت أن يظهر الله بمظهر الإنسان ويعيش كالإنسان ويتعمد كالإنسان ويتألم كالإنسان ويموت كالإنسان: لذا فهو بحاجة إلى التعميد والتطهير ليكون كالإنسان يعيش إنسانيته كاملة.

وعليه فالروح القدس ليس ثابتاً في الإنسان ولكنه يأتي للأنبياء حسب متطلبات الأحوال، وهذا يعني أن ذات عيسى عليه السلام شيء وأن ذات الروح القدس شيء آخر، ويمكن استنتاج ذلك من قول إنجيل مرقس (الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر التي يجدفونها، ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد بل هو مستوجب دينونة أبدية) (5).

---

(1) سورة المائدة الآية 17.

(2) سورة المائدة الآية 73.

(3) خلال لقاء شخصي مع د. روبير بيولاي قال إن هناك مجموعة قليلة من المسيحيين لا يتعدى عددها المئات تؤمن بنبوة المسيح كسائر الأنبياء.

(4) إنجيل لوقا 3: 3.

(5) إنجيل مرقس 3: 28ـ 29.

وكذلك ما جاء في سفر الخروج (لا تتمرد عليه لأن اسمي فيه) وفي قول إنجيل متى (. . . وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي) [1].

والروح القدس في مفهومهم لا يحل إلا على الإنسان المؤمن التقي، وأما إذا أخطأ فإن الروح القدس سوف تفارقه وتحل عليه روح شريرة مؤذية، لذلك ترى أن النبي داوود عليه السلام يصلي إلى الله تعالى بقوله: (قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله وروحاً مستقيماً جدّد في داخلي ولا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه مني)[2] وعليه فإن المسيح عليه السلام عبد من عبيد الله، وإن الروح القدس ملك من الملائكة وإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، ولا يساويه شيء ولم يلد ولم يولد. وصدق قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً ﴾[3].

أما تقرير الروح القدس فيراد بها الملك الكريم.

يقول د. محمد جميل غازي في كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية: أن المضاف إلى الله نوعان[4]:

أ ـ إما أن تكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والحياة كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾[5].

ب ـ إضافة عين كقوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ ﴾[6].

فالمضاف في النوع الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقاً له بائناً عنه والمضاف في النوع الثاني مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرق لما خصه الله من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾[7].

---

(1) إنجيل متى 12 : 32.

(2) مزمور 51: 10 ـ 11.

(3) سورة الشورى الآية 51.

(4) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص 438.

(5) سورة البقرة الآية 255.

(6) سورة الحج الآية 26.

(7) سورة مريم الآية 17.

وذكر الله تعالى في القرآن أنه نفخ في مريم من روحه: ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

كما ذكر الله تعالى تأييده لعيسى عليه السلام بروح القدس في عدة مواضع منها: ﴿ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾[2].

﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ ﴾[3].

ولئن قال الله تعالى ذلك عن عيسى عليه السلام قاله على رسولنا الكريم وعن القرآن الذي أنزل عليه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ۝ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[4].

إن قوله تعالى: ﴿ فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾[5] هو نظير قوله تعالى عن آدم: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[6].

وقد شبه الله المسيح بآدم: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[7].

لقد خص الله تعالى السيد المسيح بتسميته (كلمة الله) دون سائر البشر، لأن سائر البشر خلقوا بالطريقة التي أرادها الله لهم ابتداءً من النطفة فالعلقة ثم المضغة ثم نفخ فيه الروح.

---

(1) سورة الأنبياء الآية 91.

(2) سورة البقرة الآية 87.

(3) سورة المائدة الآية 110.

(4) سورة النحل الآية 101 ـ 102 واقرأ سورة الشعراء الآية 192 ـ 194.

(5) سورة التحريم الآية 12.

(6) سورة ص الآية 72.

(7) سورة آل عمران الآية 59.

والمسيح لم يخلق من ماء الرجال بل لما نفخ الروح القدس في أمه حملت به. وقال تعالى له كن فكان ولد شبهه بآدم.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

يهتم المسيحيون بولادة عيسى عليه السلام وأنه ولد بقوة الروح القدس مما يعطيه ميزة عن سائر البشر، كما أنهم يرون أن يحيى عليه السلام - يوحنا المعمدان - قريبه ولد بقوة الروح القدس رغم وجود أب له وهو زكريا.

يقول إنجيل لوقا إذ يقول: (فقال له الملاك لا تخف.. ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس)[2].

ويخبرنا لوقا أيضاً أن زكريا امتلأ من الروح القدس إذ يقول: (وامتلأ زكريا أبوه. . . فداء شعبه)[3].

يقول د. إبراهيم خليل أحمد (إن مفهوم التقديس عند اليهودية والمسيحية يختلف عن المفهوم الإسلامي ذلك أن كلمة (قدس) التي هي (قاداش) بالعبرية تعني (فرز) و(تجنيب) أما المفهوم الإسلامي للتقديس فهو (التنزيه والتمجيد) لذلك نجد في شريعة موسى قول الله لموسى عليه السلام (قدس لي.. إنه لي)[4]، ومن هذا يتبين أن المسيح كان مولوداً عادياً جاز عليه ما جاز على غيره من البشر وأنه جاء من جوهر الإنسان، فقد ولد من مريم العذراء، إحدى بنات آدم الذي خلق من تراب[5].

قال تعالى عن وثني العرب: ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[6].

---

(1) سورة آل عمران الآية 59.

(2) إنجيل لوقا 1 : 13.

(3) إنجيل لوقا 67/1.

(4) سفر الخروج 3: 2.

(5) مناظرة بين الإسلام والنصرانية ص 183.

(6) سورة الأنعام الآية 100. وانظر سورة الإسراء الآية 40 وسورة الصافات الآية 149 ـ 159 وسورة النساء الآية 171 ـ 172 وسورة التوبة الآية 30 ـ 34.

كما أشار القرآن الكريم بصيغة بليغة معجزة إلى قصة الوثنيات القديمة الممتدة عبر العصور والدهور، تلك الوثنيات التي آلت بتركتها المثقلة بالخرافة والشعوذة والكهانة إلى (الصهيونية العالمية) و(الصليبية العالمية).

قال تعالى: ﴿ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ﴾[1].

إن قضية التثليث (قضية فلسفية لا دينية وإن كانت تعد عند أصحابها كفكرة دينية إلا أنها من حيث التاريخ والترتيب الزمني لا يمكن القول بأن التثليث قضية دينية) [2] والمقصود بكلمة الله على المسيح هنا هو (كن) الذي يخلق الله بها الأشياء: ﴿ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[3] وسمي المسيح بذلك لأنه هو الذي مسح ويسمح الرؤوس للتعميد، ولأن الله سبحانه كونه بـ (كن).

قـال تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَـٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[5].

وعظمة الله لا نهاية لها كما أخبر عن ذلك جل شأنه: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [6].

وبأسلوب بياني بليغ وأدب رباني عظيم يسأل الباري جل شأنه وهو العالم بخفي الأمور ظاهرها وباطنها ـ عيسى عليه السلام هل قال للناس اتخذوني وأمي إلهين من دونه؟

---

(1) سورة التوبة الآية 30.

(2) أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي ص 62.

(3) سورة يس الآية 82.

(4) سورة مريم الآية 34 ـ 35.

(5) سورة آل عمران الآية 47. وانظر الآية 59 من نفس السورة.

(6) سورة الكهف الآية 109.

﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (2).

وواجه القرآن الكريم قضية تثليث (بولس) بحزم فسجل كفر النصارى في كون عيسى عليه السلام هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ ﴾(3).

وقد ذكرت آيات من الكتاب العزيز أن المسيح لا يعدو كونه رسولاً من رسل الله، وأن أمه صديقة وليست بنبية، وأنهما (كانا يأكلان الطعام) وهذا من أظهر الصفات الفاقدة للألوهية، لأن الأكل في حاجة إلى خروج كفضلات ليتخلص من الأذى. ومقابل نفي الألوهية عن المسيح أثبت القرآن الكريم له العبودية فقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾(4) وأول كلمة نطق بها عيسى عليه السلام وهو في المهد هي العبودية لله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾(5).

---

(1) سورة المائدة الآية 116.

(2) سورة التوبة الآية 30.

(3) سورة المائدة الآية 16، وانظر الآية 72 ـ 75 من نفس السورة.

(4) سورة الزخرف الآية 59.

(5) سورة مريم الآية 29 ـ 30.

يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في حديث يرويه أبو هريرة (يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم، وشتمني ابن آدم ولم يكن له ذلك. فأما شتمه إياي فقوله.. اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد. ولم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد. وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعبدني كما بدأني. وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته)[1].

ففي القرن الثاني الميلادي يؤكد المؤرخ اللاتيني (جوستين مارشير) أنه كان في زمنه في الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح ويعتبرونه إنساناً محضاً وإن كان أرقى من غيره من الناس وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل) [2].

ففي معرض تعليقها على عقيدة الثالوث تقول دائرة مصارف القرن التاسع عشر الفرنسية (كان الشأن في تلك العصور أن عقيدة إنسانية عيسى كانت غالبة مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين فإن الناصريين وجميع الفرق النصرانية التي تكونت من اليهودية اعتقدت أن عيسى إنسان محض مؤيد بالروح القدس ولم يكن أحد إذ ذاك يتهمهم بأنهم مبتعدون أو ملحدون[3].

والقرآن الكريم ينفي اتخاذ الله ولداً أو يعتبر ذلك كفراً وغلواً. قال تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[5].

(1) الأحاديث القدسية (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية. دار التحرير 1969، مصر ص 10)
(2) العقائد الإسلامية، السيد سابق ص 63، دار الكتاب العربي، بيروت، والنص مأخوذ من كتاب (كنز العلوم واللغة).
(3) العقائد الإسلامية ص 63.
(4) سورة المؤمنون الآية 91.
(5) سورة النساء الآية 171.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾(3).

(1) سورة الزخرف الآية 81.

(2) سورة الأنعام الآية 101.

(3) سورة البقرة الآية 116.

الفصل الرابع

العبادات في الديانة الإسلامية

العبادة في الإسلام

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1]

تمهيد:

أمر الله تعالى جميع خلقه بعبادته، فبعث رسله الكرام ليبثوا دعوته للعبادة وبيان نوع العبادة، ومراتبها، فكان الأنبياء أول العابدين له تعالى[2].

والتوحيد عندنا نوعان، توحيد الربوبية: وهي أن يعتقد المسلم أن الله سبحانه وتعالى قد خلقه دون أن يستعين في خلقه بأحد وأنه قريبه وراعيه.

أما الألوهية، فهي انقياد لمنهج الخالق المشرع في الأمر والنهي في الحلال والحرام، وطلب المغفرة والطاعة من عنده تعالى. إذ أن مقتضى الإيمان بالله أن يخلص العبد في عبادته لربه، ويخرج من الخضوع لهواه إلى الخضوع لمولاه لما في ذلك من خير يلحقه، وطيب يرزقه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[3].

وعد الأمر بالعبادة النداء الأول الذي به افتتحت كل الوسائل السماوية قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾[4].

---

(1) سورة الذاريات الآية 56.

(2) قال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ سورة النساء الآية 172. وقال تعالى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ سورة المائدة الآية 117.

(3) سورة الأحزاب الآية 36.

(4) سورة هود الآية 25 ـ 26.

وقـال تعـالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾[1].

وتكاملت الرسالات السماوية برسالة الإسلام إذ أكدت على حقيقة العبادة الخالصة له تعالى التي أخذ عهدها الأول من نبي الله (آدم) عندما قال تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [2].

يقول الإمام ابن تيمية (العبادة المأمور بـها تتضمـن معنـى الـذل ومعنـى الحـب فـهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغية المحبة له) [3].

(إن الإيمان بالله هو نقطة التحول في حياة البشرية من العبودية لشتى القوى وشتى الأشياء وشتى الاعتبارات.. إلى عبودية واحدة لله تتحرر بها النفس مـن كـل عبوديـة وترتفـع بها إلى مقام المساواة مع سائر النفوس في الصف الأول أمام المعبود) [4].

والعبادة[5] في اللغة، الطاعة والانقياد.

وجاء في مختار الصحاح (أصل العبودية الخضوع والذل) [6].

واصطلاحاً[7]: اسم جامع لكـل مـا يحبـه الله ويرضـاه مـن الأقـوال والأعمـال الباطنـة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديـث وأداء الأمانـة وبـر الوالديـن وصلـة الأرحام. . . من العبادة.

وعرفها صاحب التفسير المنار[8]: إنها غاية الخضوع والانقياد لله رب العالمين بامتثـال أوامره واجتناب نواهيه، وهذا الامتثال ناشئ عن استشعار القلب بعظمة المعبود.

---

(1) سورة هود الآية 84.

(2) سورة يس 60 ـ 61.

(3) العبودية. ابن تيمية الحراني، ص 10، المكتبة السلفية، القاهرة 1987.

(4) في ظلال القرآن 255/1.

(5) و(6) مختار الصحاح ص 408، دار الرسالة الكويت، المعجم الوجيز ص 403.

(7) العبودية، ابن تيمية ص 4، دار الكتب العلمية، مطبعة منير، بغداد.

(8) تفسير المنار 56/1 و57 مكتبة القاهرة.

وقال الإمام الرازي (رحمه الله): (العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير وهو مأخوذ من قولهم: طريق معبد أي مذلل) [1].

والعبادة عند الأصوليين والفقهاء هي: الصلاة والصوم والحج والزكاة فقط وما يتعلق بتلك العبادات.

وصفة العبودية هي نعت وسمة لكل رسل الله تعالى. إذ قرنها القرآن الكريم عند ذكره لهم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾[2]، وقال تعالى عن أيوب: ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[6].

والدين الإسلامي لا يقر إلا بعبودية مطلقة لله تعالى وحده من غير مصلحة أو منفعة ترتجى ولا شركة لأحد فيها معه تعالى كما هي عند النصارى بل هي (عبودية واحدة لله الكبير المتعال. ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها، فليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس.

إنما هناك رب واحد للناس جميعاً هو الذي يشرع لهم على السواء فلا طاعة لهذا النظام لبشر إلا أن يكون منفذاً لشريعة الله موكلاً عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداء لأن التشريع من شأن الألوهية وهو مظهر الألوهية في حياة البشر، فلا يجوز أن يزاوله إنسان فيدعي لنفسه مقام الألوهية وهو واحد من العبيد)[7].

وجاءت كلمة (العبادة) في القرآن الكريم في معان ثلاثة هي:

---

(1) التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، الرازي 246/1، دار الفكر، بيروت ط5، 85/145.

(2) سورة ص الآية 45.

(3) سورة ص الآية 41.

(4) سورة ص الآية 44.

(5) سورة ص الآية 30.

(6) سورة الجن الآية 19.

(7) في ظلال القرآن 431/1.

1 ـ العبد: المملوك خلاف الحر.

2 ـ العبادة: الطاعة مع الخضوع.

3 ـ التعبد: التنسك[1].

(وقد وردت مادة (ع.ب.د) ومشتقاتها في القرآن الكريم حوالي خمساً وخمسين ومائتي مرة) [2].

وهناك ربط بين العبادة ومعنى الألوهية والتأله المختصة بالله تعالى «وهذا المعنى هو الذي ينصرف إليه معنى العبادة عند الإطلاق وهذا هو التوحيد الذي أرسلت به الرسل»[3].

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[4].

وعبادة الله مقترنة بطاعته وطاعة رسوله الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[5] وقال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾[6].

ومن خصائص نظام العبادة الإسلامية تنوعها وامتزاجها بجميع جوانب الحياة فكيفما تعامل الناس بخير وإحسان فذلك من العبادة. كما أن العبادة ترتكز على الإيمان بالله تعالى وبرسوله، وجعلت النية هي الحد الفاصل بين ما يثيب عليه تعالى وما لا يثيب لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[7].

---

(1) العبادات في الإسلام د. محمد نبيل غانم ص 18، مكتبة المنار، الزرقاء 1973.

(2) المصدر نفسه ص 16 ـ 17.

(3) الطباطبائي، محمد حسين، البيان في تفسير القرآن ج1 ص 463، مؤسسة الأعلمي، بيروت ط3، 1974.

(4) سورة آل عمران الآية 64.

(5) سورة الأحزاب الآية 71.

(6) سورة النساء الآية 80.

(7) سورة البينة الآية 5.

مع ملاحظة أن العبادة ليست انقطاعاً مـن الدنيـا وأهلـها بـل هـي تفـاعل مـع الدنيـا وأهلها، وفقاً لمنهج الله تعالى، ورفض الرهبانية المبتدعـة.. مثـل صـوم الدهـر، والعـزوف عـن الزواج بحجة التبتل والاعتكاف[1].

والعبادات الإسلامية تنقسم إلى ثلاثة أقسام[2]:

1 ـ العبادات القلبية: ومستقرها القلب بالإيمان بالله وتوحيده وحب الله ورسوله والتوكل على الله ورجاء رحمته وخشية عذابه والتفكر في قدرة الله وعظيم صفاته.

2 ـ العبادات العملية: وتشمل كل العبادات الأخرى (كالصلاة والزكاة والصوم).

3 ـ العبادات المركبة: ومن أمثلتها (الحج) فهي تحتاج إلى المـال مـن جهـة ويمارسـها المسلم ببدنه من جهة أخرى. لذا فقد فرضها الله تعالى مع الاستطاعية. قال تعـالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[3].

ويتضح المفهوم الإسلامي للعبـادة ليشـمل كـل جوانـب الحيـاة فيصبح حينئـذ المنـهج المتكـامل للحيـاة، حيـث يتجلـى شـعار العبوديـة لقـول الحـق تعـالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[4] تلك العبادة التي تنشرح بها صدور المؤمنين وتمثل عاقبـة حـال المتقين فكانت بحق جوهر الرسالات وهدف تشريعاتها.

قـال تعـالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[5].

ودرجات العبادة ثلاثة[6]:

1 ـ من يعبد الله رغبة في الثواب ورهبة من العقاب وهي أدنى الدرجات.

2 ـ من يعبد الله لينال شرف العبادة والانتساب إلى الله وهي درجة وسطى.

3 ـ من يعبد الله لأنه إله يستحق أن يعبد وهي أعلى الدرجات.

---

(1) العبادة في الإسلام، ص 53.

(2) النظم الإسلامية، منير البياتي، فاضل شاكر النعيمي ص 57 ـ 58 بتصرف.

(3) سورة آل عمران الآية 97.

(4) سورة الذاريات الآية 56.

(5) سورة الحجر الآية 97 ـ 99.

(6) العبادات في الإسلام د. محمد نبيل غانم ص 64.

وربط الإسلام العبادة بالعمل، فجعل سعي الإنسان في طلب المعاش عبادة مشروطة بكون هذه الأعمال تؤدى بالوجهة الصحيحة المشروعة في نظر الدين، مقترنة بالنية الصالحة والتي تتكامل أداءً وعملاً مع الفروضات الدينية الواجبة كالصوم والصلاة والزكاة.

قال تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [2].

يقول ابن قيم الجوزية (رحمه الله): إن رحى العبودية تدور على خمس عشرة قاعدة من كملها مراتب العبودية وبيانها: إن العبودية منقسمة على القلب واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح[3].

وتمثل العبادة حق الله على عباده، كما ورد في الحديث الشريف عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً[4].

ومن مستلزمات العبادة الإسلامية[5] الخضوع لله تعالى وشكره والتوكل عليه. والإخلاص له وطلب الدعاء، فالشكر هو ظهور نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً والتوكل عليه تعالى في تيسير الأمور. قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[6].

---

(1) سورة النور الآية 37.

(2) سورة المنافقون الآية 9.

(3) العبادة في الإسلام. يوسف القرضاوي ص 77، نقلاً عن كتاب (مدارج السالكين، شرح منازل السائرين).

(4) صحيح مسلم 58/1. دار إحياء التراث العربي.

(5) روح الدين الإسلامي ص 193.

(6) سورة المائدة الآية 23.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[1] أي كافية مما أهمه وأحزنه، والتوكل يتبعه الاقتداء بالأنبياء والصالحين. مثل قول النبي شعيب عليه السلام: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3] وقرن الله تعالى الإخلاص بالعبادة إذ قال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾[5].

والمسلم بإخلاصه لخالقه إنما يكون ذلك بدافع الإيمان والطاعة لله ورسوله من دون رياء أو كذب أو نفاق.

فعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة: رجل أتاه العلم فيقول الله له: ما صنعت فيما علمت؟ فيقول: يا رب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم. ألا فقد قيل ذلك. ورجل أتاه الله مالاً فيقول الله له: لقد أنعمت عليك فماذا صنعت؟ فيقول له يا رب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار، فيقول الله كذبت. وتقول الملائكة كذبت. بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك. والثالث قال رجل جاهد في سبيل الله فقتل فيقول الله له: فقد جاهدت ليقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك.

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة: يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر بهم جهنم يوم القيامة[6].

(1) سورة الطلاق الآية 3.

(2) سورة هود الآية 88.

(3) سورة آل عمران الآية 159.

(4) سورة البينة الآية 5.

(5) سورة الزمر الآية 2.

(6) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب 62/1 ـ 64، وعزاه لابن خزيمة في صحيحه ولم يذكر تصحيحاً أو تضعيفاً.

وللعبادات أثرها في إصلاح المجتمع وجعلهم أخوة متحابين، متقاربين مؤمنين بإله واحد.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] الذين يتسابقون إلى فعل الخيرات والبر والإحسان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [2].

وتعطي العبادات للمتعبد قوة الشخصية وثباتها تلك القوة والعزة المستمدة من خالقه تعالى القوى العزيز.

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3].

وللعبادات تأثير في سلوكيات الأفراد إذ تمدهم بالقدرة على أداء الطاعات وفعل الخيرات واجتناب المكاره والمعصيات، وفي ذلك كله أثره الحسن في أخلاقيته وعلاقاته مع أقرانه.

ومن صفات العبادة اتسامها بالتيسير وعدم الحرج على المكلفين فوضعت محطات استراحة للعاجزين من الشيوخ والنساء ولشتى الأسباب، وفي ذلك يسر لا عسر لأن المشرع الحكيم أراد لهم ذلك بقوله: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [4].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [5].

وصفة الدوام والاستمرار بالتكليف قائمة إلى يوم الساعة، ولا يعفى منها ولا تبرأ ذمة منها ما دام حياً، وكما قال العبد الصالح: ﴿ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[6].

---

(1) سورة الحجرات الآية 10.
(2) سورة الحجرات الآية 13.
(3) سورة المنافقون الآية 8.
(4) سورة البقرة الآية 185.
(5) سورة الحج الآية 78.
(6) سورة مريم الآية 31.

المبحث الأول
(الصلاة)

المطلب الأول

معنى الصلاة

لغة: الدعاء والاستغفار والرحمة وحسن الثناء[1].

شرعاً[2]: عبارة عن أفعال مخصوصة على وجوه مخصوصة.

وهذا يدل على أن الاسم ينقل من اللغة إلى الشرع.

وقيل هي[3]: أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم مع النية بشرائط مخصوصة. قال صاحب تفسير (زاد المسير في علم التفسير) سميت (بالصلاة) فيها ثلاثة أقوال:

أ ـ إنها سميت بذلك لرفع (الصلا) وهو مغرز الذنب من الفرس.

ب ـ إنها من صليت العود إذا لينته، فالمصلي يلين ويخشع.

جـ ـ إنها مبنية على السؤال والدعاء[4].

(والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار ومن المؤمنين دعاء ومن الطير والهوام تسبيح) [1].

---

(1) لسان العرب المحيط. مج 2 ص 469، دار لسان العرب، الصحاح في اللغة والعلوم، الجوهري، إعداد وتصنيف نديم برعشلي. مج 1 ص 731، دار الحضارة العربية، بيروت، 17 ـ 1974. محيط المحيط، بطرس البستاني، مكتبة لبنان ج2 ص 123، مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عب القادر الرازي ص 368، دار الرسالة، الكويت 1983 ـ 1403، القاموس المحيط ج4 ص 355. دار الجيل، دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، مج 5 ص 564.

(2) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي ج1 ص 39.

(3) محيط المحيط 1204/2.

(4) زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ج1 ص 25، المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1384 ـ 1964.

والصلاة هي عماد الدين، وشعار المتقين، فينبغي إدراك عظمتها وأهميتها، وهل للعبد دليل لإثبات عبوديته أظهر من الصلاة؟ وهل له شاهد على صدق دعائه بالإيمان أصدق من الصلاة؟ وأي ميزان أحسن منها للاختيار إذا شاء العبد أن يعرف نفسه من أي الفريقين هو. فالسعيد من أداها مخلصاً له الدين، والشقي من رائى بها ليشتري ثمناً قليلاً بها.

إن الوقوف بين يدي الله سبحانه في أوقات معلومة يعطي للمصلي الإحساس برهبة المثول أمام خالق الكون، ومبدع الخلق، كما أنه يوجد في ذلته قوة فعالة تردعه عن مخالفة أوامر خالقه.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [2].

إن معنى إقامة الصلاة (هو الإتيان بها كاملاً يتحقق منه المقصود، وهو التوجه إلى الله، والخشوع الحقيقي له مما يحول بين الإنسان واقتراف الفواحش والمنكرات) [3]، والخشوع في الصلاة (إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها واشتغل بها عما عداها وآثرها على غيرها وحينئذ تكون له راحة وقرة عين كما في الحديث الشريف الذي رواه أحمد والنسائي عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (حبب إلي الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة) [4].

«وفرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج»[5].

والصلاة فيها راحة للمسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبلال رضي الله عنه عند حضور وقتها: (أَقِمِ الصَلاةَ فَأرِحِنا بالصَلاةِ)[6].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴾[7] والذي لا يطمئن في ركوعه وسجوده ليس بدائم

---

(1) محيط المحيط 1204/2.

(2) سورة العنكبوت الآية 45.

(3) روح الدين الإسلامي ص 250.

(4) أخرجه أحمد 28/3 والنسائي 60/2 والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، والبيهقي 78/1 وحسنه السيوطي في الجامع الصغير 146/1 والشوكاني في نيل الأوطار 226/6.

(5) زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم الجوزية 53/2 طبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1390هـ - 1970م.

(6) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير 239/3.

(7) سورة المعارج الآية 19 - 22.

على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته، وقيل: المراد بذلك (الذين عملوا داوموا عليه وأثبتوه)[1].

المطلب الثاني

الآيات الواردة في ذكر الصلاة

1 ـ ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[2].

2 ـ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[3].

3 ـ ﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[4].

4 ـ ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[5].

5 ـ ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[6].

6 ـ ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[7].

7 ﴿ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾[8].

---

(1) تفسير (القرآن العظيم) ابن كثير 421/4.

(2) سورة الإسراء الآية 78.

(3) سورة هود الآية 114.

(4) سورة الأنفال الآية 3.

(5) سورة طه الآية 132.

(6) سورة البقرة الآية 45.

(7) سورة البقرة الآية 43.

(8) سورة إبراهيم الآية 31.

8 ـ ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(1).

9 ـ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(2).

10 ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾(3).

11 ـ ﴿ حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾(4).

12 ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(5).

13 ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(6).

14 ـ ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾(7).

---

(1) سورة العنكبوت الآية 45.

(2) سورة الحج الآية 41.

(3) سورة المائدة الآية 6.

(4) سورة البقرة الآية 238.

(5) سورة الجمعة الآية 9.

(6) سورة النساء الآية 43.

(7) سورة الإسراء الآية 110.

15 ـ ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴾[1].

16 ـ ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[2].

المطلب الثالث

الأحاديث الواردة في فضل الصلاة

الصلاة ركن من أركان الإسلام ومنكرها كافر، وهي من دعائم الإيمان، ومؤديها حقها يدخل الجنة، ولا يضيع أجر من أداها بحق، وهي من أحب العبادات إلى الله تعالى. وقد ورد في فضلها أحاديث جمة منها:

1 ـ عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغسل كل يوم خمساً ما تقول ذلك يبقى من درنه، قالوا لا يبقى من درنه شيئاً. قال فذلك من الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا)[3].

2 ـ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه)[4].

3 ـ من عثمان بن عفان رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله)[5].

---

(1) سورة الماعون الآية 4، 5، 6.

(2) سورة النساء الآية 101.

وانظر الآيات التالية: سورة البقرة الآية 37، سورة الحج الآية 35، 41، سورة السجدة 15، سورة الأحزاب الآية 41 ـ 42. سورة المعارج الآية 22 ـ 23، سورة المؤمنون الآية 1 ـ 2، سورة البقرة 143 ـ 144 ـ 145، سورة طه الآية 130، سورة الفرقان الآية 62، سورة الإسراء الآية 79، سورة ق الآية 39، سورة الطور الآية 48، سورة المعارج الآية 34، سورة الإنسان الآية 25 ـ 26، سورة الجمعة الآية 10، سورة المدثر الآية 43، سورة البقرة الآية 239.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 182/4 ـ 183، شرح رياض الصالحين 446/2.

(4) شرح رياض الصالحين 449/2 وعزاه للبخاري.

(5) شرح رياض الصالحين 438/2 وعزاه لمسلم.

4 ـ قال أبو عمر الشيباني صاحب هذا الدار وأشار إلى دار عبدالله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي العمل أحب إلى الله قال: (الصلاة حدثني بها ولو استزدته لزادني) [1].

5 ـ وجاء في باب الصلاة من الإيمان قول الحق تبارك وتعالى: (وما كان الله يضيع إيمانكم) أي صلاتكم عند البيت[2].

6 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر) [3].

7 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر. ثم يعرج الذين يأتوا فيكم فيسألهم الله وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وابتناهم وهم يصلون) [4].

وجاء في فضل صلاة المسجد والجماعة أحاديث منها:

1 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من تظهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة) [5].

2 ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة) [6].

3 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح) [7].

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 181/4 ـ 182.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 162/1 ـ 163.

(3) شرح رياض الصالحين 348/2 وعزاه لمسلم.

(4) شرح رياض الصالحين 441/2 قال متفق عليه.

(5) شرح رياض الصالحين 443/2 وعزاه لمسلم.

(6) شرح رياض الصالحين 451/2 وقال متفق عليه.

(7) شرح رياض الصالحين 443/2 متفق عليه.

وورد في فضل الصلوات الخمس ما يأتي:

1 ـ عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من صلى البردين دخل الجنة) [1].

2 ـ عن جرير بن عبدالله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (أما أنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون أو لا تضاهون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا ثم قال: (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) [2].

3 ـ عن نافع بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله) [3].

4 ـ عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في غزوة في يوم ذي غيم فقال بكروا بصلاة العصر فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله) [4].

عن عروة أن عائشة رضي الله عنها أخبرته قال: أعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بالعشاء وذلك قبل أن يغشو الإسلام كل يخرج حتى قال عمر نام النساء والصبيان فخرج فقال: (أهل المسجد ما ينتظرها أحد من أهل الأرض غيركم) [5].

المطلب الرابع

القبلة

إن قبلة الصلاة عند المسلمين هي الكعبة المشرفة وسميت قبلة لكون المصلي يقابلها[6] ولا تقبل الصلاة إلا باستقبالها.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا

(1) البردان الفجر والعصر، شرح رياض الصالحين 439/2.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 215/4 ـ 216.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 197/4.

(4) شرح صحيح البخاري للكرماني 197/4.

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني 209/4.

(6) صحيح مسلم 113/4 دار إحياء التراث العربي.

ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [1].

والمسجد الحرام هنا، الكعبة المشرفة لقوله تعالى: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [2].

وقد كانت القبلة في صدر الإسلام إلى الكعبة المشرفة فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره الله أن يستقبل (بيت المقدس) فاستقبله سبعة عشر شهراً إلا أنه كان يحب أن يعود إلى إستقبال القبلة كما كان لأنها قبلة خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام فكان يدعو وينظر إلى السماء لأنها كانت قبلة الداعي[3]. إلى أن نزل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [4].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً وإن رسول الله يحب أن يوجه إلى الكعبة فأنزل الله: (قَدْ نرى تقلّب وجْهَكَ في السماءِ) فتوجه نحو الكعبة، وقال السفهاء من الناس وهم اليهود ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرج بعدما صلى فمر على قوم من الأنصار كانوا يصلون نحو بيت المقدس فأخبرهم أنه كان في صلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه توجه نحو الكعبة، فانحرف القوم حتى توجهوا نحو الكعبة[5].

وتواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة عن فضل استقبال القبلة منها:

---

(1) سورة البقرة الآية 150.

(2) سورة المائدة الآية 97.

(3) خلاصة الكلام ص 65.

(4) سورة البقرة الآية 144.

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني 62/4 ـ 63.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا، وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) [1].

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا قال أيوب فقدمنا الشام فوجدنا مراحيض بنيت قبل القبلة فكنا ننحرف ونستغفر الله تعالى) [2].

إن الحكمة من استقبال القبلة هو إحياء لسنة إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، إن توجهه إلى وجهة واحدة وصرف جميع جوارحه إليها يغرس في قلبه بذور الطمأنينة والخشوع كما أن فيها تذكير المسلمين بمحبة الله تعالى رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم بعدما صرفه الله تعالى عن القبلة لبيت المقدس إلى الكعبة المشرفة.

المطلب الخامس

الأذان

لغة: الإعلام قال تعالى: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾ [3].

شرعاً: الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة [4].

وهو ألفاظ مخصوصة بالتكبير والوحدانية لله، قال القرطبي: (الأذان مشتمل على مسائل العقيدة، لأنه بدا بالأكبرية وهي تتضمن وجود الله وكماله ثم ثنى بالتوحيد ونفى الشرك ثم بإثبات الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكداً[5].

وشرع الأذان في السنة الأولى للهجرة[6].

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 54/2 ـ 55.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 57/4.

(3) و(4) سبل السلام 181/1. سورة التوبة الآية 3.

(5) فقه السنة 94/1 ط4.

(6) فقه السنة 95/1 ط4.

عن يحيى بن سعيد أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتخذ خشبتين يضرب بهما ليجتمع الناس للصلاة فأرى عبدالله بن زيد الأنصاري خشبتين في النوم فقال: إن هاتين لنحو مما يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذنون للصلاة، فأتى رسول الله حين استيقظ فذكر له فأمر رسول الله بالأذان[1].

وعن نافع أن ابن عمر كان يقول: كان المسلمون يجتمعون فيتحينون الصلاة وليس ينادي بها أحد، فتكلموا في ذلك. فقال بعضهم اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل قرناً مثل قرن اليهود فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا بلال قم فناد بالصلاة[2].

وورد الأذان بكيفيات ثلاث هي[3]:

1 ـ تربيع التكبير الأول وتثنية باقي الأذان بلا ترجيح ما عدا كلمة التوحيد، وهو المعمول به الآن.

2 ـ تربيع التكبير وترجيح كل من الشهادتين بمعنى أن يقول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمداً رسول الله. يخفض بها صوته ثم يعيدها مع الصوت.

3 ـ تثنية التكبير مع ترجيح الشهادتين.

وورد في فضل الأذان والمؤذنين أحاديث كثيرة منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا نوى للصلاة (أي إذا أذن) أدبر الشيطان له ضراط حتى لا يسمع النداء فإذا قضي النداء، أقبل حتى إذا ثوب[4] بالصلاة أدبر حتى إذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه[5] يقول اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى) [6].

---

(1) مما لا خلاف فيه أن رؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليها حكم شرعي مما يرجح أن الوحي قد نزل قبل إخبار عبدالله النبي برؤياه ويؤيد ذلك ما رواه عبد الرزاق، وأبو داوود في المراسيل من طريق عبيد الله بن عمير الليثي أحد كبار التابعين أن عمراً لما رأى الأذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي قد ورد بذلك فما راعه إلا أذان بلال، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحي. الموطأ ص 55.

(2) فقه السنة 95/1 ط 4 وعزاه لأحمد والبخاري.

(3) فقه السنة 96/1 ط 4.

(4) ثوب بالصلاة أي أقيمت.

(5) يخطر بين المرء ونفسه أي يوسوس.

(6) موطأ الإمام مالك ص 57.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: ساعتان تفتح لهما السماء وقل داع ترد عليه دعوته: حضرة النداء للصلاة والصف في سبيل الله[1].

عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المؤذنون أمناء الناس على صلاتهم)[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الأئمة ضمناء والمؤذنون أمناء فرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين)[3].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (إذا سمعتم الأذان فقولوا مثل ما يقول المؤذنون)[4].

المطلب السادس

الوضوء

هو طهارة مائية تتعلق بالوجه واليدين والرأس والرجلين[5] ودليل مشروعيته جاء عن طرق ثلاثة هي:

1 ـ القرآن الكريم: إذ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا ﴾[6].

2 ـ الحديث الشريف: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قنال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ)[7].

---

(1) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(2) مسند الشافعي 50/1.

(3) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(4) موطأ الإمام مالك ص 57.

(5) فقه السنة 36/1 ط4.

(6) سورة المائدة آية 6.

(7) شرح صحيح البخاري للكرماني ص 170 المطبعة البهية المصرية.

3 ـ الإجماع: إذ انعقد إجماع المسلمين على مشروعيته من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا.

4 ـ وفرائض الوضوء هي: النية وغسل الوجه مرة وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح الرأس باليد.

وهيئته: عن عطاء بن يسار عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه توضأ فغسل وجهه وأخذ غرفة من ماء فمضمض بها واستنشق ثم أخذ غرفة من ماء فجعل بها هكذا أضافها إلى يده الأخرى فغسل بهما وجهه ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليمنى ثم أخذ غرفة من ماء فغسل بها يده اليسرى، ثم مسح برأسه ثم أخذ غرفة من ماء فرش على رجله اليمنى ثم غسلها ثم أخذ غرفة أخرى فغسل بها رجله اليسرى. ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ[1].

وتواترت الأخبار عن وضوء رسول الله مرة ومرتين وثلاثاً ثلاثاً[2].

أما سنن الوضوء: فكثيرة أهمها[3]:

السواك، غسل الكفين ثلاثاً في أول الوضوء والمضمضة ثلاثاً والاستنشاق ثلاثاً، تخليل اللحية، الموالاة، مسح الأذنين، الدعاء أثناء الوضوء.

عن زيد بن خالد الجهني قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك)[4] وأضيف للحديث (مع كل وضوء) برواية أبي هريرة[5]. والسواك هو فرشاة طبيعية مزودة بأملاح معدنية ومواد عطرية تساعد على تنظيف الأسنان، فهو يحتوي على مسحوق مطهر لتنظيف الأسنان كما يحتوي كيميائياً على ألياف السليلوز وبعض الزيوت الطيارة وبه أملاح معدنية أهمها كلوريد الصوديوم وهو ملح الطعام وكلوريد البوتاسيوم واكسالات الجير، وقد استعمل النبي صلى الله عليه وسلم السواك منذ أكثر من (1400) عام بينما استعمل الناس الفرشاة ولأول مرة سنة 1800م وهو يزيل الرواسب الخشنة

---

(1) المصدر السابق نفسه والصفحة ذاتها.

(2) انظر فقه السنة 206/1 ط4.

(3) سنن أبي داود 11/1.

(4) أخرجه مالك في الموطأ 65/1 قال حذيفة (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام ليتهجد يشوص فاه بالسواك)، رواه مسلم 1124/1، دار إحياء التراث العربي، وابن ماجة 105/1.

(5) بين الطب والإسلام ص 34 ـ 35 ومجلة التربية 1403/58 ومجلة التربية الفطرية ص 76.

حول عنق السن وهو ما يسمى بالطرطير ويمنع مرض البيوريا والتسوس وإفرازات السموم الـتي يهضمها الجسم[1].

وعن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن من الفطـرة المضمضـة والاستنشاق)[2]، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال: (إذا توضـأ أحدكـم فليستنشق بمنخريه الماء ثم ينتشر)[3].

(إن الاستنشاق تنظيف للأنف مما علق فيه وهو باب التنفس ومنـه يدخـل الهـواء إلى الرئتين عن طريق الحلق فإذا لم تتجدد مواده المخاطية كانت حقلاً خصباً للجراثيم والفطريات الفتاكة وتضاءلت من جرائها حساسية الشم) [4].

وثبت علمياً أن بعض أمراض القلب تنشأ عن تعفن الأسنان زيادة على ما يتسـبب فيـه وسخ الفم من رائحة كريهة[5].

ويجب الوضوء فرضاً أو نافلة وكذلك الطواف بالبيت الحرام وعند مسك المصحف[6].

وورد في فضل الوضوء عدة أحاديث منها: عـن عثمـان بـن عفـان رضـي الله عنـه قـال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما من أحد يتوضـأ فيحسـن وضـوءه ثـم يصلـي الصلاة إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى) [7].

وروى ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (استقيموا ولن تحصوا، خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) [8].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليـه وسـلم يقـول: (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلـين مـن آثـار الوضـوء فمـن اسـتطاع منكـم أن يطيـل غرتـه فليفعل) [9]، عن أبي هريرة قال إن رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم قـال: (إذا توضـأ العبـد

---

(1) سنن أبي داود 13/1.

(2) رواه مسلم 213/2، دار إحياء التراث العربي، والشافعي 67/1.

(3) رواه مسلم 212/1.

(4) الطب النبوي 221/1 ومجلة المؤرخ 262/16.

(5) الطب النبوي 222/1، مجلة المؤرخ العربي 162/16 لسنة 1981. الموجز في الطب للشطي 6/2.

(6) انظر فقه السنة 49/1 ط4.

(7) موطأ الإمام مالك ص 20.

(8) تنبيه الغافلين ص 98.

(9) شرح صحيح البخاري الكرماني ص 172 ـ 173.

المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرجت من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرجت من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطرة الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ألا أدلكم على ما يكفر الله به الخطايا ويزيد في الحسنات، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: (إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة) [2].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه حتى تخرج من تحت أظافره) [3].

وللوضوء نواقض عديدة منها: كل ما خرج من السبيلين (الدبر والقبل) ويشمل البول والغائط وريح الدبر والنوم المستطرق الذي لا يبقي معه إدراك وزوال بالجنون والإغماء، ومس الفرج بدون الحائل[4].

عن بسرة بنت صفوان أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا مس أحدكم ذكره فليتوضأ) [5].

شكا عبد الله بن زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يخيل إليه شيء في الصلاة فقال: (لا ينفلت حتى سمع صوتاً أو يجد ريحاً) [6].

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا رعف انصرف فتوضأ ثم رجع ولم يتكلم[7] وإذا لم يجد المصلي الماء وتعذر عليه حصوله فإنه يتيمم قال تعالى:

(1) موطأ الإمام مالك ص 31 ـ 32 وأخرجه مسلم 21/1 واللفظ له وللترمذي 7/1.

(2) سنن ابن ماجة 148/1.

(3) رواه مسلم 121/1. دار إحياء التراث العربي.

(4) انظر فقه السنة 45/1 ط4.

(5) الأم، محمد بن إدريس الشافعي 19/1، إشراف محمد زهري النجار شركة الطباعة الفنية ط1، 1381هـ ـ 1961م، مصر.

(6) مسند الإمام الشافعي 36/1.

(7) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

﴿ فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [1].

عن الأعرج عن ابن الصمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تيمم فمسح وجهه وذراعيه[2].

قال الشافعي رحمه الله: إذا كان التيمم بدلاً من الوضوء على الوجه واليدين يجب أن يؤتى بالتيمم على ما يؤتى بالوضوء عليه فيهما وأن الله عز وجل إذ ذكرهما فقد عفا في التيمم عما سواهما من أعضاء الوضوء والغسل[3] وكيفيته أن يضرب المتيمم بيديه معاً على التراب ويخلل أصابعه بالتراب ويتبع مواضع الوضوء بالتراب كما يتتبعها بالماء[4].

المطلب السابع

ما يباح في الصلاة

ويباح للمصلي ما يأتي:

1 ـ البكاء والتأوه والأنين سواء أكان ذلك من خشية الله أم كان لغير ذلك كالتأوه من المصائب والأوجاع ما دام عن صدق بحيث لا يمكن دفعه.

2 ـ الالتفاف عند الحاجة. أما لغير الحاجة فهو مكروه تنزيهاً لمنافاته الخشوع والإقبال على الله تعالى.

3 ـ قتل الحية والعقرب والزنابير ونحو ذلك من كل ما يضر وإن أدى قتلها إلى عمل كثير.

4 ـ المشي اليسير لحاجة.

5 ـ إلقاء السلام على المصلي، وأنه يجوز للمصلي أن يرد بإشارة على من سلم عليه.

6 ـ حمداً لله عند العطاء أو عند حدوث نعمة.

7 ـ السجود على ثياب المصلي أو عمامته لعذر[5].

---

(1) سورة النساء الآية 43.

(2) الأم للشافعي 48/1.

(3) الأم للشافعي 48/1 ـ 49.

(4) الأم للشافعي 49/1.

(5) انظر فقه السنة ص 219 وما بعدها ط4.

المطلب الثامن

مبطلات الصلاة

وتبطل الصلاة بالأفعال التالية:

1 ـ الأكل والشرب عمداً، قال ابن المنذر: (أجمع أهل العلم على من أكل وشرب في صلاة الفرض عامداً[1] أن عليه الإعادة، وكذا في صلاة التطوع عند الجمهور لأن ما أبطل الفرض يبطل التطوع) [2].

2 ـ الكلام عمداً في غير مصلحة الصلاة: عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة: يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت الآية (وقوموا لله قانتين) فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام[3].

3 ـ العمل الكثير عمداً: وللعلماء رأي في ضابط القلة منه والكثرة فيقيل الكثير ما هو يكون بحيث لو رآه إنسان من بعد تيقن أنه ليس في الصلاة وما عدا ذلك فهو قليل[4].

4 ـ ترك ركن أو شرط عمداً وبدون عذر.

5 ـ التبسم والضحك في الصلاة: نقل ابن المنذر الإجماع على بطلان الصلاة بالضحك، وقال أكثر العلماء: لا بأس بالتبسم، وضابط القلة والكثرة فيهما العرف[5].

ويكره للمصلي العبث بثوبه أو ببدنه إلا إذا دعت إليه الحاجة، وكذلك يكره التخصر في الصلاة أي وضع اليد على الخاصرة.

المطلب التاسع

مواقيت الصلاة

للصلاة مواقيت معلومة لا بد أن تؤدى فيها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾[6].

---

(1) قالت الشافعية والحنابلة: لا تبطل الصلاة بالأكل أو الشرب ناسياً أو جاهلاً. انظر فقه السنة 229/1 ط4.

(2) فقه السنة 229/1 ط4.

(3) فقه السنة 229/1 ط4.

(4) فقه السنة 230/1 ط4.

(5) فقه السنة 234/1 ط4.

(6) سورة النساء الآية 103.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأوقات بقوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[2].

وللصلاة الإسلامية خمسة أوقات هي:

1 ـ **صلاة الصبح:** وهي ركعتان يقرأ في كل ركعة سورة الفاتحة مع شيء من القرآن الكريم ووقتها يبدأ من طلوع الفجر الصادق ويستمر إلى طلوع الشمس.

2 ـ **صلاة الظهر:** وهي أربع ركعات ووقتها يبدأ من زوال الشمس عن وسط السماء ويمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثله في الزوال. ويستحب تأخير صلاة الظهر عن أول الوقت عند شدة الحر حتى لا يذهب الخشوع.

3 ـ **صلاة العصر:** وهي أربع ركعات أيضاً ووقتها يدخل بصيرورة ظل الشيء قبله بعد فيء الزوال ويمتد إلى غروب الشمس، وهي الصلاة الوسطى من بين الصلوات لقوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [3].

4 ـ **صلاة المغرب:** وهي ثلاث ركعات ويدخل وقتها إذا غابت الشمس وتوارت بالحجاب، ويمتد إلى مغيب الشفق الأحمر.

5 ـ **صلاة العشاء:** وهي أربع ركعات ووقتها يدخل بمغيب الشفق الأحمر ويمتد إلى نصف الليل ويستحب تأخير صلاة العشاء عن أول وقتها[4].

عن الزهري قال: أخر عمر بن عبد العزيز الصلاة فقال له عروة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (نزل جبريل فأمني فصليت معه ثم نزل فأمني فصليت معه، ثم نزل فأمني وصليت معه ثم نزل فأمني فصليت معه حتى عد الصلوات الخمس) [5].

---

(1) سورة هود الآية 114.

(2) سورة الإسراء الآية 78 وانظر سورة طه الآية 120.

(3) سورة البقرة الآية 238.

(4) انظر فقه السنة 85/1 وما بعدها.

(5) مسند الشافعي 49/1 ـ 50.

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري (أن صَلِّ الظهر إذا زاغت الشمس والعصر والشمس بيضاء نقية قبل أن يدخلها صفرة، والمغرب إذا غربت الشمس وآخر العشاء ما لم تنم وصل الصبح والنجوم بادية مشتبكة، واقرأ فيها سورتين طويلتين من المفصل)(1).

المطلب العاشر

كيفية الصلاة وصفتها

عن عبد الله بن غنم: أن أبا مالك الأشعري جمع قومه فقال: يا معشر الأشعريين اجتمعوا واجمعوا نساءكم وأبناءكم أعلمكم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يصلي لنا بالمدينة فاجتمعوا وجمعوا نساءهم وأبناءهم، فتوضأ وأراهم كيف يتوضأ فأحصى الوضوء إلى أماكنه(2). حتى أفاء الفيء، وانكسر الظل قام فأذن فصف الرجال في أدنى صف وصف الولدان خلفهم، وصف النساء خلف الولدان، ثم أقام الصلاة، فتقدم فرفع يديه فكبر، فقرأ بفاتحة الكتاب وسورة يسرها، ثم كبر فركع فقال: سبحان الله وبحمده ثلاث مرات، ثم قال سمع الله لمن حمده واستوى قائماً، ثم كبر وخر ساجداً، ثم كبر فرفع رأسه، ثم كبر فسجد، ثم كبر فانتهض قائماً، فلما قضى صلاته، أقبل إلى قومه بوجهه فقال: احفظوا تكبيري وتعلموا ركوعي وسجودي فإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كان يصلي لنا كذا الساعة من النهار(3).

المطلب الحادي عشر

فرائض الصلاة وسننها

للصلاة فرائض تتركب منها حقيقتها، فإذا ما تخلف فرض منها لا تتحقق، وهي:

1 ـ النية لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾(4).

2 ـ تكبيرة الإحرام: «الله أكبر».

---

(1) موطأ الإمام مالك ص 15 ـ 16، دار النفائس، بيروت.

(2) فأحصى الوضوء إلى أماكنه (أي غسل جميع الأعضاء. فقه السنة 111/1 ط4).

(3) فقه السنة 111/1 ط4.

(4) سورة البينة الآية 5.

3 ـ القيام في الفرض لقوله تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾[1].

4 ـ قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الفرض والنفل.

5 ـ الركوع، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ ﴾[2].

6 ـ الرفع من الركوع والاعتدال قائماً مع الطمأنينة.

7 ـ السجود وأعضاء السجود سبعة: الوجه والكفان والركبتان والقدمان.

8 ـ القعود الأخير وقراءة التشهد فيه.

9 ـ السلام: حيث يسلم المسلم نهاية الصلاة عن يمينه فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وكذلك عن شماله.

أما سنن الصلاة: فهي قسمان، سنن مؤكدة، وسنن غير مؤكدة. فالسنن المؤكدة هي[3]:

1 ـ رفع اليدين: إذ يستحب رفع اليدين في أربع حالات هي: عند تكبيرة الإحرام والرفع منه وعند القيام إلى الركعة الثالثة.

2 ـ وضع اليمين على الشمال، عن عبد الكريم بن أبي المخارق البصري أنه قال: من كلام النبوة إذا لم تستح فافعل ما شئت، ووضع اليدين إحداهما على الأخرى يضع اليمنى على اليسرى وتعجيل الفطر والاستيناء بالسحور[4].

3 ـ التوجه أو دعاء الاستفتاح.

4 ـ الإسرار بها، أي الإتيان بها سراً، ويرى الشافعي التخيير بين الجهر بها والإسرار في الصلاة الجهرية[5].

5 ـ التأمين: أي يقول (آمين) بعد قراءة الفاتحة.

6 ـ قراءة سورة أو شيء من القرآن بعد قراءة سورة الفاتحة.

---

(1) سورة البقرة الآية 238.

(2) سورة الحج الآية 77.

(3) انظر فقه السنة 121/1 ط4.

(4) الاستيناء: تأخير السحور. موطأ الإمام مالك ص 111.

(5) فقه السنة 126/1 ط4.

7 ـ تكبيرات الانتقال: إذ يكبر في كل رفع وخفض وقيام وقعود إلا في الرفع من الركوع فيقول: سمع الله لمن حمده.

8 ـ هيئات الركوع: إذ السنة فيه تسوية الرأس بالعجز والاعتماد باليدين على الركبتين مع مجافاتهما عن الجنبين، وتفريج الأصابع على الركبة والساق وبسط الظهر.

9 ـ الذكر فيه: إذ يستحب ذلك في الركوع بلفظ (سبحان ربي العظيم).

10 ـ أذكار الرفع من الركوع والإعتدال: إذ يستحب أن يقول المصلي عند الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، فإذا استوى قائماً فليقل ربنا ولك الحمد.

11 ـ استحباب وضع الركبتين قبل اليدين عند الهوى إلى السجود والرفع منه.

12 ـ يستحب في السجود تمكين الأنف والجبهة في اليدين من الأرض مع مجافاتهما، عن جبينه وأن يبسط أصابعه مضمومة وأن يستقبل بأطراف أصابعه القبلة وأن يضع حذو الأذنين أو حذو المنكبين.

13 ـ يستحب في السجود القول (سبحان ربي الأعلى).

14 ـ السنة في الجلوس بين السجدتين، أن يجلس المصلي مفترشاً وهو أن يثني رجله اليسرى فيبسطها ويجلس عليها، أو ينصب رجله اليمنى جاعلاً أطراف أصابعها إلى القبلة.

15 ـ جلسة خفيفة يجلسها المصلي بعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الثالثة قبل النهوض إلى الركعة الرابعة.

16 ـ ينبغي في صفة الجلوس للتشهد أن يضع يده اليسرى على ركبته اليسرى واليمنى على اليمنى وأن يشير بسبابته مع انحنائها قليلاً حتى يسلم، وأن يفترش التشهد الأول ويتورك في التشهد الأخير.

عن عبد الرحمن بن عبد القارئ أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو على المنبر يعلم الناس التشهد يقول: التحيات لله الزاكيات لله الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1].

17 ـ التورك: أن ينصب رجله اليمنى مواجهاً إصبعه إلى القبلة ويثني رجله اليسرى تحتها ويجلس بمقعدته على الأرض.

---

(1) موطأ الإمام مالك ص 70.

18 ـ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالقول (اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد).

19 ـ الدعاء بعد التشهد الأخير، وقبل السلام: إذ يستحب بعد التفرغ من التشهد الأخير التعوذ بالله من أربع هي: عذاب جهنم، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال.

20 ـ قراءة الأذكاء والأدعية بعد السلام.

أما السنن غير المؤكدة فهي:

1 ـ أربع ركعات قبل الظهر: عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر أربعاً، إذا زالت الشمس لا يفصل بينها بتسليم. وقال: (إن أبواب السماء تفتح إذا زالت الشمس) [1].

2 ـ ركعتين قبل المغرب: قال أنس بن مالك: إن كان المؤذن ليؤذن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى أنها الإقامة من كثرة من يقوم فيصلي الركعتين قبل المغرب[2].

3 ـ ركعتين قبل الفجر: عن حفصة بنت عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا نودي لصلاة الصبح ركع ركعتين خفيفتين قبل أن يقوم للصلاة[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر (قُل يا أيُّها الكافرونَ. وقُل هُوَ الله أحد) [4].

المطلب الثاني عشر

حكم الصلاة وفوائدها ومميزاتها

للصلاة الإسلامية حكم وفوائد يصعب حصرها لما تمتاز بها من مميزات جعلتها بحق النموذج الحي الذي يستحق الأداء والتطبيق أمام خالق الكون ومبدعه فسخرت كل الحواس والطاقات الجسمية والروحية لتقف بين يدي جلال الله تعالى بكل خشوع وتضرع، صارفة

(1) سنن ابن ماجة 366/1.

(2) سنن ابن ماجة 367/1.

(3) سنن ابن ماجة 362/1.

(4) سنن ابن ماجة 363/1.

الفكر عن التأثيرات الخارجية التي يمكن أن تصرفه عن هدفها الأسمى وهو العبادة الخالصة والتوجه الأسمى بكليته لله تعالى، فمن حكم الصلاة وفوائدها أذكر هنا بعضاً منها:

1 ـ تمتاز الصلاة الإسلامية عن باقي الصلوات عند الملل الأخرى بمميزات انفردت بها وتميزت عنها، فالصلاة عند الهندوس مؤلفة غالباً من الطهارة وتقديم القرابين ترافقها مجموعة معقدة من الأدعية يصعب حصرها، ولما كان الإنسان يتطلب لنفسه منافع مادية في رغباته فإن للآلهة متطلبات وترضيات متمثلة بالقرابين التي تقدم باستمرار، أما في الإسلام فلا يحتاج المرء إلى كل ذلك فما عليه إلا أن يخلص نيته وسريرته لخالق ويقف بخشوع ويدعو ربه بقبول صلواته ودعائه من غير قرابين وتعقيدات أخرى.

والصلاة عند الزرادشتية مجموعة معقدة من الأدعية الكثيرة، فهو عندما يعطي يصلي وعندما يقلم أظافره يصلي أو يقص شعره يصلي، وهو يتعبد عندما يعد وجبة طعام وكان للصلاة عندهم شكلان: الأولى رفيعة عقلية هي حكر لطبقة الكهان، والثانية عادية مبتذلة بمقدور العامة أن يشتركو في تأديتها.

وبانحطاط عبادة الأصنام أصبحت طبيعة الدعاء كرباط يوثق الصلة ما بين الإله والإنسان، فجاءت شريعة موسى عليه السلام حافلة بتلك الصلة والكيفية الأولى المتعلقة بأبسط حالات السجود والركوع التي أضاعها فقهاؤهم فأمست صلواتهم كأنها محاضرة دينية يلقيها الرابي أمام جمهور له حق التكلم في أمور خارجة عن مفهوم الصلاة وبالكيفية التي لا تنسجم مع وضع الصلاة وهيئتها.

ولكن الصلاة الإسلامية تجد فيها كل عناصر الوحدة والانسجام بحيث تجد المصلين يؤدون فعلاً واحداً ينسجم مع روحية الصلاة وجلالها، وتتفق مع جلال من يقفون بحضرته وقدسيته فلا تلهيهم الأحاديث الجانبية أو هيئة الجلوس الطويل عن ذكر الله تعالى.

وجاء السيد المسيح عليه السلام بصلاة تمثل طوراً أرقى في الغريزة الدينية، فشددت بقوة على طبيعة الدعاء، معترفاً بروحية الصلاة وبانجذابها لخالقها فجعلها من خلال تكريس نفسه لنشر مبادئ السماء المثال الأسمى لتلاميذه فكانوا يخضعون لروح معلمهم جعلتهم يبتعدون بمرور الزمن عن هدي معلمهم الأول فضلوا الطريق فيما يختص بجميع قيم الصلاة شكلاً ومضموناً. وقد تولد من ذلك أن احتكرت طائفة من كهانهم الصلاة فشرعوا بوضع صلوات للناس هي أبعد ما تكون لصلوات معلمهم المسيح عليه السلام. ومن هنا نشأت الضرورة إلى عقد مجامع ومؤتمرات كنسية ودينية بتقرير بنود الإيمان وشؤون الضمير.

فأصبحت الصلاة من خلالها غير محددة بأطر تنظيمية معينة يستطيع من خلالها المصلي توثيق صلة ببارئه تعالى.

وجاء حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم فحدد الأركان والأوقات للصلاة منمياً ومعمقاً في نفوس المسلمين الطبيعة النظامية التي أضاعها السابقون، كما أكد من جانب آخر على مبدأ العقوبة التي ينالها من يتخلف عن أداء الصلاة. كما أكد على حصر الفكرة في الصلاة متوخياً قدراً أكبر من الصلة الحقيقية بين العبد وربه سواء بتلاوة القرآن الكريم أو بذكر الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾(2).

إذن الصلاة في الإسلام لا تعترف بطبقة الكهنوت ولا بالقداسة الخاصة التي تتوسط بين العبد وربه، فروح كل مؤمن كفء لأن تناجي ربها من دون وساطة كاهن أو شفيع، كما أنه لا يوجد في الإسلام أضحيات تقدم عند الصلوات تثقل كاهل المصلي.

2 - إن في توجه المسلمين كافة نحو قبلة واحدة حكمة جليلة، حيث تمثل (مكة) مهد الإسلام الأول الذي انبثق منه نور الإسلام فأمست مركز المجد الإنساني. وقد استطاع النبي الأمين صلى الله عليه وسلم بفضل الغريزة الصادقة التي تتوفر لدى أنبياء الله تعالى وخلصائه أن يستشف مدى التركيز الذي يخلفه وجود بقعة معينة تظل تنجذب إليها المشاعر لذلك فقد فرض على المسلم أن يصلي مولياً وجهه شطر الكعبة في أي بقعة من الأرض كان.

3 - وحتى تكتمل عظمة الصلاة في الإسلام وتنفرد عن غيرها من الصلوات وخاصة صلوات المشركين فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشاركة الكفار في أوقات صلواتهم كي لا يقال إنهم تشبهوا بها أو أخذوا عنهم، وهذا النهي على العموم والإطلاق من غير تفصيل، فوقت صلاة عبدة الشمس كان عند طلوعها في الفجر، فنهى الإسلام عن الصلاة بعد الصبح، وعند الزوال لاستتمام غلوها، وعند الغروب وداعاً لها.

---

(1) سورة الكهف الآية 27.

(2) سورة العنكبوت الآية 45.

فعن ابن عباس قال سمعت غير واحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب الشمس[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا صلاة بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس[2].

4 ـ ومن حكم الصلاة أنها ضرورة نفسية يحتاجها المؤمن للتجرد من الأحوال البهيمية والتخلق بالأخلاق الربانية. وإذا ما اتصلت روحه بمبدعها ظهرت عليه إمارات السعادة والراحة والاطمئنان. أما إذا أداها من غير ذلك الشعور أصبحت مجرد حركات وألفاظ لا يستشعر معها قلبه بنبض الإيمان وحلاوته، فلا يخشع قلبه لربه ذلك الخشوع الذي يضفي على النفس الرهبة والخوف والرجاء عند ملاحظة جلال الله وعظيم قدرته.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[3].

5 ـ إن الصلاة تبعد المؤمن عن فعل الفحشاء والمنكر لما فيها من ذكر الله تعالى وطاعة. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ولم يقل (صلوا) لأن إقامة الشيء هو الإتيان به إتياناً كاملاً لا يتحقق المقصود إلا به، وهو التوجه الكلي لله تعالى. والقرآن الكريم خص الصلاة بلفظ الإقامة تثبيتها إلى أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشروطها، أي الامتناع عن الفحشاء والمنكر لا الإتيان بهيئتها فقط.

6 ـ من مميزات الصلاة أنها ركيزة الإيمان، وعماد الأديان كلها، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[5].

استدل بعض العلماء من هذه الآية على أن كل تارك للصلاة ومانع للزكاة كافر، ووضعوا شروطاً لتحقيق الأخوة في الدين. والدخول في الإسلام، التوبة من الكفر، إقامة الصلاة، إيتاء الزكاء، فانتفاء أحد هذه الثلاثة يقتضي انتفاء ما جعلت شرطاً له وهو الإسلام.

(1) صحيح مسلم 207/2. دار إحياء التراث العربي.

(2) صحيح مسلم 207/2. دار إحياء التراث العربي.

(3) سورة البقرة الآية 145.

(4) سورة العنكبوت الآية 45.

(5) سورة التوبة الآية 11.

7 ـ ومن حكم الصلاة في الإسلام أن يبدأها بالنية وهي العزم على إجابة وامتثال أمر الله بالصلاة والكف عن كل ما يعيبها ويفسدها وإخلاص جميع صلواته لله تعالى رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه وطلباً للقربى منه. وفي تشهده إشارة إلى أن الله تعالى مستحق لجميع ما يحيي به البشر عظماءهم وملوكهم[1].

8 ـ ومن عظيم حكم الصلاة في الإسلام أن جعلوها مقترنة بالفضائل الخلقية والأمور التعبدية التي تقوي إيمان العبد بربه فتجعله قوي الصلة بخالقه فيمسي مؤمناً قوياً صلد الإيمان لا تثنيه الأطماع عن طاعة مولاه. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [3]، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [4]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴾[5].

---

(1) كانت الأمم قبل الإسلام تحيي ملوكهم بتقبيل الأرض تارة وبالسجود بين أيديهم أو بصنوف أخرى من التحايا إلى أن جاء الإسلام وألغى ذلك معلناً التحيات والتعظيمات كلها لله تعالى.

(2) سورة البقرة الآية 153.

(3) سورة الرعد الآية 22.

(4) سورة الحج الآية 77 ـ 78.

(5) سورة المعارج الآية 19 ـ 25.

9 ـ إن الصلاة تشفي من عقدة الذنب. وحتى يسلم المؤمن من هذه العقدة ويقتلعها جعل الإسلام الصلاة وسيلة إلى غفران الذنوب.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[1].

10 ـ لقد جعلت الصلاة خمساً لتساير أوقات حياته اليومية فيكون على صلة دائمة بربه فصلاة الصبح يقيمها عندما ينهض من فراشه، والظهر عندما يكون متهيئاً لتناول طعامه إشارة إلى أن الجسم مثلما يحتاج إلى الغذاء المادي فإنه يحتاج أيضاً للغذاء الروحي، والعصر عندما يرجع من عمله مثقلاً بالمتاعب فيتوجه إلى بارئه بالدعاء والصلاة فتستريح أعصابه ويهدأ باله، وفي المغرب إشارة إلى توديع النهار، والعشاء يؤديها قبل أن يأوي إلى فراشه ليجعل خاتمة أعماله الصلاة، لذا يستحب تأخير صلاة العشاء.

11 ـ وتتجلى الحكمة من تكرار الصلوات الخمس في جعل نفسية المصلي في حالة سليمة ومستقرة يترقب دخول وقت كل صلاة كي يناجي ربه ويتضرع إليه موحية إليه بكل صفات الخير مستشعراً بها من اللذة ما لا حد له.

12 ـ ومن فوائد الصلاة الصحية يقول د. مصطفى الحفار الأستاذ بكلية الطب الفرنسية: الركوع يفيد تقوية عضلات جدار البطن ثم إنه يساعد المعدة على تقلصها، ومن ثم على قيامها بوظيفتها الهضمية، أما السجود فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم فيريحها من وطأة التمدد وما ينتج عنه من مضايقات هضمية وانقسامات قلبية. والسجود ينصح به الأطباء لمعالجة التحقن في أسفل البطن عن المرأة الناجم عن التواء خلقي في بيت الرحم[2].

قال قتادة في قوله تعالى: (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال النبي عليه السلام نعت أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا، أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم، أو ثمود ما أخذتهم الصيحة، فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن[3].

---

(1) سورة هود الآية 114.

(2) الوجيز في الطب د. موفق الشطي ص 25.

(3) تفسير (القرآن العظيم) ابن كثير 442/4.

إن نفع الصلاة في الإسلام يتحقق من خلال الصلة الوثيقة بين العبد وربه، تلك الصلة التي لا يفصم عراها الرغبة في التحقيق أو عدم التحقيق في الاستجابة للدعاء، وأي مطمح يسعى إليه المصلي. فسنة الله التي لا تبديل لها إنما نهتدي إليها بعقولنا، وقد تكون موقوفة على تربية نفسية تحققها الصلاة من خلال الحس الشعوري الديني المفعم بدرجة عالية من الإيمان، بوجود خالق قدير يستشعر حضور عبده بين يديه رافعاً كفيه إليه مناجياً إياه بلغة العبودية، وبلسان المحتاج في أن يشمله بعطفه، يرعاه في عمله.

إن إرادة الله تعالى تتمثل في طبيعة الإنسان التي تطلب الغوث ممن يغاث به وحده، وطلبه هذا من غير إيمان بوجود إله قادر على التحقيق لا يمكن تصوره، فمع وجود هذا الاعتقاد تتحقق أهمية الصلاة وينعقد نفعها.

يقول الأستاذ العقاد في موسوعته الإسلامية: (فالصلاة في الأديان.. علامة من علامات التقدم الإنساني في فهم حقائق الكون وفهم الصفات الإلهية، ولا قوام لدين من الأديان بغير الإيمان بالصلاة على معنى الطلب والدعاء مع الإيمان برياضتها الروحية وصلتها الوثيقة التي تربط عالم الشهادة بعالم الغيب وتجعل وجود الإله حقيقة أعلى من حقيقة النواميس أو حقيقة الحوادث الكونية التي تهم الإنسان في مطالب معيشته، كما تهمه في مطالب ضميره[1].

(سن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفرض على أتباعه الصلوات وبذلك نراه قد اعترف بشوق الروح البشرية لأن تفيض حبها أو تعبر عن إقناعها لله. ويجعل محمد صلى الله عليه وسلم الممارسة الدينية عند أتباعه ذات فترات محددة نجده قد عمق تأثير الطبيعة النظامية فيهم كما أكد على العقوبة التي ينالها من يتخلف عن أداء الصلاة) [2].

كتب ابن سينا رسالة موجزة في الصلاة قال فيها: (إن جوهر الصلاة عنده معرفة وجود الله في ذاته، ووجوب هذا الوجود وهي تكون في الباطن أو الظاهر بحسب طبيعة المؤمن الذي يؤديها، وقد عرف واهب الشريعة أن ارتقاء معارج الروح لا يقدر عليه الناس جميعاً، ومثل هؤلاء الناس بحاجة إذن إلى رياضة جسمانية، وقتل النفس تقتيلاً إرادياً لكبح جماح الشهوة الغريزية.

---

(1) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، المجلد الخامس ص 470.

(2) موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، المجلد الخامس ص 470.

وهذا هو الجانب الظاهر للصلاة وأما باطنها فهو حث للحق بقلب نقي ونفس خلصت وتطهرت عن الأماني) [1].

وكانت الصيغة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم بأفعاله الشخصية (السنة) ذات مفعولين بارزين:

1 ـ أنها وَقَت العالم الإسلامي شرور المنافسة والمنازعات في التفسير.

2 ـ أنها تركت للمتعبد الفرد أوسع مجال لأن تفيض عواطفه وأحاسيسه العميقة ويظهر ذله وخضوعه أمام (الوجود الكلي) والعلة الأولى[2].

وارتفع الغزالي بالصلاة إلى مستوى أخلاقي صوفي يفي كل الوفاء لجميع مقتضيات الاستغراق في الصلاة، فالمعاني الباطنية تبعث الحياة في الصلاة، فتبلغ بها مبلغ الكمال، هي المعاني الستة التالية: حضور القلب، والتفهم، والتعظيم، والهيبة، والرجاء، والحياة.

وامتازت الصلاة الإسلامية بملكة تنمية حصر الذهن[3]، فالمسلم عندما يتوجه بصلاته إلى خالقه يستحضر عظمة الله ولذة مناجاته، بعد أن يطرد الأفكار التي تتنازعه أثناء تأديته للصلاة فيشعر حينها برهبة الله تعتريه، ورحمته تغشيه وخشوعه يظلله، ذلك الخشوع الذي رتب عليه القرآن الكريم الفلاح في الحياتين الدنيوية والأخروية.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴾ [4]. وقد فسر الفخر الرازي (رحمه الله) الخشوع في الصلاة بأنه (جمع الهمة لها والإعراض عما سواها وهذا الخشوع هو وسيلة لتنمية ملكة حصر الذهن التي لها أكبر الأثر في نجاح الإنسان في هذه الحياة) [5].

وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة بنهر يغتسل فيه خمس مرات ليزيل أوساخه. عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل

(1) دائرة المعارف الإسلامية 301/14، طبعة طهران.

(2) روح الإسلام ص 191.

(3) راجع روح الدين الإسلامي ص 251 بتصرف.

(4) سورة المؤمنون الآية 1 ـ 2.

(5) روح الدين الإسلامي ص 251.

يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، فقال: كذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا(1).

وأمر الله ورسوله المؤمنين بالمحافظة عليها، والحث على أدائها، قال تعالى: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ (2).

وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾(3).

ومدح الله سبحانه إسماعيل، إذ قال جل شأنه: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾(4).

المطلب الثالث عشر

أنـــــواع الصـــــلاة

صلاة الجمعة:

فرضت صلاة الجمعة لقوله تعالى: ﴿ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(5).

وهي ركعتان تسبقهما خطبتان يجلس بينهما الخطيب يقرأ القرآن ويذكر الناس. عن أبي أبي ليلى عن عمر قال صلاة الجمعة ركعتان وصلاة المسافر ركعتان غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم(6).

وعن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب قائماً غير أنه كان يقعد قعدة ثم يقوم(7).

---

(1) فتح الباري 13/2. والسمرقندي في تنبيه الغافلين ص 99.

(2) سورة البقرة الآية 238.

(3) سورة طه الآية 132.

(4) سورة مريم الآية 54 ـ 55.

(5) سورة الجمعة الآية 9.

(6) السنن الكبرى 200/3.

(7) ابن ماجة 351/1.

وعن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس[1]. ووقتها إذا زالت الشمس وهو وقت الظهر. فعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلى الجمعة حين تميل الشمس[2].

وعن كثير بن عبدالله بن عوف المزني عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في يوم الجمعة (ساعة من نهار لا يسأل الله فيها العبد شيئاً إلا أعطي سؤاله) قيل أي ساعة؟ قال: (حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها) [3].

والجماعة شرط في إقامتها، واختلف الفقهاء إلى خمسة عشر مذهباً في العدد الذي تنعقد به، والراجح أنها تصح باثنين فأكثر[4].

وتجب صلاة الجمعة على المسلم الحر العاقل البالغ المقيم القادر على السعي إليها الخالي من الأعذار المبيحة للتخلف عنها، ولا تجب على المرأة والصبي والمريض الذي يشق عليه الذهاب إلى الجمعة والمدين المعسر الذي يخاف الحبس، وكل معذور مرخص في ترك الجماعة كعذر المطر والبرد ونحو ذلك[5].

والغسل واجب في يوم الجمعة، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم) [6].

وعن عبدالله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل) [7]. ومما جاء فيما يقرأ فيها، عن عبدالله بن أبي رافع قال: استخلف مروان أبا هريرة على المدينة فخرج إلى مكة فصلى بنا أبو هريرة يوم الجمعة فقرأ بسورة الجمعة في السجدة الأولى وفي الأخيرة إذا جاءك المنافقون. قال عبدالله: فأدركت أبا هريرة حين انصرف فقلت له: إنك قرأت بسورتين كان علي رضي الله عنه يقرأ بهما بالكوفة. فقال أبو هريرة: إني سمعت رسول الله يقرأ بهما) [8].

---

(1) صحيح مسلم 9/3 دار إحياء التراث العربي.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 22/6.

(3) سنن ابن ماجة 360/1.

(4) انظر فقه السنة 257/1 ط4.

(5) صحيح مسلم 3/3 دار إحياء التراث العربي.

(6) شرح صحيح البخاري للكرماني 4/5.

(7) شرح صحيح البخاري للكرماني 4/5.

(8) سنن ابن ماجة 355/1، السنن الكبرى 300/3.

ومما جاء في وجوب الاستماع للخطبة والإنصات لها، فعن أبي هريرة قال: (إذا قلت لصاحبك أنصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت)[1].

وجاء في فضل الجمعة أحاديث كثيرة منها:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الجمعة إلى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تغش الكبائر)[2].

عن أبي لبابة ابن عبد المنذر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم إن يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله من يوم الأضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال. خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم إلى الأرض، وفيه توفى آدم وفيه ساعة لا يسأل فيها العبد شيئاً إلا أعطاه ما لم يسأل حراماً وفيه تقوم الساعة، ما من ملك مقرب ولا سحاء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر إلا وهن يشفعن من يوم الجمعة)[3].

عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فإن صلاتكم معروضة علي. فقال رجل: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يعني بليت. فقال: (إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)[4].

وتستحب الزينة يوم الجمعة: فعن عبدالله بن سلام أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر يوم الجمعة (أما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته)[5].

صلاة العيدين:

شرعت صلاة العيدين في السنة الأولى للهجرة[6] وهي سنة مؤكدة واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه أن يخرجوا لها.

---

(1) سنن ابن ماجة 352/1.

(2) سنن ابن ماجة 345/1.

(3) سنن ابن ماجة 344/1 ـ 345.

(4) سنن ابن ماجة 345/1.

(5) سنن ابن ماجة 348/1.

(6) فقه السنة 267/1 ط4.

عن البراء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب: (إن أول ما نبدأ من يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل أصاب سنتنا) [1].

وقت صلاة العيد من ارتفاع الشمس قدر ثلاثة أمتار إلى الزوال[2].

وصلاة العيد ركعتان يسن فيهما أن يكبر المصلي قبل القراءة في الركعة الأولى سبع تكبيرات بعد تكبيرة الإحرام وفي الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام مع رفع اليدين مع كل تكبيرة.

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر في العيدين سبعاً في الأولى وخمساً في الآخرة[3].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر في الفطر والأضحى سبعاً وخمساً سوى تكبيرتي الركوع[4].

ولا أذان ولا إقامة في صلاة العيد، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: لا أذان للصلاة يوم الفطر حين يخرج الإمام ولا بعدما يخرج ولا إقامة ولا نداء ولا شيء[5].

عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين (سبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية) [6].

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا واقد الليثي رضي الله عنه ما كان يقرأ رسول الله في الأضحى والفطر فقال: كان يقرأ فيهما (ق والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر) [7].

وتقام الصلاة أولاً ثم الخطبة، فعن ابن عباس قال: أشهد على رسول الله لصلى قبل الخطبة. قال ثم خطب فرأى أنه لم يسمح النساء فأتاهن فذكرهن ووعظهن وأقرهن بالصدقة وبلال قائل بثوبه فجعلت المرأة تلقى الخاتم والخرص والشيء) [8].

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 61/6.
(2) فقه السنة 269/1 ط4.
(3) سنن ابن ماجة 407/1.
(4) سنن ابن ماجة 407/1.
(5) السنن الكبرى 284/3.
(6) سنن ابن ماجة 408/1.
(7) صحيح مسلم 21/3. دار إحياء التراث العربي.
(8) صحيح مسلم 18/3. دار إحياء التراث العربي.

ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى قبل صلاة العيد ولا بعدها، فعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصل قبلها ولا بعدها في عيد) [1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كان رسول الله لا يصلي قبل العيد شيئاً فإذا رجع إلى منزله صلى ركعتين إذا فاته العيد يصلي ركعتين وكذلك النساء ومن كان في البيوت والقرى لقول النبي (هذا عيدنا أهل الإسلام) [2].

وإذا اجتمع العيدان في يوم واحد (عيد الفطر أو الأضحى وعيد الجمعة) فتقدم صلاة العيد ثم يرخص في الجمعة فمن شاء صلى.

سأل زيد بن الأرقم: هل شهدت مع رسول الله (عيدين في يوم واحد) قال: نعم. قال فكيف كان يصنع؟ قال: صلى العيد ثم رخص في الجمعة ثم قال: (من شاء أن يصلي فليصل)[3].

ويستحب خروج العواتق وذوات الخدور والصبيان إلى المصلى، فعن أم عطية قالت أمرنا أن تخرج العواتق وذوات الخدور، وعن أيوب بن حفصة بنحوه وزاد في حديث حفصة قال: (وقالت العواتق وذوات الخدور ويعتزلن الحيض المصلى) [4].

صلاة الكسوف:

اتفق العلماء على أن صلاة الكسوف سنة مؤكدة في حق الرجال والنساء، والأفضل أن تصلى في جماعة وإن كانت الجماعة ليست شرطاً فيها[5]. ويرى جمهرة العلماء أنها ركعتان، في كل ركعة ركوعان[6].

فعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: خسفت الشمس فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكى ابن عباس أن صلاته كانت ركعتين في كل ركعة ركعتان، ثم خطبهم فقال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل. لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله تعالى[7].

---

(1) سنن ابن ماجة 410/1.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 88/6.

(3) سنن ابن ماجة 415/1.

(4) شرح صحيح البخاري للكرماني 78/6.

(5) فقه السنة 180/1 ط4.

(6) فقه السنة 180/1 ط4.

(7) مسند الشافعي 163/1.

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: خسفت الشمس في عهد رسـول الله صلى الله عليه وسلم فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فأطـال القيـام ثـم ركـع فطـال الركوع ثم قام فأطال القيام وهو دون القيام الأول ثم ركع فأطال الركوع وهـو دون الركـوع الأول ثم رفع فسجد ثم فعل في الركعة الآخرة مثل ذلـك ثـم انصـرف وقـد تجلـت الشـمس فخطـب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسـفان لمـوت أحـد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتصدقوا) [1].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الشـمس كسـفت فصلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصفت صلاته ركعتين في كل ركعة ركعتان[2].

صلاة الاستسقاء:

وهي صلاة تقدم لله تعالى ويطلب فيها منه تعالى نزول المطر بعـد حصـول الجـذب وقـد ورد ذكرها على وجوه ثلاثة هي:

1 ـ أن يصلي الإمام بالمأمومين من غير أذان ولا إقامة ركعتين في أي وقت غير وقـت الراحـة: يجهر في الأولى بالفاتحة وسبح اسم ربـك الأعلـى. والثانيـة بالغاشـية بعـد الفاتحـة، ثـم يخطب خطبة بعد الصلاة أو قبلها، فإذا انتهى من الخطبة حول المصلون جميعاً أرديتـهم بأن يجعلوا ما على أيمانهم على شمائلهم ويجعلوا ما على شمائلهم على أيمانهم ويستقبلوا القبلة ويدعوا الله عز وجل رافعي أيديهم مبالغين في ذلك[3].

2 ـ أن يدعو الإمام في خطبة الجمعة ويأمن المصلون على دعائه. عن أنس بن مالك قال: جـاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فقـال: يـا رسـول الله هلكـت المواشـي وتقطعـت السبل فادع الله فدعا رسول الله فمطرنا من جمعة إلى جمعة قـال: فجـاء رجـل إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: تهدمت البيوت وتقطعـت السـبل، وهلكـت المواشي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـال: (اللـهم علـى رؤوس الجبـال والأكـام وبطون الأودية ومنابت الشجر فانجابت عن المدينة انجياب الثوب) [4].

(1) موطأ الإمام مالك ص 126 ـ 127.

(2) مسند الشافعي 166/1.

(3) فقه السنة 182/1 ط4.

(4) مسند الشافعي 169/1.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استسقى بالمصلين فصلى ركعتين، وفي هذا دليل على سنة صلاة الاستسقاء وخالف في ذلك أبو حنيفة[1].

3 ـ أن يدعو دعاءً مجرداً في غير يوم الجمعة وبدون صلاة في المسجد أو خارجه[2].

صلاة الخوف:

اتفق العلماء على مشروعية صلاة الخوف سواء كان الخوف من عدو أو حرق أو نحوهما قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [3].

عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بالناس صلاة الظهر في الخوف ببطن نخل[4] فصلى بطائفة ركعتين ثم سلم، ثم جاءت طائفة أخرى فصلى بهم ركعتين ثم سلم[5].

وعن صالح بن خوات عمن صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف أن طائفة صلت معه وطائفة وجاه العدو فصلى بالذين معه ركعة ثم ثبت قائماً حتى أتموا لأنفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت الطائفة الأخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت عليه ثم ثبت جالساً وأتموا لأنفسهم ثم سلم بهم[6].

---

(1) مسند الشافعي 168/1 ـ 169.

(2) فقه السنة 183/1 ط4.

(3) سورة النساء الآية 102.

(4) موضع.

(5) مسند الشافعي 176/1 ـ 177.

(6) موطأ الإمام مالك ص 125، مسند الشافعي 177/1.

صلاة المسافر:

وهي ركعتان، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال سافر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين مكة والمدينة آمناً لا يخاف إلا الله عز وجل فصلى ركعتين[1].

وعن ابن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خياركم إذا سافروا قصروا الصلاة وأفطروا أو قال لم يصوموا) [2].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كل ذلك قد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر الصلاة في السفر وأتم[3].

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال ألا أخبركم عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر؟ كان إذا زالت الشمس وهو في منزلة جمع بين صلاة الظهر والعصر في الزوال: فإذا سافر قبل نزول الشمس أَخَّرَ الظهر حتى يجمع بينهما وبين صلاة العصر في وقت العصر، قال وأحسبه قال في المغرب والعشاء مثل ذلك[4].

صلاة الاستخارة:

وهي صلاة يعمد إليها من أراد أمراً من الأمور الواجبة أو المندوبة المباحة، بعد أن التبس عليه وجه الخير فيه فيصلي ركعتين يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة ثم يحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو دعاء الاستخارة.

قال النووي: ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً وإلا فلا يكون مستخيراً لله بل يكون غير صادق في طلب الخيرة، وفي التبرئ من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعالى، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحول والقوة أو من اختياره لنفسه[5].

---

(1) مسند الشافعي 180/1.

(2) مسند الشافعي 179/1.

(3) مسند الشافعي 182/1.

(4) مسند الشافعي 186/1.

(5) فقه السنة 179/1 ط4.

صلاة الجنازة:

1 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس النجاشي[1] اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى وصفَّ بهم وكبر أربع تكبيرات[2].

2 ـ وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كبر على الميت أربعاً وقرأ بأم الكتاب بعد التكبيرة الأولى[3].

3 ـ وعن أبي إمامة بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن السنة في الصلاة على الجنازة أن يكبر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى يقرأ سراً في نفسه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويخلص في الدعاء للجنازة في التكبيرات لا يقرأ في شيء منهن ثم يسلم سراً في نفسه[4].

4 ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يرفع يديه كلما كبر على الجنازة[5].

وجاء في فضلها، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من صلى على جنازة ولم يتبعها فله قيراط فإن تبعها فله قيراطان قال أصغرهما مثل أحد[6].

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من ميت يصلي أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه[7].

صلاة المريض:

ويحق للمريض والعاجز من القيام للصلاة قاعداً تسهيلاً له ورفع الحرج عنه، كما جوز له العلماء الإيماء بالركوع والسجود إن لم يستطع الصلاة قاعداً، فعن يونس عن الحسن عن أمه قالت: رأيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تسجد على وسادة أدم من رمد بها[8].

---

(1) النجاشي هو ملك الحبشة وكان قد أسلم، ومن هذا الحديث أخذت الصلاة على الغائب وهو مذهب الجمهور. مسند الشافعي 208/1.

(2) مسند الشافعي 208/1.

(3) مسند الشافعي 210/1 ـ 211.

(4) مسند الشافعي 211/1.

(5) مسند الشافعي 211/1.

(6) صحيح مسلم 51/3. دار إحياء التراث العربي.

(7) صحيح مسلم 53/3. دار إحياء التراث العربي.

(8) مسند الشافعي 199/1.

صلاة الوتر:

وهو سنة مؤكدة، حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم، فعن علي رضي الله عنه أنه قال: إن الوتر محتم كصلاتكم المكتوبة ولكن رسول الله أوتر ثم قال: (يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر) [1].

ووقت الوتر لا يدخل إلا بعد صلاة العشاء وأنه يمتد إلى الفجر[2].

ويستحب تعجيله أول الليل لمن خشي أن لا يستيقظ آخره كما يستحب تأخره إلى آخر الليل لمن ظن أنه يستيقظ آخره[3]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً) [4].

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه أخبرهم أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته قال: فاضطجعت في عرض الوسادة واضطجع النبي صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها، فنام الرسول صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس يمسح وجهه بيده ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة آل عمران ثم قام إلى شيء معلق فتوضأ فأحسن وضوءه ثم قام يصلي فقال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم قمت إلى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاء المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح[5].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بادروا الصبح بالوتر) [6].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى) [7].

---

(1) شرح رياض الصالحين 495/2 وعزاه لأبي داوود والترمذي.

(2) فقه السنة 162/1 ط4.

(3) انظر فقه السنة 163/1 ط4.

(4) شرح رياض الصالحين 496/2 متفق عليه.

(5) مسند الشافعي 189/1 ـ 190.

(6) شرح رياض الصالحين 497/2.

(7) مسند الشافعي 191/1 ـ 192.

قال علي رضي الله عنه الوتر ثلاثة أنواع فمن شاء أن يتوتر أول الليل أوتر ثم استيقظ فإن شاء أن يشفعها بركعة ويصلي ركعتين ركعتين حتى يصبح ثم يوتر فعل. وإن شاء صلى ركعتين حتى يصبح وإن شاء أوتر آخر الليل[1].

صلاة التوبة:

وهي ركعتان أو أربع يصليهما المصلي طلباً للتوبة واستغفاراً للذنوب، تنفيذاً لقول الحق تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾[2].

صلاة الحاجة:

وهي ركعتان يصليهما المصلي تضرعاً لله تعالى في تحقيق حاجته[3].

(1) مسند الشافعي 195/1.

(2) سورة آل عمران الآية 135 ـ 136، انظر فقه السنة 180/1 ط4.

(3) انظر فقه السنة 180/1 ط4.

المبحث الثاني
(الزكـــاة)

المطلب الأول:

تـــعـــريـــف الـــزكـــاة

لغة: الطهارة والنماء والبركة[1].

شرعاً: اسم لما يخرجه الإنسان من حق الله تعالى إلى الفقراء، وسميت زكاة لما يكون فيها من تزكية النفس وتعويدها للخيرات[2].

الزكاة: (طهارة للنفس من رذيلة البخل أو لأنها تطهر من الذنوب وهذا الحق أثبته الشارع لمصلحة الدافع والآخذ معاً، أما الدافع فتطهيره وتضعيف أجره وأما الأخذ فلسد خلته) [3].

ولا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب: لقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾ [4]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [5].

---

(1) لسان العرب 36/2. المعجم الوفير 290.

(2) فقه السنة 287/1 ط8 دار الكتاب العربي، محيط المحيط 785/1.

(3) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، للشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد بن أحمد العيني، المطبعة المنيرية، بيروت ج8 ص 233.

(4) سورة البقرة الآية 263.

(5) سورة البقرة الآية 264.

وقد فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة على المشهور، وفرض مقدارها على كل نوع من أنواع المال[1].

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن فقال: (إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله، فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)[2].

واسم الزكاة مأخوذ من التزكية، بمعنى التطهر للنفوس من رذيلة البخل لذلك عدت من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب بخلاف اسم الضريبة الخالي من هذا المعنى الكريم، وكذلك اختار لها الله تعالى اسم الصدقة وهم اسم كريم مأخوذ من الصدق فيكون فيها معناه الكريم وأدبه الجليل وحتى يأتي بها المسلم عن إخلاص وصدق لا عن رياء أو تعال أو تفاخر، وهذا كله يحمل المسلم على تأديتها بطيب نفس راضية ولا يتهرب من دفعها تهربه من دفع الضريبة.

المطلب الثاني

الآيات التي وردت فيها الزكاة

وذكرت الزكاة في القرآن الكريم في موطن عدة منها قوله تعالى:

1 ـ ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [3].

2 ـ ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [4].

---

(1) فقه السنة 288/1 ط8.

(2) سنن ابن ماجة ج1 ص 568، مسند الشافعي 219/1.

(3) سورة البقرة الآية 43.

(4) سورة البقرة الآية 110.

3 ـ ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (1).

4 ـ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾(2).

5 ـ ﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (3).

6 ـ ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (4).

7 ـ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾(5).

8 ـ ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(6).

---

(1) سورة المائدة الآية 112.

(2) سورة الروم الآية 39.

(3) سورة المجادلة الآية 13.

(4) سورة الأعراف الآية 156.

(5) سورة الحج الآية 41.

(6) سورة التوبة الآية 103.

المطلب الثالث

الأحاديث الشريفة الواردة في فضل الزكاة والترغيب فيها والترهيب لمانعيها

أوردت كتب الأحاديث أقوال شريفة للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بَيَّن فيها فضل الزكاة والترغيب فيها والترهيب لمانعها، أذكر منها هذه الطائفة العبقة من أقواله صلى الله عليه وسلم:

1) عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أمامه فتستقله النار، وينظر عن أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، وينظر عن أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل[1].

2) عن أنس بن مالك أن رجلاً قال يا رسول الله نشدتك بالله، الله أمرك أن تأخذ الصدقة من أغنيائنا وتردها على فقرائنا، قال: (اللهم نعم) [2].

3) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت ثمرة تربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله)[3].

4) تستحب الصدقة على الأقارب، فعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: سألت رسول الله أيجزي عني من الصدقة النفقة على زوجي وأيتام في حجري؟ قال رسول الله: (لها أجران أجر الصدقة، وأجر القرابة)[4].

5) ويكره أخذ خيار المال من أموال الزكاة وإلى ذلك أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعثه للصحابي الجليل معاذ بن جبل إلى اليمن[5].

---

(1) سنن ابن ماجة ج1 ص 591.

(2) مسند الشافعي 219/1 ـ 220.

(3) سنن الترمذي ج3 ص 48، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

(4) سنن ابن ماجة ج1 ص 587.

(5) راجع سنن ابن ماجة 568/1، مسند الشافعي 219/1.

وعن سويد بن غفلة قال، جاءنا مصدق النبي فأخذت بيده وقرأت في عهده: لا يجمع بيت متفرق، ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة فأتاه رجل بناقة عظيمة ململمة فأبى أن يأخذها، فأتاه بأخرى دونها فأخذها وقال: أي أرض تقلني، وأي سماء تظلني إذا أتيت رسول الله وقد أخذت خيار إبل رجل مسلم[1].

6) وعن زيد بن أسلم أن أبا صالح ذكوان أخبره أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من صاحب ذهب ولا فضة ولا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار) قيل يا رسول الله فالإبل، قال (ولا صاحب إبل يؤدي فيها حقها ومن حقها حلبها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفرها ما كانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار) قيل يا رسول الله فالبقر والغنم، قال (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء، ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار، قيل يا رسول الله فالخيل، قال الخيل ثلاثة هي لرجل وزر وهي لرجل ستر وهي لرجل أجر، فأما التي وزر فرجل ربطها رياء وفخراً وثواءً على أهل الإسلام فهي له وزر وإما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر وإما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج وروضة فما أكلت من ذلك المرجع أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد إرواها وأبوالها حسنات ولا مربها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات) قيل يا رسول الله فالحمر، قال (ما أنزل علي في الحمر شيء إلا هذه الآية الفذة الجامعة ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ [2].

---

(1) سنن ابن ماجة ج10 ص 576.

(2) صحيح مسلم ج3، دار إحياء التراث العربي ص 70 ـ 70، والآية من سورة الزلزلة 7.

7) وإذا أدى المسلم زكاة ماله فقد قضى ما بذمته لله تعالى في هذا الحق فعـن أبـي هريـرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (إذا أديـت زكـاة مـالك فقـد قضيـت مـا عليك) [1].

8) ويأثم إثماً كبيراً كل مانع للزكاة دون أن يخرجه ذلك من الإسلام وعلى الحاكم أن يأخذها منه قهراً ويعزره[2].

وقـال تعـالى في حقـهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [3].

وعن عبد الله بـن مسـعود رضـي الله عنـه قـال سمعـت رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم يقول[4]: ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا مثل له يوم القيامة شجاع أقرع يفـر منـه وهـو يتبعه حتى يطوقه، ثم قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [5].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهـو جـالس في ظـل الكعبة، قال فرآني مقبلاً فقال: (هم الأخسرون ورب الكعبة يـوم القيامـة، قـال: فقلـت: مالي لعله أنزل في شيء، قال قلت: من هم؟ فداك أمي وأبـي، فقـال رسـول الله صلـى الله عليه وسلم (هم الأكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا) فحثا بين يديه وعن يمينه وعن شمالـه ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يموت رجل فيدع إبلاً أو بقراً لم يؤد زكاتها إلا جاءته يـوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تطؤه بأخفافها وتنطحه بقرونـها كلمـا نفـدت أخراهـا أعـاد عليه أولاها، حتى يقضي بين الناس)[6].

9) وعن أبي ذر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من صاحب إبـل ولا غنـم ولا بقـر لا يـؤدي زكاتـها إلا جـاءت يـوم القيامـة أعظـم مـا كـانت وأسمنـه ينطحـه

(1) سنن الترمذي ج3 ص 14.

(2) فقه السنة ص 281 ط4.

(3) سورة التوبة الآية 34، وانظر سورة آل عمران الآية 180.

(4) مسند الشافعي 222/1، ورواه الشيخان بلفظ قريب منه عن طريق أبي هريرة.

(5) سورة آل عمران الآية 180.

(6) سنن الترمذي ج3 ص14.

بقرونها أو تطوقه بأخفافها، كلما نفدت أخرها عادت عليه أولاها حتى يقضي بين الناس) [1].

وجاء في باب إثم مانع الزكاة:

عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن آكل الربا وموكله وكاتبه ومانع الصدقة) [2].

ولا يقبل الله صدقة من غلول ولا يقبل إلا من كسب طيب: لقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾[3].

وفي أسباب تعجيل الصدقة:

عن ابن أبي مليكة أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه حدثه قال صلى بنا النبي العصر، فأسرع ثم دخل البيت فلم يلبث أن خرج، فقلت أو قيل له فقال كنت خلفت في البيت تبرأ من الصدقة فكرهت أن أبيته فقسمته) [4].

ومما جاء في باب الزكاة على الأقارب:

(عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلى ثم انصرف فوعظ الناس وأمرهم بالصدقة فلما انصرف إلى منزله جاءت زينت امرأة بن مسعود تستأذن عليه، فقيل يا رسول الله هذه زينب فقال أي الزيانب فقيل امرأة بن مسعود قال نعم (ائذنوا لها فأذن لها فقالت يا نبي الله إنك أمرت بالصدقة وكان ما عندي حلي لي فأردت أن أتصدق به فزعم ابن مسعود أنه وولده أحق من تصدقت به عليهم، فقال النبي صدق ابن مسعود وولدك أحق من تصدقت به عليهم) [5].

---

(1) سنن ابن ماجة ج1 ص 568.

(2) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، للشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، المطبعة المنيرية - بيروت ج8 ص 248.

(3) سورة البقرة الآية 263.

(4) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، للشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد العينيّ، المطبعة المنيرية، بيروت، ج8 ص 298 .

(5) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، للشيخ العلامة بدر الدين أبي محمد العيني، المطبعة المنيرية، بيروت، ج9 ص 31 بتصرف.

المطلب الرابع

شـــــروط الــزكـــاة

1 ـ **النية:** وهو أن يقصد المزكي عند أدائها وجه الله تعالى ويطلب بها جزيل ثوابه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1].

وعن علقمة بن أبي وقاص، قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ وما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله تعالى ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[2]. وأجيز للمتصدق إظهارها بشرط عدم الرياء ويستحب إخفاؤها لقوله تعالى: ﴿ إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ ﴾[3].

2 ـ **أداؤها وقوت الوجوب:** ووجوبها إذا دار عليها الحول إذ لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله يقول صلى الله عليه وسلم لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول) [4].

3 ـ **التعجيل بأدائها:** فعن علي رضي الله عنه أن العباس رضي الله عنه سأل رسول الله في تعجيل صدقته قبل أن تحل فأذن له. [5].

والشروط الواجب توفرها في المزكي:

تجب الزكاة على المسلم الحر المالك للنصاب من أي نوع من أنواع المال الذي تجب فيه الزكاة[6]. ولا تجب الزكاة على العبد فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول صلى الله

---

(1) سورة البينة الآية 5.

(2) السنن الكبرى للبيهقي ج4 ص 95 ط1، دار صادر، الهند.

(3) سورة البقرة 270.

(4) السنن الكبرى ج4 ص 95 ط1، دار صادر، الهند.

(5) سنن الترمذي ج3 ص 63، مطبعة مصطفى البابي، السنن الكبرى ج4 ص 111.

(6) فقه السنة ط4 ص 282.

عليه وسلم قال: (ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة)[1] واختلف العلماء في زكاة اليتيم فعمر وعلي وعائشة وابن عمر ومالك والشافعي وأحمد وإسحق رضي الله عنهم قالوا في الزكاة وأما سفيان الثوري وعبد الله المبارك فقالوا بعدم وجوبه[2].

المطلب الخامس

أقســـــام الزكـــــاة

الزكاة على قسمين: 1 ـ زكاة الأموال. 2 ـ زكاة الأبدان.

1 ـ زكاة الأموال:

وتشمل هذه في الأموال أقساماً ثلاثة:

أ) الأنعام الثلاثة وهي الإبل والبقر والغنم.

ب) الغلات الأربع: وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب.

جـ) النقدان: الذهب والفضة.

أ) الأنعام الثلاثة: ويشترط في وجوب زكاتها شروط منها:

1 ـ النصاب.

2 ـ أن تكون سائحة.

3 ـ مضى حول عليها.

أ ـ الإبل: ونصابها أن في كل خمس من الإبل شاة وفي العشرة شاتان وفي الخمسة عشرة ثلاثة شياة، وفي العشرين أربع شياة.

عن سفيان بن حسين عن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قبض، فلما قبض عمل به أبو بكر حتى قبض وعمر حتى قبض وكان فيه (في خمس من الإبل شاة، وفي العشرة شاتان، وفي خمسة عشرة ثلاثة شياة وفي عشرين أربعة شياة، وفي خمس وعشرين بنت مخاض. إلى خمس وثلاثين فإذا زادت ففيها ابن لبون إلى خمس وأربعين فإذا زادت ففيها حقه إلى ستين فإذا زادت ففيها حقان إلى عشرين ومائة

---

(1) صحيح مسلم ج3، ص 67، دار إحياء التراث العربي، مسند الشافعي 226/1 ـ 227.

(2) سنن الترمذي ج3 ص 33.

فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل خمسة حقة وفي كل أربعين ابنة لبون وفي الشياة وفي كل أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة، فإذا زادت فثلاثة شياة إلى ثلاثمائة شاة ففي كل مائة شاة، شاة ثم ليس فيها شيء حتى تبلغ الأربعمائة ولا يجمع بين متفرق، ولا يفرق بين مجتمع مخافة الصدقة وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب) [1].

ب ـ البقر: في البقر نصابان:

1 ـ ثلاثون وفيها تبيعة أو تبيع واحد.

2 ـ أربعون وفيها مسنة.

(عن معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن وأمرني أن آخذ من البقر من كل أربعين مسنة ومن كل ثلاثين تبيعاً أو تبيعة) [2] وفي رواية الترمذي عن معاذ أيضاً أضاف (ومن كل أربعين مسنة أو عدله مافر) [3].

جـ ـ الغنم: وفيها خمسة نصب:

1 ـ أربعون وفيها شاة.

2 ـ مائة وإحدى وعشرون وفيها شاتان.

3 ـ مائتان وواحد وفيها ثلاث شياة.

4 ـ ثلاثمائة وواحدة وفيها أربع شياة.

5 ـ أربعمائة ففي كل مائة شاة بالغاً ما بلغ.

عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن رسول الله قال: (أقرأني سالم كتاباً كتبه رسول الله في الصدقات قبل أن يتوفاه الله فوجدت فيه (في أربعين شاة شاة إلى عشرين ومائة فإذا زادت واحدة، ففيها شاتان، إلى مائتين فإن زادت واحدة ففيها ثلاث شياة إلى ثلاثمائة، فإذا كثرت ففي كل مائة شاة) فوجدت فيه (لا

---

(1) بنت مخاض هي الإبل الداخلة في السنة الثانية والبنت اللبون هي الإبل الداخلة في السنة الثالثة والحقة هي الإبل الداخلة في السنة الرابعة، سنن الترمذي ج3 ص 18 ـ 19.

(2) البقرة المسنة هي الداخلة في السنة الثالثة، والتبيعة هي البقر الداخل في السنة الثانية، سنن ابن ماجة ج1 ص 576 ـ 577.

(3) سنن الترمذي ج3 ص 20.

يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع) ووجدت فيه (لا يؤخذ في الصدقة تيس ولا هرمة ولا ذات عوار)[1].

ب ـ **الغلات الأربع**: وهي الحنطة والشعير والتمر والزبيب. إذ يشترط في وجوب الزكاة فيها مضافاً إلى الشروط العامة السابقة الشروط التالية:

1 ـ النصاب.

2 ـ الملك وقت تعلق الوجوب.

3 ـ وقت تعلق الزكاة بها.

وقد أوجب الله تعالى زكاة الزروع والثمار بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [2].

والمقدار الواجب إخراجه من هذه الغلات هو:

1 ـ إذا كانت الغلة تسقى سيحاً أو بماء المطر فيخرج العشر منها.

2 ـ إذا كانت تسقى بالنضح ـ أي بواسطة النواعير أو النواضح أو نحوهما من العلاجات فيخرج نصف العشر[3].

فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيما سقت السماء والعيون العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر)[4].

عن الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون وكان عشرياً وما سقي بالنضح نصف العشر[5].

وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخذ من العسل العشر أيضاً[6].

---

(1) سنن ابن ماجة ج1 ص 577.

(2) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري 72/9. وسورة البقرة الآية 267.

(3) انظر فقه السنة ج1 / 297 ط8.

(4) سنن ابن ماجة ج1 ص 580 ـ 581، سنن الترمذي ج3 ص 31. البابي الحلبي.

(5) عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري 72/9.

(6) سنن ابن ماجة ج1 ص 584، وانظر: المعنى ذاته في السنن الكبرى للبيهقي عن طريق أبي هريرة رضي الله عنه 4 ص 19.

3 ـ وإذا كانت الغلة تسقى بالأمرين أي بالسيح والعلاج، فإن كان أحدهما الأكثر بحيث ينسب السقي إليه ولا يعتد بالآخر فالعمل على الأكثر. فإن كان الأكثر سيحاً أخرج العشر وإن كان الأكثر بالمضخات ونحوها أخرج نصف العشر. وإذا كانا بالسوية بحيث يصدق بأنه سقي بهما عرفاً ويوزع الواجب بينهما فيعطى من نصفه العشر ومن الآخر نصف العشر.

عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ليس فيما دون خمسة وسق من التمر صدقة)[1] وفي رواية مسلم (ليس في حب ولا تمر صدقة)[2].

أما الخضروات (البقول): فليس عليهما زكاة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله عن البقول فقال صلى الله عليه وسلم (ليس فيها شيء)[3].

ولم يختلف أحد من العلماء في وجوب الزكاة في الزروع والثمار وإنما اختلفوا في الأصناف التي تجب فيها، إلى عدة آراء منها ما يلي[4]:

1 ـ رأي الحسن البصري والثوري والشعبي أنه لا زكاة إلا في المنصوص عليه وهي الحنطة والشعير والذرة والتمر والزبيب واعتبر الشوكاني هذا المذهب الحق.

2 ـ رأي أبي حنفية: أن الزكاة واجبة في كل ما تنبته الأرض، لا فرق بين الخضروات وغيرها واشترط أن يقصد بزراعته استغلال الأرض وإنماؤها، واستثنى الحطب، والقصب الفارسي والحشيش والشجر الذي لا ثمر له، مستدلاً بعموم قوله صلى الله عليه وسلم (فيما سقت السماء العشر).

3 ـ مذهب أبي يوسف ومحمد: إن الزكاة واجبة في الخارج من الأرض بشرط أنْ يبقى سنة بلا علاج كثير سواء أكان مكيالاً كالحبوب أو موزوناً كالقطن والسكر.

---

(1) الوسق ستون صاعاً، مسند الشافعي 231/1.

(2) صحيح مسلم ج3 ص 67. دار إحياء التراث العربي.

(3) سنن الترمذي ج1 ص 30.

(4) فقه السنة ص 295 ـ 296 ط4.

4 ـ مذهب مالك: أن يشترط فيما يخرج من الأرض أن يكون مما يبقى ويبس ويستنبته ابن آدم، سواء أكان مقتاتاً كالقمح والشعير أو غير مقتات كالسمسم ولا زكاة عنده في الفواكه والخضروات كالتين والتفاح والرمان.

5 ـ وذهب الشافعي إلى وجوب الزكاة فيما تخرجه الأرض بشرط أن يكون مما يقتات ويدخر أو يستنبته الآدميون كالقمح والشعير.

6 ـ وذهب أحمد إلى وجوب الزكاة في كل ما أخرجه الله من الأرض من الحبوب والثمار مما يبس، ويبقى ويكال ويستنبته الآدميون في أراضيهم سواء كان قوتاً كالحنطة أو من القطنيات[1] وتجب عنده أيضاً، فيما جمع هذه الأوصاف من الثمار اليابسة كالتمر والزبيب والمشمش والتين والبندق والفستق ولا زكاة عنده في سائر الفواكه التي لا تجف كالتفاح والخوخ ولا في الخضروات كالقثاء والخيار والبطيخ والباذنجان.

جـ ـ زكاة النقدين (الذهب والفضة):

ويشترط فيهما:

1 ـ النصاب.

2 ـ أن يكونا مسكوكين بسكة المعاملة الرائجة.

3 ـ الحول.

(ونصاب الذهب عشرون دينار أي (69 غراماً) فمن ملك هذا المقدار من الذهب المسكوك وجب إخراجها وهي نصف دينار أي حوالي (1.725 غم) أما الفضة فنصابها مائتا درهم وفيها خمسة دراهم ثم أربعون درهم وفيها درهم وهكذا وكلما زاد أربعون كان فيها درهم)[2].

ويشترط في وجوب زكاة النقدين أن يكونا مسكوكين بسكة البلد المتعارف عليها كما يشترط مرور الحول على عينهما، ولا فرق بين أنواع الذهب والفضة.

---

(1) القطنيات: هي الحبوب سوى البر والشعير، سميت بذلك لأنها تقطن في البيوت أي تخزن وهي العدس والحمص واللوبيا والفول.

(2) الدروس الفقهية (الزكاة) السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري ص 43 ـ 44.

كما يشترط في النصاب أن يكون فاضلاً عن الحاجات الضرورية التي لا غنى للمرء عنها كالمطعم والمسكن والمركب وآلات الحرفة[1]، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث نوابه ليجمعوا الصدقات ويوزعها على المستحقين. وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يفعلان ذلك لا فرق بين الأموال الظاهرة والباطنة، فلما جاء عثمان رضي الله عنه سار على النهج زمناً إلا أنه رأى كثرة الأموال الباطنة (عروض التجارة والذهب والفضة والركاز). ووجد أن في تتبعها حرجاً على الأمة وفي تفتيشها ضرراً بأربابها ففوض أداء زكاتها إلى أصحاب الأموال)[2].

(قال النووي: لا خلاف فيه، ونقل أصحابنا إجماع المسلمين)[2].

(وعند الشافعية: إن الدفع إلى الإمام. فإذا كان عادلاً أفضل).

(وعند الحنابلة: الأفضل أن يوزعها بنفسه فإن إعطاءها للسلطان جائز) [3].

وجاء في زكاة الذهب والورق عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد عفوت عن صدقة الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقبة من كل أربعين درهماً، درهماً وليس في تسعين ومائة شيء، فإذا بلغت مائتين ففيها خمسة دراهم) [4].

وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (هاتوا ربع العشر من كل أربعين درهماً، درهماً) [5].

وفي باب إثم منع زكاة الذهب ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفحائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى به جنبه وجبينه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرد سبيله إما إلى جنة وإما إلى نار)[6].

---

(1) فقه السنة 28/1 ط4.

(2) فقه السنة 340/1 ط 4 .

(3) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(4) سنن الترمذي ج3 ص 16.

(5) سنن ابن ماجة ج1 ص 570.

(6) السنن الكبرى البيهقي ج4 ص 137.

واختلف العلماء في الحلي هل فيها زكاة؟ فذهب إلى وجوبها فيها سفيان الثوري وعبد الله بن المبارك، ومن قال ليس في الحلي زكاة (مالك بن أنس والشافعي وأحمد وإسحق)[1].

فعن عمر بن دينار قال سمعت رجلاً يسأل جابر بن عبد الله عن الحلي، أفيها زكاة؟ فقال جابر: لا. فقال: فإن كان يبلغ ألف دينار؟ فقال جابر كثير[2].

أما زكاة الركاز[3] والمعادن ففيهما الخمس فعن أبي سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (في الركاز الخمس)[4].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في كنز وجده رجل في خربة جاهلية (إن وجدته في قرية مسكونة أو في سبيل ميتاء[5] فعرفه وإن وجدته في خربة جاهلية أو في قرية غير مسكونة ففيه الركاز الخمس)[6].

أما عروض التجارة ـ السيولة المالية فتقدر في نهاية الحول و يخرج نصابها من كل مائة دينار دينارين ونصف[7].

عن سمرة بن جندب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن تخرج الصدقة من الذي تعده للبيع[8].

عن أبي ذر رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (في الإبل صدقتها وفي الغنم صدقتها وفي الخبز صدقته)[9].

(قال صاحب المغني: ولا يصير العرض للتجارة إلا بشرطين[10]:

---

(1) سنن الترمذي ج3 ص 29.

(2) مسند الشافعي 228/1.

(3) الركاز: هو المال (المدفون) والركاز بالكسر دفين أهل الجاهلية. (والركز) الصوت الخفي ومنه قوله تعالى (أو تسمع لهم ركزاً) انظر مختار الصحاح ص 254.

(4) مسند الشافعي 248/1.

(5) سبيل ميتاء الطريق المسلوك.

(6) مسند الشافعي 249/1.

(7) العروض جمع عرض: وهو غير الأثمان من المال.

(8) فقه السنة 291/1 ط4.

(9) السنن الكبرى، ج4 ص 147، البز متاع البيت.

(10) فقه السنة 293/1 ط4.

1 ـ أن يملكه بفعله كالبيع أو النكاح.

2 ـ أن ينوي عند تملكه أنه للتجارة.

وورد عن أبي بخيع عن مجاهد قال، في تفسير قوله تعالى: (أنفقوا من طيّبات ما كسبتم). قال التجارة. وقوله تعالى: (ومما أخرجنا لكم من الأرض) قال النخل[1].

2 ـ زكاة الأبدان (الفطرة)[2]:

إن زكاة الفطرة طهرة للأبدان وهي واجبة على الأغنياء وغيرهم إذا ملكوا قوت يومهم فيخرجوا صاعاً من الشعير أو غيره على اختلاف بين المذاهب على الصغير والكبير والحر والعبد والأنثى والذكر إلا الذي لا يملك شيئاً[3].

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرض صاعاً زكاة الفطر من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد صغيراً أو كبيراً) [4].

وعن ابن عمر أيضاً أنه كان يقول نزلت هذه الآية قد «أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى» قال هي زكاة الفطر[5]، وعن عراك بن مالك قال سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (ليس في العبد صدقة إلا صدقة الفطر) [6] وشرعت زكاة الفطر في شعبان من السنة الثانية للهجرة[7]. لتكون طهرة الصائم، مما عسى أن يكون وقع فيه من اللغو والرفث ولتكون عوناً للفقراء والمعوزين.

وتجب على الحر المسلم المالك لمقدار صاع يزيد عن قوته وقوت عياله يوماً وليلة وهو ما ذهب إليه مالك والشافعي وأحمد وعند الأحناف لا بد من ملك النصاب[8] وقدرها صاع من القمح والشعير والتمر أو الزبيب أو الأقط أو الأرز أو الذرة أو نحو ذلك مما يعتبر قوتاً[9].

---

(1) السنن الكبرى ج4 ص346.

(2) زكاة الفطر: أي الزكاة التي تجب بالفطر من رمضان.

(3) فقه السنة 348/1 ط4.

(4) السنن الكبرى ج4 ص 159.

(5) المصدر نفسه والصفحة ذاتها.

(6) المصدر نفسه ج4 ص 160.

(7) فقه السنة 348/1 ط4.

(8) فقه السنة 349/1 ط4.

(9) الصاع أربعة أمداد. والمد يكفي الرجل المعتدل ويساوي قدحاً وثلث قدح أو قدحين، الأقط: لبن مجفف لم ينزع زبدته. انظر فقه السنة 349/1 ط4.

وعن أبي سعيد الخدري: كنا نخرج زكاة الفطر - إذا كان فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط، فلم نزل نخرجه حتى قدم معاوية المدينة فتكلم فكان فيما كلم به الناس: إني لأرى مدين من سمراء الشام تعدل صاعاً من تمر قال: فأخذ الناس بذلك[1].

وتخرج زكاة الفطر قبيل صلاة العيد، فعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بإخراج الزكاة قبل الغدو للصلاة يوم الفطر[2].

وسأل قيس بن سعد عن صدقة الفطر فقال: أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت لم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله.. وهذا لا يدل على سقوط فرضها وقد أجمع أهل العلم على وجوب زكاة الفطر[3].

واتفق العلماء[4] على أنها تجب في آخر رمضان واختلفوا في تحديد الوقت الذي تجب فيه، فقال النووي وأحمد وإسحق والشافعي في الجديد، وإحدى الروايتين عن مالك: إن وقتها غروب الشمس ليلة الفطر لأنه وقت الفطر من رمضان وقال أبو حنيفة والليث والشافعي والرواية الثانية عن مالك: إن وقت وجوبها طلوع الفجر عن يوم العيد.

وفائدة هذا الاختلاف في المولود قبل الفجر من يوم العيد، وبعد مغيب الشمس هل يجب عليه أم لا يجب؟ فعلى القول الأول لا تجب لأنه ولد بعد وقت الوجوب وعلى الثاني تجب لأنه ولد قبل وقت الوجوب.

ويرى جمهور الفقهاء جواز تحصيل صدقة الفطر قبل العيد بيوم أو بيومين واتفقوا على أنه لا يجوز تأخيرها عن يوم العيد إلا ما نقل عن ابن سييرين والنخعي أنهما قالا: يجوز تأخيرها عن يوم العيد[5].

ويوزع مصرف زكاة الفطر على الأصناف الثمانية المستحقين لها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ [6].

---

(1) سنن الترمذي ج3 ص 59 وانظر المعنى ذاته في السنن الكبرى ج4 ص 160.

(2) المصدر ذاته ص 62.

(3) السنن الكبرى ج4 ص 159.

(4) انظر فقه السنة 350/1 ط4.

(5) فقه السنة 50/1 ط4.

(6) سورة التوبة الآية 60.

المطلب السادس

صدقة التطوع

فبالإضافة إلى ما ذكرت من وجوب الزكاة في القسمين الأخيرين الآنفين الذكر، حث الإسلام على البذل والعطاء والإنفاق الطوع مما يبعث في النفوس روح المساعدة والحب للغير من الفقراء والمساكين وينمي في النفوس أواصر الأخوة الإنسانية.

1 ـ قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[1].

2 ـ قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

3 ـ قال تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[3].

وأنواع الصدقات كثيرة فالقاعدة العامة أن كل معروف صدقة.

المطلب السابع

مصارف الزكاة

وقد حدد القرآن الكريم مصارف الزكاة في الإسلام بثمانية أصناف وأشار إلى ذلك قوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

1 الفقراء والمساكين الذين لا يفي كسب عملهم بمتطلبات حياتهم اليومية فشرعت لهم الزكاة لمساعدتهم وإعانتهم و [illegible] وجوههم من ذلة المسألة

(1) سورة الحديد الآية 7.

(2) سورة البقرة الآية 261.

(3) سورة آل عمران الآية 92.

(4) سورة التوبة الآية 60.

2 ـ العاملون عليها: وهم من يقومون بجمعها ممن تجب عليهم ليقوم بيت المال بصرفها على مستحقيها، على أنها واجب لهم نظير ما يقومون به من العمل الذي لا يفي بحاجاتهم، كما لا يصح أن يأخذوها من الأغنياء لئلا يكون فيه شبهة من الأغنياء. ولقد جرى العمل به في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما جاء عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه فاض مال الفيء، ومال الغنائم فامتلأت به خزائن الدولة وأصبحت في غير حاجة إلى القيام بتحصيل الزكاة فتخلت عن تحصيلها للأفراد وتوزيعها على المستحقين الذين كانوا من الندرة بحيث يصعب العثور عليهم، واستمر الحال هكذا إلى يومنا هذا. فالدولة كانت مسؤولة عن جمع الزكاة من الأغنياء وإعطائها إلى الفقراء حتى أواخر الدولة العثمانية.

3 ـ المؤلفة قلوبهم: وهم حديثو العهد بالإسلام فأعطوا الزكاة تأليفاً لهم وتعويضاً عما يكون قد فاتهم من أموالهم بسبب دخولهم في الإسلام.

4 ـ وفي محاولة جادة للإسلام للقضاء على الرق أعطي المكاتبون على فك رقابهم من الأرقاء الزكاة لتساعدهم في فك رقابهم وفي ذلك حكمة عظيمة، فعن صفوان بن أمية قال: أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنه لأبغض الخلق إلي: فما زال يعطيني حتى أنه لأحب الخلق إلي[1].

5 ـ الغارمون: وهم الذين يسعون في المصالحة بين الناس، ويتحملون في ذلك كلف وغرامات لا يقدرون على حملها فيعطون المال من الزكاة لتساعدهم في قيامهم بهذا العمل النبيل، عن أبي سعيد الخدري، أصيب رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثمار ابتاعها فكثر دينه فقال صلى الله عليه وسلم (تصدقوا عليه) فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه فقال رسول الله لغرمائه (خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك)[2].

6 ـ ابن السبيل: الذي انقطع في سفره ونفد ماله فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى أهله وفي ذلك حماية له من ذل العوز والسؤال وحفظاً لكرامته.

7 ـ وقوله تعالى: (وفي سبيل الله) يمثل المصلحة العامة مثل الجهاد في سبيل الله كالدفاع عن الدين والوطن، وإنشاء المستشفيات والملاجئ للأيتام. . . إلخ.

وعليه فالزكاة تكافل اجتماعي يقوم على أساس أنه لا غنى لكل فرد في المجتمع عن أخيه الذي يعيش بجواره، إذ ليس في أمة الإسلام مسلم لا يهمه أمر غيره بل يجب عليه مشاركة الآخرين في سرائهم وضرائهم وهذا أدب كريم لدين كريم ونبي كريم.

---

(1) سنن الترمذي ج3 ص 53.

(2) سنن الترمذي ج3 ص 44.

المطلب الثامن

مميزات نظام الزكاة الإسلامية وحكمها

يمتاز نظام الزكاة أيضاً في الإسلام بميزة تفاوت المقادير المطلوبة فيها والإمام ابن القيم نبه إلى ذلك في كتابه (زاد المعاد) فقال[1]:

(إنه قادت بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته فأوجب الخمس فيما صادقه الإنسان مجموعاً محصلاً من الأموال وهو الركائز ولم يعتبر له حولاً بل أوجب فيه الخمس حتى ظفر به وأوجب نصفه ـ وهو العشر ـ فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك وذلك في الثمار والزروع التي يباشرون أرضها وشقيها وبذرها، ويتولى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء ولا إثار بئر ودولاب وأوجب نصف العشر فيما تولى سقيه بالكلفة والدوالي والتواضع ـ وغيرها ـ وأوجب نصف ذلك وهي ربع العشر ـ فيما كان النماء فيه موقتاً على عمل متصل من رب المال في الأرض تارة والإدارة تارة أخرى، وبالتربص تارة، ولا ريب أن كلفة هذا أعظم من كلفة الزرع والثمار وأيضاً فإن الزرع والثمار وأظهر وأكثر من نماء التجارة فكان واجبها أكثر من واجب التجارة وظهور النمو فيما يسقى بالسماء والأنهار أكثر مما يسقى بالدوالي والنواضخ).

ولا تفسر الزكاة على أنها (تبرع) يتفضل به الأغنياء على الفقراء والمساكين بل هي جزء هام من قانون الاقتصاد الإسلامي الذي أخذ على عاتقه وضع البرامج المتعلقة بالمال إنفاقاً واستثماراً وهبة وتحصيلاً، متوخياً بذلك حل مشكلة الفقر الخطيرة التي لم يعالجها أي تشريع سابق له بل اكتفت النظم القديمة بجعل خزينة الملك مملوءة بالمال والثروة من طرق مشروعة أو غير مشروعة ولم تعط للفقير نصيباً منها. فجاء الإسلام وجعل من هذا النصيب حقاً لا تفضلاً وواجباً لا مندوباً، وفرضاً لا استحباباً.

وجعل الله سبحانه وتعالى إيتاء الزكاة غاية من غايات التمكين في الأرض قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾[2].

---

(1) زاد المعاد 181/1.

(2) سورة الحج الآية 41.

وروى الترمذي عن أبي كبشة الأنماري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً ولا فتح باب مسألة إلا فتح الله باب فقر)[1].

وقد راعى الإسلام الحالة الاجتماعية للمزكي في نصابه مراعياً كرائم أمواله متوخياً حفظها لهم لكي لا يتألم أو يتحسر على ذهاب العزيز منه من يديه.

ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن قال له: (إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)[2].

عرفت الزكاة عند الشعوب القديمة في معناها البسيط، وهو معاونة الفقير بجزء من المال، يسد به جوعه ويحفظ له كرامته، وقد ذكرها الله تعالى في وصايا رسله إلى أقوامهم، وحثهم على أدائها استتماماً لفعل الخيرات وتلطيفاً لخطة العبادات لكل دين.

قال تعالى عن إبراهيم وابنه إسحق وحفيده يعقوب عليهم السلام: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[3].

والقرآن الكريم مدح نبيه إسماعيل عليه السلام لأدائه الزكاة والأمر بها، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[4].

وقد ورد ذكر الزكاة في المواثيق التي أعطاها الله تعالى لبني إسرائيل قال تعالى:
﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾[5].

---

(1) سنن الترمذي 70/3.
(2) صحيح مسلم 50/1. دار إحياء التراث العربي.
(3) سورة الأنبياء الآية 73.
(4) سورة مريم الآية 55.
(5) سورة المائدة الآية 12.

كما قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام وهو في المهد: ﴿ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾[1].

ونظام الزكاة الإسلامية مبتكر وفريد في بابه، ولم يشبهه أي تشريع آخر إذ أن الزكاة إلى جانب كونها ركناً من أركان الإسلام وعنواناً للدخول فيه[2] فهي أمر ذو مردود اقتصادي ويتمثل بإخراج نسبة معينة من المال إلى ذوي الحاجة من الفقراء والمساكين كما أنها في نفس الوقت عبادة لله تعالى نتمثل في طاعة إخراجها وشكراً له واعترافاً بما فضله عليهم من نعمة الخير والمال.

وحتى تكون الزكاة منظمة، وفي أيد أمينة أوكل جبايتها إلى الدولة واعتبرها نائبة عن الفقير في أخذ الزكاة.

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾[3].

وقد أكد الإسلام أن في جباية الدولة للزكاة حكم عديدة منها:

1 ـ أن كثيراً من الأفراد قد تموت ضمائرهم أو يصيبها السقم والهزال فلا ضمان للفقير إذا ترك حقه لمثل هؤلاء.

2 ـ إن في أخذ الفقير حقه من الدولة من الغني حفظ لكرامته وصيانة لماء وجهه أن يراق بالسؤال إلى ذي مال.

3 ـ إن ترك هذا الأمر للأفراد يجعل التوزيع فوضى فلا تتحقق منها العدالة[4].

والزكاة لله قبل أن تكون حقاً للبشر لأنه تعالى المالك الحقيقي للمال وغيره، فهو خالق كل شيء وواهب كل شيء والموجد كل شيء، والميسر له، كما أنه تعالى واهب الإنسان القدرة على اكتسابه بفضله عليه.

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾[5]

قال تعالى: ﴿ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم ﴾[6].

---

(1) سورة مريم الآية 31.

(2) قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ سورة التوبة الآية 11.

(3) سورة التوبة الآية 103.

(4) العبادة في الإسلام ص 256.

(5) سورة الواقعة الآية 63 ـ 64.

(6) سورة البقرة الآية 254.

وبالنتيجة فإن مال الزكاة رزق يسوقه الله تعالى للفقراء، فضلاً منه وتكرماً وما على الإنسان ألا يتحرج من هذا الحق. فعليه أداؤه وتقبله طاعة لخالقه وبنية صادقة مؤمنة بما تفعل لا مكرهة أو متبرمة.

ويثبت علم النفس أن الزكاة بإخراج قيمة رأس المال ومن الربح ومن كل ما زاد عن حاجة الإنسان تجعله يتحلل من عبادة المال ولا تجعل من حب المال قوة تسيطر عليه فتدفعه إلى المرض والتفاخر أحياناً[1].

والشريعة الإسلامية تمتاز بهذا الخصوص عن سائر الشرائع بأمور يجب إمعان النظر فيها للحصول على غرضها الحقيقي[2]:

1 ـ أنها اقتصرت في وضع هذا النوع من الجهات المالية على كينونة الملك وحدوده، ولم يتعد ذلك. وبعبارة أخرى: إذا حدثت مالية في ظروف من الظروف كغلة حاصلة من زراعة أو ربح عائد من تجارة أو نحو ذلك، أو العمل مثلاً، وليس عليه إلا أن يرد حال المجتمع وهو أسهم إليه.

2 ـ أن الإسلام يعتبر حال الأفراد في الأموال الخاصة بالمجتمع كما يعتبر حال المجتمع بل الغلبة في ما يظهر لحالهم على حاله فإنه يجعل السهام في الزكاة ثمانية ولا يختص بسبيل الله منها إلا سهماً واحداً، وباقي السهام للأفراد والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وغيرهم.

3 ـ أن للفرد من المسلمين أن يعرف ما عليه من الحق المالي الواجب كالزكاة مثلاً في بعض أرباب السهام كالفقير والمسكين من دون أن يؤديه إلى ولي الأمر أو عامله في الجملة فيرده إلى مستحقه.

قال الغزالي: (إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله ورسوله والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله، وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور: تصغيره وتعجيله وستره)[3].

ويحبذ للمتزكي أن ينفق الجيد من ماله وأطيبه، فالله طيب لا يحب إلا الطيبين.

وتتجلى خلاصة الحكمة من الزكاة إجمالاً بالنقاط التالية[4]:

(1) الإسلام والعلم الحديث ص 74 ـ الطب الوقائي ص 56.

(2) الميزان في تفسير القرآن 387/9 ـ 388.

(3) إحياء علوم الدين 216/1.

(4) خلاصة الكلام ص 212 بتصرف.

1 ـ المحافظة على حياة المحتاجين حتى لا يفتك بهم الجوع أو الأمراض المختلفة.

2 ـ تحبيب الأغنياء إلى الفقراء فلا يتعرضون لأذاهم.

3 ـ تقليل الجرائم في البلاد، إذ الداعي إليها غالباً الفقر والحاجة.

4 ـ تقليل المتعطلين والشحاذين لأن في الزكاة غنى عن السؤال ورأس مال للمتعطل.

5 ـ المساعدة على تربية من لا عائل لهم، فتكثر الأيدي العاملة وتتحسن أخلاق الأمة، ويقل فيها العبث بالأمن العام، بل إن أداء الزكاة يوجب انتشار الأمن في البلاد.

6 ـ انتزاع الحقد والحسد من قلوب الفقراء فلا يمقتون الأغنياء ولا يتطلعون إلى أموالهم.

7 ـ تطهير نفس المزكي من داء البخل ومرض الشح فيسهل عليه بذل المال في المنافع العامة.

المبحث الثالث

(الصيام)

المطلب الأول

معنى الصوم

لغة : الإمساك[1].

شرعاً: الإمساك عن جميع المفطرات كالطعام والشراب والجماع وغيرها من طلوع الفجر إلى المغرب مع النية[2].

وقيل هو ترك الأكل والشرب والوطئ في زمان الفجر الصادق إلى المغرب مع البية[3].

المطلب الثاني

مشروعيته

فرض الله الصيام بنص الكتاب والسنة الشريفة. إذ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[4].

وقد فرض الصيام ليلة الاثنين في الثاني من شعبان في السنة الثانية للهجرة[5].

والصيام امتناع عن الأكل والشرب والجماع نهار رمضان، ويبدأ من خروج الفجر الصادق وينتهي بغروب الشمس، ويجب على المسلم أن يحفظ جوارحه كما يحفظ نفسه عن الأكل والشرب والجماع فلا يغتب أحداً ولا يعمل سوء، فإن ذلك يخل بصومه، ويرخص للمسافر والمريض والحائض والشيخ الكبير والمرأة العجوز أو الحامل أو المرضع الإفطار وصيام أيام أخر على اختلاف طفيف بين هذه الأمور بين المذاهب في وجوب الكفارة[6] وعدمها.

---

(1) محيط المحيط 1223/2

(2) سبل السلام 150/2، فتح البارى 102/4.

(3) محيط المحيط 1223/2.

(4) سورة البقرة الآية 183.

(5) زاد المعاد 189/1، فقه السنة 383/1 ط10.

(6) فقه السنة 388/1 ط10.

وأجمعت الأمة الإسلامية على أن الصيام ركن من أركان الإسلام وأن منكره كافر وتاركه آثم إثماً كبيراً، عن عبد الله عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاء وحج البيت وصوم رمضان) (1).

المطلب الثالث

الآيات القرآنية المنزلة في الصيام

قال تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (2).

---

(1) صحيح البخاري 8/1. صحيح مسلم 45/1. دار إحياء التراث العربي.

(2) سورة البقرة الآية 182 ـ 187.

المطلب الرابع

الأحاديث الواردة في فضل الصيام وآدابه

1 ـ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الصيام جنة فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن إمرؤ قاتله أو شتمه فليقل إني صائم)[1].

2 ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به فلا حاجة لله في أن يدع طعامه وشرابه)[2].

3 ـ عن سهل بن سعد: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن في الجنة باباً يقال له الريان يدعى يوم القيامة يقال: أين الصائمون؟ فمن كان من الصائمين دخله ومن دخله لم يظمأ أبداً)[3].

4 ـ ويستحب الاجتهاد في العشر الأواخر من شهر رمضان، فعن عائشة قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخلت العشر أحيا الليل وشد المئزر وأيقظ أهله)[4].

5 ـ ومن آداب الصيام تعجيل الإفطار والدعاء عند الفطور والسحور عن سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تزال أمتي بخير ما عجلوا الفطر)[5]، وفي رواية ابن ماجة أضاف (فإن اليهود يؤخرون)[6].

وعن زيد بن ثابت قال: تسحرنا مع رسول الله ثم قمنا إلى الصلاة، قلت: كم بينهما؟ قال: قدر قراءة خمسين آية[7].

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسحروا فإن السحور بركة)[8].

---

(1) الرفث: الكلام الفاحش. يجهل: أي لا يفعل شيئاً من أفعال الجهل، موطأ الإمام مالك ص 210.

(2) سنن ابن ماجة ج1 ص 539 ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي.

(3) المصدر ذاته ج1 ص 525.

(4) المصدر نفسه ج1 ص 562.

(5) مسند الشافعي 277/1، مطبعة السعادة.

(6) سنن ابن ماجة ج1 ص 542.

(7) المصدر السابق ج1 ص 540 وأورد البخاري الحديث عن طريق أنس عن زيد عن زيد بن ثابت، ج9 ص 97.

(8) سنن ابن ماجة ج1 ص 540، السنن الكبرى ج4 ص 236.

وعن عمر بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أن فصل بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)[1].

6 ـ ويستحب للصائم أن يفطر على التمر أو الماء.

وعن سلمان بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور)[2].

وعن أبي هريرة أن رسول الله قال: (لا يوال الدين ظاهراً ما عجل الناس الفطر أن اليهود والنصارى يؤخرون)[3].

المطلب الخامس

ركنا الصوم

وللصوم ركنان تتركب منهما حقيقته[4]:

1 ـ الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ [5].

2 ـ النية: وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [6].

وعن علقمة بن أبي وقاص قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وإنما لكل امرئ وما نوى: فمن كانت هجرته إلى الله تعالى ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[7].

---

(1) سنن ابن ماجة ج1 ص 542.

(2) السنن الكبرى ج4 ص 4، ص 236.

(3) المصدر السابق ج4 ص 237.

(4) فقه السنة ص 286 ـ 287 ط 80.

(5) سورة البقرة الآية 187.

(6) سورة البينة الآية 5.

(7) صحيح البخاري 21/1، والسنن الكبرى للبيهقي 95/4 طبعة صادر، الهند.

المطلب السادس

حكمـــة الصـــوم

للصوم حكم عديدة يصعب حصرها، أوجز الأهم منها بالنقاط التالية:

1 ـ شرع الخالق تعالى الصوم تهذيباً للنفوس، وصفاءً لها ولم يشرعه تعذيباً وانتقاماً لأنه لا مصلحة له جل شأنه في ذلك، وإلا كما ختم آية الصوم بقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[1].

2 ـ إن المؤمن إذا صام وذاق مرارة الجوع وشدة الظمأ، تذكر إخوانه البائسين من أبناء جنسه ودينه، وحصل لديه عطف ورحمة وشفقة بهم فمن أجل ذلك شرع صيامه نهاراً لأنه أدعى إلى المشقة بالبدن والنفس وليحصل الإخاء والتوادد.

3 ـ إن الحكمة من غاية الصوم يفسره قوله تعالى: (لعلَّكم تتَّقونَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

والتقوى مأخوذة من مادة الوقاية وهي حفظ الشيء عما يضره[3].

والمراد هنا حفظ النفس من الآثام، أي تتخذون من الصيام وقاية تحول بينكم وبين الميول الباطلة والمنكرات.

أما معنى (لعل) فهو الإعداد والتهيئة وإعداد نفوس الصائمين لتقوى الله ويظهر ذلك من وجوه كثيرة أعظمها شأناً: إن الصيام موكل إلى نفس الصائم لا رقيب عليه إلا الله.

وقال الإمام الغزالي رضي الله عنه في حكمة قوله تعالى (لعلكم تتقون)، إن الصوم يربي في المؤمن مراقبة الله وخشيته فيمتنع عن شهواته ويقاومها[4] ويرى سيد قطب في تفسيره في النقوى العاية الكبيرة من الصوم، (فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب وهي تؤدي هذه الفريضة طاعة الله وإيثاراً، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم

---

(1) سورة البقرة الآية 185.

(2) سورة البقرة الآية 182.

(3) صحيح البخاري 34/3، وصحيح مسلم 87/2.

(4) روح الدين الإسلامي ص 254.

بالمعصية ولو تلك التي تهجس في البال. والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها في ميزانه فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم وهذا الصوم أداة من أدواتها وطريق موصل إليها)[1].

ويضيف الإمام الغزالي أن (الصوم كف وترك، وهو نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى).

(وبالصوم لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل في الباطن بالصبر المجرد)[2].

4 ـ الصوم زكاة النفس، فالجوع يكسر حدة الغضب وثوراته والظمأ يعلم الصبر ويذكره بالفقراء والمساكين، وهو يسكن كل عضو من أعضاء الجسم عن جموحه فيلجمه لجام التقوى، لذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم ينصح به من اشتدت عنده شهوة النكاح إذ يقول صلى الله عليه وسلم مخاطباً شباب أمته في حديث يرويه إبراهيم بن علقمة عن عبدالله قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[3].

وفي الصوم قهر للشيطان ـ وإذلال سلطته وإبطال سطوته في تحكمه على النفس بسبب الشهوات.

5 ـ أجزل الله سبحانه وتعالى للصائم العطاء بقدر غير محدود ولا معلوم فعن أبي هريرة رضي الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: «كل حسنة يعملها ابن آدم يتضاعف له من عشرة إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به من يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي»[4].

6 ـ في الصوم تعريف بالنعمة وإحساس بها فهي لا تعرف إلا بفقدانها، وفي هذه الفريضة يعرف الصائم قيمة الطعام والشراب ومدى الحاجة إليهما وبالتالي يعرف كيف يشكر ربه على هذه النعمة.

---

(1) في ظلال القرآن 229/1، دار المعرفة ط7.

(2) إحياء علوم الدين 662/1 الزاوية التيجانية الكبرى، القاهرة.

(3) الوجاء: قاطع الشهوة، أحمد 337/6، صحيح البخاري 65/3، فتح الباري 132/9.

(4) تنبيه الغافلين ص 119.

7 ـ ومن حكم الصيام (التشبه بصفات الملائكة في ترك المطعم والمأكل واللذة البهيجة، والأبدان إذا امتلأت من الأغذية المستلذة والأشربة المستذية، ودامت على رفاهية العيش طغت وتجبرت وكثرت آثامها ونسيت تذكر أموال المحتاجين، فاقتضت الحكم تأديبها بجوعها وعطشها المنقص لمواردها المذكر لأمر معادها إيجاباً في الطعام كشهر رمضان وندباً في باقي الأيام)[1].

8 ـ والصوم هو حل ناجح لبعض المواقف الخاطئة التي يعمد إلى فعلها بعض المسلمين مثل كفارة الإيمان وكفارة الطهارة، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[2].

المطلب السابع

مباحات الصيام

ويباح للصائم أمور إن فعلها لا تخل بصيامه منها: نزول الماء والانغماس فيه والاكتحال والقطرة ونحوهما، ومما يدخل العين والحقنة مطلقاً في العروق أم تحت الجلد، والقبلة لمن قدر على ضبط نفسه والمضمضة والاستنشاق ورخص للمرضع والحامل الإفطار إن خافتا على طفلها أو جنينها، وتتصدق بصاع من حنطة ثم تقضيه[3].

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة في ذلك وهما يطيقان الصوم أن يفطرا إن شاءا ويطعما مكان كل يوم مسكيناً ثم نسخ ذلك في هذه الآية: (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وثبت للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة إذا كانا لا يطيقان الصوم والحامل والمرضع إذا خافتا أفطرتا وأطعمتا مكان كل يوم مسكيناً[4].

---

(1) خلاصة الكلام في أركان الإسلام ص 230 بتصرف.

(2) سورة المجادلة الآية 3.

(3) الحجامة: أخذ الدم من الرأس، انظر فقه السنة 406/1 ط8.

(4) سنن ابن ماجة 537/1.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال احتجم رسول الله وهو صائم محرم[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل في شهر الصوم[2].

وسئل ابن عباس رضي الله عنه عن القبلة للصائم فأرخص فيها للشيخ وكرهها للشباب وكذلك يباح له ما لا يمكن الاحتراز عنه كبلع الريق وغبار الطريق وغربلة الدقيق[3].

المطلب الثامن

مبطلات الصيام

وهي على قسمين:

1 ـ ما يبطله ويوجب القضاء.

2 ـ ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة.

أما القسم الأول فيتمثل بالأكل والشرب عمداً، والقيء عمداً. والحيض والنفاس والاستمناء وتناول ما لا يتغذى به من المنفذ المعتاد، كما يبطل صيام من نوى الفطر وهو صائم وإن لم يتناول مفطراً وغير ذلك[4].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من ذرعه القيء فلا قضاء عليه، ومن استقاء فعليه القضاء)[5].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أفطر يوماً من رمضان من غير رخصة رخصها الله عز وجل له لم يقبض عنه وإن صام الدهر كله)[6].

أما ما يبطل الصيام ويوجب القضاء والكفارة فهو الجماع وهو رأي الجمهور[7].

---

(1) المصدر ذاته 537/1.

(2) سنن ابن ماجة 548/1.

(3) مسند الشافعي 257/1.

(4) فقه السنة 411/1 ط 8، الإستمناء: أي تعمد إخراج المني بأي سبب من الأسباب.

(5) سنن ابن ماجة 536/1 استقاء أي تعمد القيء واستخراجه بشم ما أو بإدخال يده.

(6) السنن الكبرى 228/4.

(7) فقه السنة 394/1 ط4.

المطلب التاسع

تقسيمات الغزالي للصوم

قسم الإمام الغزالي رحمه الله الصوم إلى ثلاثة تقسيمات هي[1]:

1 ـ صوم العموم (وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة).

2 ـ صوم الخصوص (وهو كف السمع والبصر واللسان واليد وسائر الجوارح وهو صوم الصالحين).

3 ـ صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهمم الدنيا عما سوى الله عز وجل بالنية.

وأضاف الغزالي أن (الصوم كف وترك، وهو نفسه وهو سر ليس فيه عمل يشاهده، **وجميع أعمال الطاقات بمشهد من الخلق، ومرأى، وبالصوم لا يراه إلا الله عز وجل فإنه عمل** في الباطن في الصبر المجرد)[2].

كما يرى أن المقصود من الصوم هو (التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل وهو الصمدية، والاقتداء بالملائكة في الكف عن الشهوات بحسب الإمكان فهم منزهون عن الشهوات، والإنسان رتبته فوق البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته، ودون رتبة الملائكة لاستعلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها. فكلما انهمك في الشهوات انحط إلى أسفل سافلين والتحق بمضمار البهائم، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى عليين والتحق بأفق الملائكة، والملائكة مقربون من الله عز وجل والذي يقتدي بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله تقربهم)[3].

المطلب العاشر

فـــوائـــد الصـــوم

للصوم فوائد عديدة ناهيك عن كونه من نعم الله عز وجل وغاية من غايات الفريضة، تستحق التكبير والشكر.. قال تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[4].

---

(1) إحياء علوم الدين 235/1 دار المعرفة.

(2) إحياء علوم الدين 662/1، الزاوية التيجانية الكبرى، القاهرة.

(3) إحياء علوم الدين 670/1، المصدر السابق.

(4) سورة البقرة الآية 185.

ومن الفوائد الأدبية للصوم:

1 ـ ذل النفس وانكسارها وزوال البطر والشر وهو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله تعالى.

2 ـ صفاء القلب وتوقد القريحة وتنور البصيرة.

3 ـ الأمانة وعدم الخيانة فيما عهد إليه من هذه العبادة السرية.

4 ـ الحياء لأن الصائم وهو في أشد الأمكنة خفاء وأبعدها عن أعين الخلق رؤية لا يجسر على متابعة نفسه في الإفطار وفي تعاطيها الفضول من الطعام.

5 ـ المروءة، فإن من حافظ على أداء هذه العبادة السرية في أشد الأمكنة خفية، وأبعده عن أعين الرائين لا شك أنه كامل المروءة متعالي الهمة[1].

وفي الصوم فوائد صحية نص عليها أهل الإختصاص، فهو مفيد لمن كان مريضاً باضطراب الأمعاء والبول السكري، وإلتهاب المفاصل أو الكلى أو ضغط الدم[2]، ويفضل للصائم السواك لما فيه منافع صحية تحفظ أسنانه ولثته وتطهر فمه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير خصال الصائم السواك)[3].

وأوجب الإسلام على المسلم الاعتناء بصحته، وإن لجسده عليه حقاً كسائر الحقوق المعهودة عليه، كما فرض عليه التربية الإسلامية الروحية الحقة والتي تجعل منه إنساناً مؤمناً عارفاً بأمور دينه.

إذن الاعتناء بجانبي الجسد والروح وتجنيبها ما يضرهما هو عماد الصحة التي يعرفها المتخصصون بأنها (تحسين حالة الإنسان جسمياً ونفسياً وعقلياً ومعيشياً وليست مجرد غياب المرض)[4].

وفي الصيام صحة للأبدان، وراحة للمعدة من العمل الدؤوب التي يكتنفها طوال الوقت ويقيها من المضار، عن المقدام بن معد يكرب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمان يقمن صلبه فإن كان لا محالة، فثلث لنفسه وثلث لطعامه وثلث لشرابه)[5].

---

(1) خلاصة الكلام 236 ـ 237 بتصرف.

(2) روح الإسلام، ص 50.

(3) السنن الكبرى 272/4.

(4) الطب الوقائي في الإسلام ص 11 بتصرف.

(5) سنن الترمذي 590/4 وقال حديث صحيح، ومسند أحمد 132/4، والطبراني في المعجم الكبير 224/20، وسنن ابن ماجة 1111/2.

المطلب الحادي عشر

الصيام المقبول والصيام المنهى عنه

تطرقت الشريعة الإسلامية إلى أنواع أيام حببت فيه للمسلم الصيام كما نهته عن الصيام في أيام أخر، وتفصيل ذلك بيانه بالتالي:

الصيام المقبول (المرغوب فيه):

1 ـ صيام ستة أيام من شوال: عن أبي أيوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصوم الدهر)[1].

وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة، من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)[2].

2 ـ صيام عشر ذي الحجة: عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر)[3].

3 ـ صيام ثلاثة أيام من كل شهر: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي رسول الله بثلاث: النوم على الوتر وصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى)[4].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صام ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صوم الدهر)[5].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله يصوم ثلاثة أيام من كل شهر. قلت من أيه؟ قالت: لم يكن يبالي من أيه كانت.

4 ـ صيام يوم الاثنين والخميس: عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم الاثنين والخميس فقيل يا رسول الله إنك تصوم الاثنين والخميس فقال: (إن يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم إلا متهاجرين. يقول دعهما حتى يصطلحا)[6].

---

(1) سنن ابن ماجة 548/1.

(2) المصدر ذاته 547/1.

(3) السنن الكبرى 293/4.

(4) السنن الكبرى 293/4.

(5) سنن ابن ماجة 545/1.

(6) سنن ابن ماجة 553/1.

وعن أبي قتادة الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل: يا رسول الله أصوم الاثنين؟ قال: فيه ولدت وفيه أنزل علي القرآن)[1].

5 ـ الصوم في أشهر الحرم: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وإن أفضل الصلاة بعد المفروضة صلاة الليل)[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أي الصيام أفضل بعد شهر رمضان قال: (شهر الله الذي تدعونه المحرم).

6 ـ صوم يوم عاشوراء: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله يصوم عاشوراء ويأمر بصيامه)[3].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوماً يتحرى صيامه على الأيام إلا هذا اليوم، يعني يوم عاشوراء)[4].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه)[5].

7 ـ صوم يوم عرفة: عن أبي قتادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صيام يوم عرفة إني أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والتي بعده)[6].

وحكمة صوم التطوع في يوم عرفة (أن يكون الصائم مفكراً في هؤلاء الذين يقفون في صعيد واحد يلبون ويطلبون من الله المغفرة والرحمة فيتشوق إلى تلك الأمكنة المقدسة وبذلك يكون مشاركاً الحجاج في ثوابهم)[7].

---

(1) السنن الكبرى 293/4، صحيح مسلم 169/3. دار إحياء التراث العربي.

(2) المصدر ذاته. صحيح مسلم 169/3. دار إحياء التراث العربي.

(3) مسند الشافعي 263/1.

(4) مسند الشافعي 262/1، وروى البيهقي الحديث بلفظ مشابه له عن طريق ابن أبي الجرائح عن عبيد الله عن أبي زيد سمع ابن عباس يقول: (ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام يوم يلتمس فضله على غيره إلا هذا اليوم يوم عاشوراء وشهر رمضان، السنن الكبرى 286/4.

(5) مسند الشافعي 263/1 ـ 264.

(6) سنن ابن ماجة 551/1.

(7) خلاصة الكلام ص 230.

8 ـ صيام أيام البيض: عن أبي ذر رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة)[1].

9 ـ صيام أكثر شهر شعبان: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر وما رأيته أكثر صياماً منه في شعبان)[2].

الصيام المنهى عنه:

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام محددة منها:

1 ـ صوم أيام التشريق: عن بشر بن سحيم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أيام التشريق فقال: (لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن هذه الأيام أيام أكل وشرب)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أيام منى أيام أكل وشرب)[4].

2 ـ صوم يوم الجمعة منفرداً: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة إلا بيوم قبله أو يوم بعده)[5].

وعن محمد بن عباد بن جعفر قال سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنه وأنا أطوف بالبيت: أنهى النبي عن صيام يوم الجمعة؟ قال نعم ورب هذا البيت[6].

3 ـ إفراد يوم السبت بصيام: عن عبد الله بن يسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصوموا يوم السبت إلا فيما أفترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا عود عنب أو لحاء شجرة فليمصه)[7].

---

(1) بلوغ المرام ص 119 وعزاه للنسائي والترمذي وصححه ابن حبان.

(2) خلاصة الكلام ص 230 ـ 231.

(3) سنن ابن ماجة 548/1.

(4) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

(5) سنن ابن ماجة 549/1.

(6) المصدر ذاته 549/1.

(7) المصدر السابق 550/1 ورواه البيهقي بلفظ مشابه في سننه الكبرى عن عبد الله بن يسر 302/4.

4 ـ النهي عن صيام يوم الفطر ويوم الأضحى: عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى[1].

وعن الزهري عن أبي عبيد قال: شهدت العيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبدأ الصلاة قبل الخطبة، فقال: إن رسول الله نهى عن صيام هذين اليومين يوم الفطر ويوم الأضحى، أما يوم الفطر فيوم فطركم من صيامكم ويوم الأضحى تأكلون فيه من لحم نسككم[2].

5 ـ صوم الدهر: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا صام من صام الأبد)[3] وعن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من صام الأبد فلا صام ولا أفطر)[4].

6 ـ استقبال شهر رمضان بصوم يوم ويومين والنهي عن صوم الشك: عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم ولا يومين إلا أن يكون صوماً يصومه رجل فليصم ذلك الصوم)[5].

7 ـ صيام المرأة وزوجها حاضر إلا بإذنه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه)[6].

---

(1) المصدر ذاته ص 549/1.

(2) المصدر ذاته 549/1.

(3) المصدر ذاته 544/1.

(4) المصدر ذاته 544/1.

(5) السنن الكبرى للبيهقي 303/4.

(6) السنن الكبرى 303/4.

المبحث الرابع
(الحـــج)

المطلب الأول

مـعـنـــى الحـــج

لغة: القصد[1].

شرعاً: وهو قصد بيت الله الحرام بالأعمال المشروعة فرضاً وسنة[2].

وقيل: قصد الكعبة لأداء أعمال مخصوصة مع الوقوف بعرفة[3].

وقيل أيضاً: القصد في أشهر معلومات إلى البيت الحرام لأداء مناسك معينة[4].

وعرف الحج بأنه (قصد مكة لأداء عبادة الطواف، والسعي والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته)[5].

المطلب الثاني

فـــرض الحـــج

فرض الحج سنة ست بعد الهجرة، وهو المختار لدى جمهور العلماء ولأنه نزل فيها قوله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [6]، هذا مبني على أن الإتمام يراد به ابتداء الفرض[7].

---

(1) مختار الصحاح ص 122. دار الكتاب العربي. محيط المحيط 347/1.

(2) لسان العرب 569/1، محيط المحيط 347/1، المعجم الوجيز 135.

(3) شرح رياض الصالحين للإمام النووي ج2 ص 589. شرحه وحققه الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم. مطبعة المدني، القاهرة 1970.

(4) المعجم الوجيز 135.

(5) فقه السنة 527/1، ط4.

(6) سورة البقرة الآية 196.

(7) فقه السنة 549/1 ط8.

ورجح ابن القيم أن فرض الحج كان سنة تسع أو عشر[1].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا، فقال رجل أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: (ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فاءتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)[2].

المطلب الثالث

الآيات القرآنية الواردة في الحج وبيانه

سورة آل عمران الآية 96: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

سورة الحج الآية 27 ـ 29: ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ۝٢٨ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾.

سورة البقرة الآية 158: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾.

سورة البقرة الآية 196: ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن

(1) زادر الميعاد 213/1، فقه السنة 549/1 ط8.

(2) شرح رياض الصالحين 589/2.

تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

سورة المائدة الآية 1: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

سورة البقرة الآيات 197، 198، 199، 200: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾.

سورة البقرة الآية 203: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾.

سورة البقرة الآية 189: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة الحج الآية 25: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ .

سورة البقرة الآية 199: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة المائدة الآية 97: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

سورة الحج الآية 32 ـ 33: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ .

سورة الحج الآية 36 ـ 37: ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

سورة الكوثر الآية 108: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ .

سورة الحج الآيـة 67: ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

سورة الحج الآيـة 34: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ .

المطلب الرابع

فضل الحج والعمرة

ورد في فضل الحج والعمرة أحاديث عدة منها:

1 ـ عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال: إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال: جهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور[1].

2 ـ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله ترى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد؟ قال: (لا لكن أفضل الجهاد حج مبرور)[2].

3 ـ عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)[3].

4 ـ عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينقيان الفقر والذنوب كما ينقي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة)[4].

5 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه)[5].

---

(1) صحيح البخاري بشرح الكرماني 59/8 وعمدة القارئ 133/9 وسبل السلام 248/2 ومجمع الزوائد 217/3.

(2) عمدة القارئ 133/9، صحيح البخاري بشرح الكرماني 59/8.

(3) سبل السلام 248/2.

(4) سنن الترمذي 178/3، مطبعة مصطفى الحلبي.

(5) سنن ابن ماجة 964/2 ـ 965، دار إحياء الكتب العربية.

6 ـ عن عبدالله بن جراد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرون)[1].

7 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله على النساء جهاد؟ قال: (نعم عليهن جهاد ولا قتال فيه: الحج والعمرة)[2].

8 ـ عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قالت: استأذنه نساؤه في الجهاد فقال صلى الله عليه وسلم (يكفيكن الحج أو جهادكن الحج)[3].

9 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي: إنا نغزو ونجاهد معكم قال: رسول الله (لكن أحسن الجهاد وأفضله حج مبرور)[4].

المطلب الخامس

فضل مكة والمدينة

يقدس المسلمون عامة مكة المكرمة والمدينة المنورة لما لهما من منزلة خاصة في نفوسهم، فمكة تحوي أول بيت بناه نبي لعبادة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[5].

وبعد أن بنى الخليل ابراهيم عليه السلام البيت الحرام أمره الله تعالى أن يؤذن بالناس في الحج معلناً الانطلاقة الأولى في تاريخ البشرية المجدة لبيت الله العتيق والملبية للنداء المقدس (لبيك اللهم لبيك).

---

(1) مجمع الزوائد 209/3.

(2) سنن ابن ماجة 968/3.

(3) السنن الكبرى 326/4.

(4) المصدر السابق.

(5) سورة آل عمران الآية 96 ـ 97.

وقـــال تعـــالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [1].

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ ﴾ لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له أذن في الناس بالحج[2].

ومكة هي الموضع الذي اجتمع فيه آدم وحواء وتابا إلى الله فقبل توبتهما وفيها ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومنها هاجر إلى المدينة، تلك الهجرة التي كانت سبباً في رقي الأمة الإسلامية.

ومن الأحاديث الواردة في فضل مكة ما يلي:

1 ـ عن عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته واقف بالحزورة يقول: (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله لي، والله لولا إني أخرجت منك ما خرجت)[3].

2 ـ واحتراماً لمكة منع حمل السلاح فيها: فعن ابن الزبير عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا يحل لأحدكم أن يحمل بمكة سلاح)[4].

3 ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لن تحل لأحد كان قبلي وإنها أحلت لي ساعة من النهار وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفر جيدها ولا يختلي شوكها ولا تحل ساقطتها ومن قتل له قتيل فهو يخير النظرين، إما أن يفدي وإما أن يقتل فقال العباس إلا الأذخر يا رسول الله فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله صه إلا الأذخر فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله اكتبوا لأبي شاه)[5].

---

(1) سورة الحج الآية 27.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير القرشي 281/3، دار الفكر عمان.

(3) سنن ابن ماجة 37/2.

(4) صحيح مسلم 111/4. دار إحياء التراث العربي.

(5) صحيح مسلم 110/4. دار إحياء التراث العربي.

عن أبي شرح الكعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرم مكة ولم يحرمها على الناس فلا يحل لمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعقد بها شجرة فإن ارتخص أحد فقال: أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله أحلها لي ولم يحلها للناس وإنما أحلت لي ساعة من النهار ثم هي حرام كحرمتها بالأمن ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل وإنا والله عاقلة فمن قتل بعده قتيلاً فأهله بين خيرتين إن أحبوا قتلوا وإن أحبوا أخذوا العقل)[1].

وجاء في فضل المدينة المنورة أحاديث عدة منها:

1 ـ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الإيمان ليأزر من المدينة كما تأزر الحية إلى جحرها[2].

2 ـ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من استطاع فيكم أن يموت بالمدينة فليفعل فإني أشهد لمن مات بها)[3].

3 ـ عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في أهل المدينة (اللهم بارك لهم في مكيالهم وبارك لهم في صاعهم وبارك لهم في مدهم)[4].

4 ـ عن عبدالله بن زيد بن عاصم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة وإني دعوت في صاعها ومدها بمثل مادعا إبراهيم لأهل مكة)[5].

5 ـ عن عامر بن سعيد عن أبيه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهها أو يقتل صيدها وقال المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه ولا يثبت أحد على لإيوائها وجهدها إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة[6].

وزاد نفس الراوي (ويريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء)[7].

---

(1) مسند الشافعي 295/1.

(2) يأزر: أي ينضم ويجتمع فيه إلى بعض فيها. سنن ابن ماجة 1037/2.

(3) سنن ابن ماجة 1039/2.

(4) صحيح مسلم 114/4 ـ 115.

(5) صحيح مسلم 112/4.

(6) صحيح مسلم 113/4.

(7) المصدر السابق نفسه.

المطلب السادس

الحـــج نـــظـــرة عـــامـــة

يبدأ الحج بالنية من مسقط رأس الحاج ثم بالميقات، وهو مكان حدده الشرع ليحرم منه الحاج، حيث يتجرد من الثياب المخيطة، ليرتدي الثياب البيضاء غير المخيطة رمز للطهر من كل دنس.

ثم ينشد نداء التلبية، وهو نشيد الحجاج عامة (لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

وأهم الأعمال بعد الإحرام: الطواف بالكعبة والسعي بين الصفا والمروة والوقوف في نهار التاسع من ذي الحجة ويليها في الأهمية رمي الحجار، والمبيت بمنى وذبح الهدى، ناهيك عن السنن والمستحبات الأخرى.

إن كثيراً من أعمال الحج كانت معروفة عند الجاهليين، إذ توارثوها عن آل إبراهيم عليه السلام ولكنهم عمدوا إلى إدخال الشرك في تلك الشعائر فخلطوا الحق بالباطل، فآثروا أن يكون بيت الله ملجأً لأوثانهم التي جعلوها تشارك شعائر الحق تعالى، وابتدعوا طقوساً ما أنزل الله بها من سلطان، منها الطواف حول البيت عرايا، زاعمين أن ليس لهم الحق في الطواف حول بيت الله بثياب ارتكبوا فيها الخطايا.

والإسلام استنكر طواف العرب عراة الأجسام، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ﴾[1].

قال البخاري[2] حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن حازم هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهما قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الخمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات ثم يقف بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾[3].

---

(1) سورة الأنفال الآية 35. المكاء: الصفير، التصدية: التصفيق. انظر: روح الدين الإسلامي ص 260 ط21، دار الفكر، بيروت.

(2) صحيح البخاري 34/6.

(3) سورة البقرة الآية 199.

يقول الإمام (حسن البنا) رداً على الذين يزعمون أن الإسلام تأثر ببقية من وثنية العرب، وما الطواف حول الكعبة والحجر الأسود واستلامه وما يحيط بذلك من معاني التقديس والتكريم، إن هو إلا مظهر من مظاهر هذا التأثر. يقول رحمه الله: (إن المسلم الذي يطوف الكعبة ويستلم الحجر، ويعتقد اعتقاداً جازماً أنها جميعاً أحجار لا تضر ولا تنفع، ولكنه إنما يقدس فيها هذا المعنى الرمزي البديع ومعنى الإخوة الإنسانية الشاملة والوحدة العالمية الجارفة ويذكر في ذلك قول الله العلي الكبير: ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [1] والرمزية هي اللغة الوحيدة لتمثيل المعاني الدقيقة والمشاعر النبيلة التي لا يمكن أن تصورها الألفاظ وتجلوها العبادات والذي يعظم علم وطنه يعلم أنه في ذاته قطعة نسيج لا قيمة لها مادياً ولكنه يشعر كذلك أنها ترمز إلى كل معاني المجد والسمو التي يعتز بها وطنه، فأين هذه المعاني الرمزية العلوية من تلك المظاهر الوثنية الخرافية؟!)[2].

لقد اختار الله سبحانه وتعالى الكعبة المكرمة لتكون قبلة المسلمين وفي ذلك حكمة لكونها أول بيت للطاعات ومباركاً بزيادة الخيرات، ومضاعفة الحسنات، وهدى للعالمين يهتدون به إلى وحدتهم الدينية، كما أنه الموضع الذي اجتمع فيه آدم وحواء وتابا إلى الله فقبل توبتهما. وفيها ولد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومنها هاجر إلى المدينة تلك الهجرة التي كانت سبباً في رقي الأمة الإسلامية[3].

المطلب السابع

شـــروط الحـــج

اتفق العلماء على اشتراط وجوب الحج شروطاً هي:

1 ـ الإسلام.

2 ـ البلوغ.

3 ـ العقل.

4 ـ الحرية.

5 ـ الاستطاعة.

---

(1) سورة المائدة الآية 97.

(2) العبادة في الإسلام ص 200 ـ 201.

(3) العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص 200 ـ 201 بتصرف.

فالإسلام شرط في الحج، فلا يصح حج الكافر. كما يشترط البلوغ فلا يصح حج الصبي[1] إلا إذا كان مميزاً، وإن له ثواب ذلك. ولكن إن حجا صح منهما ولا يجزئهما عن حجة الإسلام فعن السائب بن يزيد قال حج أبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين[2]. وقيل بجواز حج الصبي وإن لمن حج عنه وقام عليه بالفرائض ومتطلبات الحج ثواب الصبي. قالوا: يكتب للصبي الحسنات دون السيئات فضلاً من الله ورحمة، فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ركباناً بالروحاء فقال: من القوم؟ قالوا: المسلمون، قالوا: من أنت؟ قال: رسول الله فرفعت امرأة صبياً، فقال: ألهذا حج؟ قال: نعم ولك أجر[3].

والحرية شرط لوجوب الحج لأنه عبادة تقتضي وقتاً، والعبد وقته ملك سيده فهو مشغول بحقوق سيده.

كما تشترط الاستطاعة لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾[4].

وتتحقق الإستطاعة بشروط هي[5]:

1 ـ أن يكون صحيح البدن فإن عجز عن الحج لشيخوخة أو مرض لا يرجى شفاؤه لزمه إحجاج غيره عنه.

فعن لقيط بن عامر رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أبي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن: قال: حج عن أبيك واعتمر[6].

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر به رجل يهل يقول لبيك عن شبرمة فقال ومن شبرمة؟ قال أوصى أن يحج عنه فقال أحججت أنت؟ قال لا، قال فابدأ أنت فاحجج عن نفسك ثم احجج عن شبرمة[7].

---

(1) خلاصة الكلام في أركان الإسلام، ص 270، 276 بتصرف.

(2) فقه السنة 533/1، ط4.

(3) شرح رياض الصالحين 593/2.

(4) سورة آل عمران الآية 97.

(5) فقه السنة 531/1 ط4.

(6) شرح رياض الصالحين 593/2.

(7) السنن الكبرى 181/5. وكذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

2 ـ أن تكون الطريق آمنة بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله.

3 ـ أن يكون مالكاً للزاد والراحلة، والمعتبر في الزاد: أن يملك ما يكفيه مما يصح به بدن، ويكفي من يعوله كفاية فاضلة عن حوائجه الأصلية، من ملبس ومسكن والمعتبر في الراحلة أن تمكنه من الذهاب والإياب.

وعن عمر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله ما يوجب الحج؟ قال الزاد والراحلة[1].

وفي رواية ابن عمر أيضاً في سنن ابن ماجة أضاف السائل قائلاً: يا رسول الله فما الحاج؟ قال: الشعث والتفل، وقام آخر فقال: يا رسول الله وما الحج؟ فقال العج والشج[2].

وتسقط الراحلة لمن كان قريباً من مكة ويستطيع المشي إليها.

المطلب الثامن

أركان الحج ومناسكه

للحج خمسة أركان، اثنان مجمع على ركنيتهما وهي الوقوف بعرفة وطواف الإفاضة، والثلاثة الباقية مختلف فيها وهي السعي بين الصفا والمروة ورمي الحجرات والحلق والتقصير.

وقبل ذكر أركان الحج لا بد للحاج من إحضار النية وتحقيق فعل الإحرام، فالنية (الإحرام) المعتبرة في الحج هي النية بالقلب لا اللفظ وله أن يقول (اللهم إني أريد الحج) وأما إذا أراد الحج والعمرة معاً فيقول (إني أريد العمرة والحج).

ويستحب تعيين الإحرام عند عقد النية لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالإحرام بنسك معين عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لبيك عمرة وحجاً لبيك عمرة وحجاً)[3].

---

(1) سنن الترمذي 177/3.

(2) قال وكيع: يعني بالحج العجيج بالتلبية، والشج نحر البدن، والشعث أي وسخ الجسد والتفل هو الذي ترك استخدام الطيب. انظر سنن ابن ماجة.

(3) صحيح مسلم، طبعة عز الدين، وعن حنظلة الأسلمي قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفسي بيده ليهل ابن مريم بفج الروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما) صحيح مسلم 87/3.

وأنواع النسك عند الإحرام ثلاثة[1]:

1 ـ الإفراد: وهو أن يهل بالحج مفرداً من الميقات بأشهر الحج.

2 ـ التمتع: وهو أن يهل بعمرة من الميقات في أشهر الحج فإذا فرغ منها أحرم بالحج من عامة، أي في اليوم الثامن.

3 ـ القران: أي أن يجمع بين الحج والعمرة في لبسه ويكونا بإحرام واحد.

ويستحب الاغتسال عند دخول مكة، وكان ابن عمر رضي الله عنه لا يقدم مكة إلا يأت (بذي طوى) حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهاراً ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فعله[2].

ويستحب دخول مكة من أعلاها، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله دخل عام الفتح من (كداء) من أعلى مكة[3].

ويشترط في الطواف حول الكعبة الطهارة من الحدث والنجاسة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليه رسول الله «قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذن في الناس إلا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»[4].

وعن عائشة رضي الله عنها أن أول شيء بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم مكة أنه توضأ ثم طاف بالبيت[5].

ومما جاء في فضل الطواف: حديث ابن عمر إذ قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة) [6].

ويستحب لمن رأى البيت أن يرفع يديه لحديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ترفع الأيدي في الصلوات وإذا رأى البيت وعلى الصفا والمروة وعشية عرفة ويجمع عند الجمرتين وعلى الميت)[7].

---

(1) فقه السنة 533/1 ط4.

(2) صحيح مسلم 62/4، دار إحياء التراث العربي، شرح صحيح البخاري للكرماني 99/8.

(3) صحيح مسلم 62/4 دار إحياء التراث العربي.

(4) شرح صحيح البخاري للكرماني 131/8، السنن الكبرى 87/5 ـ 88 وعزاه لمسلم والبخاري.

(5) السنن الكبرى 86/5 وعزاه للبخاري.

(6) سنن ابن ماجة 985/2.

(7) السنن الكبرى 72/5.

ويستحب في الطواف البدء بالحجر الأسود والاضطباع بالرداء[1].

عن ابن شهاب عن سالم عن أبيه قال رأيت رسول الله حين يقدم مكة يستلم الركن الأسود أول ما يطوف يخب ثلاثة أطواف من السبع[2].

ومما ذكر عن الحجر الأسود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت النبي يقبلك ما قبلتك[3].

ودليل الاضطباع بالرداء حديث ابن يعلى قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطبعاً ببرد أخضر والطواف حول البيت الحرام يكون بأشواط سبعة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمل[4] بالثلاثة الأولى ويمشي بالأربعة ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله[5].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمل الأشواط الثلاثة الأولى ويمشي الأربعة في طوافه حول الكعبة، فعن ابن عمر أن رسول الله كان يرمل الثلاثة الأولى ويمشي الأربعة ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله[6].

وعن أبي الطفيل يقول قلت لابن عباس إن قومك يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رمل وأنها سنة، قال: صدقوا وكذبوا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمت والمشركون على قعيقعان وكان أهل مكة قوم حسد فجعلوا يتحدثون بينهم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أروهم منكم ما يكرهون فرمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليري المشركين قوته وقوة أصحابه، وليست بسنة. قال: قلت إن قومك يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركن بين الصفا والمروة وإنها سنة قال صدقوا وكذبوا قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وكان أهل مكة قوم حسد

---

(1) معنى الاضطباع أن يجعل المجرم وسط الرداء تحت كتفه اليمنى ويرد طرفيه على كتفه اليسرى ويبقي كتفه الأيمن مكشوفة. ووقته في طواف القدوم في جميع الأشواط لا في الثلاثة التي يرمل فيها. انظر المنهاج ص 48.

(2) السنن الكبرى 73/5 وعزاه للبخاري.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 1167/8.

(4) يرمل: أي يسرع المشي مع مقاربة الخطو من غير وثب.

(5) السنن الكبرى 81/5.

(6) السنن الكبرى 81/5.

فخرجوا حتى أخرجت العواتق ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكـان رسـول الله صلـى الله عليه وسلم لا يدعون عنه قال يزيد يعني لا يدفعون عنه فركب وكان المشي أحب إليه)[1].

ويستحب استلام الحجر الأسود أو الإشارة إليه، وأن يصلي الحاج ركعتي الطواف.

عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال: لم يكون رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم يسـتلم أركان البيت إلا الركن الأسود الذي يليه من نحو دور الجمحين[2].

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف في حجة الوداع على بعير يستلم الركن بمحجن[3].

وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف بـالبيت فرمـل مـن الحجـر الأسود ثلاثاً ثم صلى ركعتين قرأ فيهما (قل ياأيها الكافرون) وقل هو الله أحد[4].

وإن لم يستطع الحاج استلام الحجر فعليه الإشارة والتكبير[5].

ويصلي الحاج ركعتين عند مقام إبراهيم عليه السـلام وفي حكمـهما رأيـان الأول إنـهما واجبتان لأنهما تابعتان للطواف فكانتا واجبتين كالسـعي، والثـاني (مندوبتـان) وهـو الراجـح لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي سأله عن الإسلام. فعن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثـائر الـرأس نسـمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال هـل علـيّ غـيرهن؟ قال: لا إلا أن تطوع وصيام شهر رمضان؟ فقال هل عليّ غيره؟ فقال: لا إلا أن تطوع وذكر لـه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة فقال هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع قـال: فـأدبر الرجل وهو يقول والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلـى الله عليـه وسـلم أفلح إن صدق[6].

---

(1) السنن الكبرى 82/5 وعزاه لمسلم.

(2) المحجن: عصاة معوجة الرأس. سنن ابن ماجة 982/2، أركان الكعبة أربعة: (1) الحجـر الأسـود وهـو قبلة أهل خراسان. (2) العراقي وهو قبلة أهل العراق. (3) اليماني وهـو قبلـة أهـل اليمـن. (4) الشـامي وهو قبلة أهل الشام. ولم يثبت من الاستلام الأربعة إلا الحجر الأسود والركن اليماني.

(3) السنن الكبرى 91/5 وعزاه للبخاري. سنن ابن ماجة 983/2.

(4) انظر المنهاج ص 51.

(5) انظر المنهاج ص 52 وعزاه للبخاري.

(6) صحيح مسلم بشرح النووي 141/1 ـ 142، مطبعة الشعب، القاهرة.

ووقت ومكان الركعتين: بعد الفراغ من الطواف، ويكون المقام بين المصلى والبيت الحرام ويقرأ فيها (قل هو الله أحد) و(قل يا أيها الكافرون) ولو صلاهما الحاج في أي مكان في المسجد الحرام وبأي سورة بنية ركعتي المقام فلا شيء عليه[1].

وعن ابن عمر قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة فطاف بالبيت ثم سعى بين الصفا والمروة ثم تلا ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2].

وبعد أن يطوف الحاج بالبيت ويصلي ركعتي الطواف يقوم بالسعي بين الصفا والمروة، وحكم السعي عند الفقهاء آراء ثلاثة هي[3]:

1 ـ سنة: لا يجب بتركه دم لقوله تعالى: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾[4].

2 ـ واجب: إن تركه صاحب النسك وجب عليه دم، وهو المروي عن أبي حنيفة وهو قول عائشة ومالك والشافعي ورواية عن أحمد.

عن جابر بن عبدالله السلمي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المسجد وهو يريد الصفا يقول: (تبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا)[5].

وعن ابن عمر قال: إن أسع بين الصفا والمروة فقد رأيت رسول الله يسعى وأمشي فقد رأيت رسول الله يمشي وأنا لشيخ كبير[6].

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا وقف على الصفا كبر ثلاثاً ويقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، يصنع ثلاثاً ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك[7].

والسعي لا يكرر فعن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول لم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً[8].

---

(1) انظر المنهاج ص 52.

(2) سورة الأحزاب الآية 21.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 148/8.

(4) المنهاج ص 53. وسورة البقرة الآية 158.

(5) السنن الكبرى 93/5.

(6) سنن ابن ماجة 995/2.

(7) سنن ابن ماجة 99/2.

(8) صحيح مسلم 71/4، دار إحياء التراث العربي.

وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ قال عاصم لأنس ابن مالك: أنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة، قال: نعم لأنها كانت من شعائر الجاهلية حتى أنزل الله (إن الصفا والمروة).. الآية[1].

وكيفية الطواف: يبدأ الحاج بالصفا، وينتهي بالمروة، «أي أن الشوط الواحد من السبعة يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة».

ثم يهل الحاج في اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم (التروية) فيلبس الحاج إحرامه ويلبي بالحج (لبيك اللهم لبيك) لقول جابر بن عبد الله (فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأهلوا بالحج وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، أمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تشك قريش إلا أنه واقف عن المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع في الجاهلية فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها)[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأحللنا حتى يوم التروية وجعلنا مكة بمظهر، فلبينا بالحج[3].

والتلبية وصيغتها عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل فلبينا يقول (لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)[4].

وحكمها سنة على الراجح لأنها ذكر فلم تجب في الحج كسائر الأذكار[5].

وطريقتها أن يرفع الصوت بها لأن الإهلال مأخوذ من استهل الصبي إذا صاح. عن خلاد بن السائب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال)[6].وتقطع التلبية عند رمي حجرة العقبة.

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 149/8 وانظر: السنن الكبرى 96/5.

(2) السنن الكبرى 111/5 ـ 112 وعزاه لمسلم.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 153/8.

(4) صحيح مسلم 8/4، دار إحياء التراث العربي.

(5) المنهاج ص 38.

(6) صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني 155/2، مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي، الرياض، إشراف المكتب الإسلامي، بيروت ط1، 1407هـ ـ 1986م.

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لبى حتى رمى حجرة العقبة[1].

ويلبي الحاج ويكبر إذا غدا من منى إلى عرفة.

فعن محمد بن أبي بكر الثقفي أنه سأل أنس بن مالك وهما غاديان من منى إلى عرفة كيف كنتم تصنعون في هذا اليوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كان يهل منا المهل فلا ينكر عليه ويكبر منا المكبر فلا ينكر عليه[2].

ومما ورد في باب النزول بمنى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت يا رسول الله ألا تبني لك بمنى بيتاً؟ قال (لا، منى مناخ من سبق)[3].

وعن عبد الله بن عمر عن أبيه قال عدونا مع رسول الله من منى إلى عرفات منا الملبي ومنا المكبر[4].

ثم يتوجه الحاج من منى إلى عرفة:

وعرفة كلها موقف لحديث علي رضي الله عنه قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال (هذا الموقف وعرفة كلها موقف)[5].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت قريش ومن دان ديدنها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس. وكان سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفة بها ثم يفيض منها فذلك قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [6].

وجاء في فضل يوم عرفة عن عمر بن الخطاب أن رجلاً قال له يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال أي آية قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[7] فقال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي فيه نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة[8].

---

(1) سنن ابن ماجة 1011/2.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 156/8 ـ 157.

(3) سنن ابن ماجة 1000/2.

(4) صحيح مسلم 72/4، دار إحياء التراث العربي.

(5) سنن ابن ماجة 1001/2.

(6) السنن الكبرى 113/5 وعزاه للبخاري ومسلم والآية من سورة البقرة 199.

(7) سورة المائدة الآية 3.

(8) السنن الكبرى 118/5 وعزاه للبخاري.

وعن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عرفة: أيها الناس إن الله عز وجل تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لكم إلا التبعات فيما بينكم ووهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل، فادفعوا بسم الله فلما كان يجمع قال إن الله قد غفر لصالحيكم وشفع صالحيكم في طالحيكم تنزل الرحمة فتعمهم ثم تفرق المغفرة في الأرض فتقع على كل تائب ممن حفظ لسانه ويده. وإبليس وجنوده على جبل عرفات ينظرون ما يصنع الله بهم فإذا نزلت المغفرة دعا هو وجنوده بالويل يقول كنت أستفزهم حقباً من الدهر ثم جاءت المغفرة فغشيتهم فيتفرقون وهم يدعون بالويل والثبور(1).

وعن ابن عباس عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفة مال إلى الشعب فقضى حاجته فتوضأ، فقلت يا رسول الله أتصلي فقال الصلاة أمامك(2).

وكان ابن عمر يجمع المغرب والعشاء بجمع غير أنه يمر بالشعب الذي أخذه رسول الله فينتفض ويتوضأ ولا يصلي حتى يصلي بجمع(3).

ويستحب الدعاء بعرفة فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبداً من النار من يوم عرفة وأنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: «ما أراد هؤلاء»..(4).

وعن ابن عباس قال رأيت رسول الله يدعو بعرفة ويداه على صدره كاستطعام المسكين(5).

ووقت الوقوف بعرفة هو من طلوع الفجر يوم عرفة إلى طلوع الفجر من يوم النحر.

عن عبد الرحمن بن يعمر الديلي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وأتاه ناس من أهل نجد فقالوا يا رسول الله كيف الحج؟ قال: «الحج عرفة فمن جاء قبل صلاة الفجر ليلة جمع فقد تم حجة أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه» ثم أردف رجلاً خلفه فجعل ينادي بهن»(6).

---

(1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي 256/3 ـ 257، دار الكتاب، بيروت، ط2، 1967.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 163/8.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 163/8.

(4) سنن ابن ماجة 1003/2.

(5) سنن ابن ماجة 1003/2.

(6) السنن الكبرى 117/5.

والخروج من عرفة إلى المزدلفة يجب أن يكون بسكينة ووقار.

فعن ابن عباس رضي الله عنه أنه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع النبي صلى الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس بإيضاع أوضعوا أسرعوا خلالكم من التخلل بينكم وفجرنا خلالهما بينهما[1].

وبعد وقفة عرفة يتوجه الحجاج إلى مزدلفة قال تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾[2].

ويجمع الحاج صلاتي المغرب والعشاء بمزدلفة بأذان وإقامتين، فعن جابر بن عبدالله أنه في حج النبي صلى الله عليه وسلم قال حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان وإمامتين ولم يصل بينهما شيء[3].

ويستحب الذكر في مزدلفة في كل وقت لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ ﴾[4].

واختلف العلماء في حكم المبيت بمزدلفة إلى رأيين يرى الأول أنه ركن وهو قول النخعي والشعبي لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِ ﴾[5] والرأي الثاني يرى أنه واجب وهو ما ذهب إليه عطاء الزهري والشافعي[6].

ويستحب تقديم ضعفة الأهل فيقفون بالمزدلفة ويدعون، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أنا ممن قدم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المزدلفة في ضعفة أهلة[7].

وأفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من المزدلفة قبل طلوع الفجر، فعن عمرو بن ميمون قال حججنا مع عمر بن الخطاب فلما أردنا أن نفيض من المزدلفة قال: إن المشركين

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 166/8.

(2) سورة البقرة الآية 198.

(3) السنن الكبرى 121/5 وعزاه لمسلم، وانظر شرح صحيح البخاري للكرماني 166/8.

(4) سورة البقرة الآية 198.

(5) سورة البقرة الآية 198.

(6) انظر المنهاج ص 58.

(7) شرح صحيح البخاري للكرماني 169/8.

كانوا يقولون: أشرق شبير كيما تغير وكانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس فخالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاض قبل طلوع الشمس[1].

والدفع من مزدلفة يكون بعد منتصف الليل وهذا لا خلاف فيه[2].

ثم يبدأ الحاج برمي الجمار وعددها سبع حصيات، ومكان أخذها قال عنه الإمام أحمد (خذ الحصى من حيث شئت)[3].

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه قال له غداة العقبة وهو على ناقته: ألقط لي حصى، فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: أمثال هؤلاء فارموا ثم قال: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنه أهلك من كان قبلكم)[4].

وعن عبد الله بن يزيد قال لما أتى عبد الله بن مسعود جمرة العقبة استبطن الوادي واستقبل الكعبة وجعل الجمرة على حاجبه الأيمن ثم رمى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ثم قال: (من ههنا والذي لا إله إلا غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة)[5].

وعن ابن عمر أنه رمى جمرة العقبة ولم يقف عندها وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم فعل مثل ذلك[6].

ورخص رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخير رمي الجمار بعذر، فعن أبي البداح بن عاصم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للرعاء أن يرموا يوماً ويودعوا يوماً[7].

ويقطع الحاج التلبية بعد رمي جمرة العقبة فعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لبى حتى رمى جمرة العقبة[8] ويستحب أن تكون حصى الجمار بقدر حصى الخذف، فعن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة بمثل حصى الخذف[9].

---

(1) سنن ابن ماجة 1006/2.

(2) انظر المنهاج ص 59.

(3) انظر المنهاج ص 60.

(4) سنن ابن ماجة 1008/2.

(5) سنن ابن ماجة 1008/2، وصحيح مسلم 79/4.

(6) سنن ابن ماجة 1009/2.

(7) سنن ابن ماجة 1010/2.

(8) سننن ابن ماجة 1011/2.

(9) صحيح مسلم 80/4 دار إحياء التراث العربي.

ويحل للحاج أن يتطيب إذا رمى جمرة العقبة فعن ابن عباس رضي الله عنه قال إذا رميتم فقد أحل لكم كل شيء إلا النساء فقال له رجل يا ابن عباس والطيب؟ فقال أما أنا فقد رأيت رسول الله يمضخ رأسه بالمسك أفطيب ذلك أم لا؟[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت طيبت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أحرم ولإحلاله حين أهل[2].

والوقت المختار لرمي جمرة العقبة بعد زوال الشمس، فعن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة أول يوم ضحى وهي واحدة وأما بعد ذلك فبعد زوال الشمس[3].

وترمى الحجرات الثلاثة الصغرى والوسطى والكبرى كل واحدة بسبع حصيات بعد الزوال والترتيب واجب بين الجمرات، والمتعجل يمكث يومي التشريق ويخرج قبل مغيب شمس يوم الثاني عشر من ذي الحجة والمتأخر يجلس يوم الثالث عشر ويرمي بعد الزوال[4].

عن جابر بن عبد الله قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى جمرة العقبة ضحى وما بعد ذلك فبعد زوال الشمس[5].

وينحر الحاج أضحيته في اليوم العاشر من ذي الحجة[6]، ووقت فضيلتها بعد طلوع الشمس[7]، والسنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى فأتى الجمرة

---

(1) سنن ابن ماجة 1011/2.

(2) سنن ابن ماجة 1011/2.

(3) صحيح مسلم 80/4.

(4) المنهاج ص 60.

(5) سنن ابن ماجة 1104/2.

(6) تسمى أيام منى أيام نحر وأيام التشريق هي الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة وحكم المبيت بمنى أيام التشريق عند الإمام أحمد عندما سأل عن ترك المبيت فقال لا شيء وقد أساء من قال بوجوب المبيت لحديث ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص للعباس بن عبد المطلب أن يبيت بمكة من أجل سقايته فأذن له وتخصيص العباس بالرخصة دليل على أنه لا رخصة لغيره انظر المنهاج ص 64.

(7) المنهاج ص 60.

فرماها ثم أتى منزلة بمنى ونحر ثم قال للحلاق خذ وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس[1].

ومما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ [2].

عن أبي جمرة قال سألت ابن عباس عن المتعة فأمرني بها وسألته عن الهدي فقال فيها جزور أو بقرة أو شاة أو شرك في دم قال: وكأن ناساً كرهوها. فنمت فرأيت في المنام كأن إنساناً ينادي حج مبرور ومتعة متقبلة وأتيت ابن عباس فحدثته فقال الله أكبر سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم[3].

ووقت الهدي على الراجح يوم النحر ويومان بعده ومكانه (منى ومكة) لحديث جابر بن عبدالله (منى ومكة وكل فجاج مكة طريق ومنحر وكل عرفة موقف. وكل المزدلفة موقف)[4].

والسنة في الذبح تشمل الغنم والبقر أما الإبل فإنها تنحر قائمة ويقول الذابح بعد أن يوجهها للقبلة، بسم الله والله أكبر، وتنحر الإبل مقيدة فعن زياد بن جبير رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها فقال ابعثها قياماً مقيدة بسنة محمد صلى الله عليه وسلم[5].

ويأكل الحاج منها ويوزع للفقراء والمساكين ولا يعطي الجزار شيئاً، فعن علي رضي الله عنه: قال: أمرني رسول الله أن أقوم على البدن ولا أعطى عليها شيئاً في جزارتها[6].

---

(1) صحيح مسلم 82/4، دار إحياء التراث العربي.

(2) سورة البقرة الآية 196.

(3) شرح صحيح البخاري للكرماني 175/8.

(4) سنن ابن ماجة 1013/2.

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني 188/8.

(6) شرح صحيح البخاري للكرماني 190/8.

ولا حرج على الحاج أن ينحر بعد الحلق أو قبله فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر فحلقت قبل أن أنحر فقال: «إن أنحر فقال أذبح ولا حرج ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر فنحرت قبل أن أرقي فقال ارم ولا حرج، قال فما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج»[1].

ويجوز للحاج ركب البدن لقوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

عن مجاهد قال سميت البدن لبدنها والقانع والسائل والمعتر الذي يعتر بالبدن من غني أو فقير وشعائر استعظام البدن واستحسانها والعتيق عتقة من الجبابرة ويقال: «وجبت سقطت إلى الأرض ومنه وجبت الشمس»[3].

ومما جاء في باب الإشعار والتقليد بذي الحليفة عن المسورين مخرمة ومروان قالا: خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة في بضع عشرة مائة من أصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشعر وأحرم بالعمرة[4].

ومما ورد في إشعار البدن فعن المسور رضي الله عنه قال: قلد النبي صلى الله عليه وسلم الهدي وأشعره وأحرم بالعمرة[5].

ويجوز للحاج أن يذبح عن النساء عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت سمعت عائشة تقول خرجنا مع رسول الله لخمس بقين من ذي العقدة لا نرى إلا الحج فلما دنونا من مكة

---

(1) صحيح مسلم 83/4، دار إحياء التراث العربي، وشرح صحيح البخاري للكرماني 199/8 ـ 200.

(2) سورة الحج الآية 36 ـ 37.

(3) شرح صحيح البخاري 176/8.

(4) شرح صحيح البخاري للكرماني 180/8.

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني 188/8.

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يكن معه هدي إذا طاف وسعى بين الصفا والمروة أن يحل، قالت «فدخل علينا يوم النحر بلحم فقلت ما هذا قال نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أزواجه قال يحيى فذكرته للقاسم فقال أتتك بالحديث على وجهه»[1].

وفي باب الحلق والتقصير فالأفضلية للحلق على التقصير، قال نافع كان ابن عمر يقول حلق رسول الله في حجة الوداع[2].

ويبدأ الحلق بالشق الأيمن ثم بالشق الأيسر لحديث أنس بن مالك قال لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة ونحر نسكه وحلق ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الأيسر فقال احلق فحلقه فأعطاه أبا طلحة فقال اقسمه بين الناس[3].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم اغفر للمحلقين، قالوا وللمقصرين قالها ثلاثاً قال وللمحلقين»[4].

وجاء في باب المتمتع بعد العمرة عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبالصفا والمروة ثم يحلقوا أو يقصروا[5].

والأصلع يمرر الموسى فقط. وحكمه الوجوب عند أبي حنيفة، وقال ابن المنذر ليس بواجب لأن الحلق محله الشعر فسقط بعدمه كما يسقط وجوب غسل العضو في الوضوء بفقده[6].

وثبت عن ابن عمر أنه قلم أظافره وأخذ من شاربه بعد الحلق[7].

والركن المجمع على ركنيته عند العلماء طواف الإفاضة وسمي كذلك لأن الحاج يأتي به عند إفاضته من منى إلى مكة وحكمه لا يتم الحج إلا به لقوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[8].

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 186/8 ـ 187.

(2) شرح صيح البخاري 196/8، والسنن الكبرى 134/5.

(3) السنن الكبرى 134/5 وعزاه لمسلم.

(4) شرح صحيح البخاري للكرماني 197/8.

(5) شرح صحيح البخاري للكرماني 197/8.

(6) المنهاج ص 61.

(7) المنهاج ص 61.

(8) سورة الحج الآية 129.

ولحديث ابن عباس رضي الله عنه قال رخص للحائض أن تنفر إذا أفاضت[1] وصفته كصفة طواف القدوم سوى أنه ينوي به طواف الإفاضة ولا رمل فيه ولا اضطباع[2] ويستحب الإتيان بطواف الإفاضة يوم النحر[3].

وطواف الوداع هو آخر عهدهم بالبيت لحديث ابن عباس رضي الله عنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت، إلا أنه خفف عن الحائض[4].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال كان الناس يتصرفون كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينفرن أحد حتى يكون آخره عهده بالبيت[5].

وحكم طواف الوداع الوجوب لرواية عائشة رضي الله عنها عندما قالت: (حاضت صفية بنت حيي بعدما أفاضت) فقال عائشة رضي الله عنها فذكرت ذلك لرسول الله قال (أحابستنا هي) فقلت إنها قد أفاضت ثم حاضت بعد ذلك قال رسول الله (فلتنفر)[6].

وما خرج قبل الوداع أن كان قريباً رجع وإلا بعث بدم[7].

ويعمد الحاج بعد طواف الإفاضة إلى أن يصلي ركعتين خلف المقام ويشرب من ماء زمزم.

ويستحب زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن سلمان الأغر أنه سمع أبا هريرة يخبر أن رسول الله قال إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد مسجد الكعبة ومسجدى ومسجد إيلياء والصلاة في مسجدى أحب إلى من ألف صلاة في غيره إلا مسجد الكعبة[8].

كما يستحب زيارة مسجد قباء، فعن ابن عمر قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً يصلي فيه ركعتين[9].

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 212/8.

(2) المنهاج ص 62.

(3) انظر صحيح مسلم 84/4 ـ 85، دار إحياء التراث العربي.

(4) شرح صحيح البخاري للكرماني 1011/8.

(5) سنن ابن ماجة 1020/2.

(6) سنن ابن ماجة 1021/2.

(7) المنهاج ص 65.

(8) السنن الكبرى 244/5 وعزاه لمسلم.

(9) صحيح مسلم 127/4، دار إحياء التراث العربي.

وعن ابن عمر أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قباء يعني كل سبت كان يأتيه راكباً أو ماشياً[1].

كما يستحب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم. وكان ابن عمر إذ قدم من سفر دخل المسجد ثم أتى القبر فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليكم يا أبتاه[2].

المطلب التاسع

حج المرأة

يجب الحج على المرأة كما يجب على الرجل، إذا استوفت الشروط العامة في الحج ويزاد عليها أن يصحبها زوج أو محرم.

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا مع ذي محرم) [3].

واختلف العلماء في المحرم الذي تخرج معه المرأة فقالوا يجب أن يكون بالغاً عاقلاً.

قال ابن سيرين تخرج مع رجل من المسلمين. قال تخرج مع حرة مسلمة ثقة[4].

واستدل المجيزون لسفر المرأة من غير محرم ولا زوج إذا وجدت رفقة مأمونة، إذا كان الطريق آمناً مستدلين بأن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حججن بعد أن أذن لهن عمر رضي الله عنه في آخر حجة حجها أو بعث معهن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما[5].

ويرى فريق من الفقهاء أن المرأة يستحب لها أن تستأذن زوجها في الحج الفرض، فإن أذن لها خرجت، وإن لم يأذن لها خرجت بغير إذن لأن ليس للرجل الحق في منعها من أداء فريضة فرضها الله عليها لأنها عبادة وجبت عليها بعد أن توافرت فيها كل شروط الحج بهذا الرأي أخذ إبراهيم النخفي وأحمد وإسحق وأبو ثور وأصحاب الرأي[6] وطائفة أخرى من

---

(1) السنن الكبرى 248/5 وعزاه للبخاري.

(2) السنن الكبرى 245/5.

(3) صحيح مسلم 103/4، دار إحياء التراث العربي، السنن الكبرى 227/5 برواية ابن عمر.

(4) المنهاج للمعتمر والحاج ص 29، فقه السنة 535/1 ط4.

(5) فقه السنة 535/1 ط4.

(6) انظر فقه السنة 536/1 ط4.

الفقهاء ومنهم الشافعي يرون إن أهلت بغير إذن ففيه قولان: أحدهما أن تكون كمن أحصر فتذبح وتقصر وتحل. والآخر عليه تخليتها[1].

ومما جاء في طواف النساء مع الرجال حديث عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي قالت شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي أشتكي فقال (طوفي من وراء الناس وأنت راكبة فطفت ورسول الله حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور) [2].

ونهى رسول الله المرأة عن لبس القفازين والنقاب وما مس الورس والزعفران من الثياب ولتلبس بعد ذلك ما أحبت من ألوان الثياب معصفراً أوخزاً أو حلياً أو سراويل أو قميصاً وخفاً.

قال أبو داوود وروى الحديث جماعة إلى قوله (والزعفران من الثياب)[3].

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبس الثياب المصبوغة بالورس والزعفران، فعن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبس ثوب مصبوغ بورس أو زعفران[4].

فعن ابن عمر أنه قال ليس على النساء سعي بالبيت ولا بين الصفا والمروة[5].

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا معشر النساء ليس عليكن رمل بالبيت لكن فينا أسوة[6].

وليس على النساء حلق ولكن يقصرن فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس على النساء حلق إنما على النساء التقصير[7].

وعن ابن عباس قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: إني اكتتبت في غزوة كذا وكذا وامرأتي حاجة قال: فارجع معها[8].

---

(1) السنن الكبرى 224/5، وانظر فقه السنة 535/1 ط4.

(2) شرح صحيح البخاري للكرماني 129/8، السنن الكبرى 78/5.

(3) السنن الكبرى 52/5.

(4) السنن الكبرى 53/5 وعزاه للبخاري ومسلم، السنن الكبرى 84/5. وعزاه للشافعي.

(5) السنن الكبرى 84/5 وعزاه للشافعي.

(6) السنن الكبرى 84/5.

(7) السنن الكبرى 104/5.

(8) ابن ماجة 968/2، السنن الكبرى 226/5.

وأجمع أهل العلم على أن الرجل له حق منع زوجته من الخروج إلى حج التطوع[1].

والنفساء والحائض تهل بالحج، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: أنفست أسماء بنت عميس بالشجرة فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يأمرها أن تغتسل وتهل[2].

والحائض تقضي المناسك كلها إلا الطواف، فعن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نرى إلا الحج فلما كنا بسرف أو قريباً من سرف حضت فدخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال ما لك؟ أنفست؟ قلت نعم قال: (إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم فاقضي المناسك كلها غير أن لا تطوفي بالبيت. قال وضحى رسول الله عن نسائه بالبقر)[3].

والحائض تنفر قبل أن تودع فعن عائشة قالت حاضت صفية بنت حيي بعدما أفاضت، قالت عائشة فذكرت ذلك لرسول لله فقال: أحابستنا هي؟ فقلت إنها قد أفاضت ثم حاضت بعد ذلك. فقال رسول الله (فلتنفر)[4].

المطلب العاشر

حج الصبي والعبد والنيابة عن الكبير العاجز

ويجوز الحج للصبيان، فإن بلغوا مبلغ الرجال فعليهم حجة الإسلام، وإن لم يؤدها فقد قضى حجته.

عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي ركباناً فقال: من القوم؟ قالوا المسلمون: فقالوا: من أنت؟ قال: رسول الله فرفعت إليه امرأة صبياً فقالت: ألهذا حج؟ فقال: نعم ولك أجر[5].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم[6].

---

(1) انظر السنن الكبرى 224/5.

(2) سنن ابن ماجة 971/2.

(3) سنن ابن ماجة 988/2 وانظر شرح صحيح البخاري للكرماني 149/8.

(4) سنن ابن ماجة 1021/2.

(5) سنن ابن ماجة 110/2 صحيح مسلم 101/4 دار إحياء التراث العربي. شرح رياض الصالحين 595/2.

(6) سنن ابن ماجة 110/2.

وللصبي الحاج ثواب فتكتب له الحسنات دون السيئات فضلاً من الله ورحمة، كما يشمل الثواب لمن حج عنه وقام عليه بالفرائض ومتطلبات الحج[1].

قال ابن عباس رضي الله عنه اسمعوني ما تقولون وافهموا ما أقول لكم ألا لا تخرجوا فتقولوا قال ابن عباس: أيما غلام حج به أهله فبلغ مبلغ الرجال فعليه الحج فإن مات فقد قضى حجته وأيما عبد مملوك حج به أهله فيعتق فعليه الحج وإن مات فقد قضى حجته[2].

(إن الصبي إذا حج في حال صغره والعبد إذا حج في حال رقه ثم بلغ الصبي وعتق العبد فإن عليهما حجة الإسلام إذا وجدا إليها سبيلاً، والعبد ليس لن أن يحرم بغير إذن سيده فإن فعل انعقد إحرامه صحيحاً لأنها عبادة بدنية كالصلاة والصيام) [3] والصبي المميز من حيث الإحرام يحرم عنه وليه خلافاً للحنفية ورجح الإحرام لحديث ابن عباس المتقدم للمرأة التي رفعت ولدها للنبي صلى الله عليه وسلم[4].

وتجوز الإنابة لغير المستطيع نحو ما كان مريضاً لا يرجى زواله أو نحو ذلك، والمكان الذي يحج منه النائي إما من بلده أو من الموضع الذي أحصر فيه إلا أن لم يكن يملك المبلغ الذي يحج به من حيث يكفي ماله[5].

عن ابن عباس عن الفضل أن امرأة من خثعم قالت: يا رسول الله إن أبي شيخ كبير عليه فريضة الله في الحج وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم فحجي عنه[6].

ولم يجوز أبو حنيفة الاستئجار في الحج وجوزها مالك والشافعي[7].

ومن توفي وقد وجب عليه الحج سقط عنه الحج فإن وصي به فهي من الثلث وقيل لا يسقط لأنه حق استقر عليه تدخله بالنيابة فلم يسقط بالموت كالدين[8].

---

(1) شرح رياض الصالحين 595/2 بتصرف.

(2) السنن الكبرى 179/5.

(3) المنهاج ص 30.

(4) راجع سنن ابن ماجة 110/2، وصحيح مسلم 101/4، دار إحياء التراث العربي.

(5) صحيح مسلم 101/4، والسنن الكبرى 335/4.

(6) صحيح مسلم 147/3 ـ 148، مؤسسة عز الدين للطباعة ج1، بيروت، 1407 هـ ـ 1987م.

(7) انظر المنهاج ص 30.

(8) انظر المنهاج 969/2 ص 32.

وإذا كان النائب لم يحج حجته المفروضة ففيه رأيان فالأوزاعي والشافعي قالا لا يقع الحج باطلاً ولا يصح عنه ولا عن غيره والثاني أن ليس له أن يحج عن غيره ومن حج عنه وقع عن حجه لرواية ابن عباس في حديث شبرمة[1].

المطلب الحادي عشر

حكمة الحج

لم يفرض الله سبحانه وتعالى فريضة إلا وجعل لها من الحكم والفوائد ما لا تعد ولا تحصى، ويخفى معظمها على العارفين، ويتجلى بعضها بياناً وهدى للناس كي يزدادوا إيماناً وقرباً من الله جل شأنه.

ومن حكم الحج العديدة ما يلي:

1 ـ إن الحج فريضة تضمنت كل الفرائض الروحية والبدنية والمالية التي تضمنتها فرائض الروح والبدن، فالروح فريضته العقيدة والإيمان، وفريضة البدن (العبادات) والإيمان عقيدة روحية والصلاة والصيام فريضتان بدنيتان والزكاة فريضة مالية.

وفي الحج تجتمع كل هذه الفرائض فالحاج ما لم يستعد روحياً وبدنياً لأداء هذه المناسك لم يؤد حقه بل وسيقط عنه وجوبه. فعليه اجتناب الأعمال الشركية لله تعالى وأن يجعل نيته خالصة لوجهة الكريم، وعليه كذلك أن يكون صحيح البدن خال من كل علة تعيقه عن أداء فروض الحج، كما عليه أن يملك ما يكفيه مما يقوي به بدنه، بعد أن يؤمن ما يكفي من يعيل من الحوائج الأساسية من مسكن وملبس.

2 ـ إن الحج كان خاتمة العبادات فبعد أن حج الرسول صلى الله عليه وسلم حجة الوداع نزلت بعرفة آخر آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [2] وعندها خطب النبي صلى الله عليه وسلم خطبة جمعت كل التوجيهات المهمة اللازمة والتي تضمنت من الأحكام ما لم يتضمنه أي قول شريف آخر صلى الله عليه وسلم.

---

(1) سنن ابن ماجة 969/2، عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول لبيك عن شبرمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شبرمة؟ قال قريب لي: قال: هل حججت قط؟ قال: لا، قال: فاجعل هذه عن نفسك ثم حج عن شبرمة.

(2) سورة المائدة الآية 3.

3 ـ وفي رحلة المؤمن إلى الحج تعبير صادق عن توجه قلبه لبارئه لإعلان العبودية المطلقة له تعالى، وبأصوات وحناجر مؤمنة وفدت من شتى البقاع ليعلنوا للملأ كمال العبودية والوحدانية لله تعالى.

وقال صلى الله عليه وسلم: (اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) [1].

وقد ضيق الرسول صلى الله عليه وسلم السبيل في وجه تجسيم المعاناة الكبيرة في السفر، وشد الرحال إلى المساجد والأضرحة بقوله المأثور: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى) [2].

وحكمة ذلك أن يقي المسلمين من فتنة القبور والمشاهد وما يتبع ذلك من الخوف باتخاذها كعبة بدل الكعبة الشريفة يؤمها الناس فينسوا بيت الله المعظم.

وأصل رمي الحجارة[3] يرجع إلى عهد خليل الله إبراهيم عليه السلام عندما عرض عليه الشيطان عند جمرة لإغوائه فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض[4].

وذهب جمهور العلماء إلى أن رمي الحجارة واجب وليس بركن وإن تركه يجبر بدم، لما رواه أحمد ومسلم والنسائي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يرمي الجمرة على راحلته يوم النحر ويقول: (لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه) [5].

قال أبو الزبير إنه سمع جابر بن عبد الله يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم رمى الجمرة بمثل حصى الخذف[6].

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ، انظر فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد ص 245.

(2) صحيح مسلم 1014/2، دار إحياء التراث العربي، وابن حجر في بلوغ المرام ص 123، وقال رواه البخاري ومسلم عن حديث أبي سعيد الخدري.

(3) الجمرة هي الحصاة الصغيرة، والجمار التي ترمى ثلاث كلها بمنى وهي:

أ ـ جمرة العقبة على يسار الداخل إلى منى.

ب ـ الوسطى بعدها وبينهما: 17.77 متراً.

جـ ـ والصغرى وهي التي تلي مسجد الحيف وبين الصغرى والوسطى 15.4 متر.

انظر مختار الصحاح ص 102، وفقه السنة 642/1.

(4) فقه السنة 615/1 ط4.

(5) صحيح مسلم 116/3، طبعة عز الدين، ط1، بيروت.

(6) صحيح مسلم 117/3، طبعة عز الدين، والخذف، الربي والمراد هنا الرمي بالحصى الصغار.

ويعتبر السعي (تردد على فناء الملك (وهو الله تعالى) جائياً وذاهباً مـرة بعـد أخـرى يظـهر إخلاصه في خدمته، ويرجو ملاحظته بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخـرج وهـو لا يدري ما الذي يفعله الملك به من قبول أو رفض) [1].

وفيه أيضـاً (لجـوء إلى الله في كشـف الضـر وغفـران الذنـوب وصـلاح النفـوس لأن في ذلـك الموضع كشف الله الضر عن هاجر وولدها إسماعيل، وفجر لها نبع زمزم) [2].

والوقوف بعرفة في اليوم التاسـع مـن ذي الحجـة يمثـل مؤتمـراً سـنوياً دعـت إليـه الإرادة الربانية ليجدد فيه البيعة على الطاعـة والعبوديـة لخالقـهم بمـا أفـاض عليـهم مـن النعـم والبركات الخيرية، وفيه. . . تجديـد الشـخصية والانخـلاع عـن المـاضي المشـوب بـالإثم والباطل وتجديد العهد مع الله على استئناف حياة نظيفة مستقيمة[3].

إن الشحنة الروحية والعاطفية التي يمنحها الحج للحجاج تمثل (الحب لله ولرسـوله ولمـن عزروه ونصروه وابتغوا النور الذي أنزل الله وتوقظ فيه مشـاعر الأخـوة لأبنـاء دينـه في كـل مكان وتوقد في صدره شعلة الجماعة الدينية والغيرة على حرماته) [4].

إن روح الحج في الإسلام تختلف كثيراً في شعائره عن بقية الأديان الذين أولـوا اهتماماتـهم في هذه الفريضة بقبور أنبيائهم ومشاهدهم الأخرى من كنائس وأديرة، وتعمدوا عدم الزيـارة أو الحج إلى الكعبة المشرفة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام.

قال الفخر الرازي (حج الكعبة ملة إبراهيم، واليهود والنصارى لا يحجون فيدلل هذا على كذبهم في ذلك) [5].

ولم يقف تعظيم الكعبة على المسلمين الموحديـن بـل كـانت الأمـم المختلفـة تعظمـها وتعلـو شأنها (فكانت الهنود يعظمونها ويقولون إن روح (سيفا) هو الأقنوم الثالث عندهم حلـق في الحجر الأسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز. وكانت الصابئة مـن الفرس والكلدانيـين يعدونها أحد البيوت السبعة المعظمة وربما قيل إنه بيت زحل لقدم عـهده وطـول بقائـه. وكانت الفرس يحترمون الكعبة أيضاً زاعمين أن روح هرمز حلت فيها وربمـا حجـوا إليـها

(1) خلاصة الكلام في أركان الإسلام ص 286.

(2) المصدر ذاته ص 287.

(3) روح الدين الإسلامي ص 264.

(4) العبادات في الإسلام ص 303.

(5) مفاتيح الغيب ـ الفخر الرازي 155/4. دار الفكر ط3، بيروت. 1405هـ ـ 1985م.

زائرين، وكانت اليهود يعظمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم وكان بها صور وتماثيل منها تمثال إبراهيم عليهما السلام وبيده الأزلام ومنها صورتا العذراء مريم والمسيح عليهما السلام)[1].

ومما ينتفع به الحاج تسخير الله سبحانه (للبدن ـ الإبل الضخام التي جعلناها لكم من إعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجة وفيها خير لكم وهو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها واشكروا الله على تسخيرها لكم، بأن أردتم بنحرها وجه الله وعملتم بما ندبكم إليه وأمركم به في أمرها)[2].

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا[3] أن يتجروا في الموسم فنزلت الآية: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [4].

أما حكمة السعي بين الصفا والمروة ففيها يستحضر المسلم فقره وذله وحاجته إلى الله تعالى والالتجاء إليه في تطهيره من الذنوب.

(والسعي هو السير بسرعة تزيد على المشي وتقل عن الركض. وهو كان موجوداً قبل الإسلام فأبقاه كذكرى لحادثة تاريخية وأول من سعى بين الرابيتين هي أم إسماعيل زوجة إبراهيم باحثة عن الماء لولدها الظامئ إسماعيل، والجاهليون احتفظوا بهذه الشعيرة وبقي السعي بين الصفا والمروة نقياً من شوائب الشرك والوثنية) [5].

4 ـ تتجلى في موسم الحج الوحدة في أبهى صورها، متمثلة بالهدف والعمل، فهو وحدة في المشاعر ووحدة في الهدف ووحدة في العمل، ووحدة في القول لا أقلية ولا عنصرية ولا عصبية للون أو جنس أو طبقية، إنما هم جميعاً مسلمون برب واحد يؤمنون ببيت واحد وبكتاب واحد يقرؤون ولرسول واحد يتبعون ولأعمال واحدة يؤدون[6].

---

(1) الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مج 3 ص 361 ـ 362.

(2) الميزان في تفسير القرآن 362/3.

(3) أي تحرجوا.

(4) البخاري 34/6، والآية من سورة البقرة 198.

(5) روح الدين الإسلامي ص 264.

(6) العبادة في الإسلام ص 36.

يقول المرحوم المفسر سيد قطب في الحج والحجاج (ويجدون رايتهم التي يفيؤون إليها. . . راية العقيدة التي تتوارى في ظلها فوارق الأجناس والألوان والأوطان، ويجدون قوتهم التي قد ينسونها حيناً. قوة التجمع والتوحد والترابط الذي يضم الملايين التي لا يقف لها أحد لو فاءت إلى رايتها الواحدة التي لا تتعدد راية العقيدة والتوحد) [1].

5 ـ لقد أراد الله سبحانه أن يكون موسم الحج دائراً مع السنة القمرية فأشهر الحج معلومة تبدأ بشوال وتنتهي بذي الحجة، وفي ذلك حكمة وهي أن يكون المسلم على استعداد لتحمل المشقة، كما أنه فرصة لتبادل المنافع التجارية حيث يتبادل الحجاج بضائعهم من شتى المنافع غير آثمين بل مأجورين مباركين من لدن خالقهم.

قال صاحب تفسير المنار (كان بعض المشركين وبعض المسلمين يأثمون في أيام الحج من كل عمل حتى كانوا يقفلون حوانيتهم، فعلمهم الله أن الكسب طلب فضل من الله لا جناح فيه مع الإخلاص. وقوله تعالى (من ربكم) يشعر بأن ابتغاء الرزق مع ملاحظة أنه فضل من الله تعالى نوع من أنواع العبادة، وروي أن عمر (رضي الله عنه) قال لسائل في هذا المقام (وهل كنا نعيش إلا على التجارة)[2].

وجاء في بيان معنى قوله تعالى: (ليشهدوا منافع لهم) (أي ليحضروا المنافع الدنيوية والأخروية ففيها التعارف والتآلف والتوادد ومنها ذكر الله أيام النحر على هداياهم وضحاياهم التي يذبحونها في ذلك اليوم ليأكلوا منها ويطعموا البائس والفقير) [3].

6 ـ ومن حكم الحج أنه مرحلة استجمام وراحة بال وهدوء للأعصاب، ويشعر الحاج أنه في رعاية الله وعنايته فتصفو نفسه وتسمو روحه، وكم من مريض كان الحج بلسم شفائه، إذ فيه الإقلال من الطعام وفيه نشيد للرب تعالى الذي يؤثر في الجسم ويزيد في قوة الهضم ويهدئ الأعصاب ويرتوي الحاج من ماء زمزم الذي ينهل منه، وهو مفيد لما يحويه من الصودا والجير والأحماض وغير ذلك من الأملاح المعدنية وهو يفيد للمعدة والأمعاء والكبد والكليتين[4].

7 ـ إن في كل منسك من مناسك الحج حكمة فرضها الله سبحانه وتعالى فيها اعتبار وموعظة للمسلم.

---

(1) في ظلال القرآن 595/5.

(2) العبادة في الإسلام ص 305.

(3) خلاصة الكلام في أركان الإسلام ص 283.

(4) بين الطب والإسلام ص 95 ـ 96.

فحكمة الإحرام متأتية من أن (العرب كانت تضرب الحمى لمراعيها، أي تجعل لها حدوداً لا تتعداها القبائل الأخرى وكان العزيز منهم من يتخذ له متسعاً من الأرض يجعله حمى له، إلى أن جاء الإسلام فأبطل كل حمى إلا حمى الله، وجعل لبيته (الكعبة) حرماً ومواقيت لا يتعداها من يريد الدخول إلى الحرم إلا إذا كان على وصف معين فإذا دخل المسلم في الإحرام حرم عليه أن يتخذ أي وسيلة من وسائل الرفاهية والزينة أو التطيب وفيه غرس لحب الإسلام واستئصال روح الكراهية والبغضاء والدعوة إلى العيش متحابين. يقول المحرم عندما يرى البيت الحرام (اللهم أنت السلام ومنك السلام، حيناً ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً)[1].

أما حكمة هذا الامتناع (أن الحج عبادة الغرض منها التقرب إلى الله تعالى وإيحاء للنفس بالتقشف والزهد في متع الحياة. والارتفاع والسمو فوق المادة وأنه رياضة النفس على المشقة)[2].

فحكمة الطواف حول الكعبة تتمثل في أنه (دوران القلب حول قدسية الله، صنع المحب الهائم من المحبوب المنعم إذ ترى نعمته ولا تدرك ذاته)[3].

كما أنه (تمثيل لصورة طواف قلوبهم برب هذا البيت، والبيت إنما هو مكان طاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر، وإن استلام الحجر الأسود المسمى (يمين الله) إنما هو بمنزلة مبايعة العبد ربه على أن لا يعصي له أمراً ولا نهياً فإذا صمم العزم على الوفاء بتلك البيعة استحق من الله الرضا والكرامة ومن غدر في المبايعة استحق منه المقت والخذلان)[4].

إن طواف الحاج سبعة أشواط جاعلاً الحجر الأسود نقطة الابتداء والطواف هو بمثابة تحية للكعبة التي أول بيت وضع لعبادة الله وهو يشبه بالملائكة الحافين بعرش الله الطائفين حوله المسبحين له لا يفترون، وفي هذا من سمو الروح ما فيه، والحجر الأسود هو حجر الزاوية للكعبة، وقد وضع كشعار أو رمز إلى أن هذا هو الذي خلقه إبراهيم، وقد كانت العرب يحتفظون به كلما تغير البناء[5].

---

(1) روح الدين الإسلامي ص 261.

(2) روح الدين الإسلامي 262 بتصرف.

(3) العبادة في الإسلام ص 301.

(4) خلاصة الكلام في أركان الإسلام ص 285 ـ 286.

(5) روح الدين الإسلامي ص 263.

يحاول أعداء الإسلام الانتقاص منه بإدخال الأباطيل والخرافات في شعائره مستهدفين هدمه، ومنها أن سنة تقبيل الحجر الأسود هي بقايا الوثنية الجاهلية، ومما ينقض هذا الاتهام أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبّل الحجر الأسود وقال إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك[1].

قال أبو حامد الغزالي: (وأما رمي الجمار فيقصد الرامي به الانقياد للأمر، وإظهاراً للرق والعبودية، وانتهاضاً لمجرد الامتثال، من غير حظ للنفس والعقل في ذلك[2].

المطلب الثاني عشر

ما يباح للحاج وما لا يباح له

يباح للحاج المحرم الاحتجام والتعليق والمتاجرة وأن يقف في الظل وقتل الفواسق الخمسة، فالاحتجام هو أخذ الدم من الرأس، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو صائم محرم[3].

ويجوز للمحرم تعليق شيء بالرقبة للضرورة ككيس النقود والسيوف مثلما فعل ذلك الصحابة في صلح الحديبية.

أما المتاجرة فلا حرج في العمل بها لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[4].

وأبيح للحاج قتل الفواسق الخمس بدليل ما روته عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل خمس فواسق في الحرم إذ قال صلى الله عليه وسلم: (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والغراب الأبقع والفأرة والكلب العقور والحدأة)[5].

وعلى المحرم أن يجتنب الفسق والفجور والجدال لقوله تعالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ﴾[6].

---

(1) شرح صحيح البخاري للكرماني 116/8، وانظر: بلوغ المرام لابن حجر العسقلاني ص 133، وقال رواه البخاري ومسلم.

(2) فقه السنة 615/1 ط4.

(3) سنن ابن ماجة 1029/2.

(4) سورة البقرة الآية 198.

(5) سنن ابن ماجة 1031/2.

(6) سورة البقرة الآية 187. الرفث: الجماع، الفسوق: السباب، الجدال: المراء.

كما لا يجوز له حلق شعر رأسه لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ﴾[1].

المطلب الثالث عشر

العمـــــــرة

أصلها من الزيارة، والجمع (العمر) ويقال اعتمره أي زاره[2] وقيل هي زيارة مكة في غير موسم الحج[3].

واعتمر النبي صلى الله عليه وسلم أربع عمر في حياته، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: اعتمر رسول الله أربع عمر: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء من قابل، الثالثة من الجعرانة والرابعة التي مع حجته[4].

ويستحب الإحرام بالعمرة من الجعرانة، فعن قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي مع حجته في ذي الحجة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة وعمرة من الجعرانة حين قسم غنيمة حنين في ذي القعدة، وعمرته مع حجته[5].

وقيل الإحرام من التنعيم فعن عبد الرحمن بن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يردف عائشة فيعمرها من التنعيم[6].

وجاء في فضلها أحاديث كثيرة، منها عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العمرة، العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)[7].

والعمرة ليست بواجبة، فعن جابر بن عبدالله قال أتى أعرابي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أخبرني عن العمرة أواجبة هي؟ قال: لا وأن تعتمر خير لك[8].

---

(1) سورة البقرة الآية 196.

(2) مختار الصحاح ص 454..م. دار الكتاب العربي ط1، 1967 بيروت.

(3) شرح رياض الصالحين للإمام النووي 591/2.

(4) سنن ابن ماجة 999/2، دار إحياء الكتب العربية.

(5) السنن الكبرى للبيهقي 357/4.

(6) السنن الكبرى للبيهقي 357/4، وانظر: السنن للترمذي 274/3 ـ 273.

(7) السنن الكبرى 261/5، سبل السلام 248/2.

(8) سبل السلام 249/2 ـ 250.

ويرى ابن عمر ليس أحد إلا وعليه حجة وعمرة[1]. قال ابن عباس: إنها لقرينتها في كتاب الله وأتموا الحج والعمرة لله [2].

وذهب الأحناف ومالك إلى أن العمرة سنة لحديث جابر المتقدم أعلاه[3].

وعند الشافعية وأحمد أنها فرض لقوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) وقد عطفت على الحج وهو فرض فهي فرض كذلك[4].

وذهب جمهور العلماء إلى أن وقت العمرة جميع أيام السنة واتفقوا أن جوازها في أشهر الحج[5] وجوزوا أداءها قبل الحج، فقد اعتمر عمر رضي الله عنه في شوال ورجع إلى المدينة دون أن يحج[6].

(قال طاووس: كان أهل الجاهلية يرون العمرة في أشهر الحج أفجر الفجور، ويقولون: إذا انفسخ صفر وبرأ الدبر[7] وعفا الأثر حلت العمر لمن اعتمر، فلما كان الإسلام أمر الناس أن يعتمروا في أشهر الحج فقد حلت العمرة في أشهر الحج إلى يوم القيامة) [8].

ووردت أحاديث كثيرة حول إفراد الحج عن العمرة وكذلك من قرن الحج والعمرة معاً، فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرد الحج[9].

وعن أنس بن مالك قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فسمعته يقول (لبيك عمرة وحجة) [10] وقد اعتمر الصحابة مرات عدة.

(قال نافع: اعتمر عبد الله بن عمر أعواماً في عهد ابن الزبير، عمرتين في كل عام، وقال القاسم: إن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في سنة ثلاث مرات فسئل: هل عاب ذلك

---

(1) عمدة القارئ 106/10.
(2) عمدة القارئ 107/10.
(3) فقه السنة 634/1 ط4.
(4) فقه السنة 634/1 ط4.
(5) فقه السنة 634/1.
(6) فقه السنة 633/1.
(7) الدبر: نقر خف البعير، وقيل القرح يكون في ظهر الدابة. وعف الأثر: أي زال أثر الحج من الطريق وانمحى بعد رجوعهم.
(8) فقه السنة 633/1 ط4.
(9) سنن ابن ماجة 988/2. دار إحياء الكتب العربية.
(10) سنن ابن ماجة 988/2.

عليها أحد؟ قال: سبحان الله، أم المؤمنين؟ وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم، ذكره مالك تكرارها في العام أكثر من مرة) [1].

وميقات الذي يريد العمرة، إما أن يكون خارج مواقيت الحج التي بينها الله تعالى في قوله: (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وقوله تعالى: (الحج أشهر معلومات) وأجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج شوال وذو القعدة واختلفوا في ذي الحجة هل هو بكامله من أشهر الحج أو عشر منه؟ أو أن يكون المعتمر داخل مواقيت الحج. فإن كان خارجها فلا يحل له مجاوزتها بلا إحرام[2].

---

(1) فقه السنة 633/1 ط4.

(2) فقه السنة 635/1 ط4.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البرية رسولنا الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، فبعد هذه الرحلة الكاشفة لأوجه العبادات في الأديان، أوجز النتائج التي توصلت إليها بفضل الله وعونه.

1 ـ إن الغريزة الدينية قد رافقت الإنسان في مسيرته الحياتية منذ أن خلقه الله تعالى فهو لم ينفك يفكر في أمر معبوده. وما يجب عليه تقديمه من فروض الطاعات، فالأديان الوضعية ـ وإن كانت لبناتها الأولى من وضع مؤسسيها ـ إلا أنها لم تكن لتبتعد في تقديم تلك الفروض عما في الأديان السماوية شكلاً ظاهراً فقط، هذا إذا استثنينا فترات من التاريخ البشري عرفت التوحيد أو إنها توصلت إليه عن قرب.

2 ـ إن الله تعالى أنزل ـ على العموم ـ ديناً واحداً على الناس جميعاً هو الإسلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [1]. وهذا في المعنى اللغوي، أما اصطلاحاً فقد سمى الله تعالى الدين الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم بالإسلام قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [2] فبعد مبعث الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لا يطلق لفظ (الإسلام) على الديانات السابقة له إنما يطلق على الدين المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [3].

3 ـ والعبادات جميعها هي (شعائر توفيقية تؤخذ بأوضاعها وأشكالها ولا يتجه الاعتراض إلى وضع من أوضاعها إلا أنه يمكن أن يتجه إلى الوضع الآخر لو استبدل منها ما يقترحه المقترح بما جرى عليه العمل وقامت عليه الفريضة من نشأتها) [4].

(1) سورة آل عمران الآية 19. وانظر الآيات التالية: سورة البقرة الآية 157، 132 و133. سورة الذاريات الآية 31، 36، سورة يوسف الآية 101، سورة يونس الآية 84 و90. سورة الأعراف الآية 120 ـ 126. سورة المائدة الآية 44. سورة آل عمران الآية 52، سورة النحل الآية 32.

(2) سورة المائدة الآية 3.

(3) سورة آل عمران الآية 85.

(4) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقاد، ص 30، مطبعة مصر، ط1، 1953.

4 ـ إن كثيراً ما يعرف الدين بعباداته لا بعقائده وربما استدلوا على العقائد بالعبادات لأن العبادة فرع من العقيدة[1] فمتى اتضحت الأركان الأساسية للعبادات المتمثلة بالصلاة والزكاة والصيام والحج، وتعمقت في نفوس المؤمنين بها تشريعاً وتطبيقاً، لا يقبل التغيير أو التحريف صح ذلك الدين وهذا ما ينطبق وحده على الدين الإسلامي إذ لم يحصل فيه تغيير في عباداته فتشريعها واحد وتطبيقها واحد على مر العصور.

5 ـ أصاب التحريف والتغيير والتبديل الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية كلتيهما فقلما نجد توافقاً في أداء الطقوس التعبدية شكلاً تارة ومضموناً تارة أخرى. فاليهودية اختلفت فرقها في الأخذ بتشريعات دينهم ففرقة يرون التوراة بأسفارها الخمسة فقط، هي التي يعول عليها فقط في تبني أحكام العبادات، وفرقة أخرى ترى في كتب الأنبياء والصحف المقدسة تشريعات مكملة لما في التوراة. وهنالك فرقة أخرى ترى في التلمود منزلة تساوي في التقديس منزلة العهد القديم ككل، إن لم تفضلها على العهد القديم، وطبيعي اتباع أمر كهذا ينشئ خلافاً في اتباع الطقوس ناهيك عن خلاف العقيدة الأصلية لأن العبادات عند اليهود والنصارى أنهم يرون العبادة من خلال اجتهاد الأحبار والرهبان لا بإنزال الله تعالى لها فإذا ما استهوتهم طقوس دينية ما أدخلوها في دينهم، أما الإسلام فلا يجوز فيه ابتداع عبادات جديدة لأن مصدرها واحد ومشرعها واحد وهو الله جل شأنه.

6 ـ تأثرت الديانتان اليهودية والمسيحية بأديان قديمة سبقتهم في الظهور فأثرت فيهم بشكل ملحوظ عقائدياً ومن ثم في شكل الطقوس التعبدية. فاليهود أشركوا في الله تعالى رغم وجود الأنبياء وسطهم، واقتبسوا من الأمم بعض ملامح عباداتهم واستمر هذا التأثير فترة طويلة، إلى مجيء الإسلام فطغى تأثيره عليهم وخاصة في فرض الصلاة وهيئتها.

أما الديانة المسيحية فقد تأثر جوهرها العقائدي بعقائد الأمم القريبة منها فتأثروا بالمعتقدات الوثنية الفارسية والهندية واليونانية فابتعدوا عن التوحيد الحق، وجعلوا فروض العبادة تقدم لله تعالى وللمسيح عليه السلام في شراكة ما أنزل الله بها من سلطان، كما أنهم وجدوا في تطبيق شعائر الله وأركان عباداته المتمثلة بالصلاة والزكاة والصيام والحج بطقوس ملزمة التحديد، هيئة واحدة فيه تكرار ممل للعبادة لا لشيء ما بل لأن اليهود قد عمدوا برياء إلى التعبد للمباهاة أمام الناس أنهم يطبقون شعائر الله وهو دليل ضعيف الحجة، فتكرار هيئة

---

(1) حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص 30.

الصلاة مثلاً ركوعاً وسجوداً ليس فيه ملل إذا ما استشعر المؤمن حلاوة الطاعة والذل والانقياد لله تعالى بركوع وسجود، فالمؤمن أقرب ما يكون إلى الله وهو راكع ساجد تترنم شفتاه وقلبه وجميع أحاسيسه بحب الله. وطلب مغفرته وتوبته والرجاء في قبول عمله الصالح.

7 ـ لاحظت ومن خلال حضوري المتكرر لطقوس العبادة في الديانتين السماويتين اليهودية والمسيحية أن أداء فرض الصلاة لا ينعقد بالصورة التي يأتي بها المسلمون في صلواتهم الجماعية فاليهودي له حق التكلم مع من يجلس بجانبه أثناء الصلاة وله أن يضحك أو يقرأ شيئاً من الكتب الدينية رغم أن إمام الصلاة يتولى قراءة الأذكار وأسفار من التوارة. أما المسيحي فصلاته لا تعدو أن تكون محاضرة دينية يستمع خلالها الحاضرون للقس أو القائم بالصلاة حيث يشرح فيها ما ورد في الكتاب المقدس والجميع جالسون لا يؤدون جميع الحركات المطلوبة منهم جلوساً ووقوفاً وركوعاً وسجوداً وكلها تدل على جمال هيئة الصلاة وبرتيبة واحدة من غير ملل الجلوس فقط أو الوقوف لثانية أو ثانيتين.

8 ـ تزايد الصيحات من داخل الديانتين اليهودية والمسيحية إلى ضرورة الحاجة لبلورة وتنقيح وتهذيب الكتاب المقدس، خاصة العبادات، فباعتراف بعض القساوسة أنه لا يستطيع إجابة أحد سائليه عن مقدار الزكاة (العشر) الواجب دفعه للمحتاجين رغم وجود نصه الصريح في العهد القديم خوفاً من تطبيق مبدأ الشريعانية التي يرفضونها جملة وتفصيلاً. كما أن وجود بعض النصوص التي لا يتلاءم وجودها في الكتاب الأدبي فضلاً عن الكتاب المقدس.

9 ـ لقد بخست الديانتان اليهودية والمسيحية فرض الصيام كثيراً ولم توليه الاهتمام مثلما عمد الإسلام إلى ذلك، فما فائدة صيام اليهود يوماً واحداً؟ وما مدى تأثيره الروحي على سلوكيات الإنسان؟ أما المسيحي فيرى في فرض الصوم أمراً محبباً للنفوس وإن تاركه ليس بآثم رغم وروده في كتابهم المقدس في مواضع كثيرة.

10 ـ خطورة نظرتهم للعبادات بتكييفها حسب أهوائهم وحاجتهم إليها كما في فرض الحج رغم وجود النصوص الدالة عليه، فاليهودي اليوم غير ملزم بالحج للقدس، والمسيحي لا يعترف به كفرض واجب، بل إن البعض من فرقهم فيه أصلاً فرض طاعة، وإن وجوده أو عدمه سيان.

وفي الختام أسأل الله تعالى السداد والرشاد وأن يجنبنا الزلل والخلل ومعذرة عن كل تقصير أو نقص فهي صفة الإنسان لأنه لا يستطيع الوصول للكمال فالكمال لله وحده.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا الله، أستغفرك وأتوب إليك وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أ ـ المصادر والمراجع العربية بعد القرآن الكريم:

ـ أ ـ

1 ـ الألباني، محمد ناصر الدين، **صحيح سنن ابن ماجة**، مكتب التربية العربي لدول الخليج. إشراف المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى 1407هـ ـ 1986م، بيروت.

2 ـ إباحي عبدالله، **المذهب الروحاني**، 1386هـ ـ 1966م (بدون ذكر مكان الطبع والمطبعة).

3 ـ ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، **جمهرة اللغة**، مكتبة المثنى، بغداد.

4 ـ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، دار إحياء التراث العربي، 1373هـ ـ 1954م.

5 ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن سعيد بن حزم، **الفصل في الملل والنحل**، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة 1384هـ ـ 1964م.

6 ـ ابن تيمية، **العبودية**، دار الكتب العلمية، مطبعة منير، بغداد.

7 ـ ابن تيمية، **الجواب الفسيح لمن بدل دين المسيح**، مطابع المجد.

8 ـ ابن النديم، **الفهرست**، مكتبة ضياء، بيروت، 1964م.

9 ـ ابن حيان، عبد الله بن محمد بن يوسف بن علي الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، مطبعة السعادة ط1، 1328هـ.

10 ـ ابن كثير، **تفسير ابن كثير القرشي**، دار الأندلس، بيروت، دار الفكر، عمان 1406هـ.

11 ـ أبو صادق، **تحقيق التفليم**، دار البصري، بغداد.

12 ـ أبو زهرة، محمد، **مقارنة الأديان**، مطبعة النصر، مصر 1965م.

13 ـ أبو داوود، سلمان بن الأشعث، **سنن أبي داوود**، تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار إحياء السنة النبوية، القاهرة.

14 ـ أبو طبة، أحمد التهامي، **الصلاة في الأديان الثلاثة**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1401هـ ـ 1981م.

15 ـ أبو السعود، **تفسير أبي السعود**، دار العصور، القاهرة، 1928م.

16 ـ الأحمد، سامي سعيد (د.)، **المدخل إلى تاريخ العالم القديم**، مطبعة جامعة بغداد، 1978م.

17 ـ الأحمد، سامي سعيد (د.) **الأسس التاريخية للعقيدة اليهودية**، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1969.

18 ـ أرمان، أدولف، **ديانة مصر القديمة**، ترجمة ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، د. محمد أنور شكري.

19 ـ أسود، عبد الرزاق محمد، **الموسوعة الفلسطينية**، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

20 ـ أسود، عبد الزراق محمد، **المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان**، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

21 ـ استيندروف، **ديانة قدماء المصريين**، تعريب سليم حسن، مطبعة المعارف المصرية، ط3.

22 ـ أندريه إيمار، وجانت أو بواويـة، **تاريخ الحضارات العام**، ترجمة: فريد م داغر. وفؤاد ج. أبو ريحان. منشورات سويدات، بيروت، باريس، ط2 1986م.

23 ـ آل شيخ، عبد الرحمن بن حسين، **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، تحقيق محمد حامد فقي، مطبعة السنة المحمدية، ط7، القاهرة 1377هـ.

24 ـ الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم**، المطبعة الميرية، مصر.

25 ـ أغناطيوس، مار، **التحفة الروحية في الصلاة الفرضية**، مطبعة الأمة، بغداد.

- ب -

26 ـ باركلي. وليم، **تفسير العهد الجديد**، إنجيل متى من الإصحاح الأول والإصحاح الثاني عشر، نقلها إلى العربية القس فايز فارس ط2، إصدار دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة.

27 ـ البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، مكتبة لبنان.

28 ـ البروسوي، إسماعيل حقي: **روح البيان**، دار الفكر.

29 ـ بتري. أ.: **مدخل إلى تاريخ الرومان وآدابهم وآثارهم**، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مطبعة دار الكتب جامعة الموصل 1977.

30 ـ البستاني، بطرس: **دائرة المعارف**، طبعة طهران.

31 ـ البياتي، منير (د.)، فاضل شاكر النعيمي: **النظم الإسلامية**، مطبعة التعليم العالي، بغداد 1987م.

32 ـ بوتير جان: **الديانة عند البابليين**، ترجمة د. وليد الجادر، مطبعة الجمهورية بغداد، 1970م.

33 ـ بيولاي، روبير: **التيار الشرقي السرياني**، آلة طابعة.

34 ـ بدوي، أحمد زكي: **تاريخ التطور الديني**، مطبعة المجلة الجديدة، مصر.

35 ـ باقر، طه، وآخرون: **تاريخ العراق القديم**، مطبعة جامعة بغداد 1980م.

36 ـ بوست، جورج: **قاموس الكتاب المقدس**، المطبعة الأميركانية، بيروت 1894م.

37 ـ البغدادي، العلامة أبو البركات نعمان خير الدين الأفندي الألوسي: **الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح**، لاهور، ط1، 1304هـ.

38 ـ البغدادي، الإمام أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن علي بن محمد الجوزي القرشي: **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ط1، دمشق.

39 ـ البيروتي، محمد بن طاهر: **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، تحقيق: د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الصحوة ط1، 1410هـ ـ 1989م، القاهرة.

40 ـ بوست، جورج (د.): **فهرس الكتاب المقدس**، طبع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى، ط4، 1969م.

41 ـ البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، **تحقيق ما للهند من مقولة في العقل أو مرذولة**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1958م.

42 ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت 458): **السنن الكبرى**، ط1، 1352هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1352هـ.

43 ـ البخاري، محمد بن إسماعيل (ت 256هـ): **صحيح البخاري**، طبع البابي الحلبي وشريكاه، القاهرة، 1378هـ ـ 1958م.

44 ـ ابن حنبل، أحمد (ت 241هـ): **مسند أحمد**، المطبعة الميمنية، مصر 1313هـ.

45 ـ بارو. ر. هـ: **الرومان**، ترجمة عبد الرزاق يسري، مراجعة سهير القلماوي، دار نهضة مصر، 1968م.

46 ـ ابن ميمون، موسى: **دلالة الحائرين**، تحقيق حسين أتاي، جامعة أنقرة، 1974.

- ج -

53 ـ الجوهري: **الصحاح في اللغة والعلوم**، إعداد وتصنيف نديم مرعشلي، دار الحضارة العربية، ط1، 1974م.

54 ـ الجوزية، ابن القيم: **زاد المعاد في هدي العباد**، طبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1367هـ ـ 1948م.

55 ـ جوهري، طنطاوي: **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، ط2، مصطفى البابي الحلبي، مصر.

56 ـ جنسيبير، شارل: **المسيحية نشأتها وتطورها**، ترجمة: د. عبد الحكيم محمود، المكتبة العصرية، بيروت.

57 ـ جرجيس، صبري (د.): **التراث اليهودي والفكر اليهودي**، مطبعة مخيمر، ط1، 1970م.

58 ـ جلال، ألفت (د.): **العقيدة الدينية والنظم التشريعية**، المطبعة الفنية الحديثة، مصر.

59 ـ الجوزية، الإمام شمس الدين، محمد بن أبي ابن قيم: **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، مطابع يوسف بيضون، بيروت، ط1، 1403هـ ـ 1981م.

60 ـ جعفر، محمد كمال إبراهيم: **الإسلام بين الأديان**، دار العلوم، القاهرة، 1978م.

61 ـ الجرح، محمد سالم (د.): **التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية**، مطبعة المدني، القاهرة، 1965م.

- ح -

47 ـ حوى، سعيد (الله): دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1980م.

48 ـ الحكيم، محمد عبد العزيز: **الفتوحات الربانية في تفسير ما ورد في القرآن من الأوامر الإلهية**، 1325هـ.

49 ـ حافظ، عبد السلام هاشم: **الصيام في التاريخ**، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- خ -

50 ـ خان، ظفر الإسلام: **التلمود تاريخه وتعاليمه**، دار النفائس، بيروت، ط7، 1989م.

51 ـ الخطيب، عبد الكريم: **المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل**، دار المعرفة، ط2، بيروت، 1396هـ ـ 1976م.

52 ـ الخطيب، علي (د.): **الصيام من البداية حتى الإسلام**، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1980م.

- د -

62 ـ داوود الأب، جرجيس: **أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري**، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ ـ 1988م.

63 ـ الدباغ، تقي: **الفكر الديني القديم**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1992م.

64 ـ **دستور الكنيسة الإنجيلية بمصر**، مطبعة دار نوبار، القاهرة، ط1، 1985م.

65 ـ دورانت، ول: **قصة الحضارة**، ترجمة: محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر.

66 ـ دراور، الليدي: **الصابئة المندائيون**، ترجمة: نعيم بدوي وغضبان رومي، مكتبة خياط، بيروت 1964م.

67 ـ دراز، محمد عبدالله: **الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**، مطبعة السعادة، مصر.

68 ـ **دائرة المعارف الإسلامية**، طبعة طهران، وطبعة الشعب، مصر.

69 ـ ديب، سهيل: **التوارة تاريخها وغاياتها**، ترجمة: دار النفائس، ط1، بيروت، 1972م.

70 ـ الدملوجي: **تاريخ الإله، الكتاب الثالث في الديانة العبرية**، بغداد، 1954م.

71 ـ الدملوجي: **تاريخ الإله، الكتاب الرابع، في الديانة المسيحية**، دار المعارف، مصر، 1950م.

72 ـ الدرويش، عبد الباسط خيل محمد: **دراسات في فقه الحديث وعلومه**، مخطوط منهجي يدرس في كلية التربية جامعة البصرة.

ـ ذ ـ

73 ـ الذغبي: **الطب النبوي: المطبوع بذيل كتاب تسهيل المنافع لابن الأزرق**، مكتبة النهضة، بغداد.

ـ ر ـ

74 ـ الرازي، الإمام فخر الدين: **اعتقاد فرق المسلمين والمشركين**، مراجعة وتحرير علي سامي النشار، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1938م، مصر.

75 ـ الرازي، الإمام محمد فخر الدين: ابن ضياء ابن عمر: **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، طبعة طهران، طبعة دار الفكر، ط3، 1405هـ ـ 1985م.

76 ـ الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر: **مختار الصحاح**، دار الرسالة، الكويت، 1403هـ.

77 ـ الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر الخطيب: **النبوءات وما يتعلق بها**، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار ابن زيدون، ط1، 1406هـ ـ 1986م، بيروت.

78 ـ الربيعي، جاسم صكبان: **نصارى العراق في العصر الأموي**، رسالة ماجستير، آلة طابعة، قسم التاريخ، جامعة بغداد، 1974م.

79 ـ رضا، محمد رشيد: **النصارى وحجج الإسلام**، مطبعة المنار، ط1، 1322هـ.

80 ـ رضا، محمد رشيد: **تفسير المنار**، مطبعة محمد صبيح، الأزهر 1375هـ.

81 ـ رومي، غضبان: **تعاليم دينية لأبناء الصابئة**، مطبعة الجاحظ، بغداد، 1972م.

ـ ز ـ

82 ـ الزهيري، عبد الفتاح: **الموجز في تاريخ الصابئة المندائيين، العرب البائدة**، نقحه فريد عبد الزهرة المنصور، مطبعة أركان، ط1، بغداد، 1983م.

ـ س ـ

83 ـ الساموك، سعدون محمود، د. رشدي عليان: **تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية**، دار الكتب، جامعة الموصل.

84 ـ سابق، السيد: **فقه السنة**، دار الكتاب العربي، ط8، بيروت 1407هـ ـ 1987م، وطبعة دار الفكر العربي، ط4، ط10، 1983م.

85 ـ ساكا، إسحق: **تفسير القداس**، دمشق، 1963م.

86 ـ السمرقندي، نصرين محمد بن إبراهيم: **تنبيه الغافلين**، دار المعرفة، بيروت.

87 ـ سنتاؤس، إسحق: **تاريخ المسيح**، الطبعة المصرية، الإسكندرية، 1904م.

88 ـ سوسه، أحمد: **العرب واليهود في التاريخ**، دار الحرية، بغداد، 1972م.

89 ـ السبزواري، عبد الأعلى الموسوي: **دروس فقهية (الزكاة)**، دار العلم، بيروت.

90 ـ سيد طنطاوي، محمد: **تفسير الوسيط للقرآن الكريم**، مطبعة السعادة، ط2، مصر 1408هـ ـ 1987م.

ـ ش ـ

91 ـ الشافعي: **الأم**، نشر دار الشعب، 1388هـ ـ 1968م، مطبعة شركة الطباعة الفنية، ط1، مصر 1381هـ ـ 1961م.

92 ـ الشرقاوي، محمود: **الأنبياء في القرآن الكريم**، مطبوعات الشعب، مصر، 1390هـ ـ 1970م.
93 ـ الشريف، محمود (د.): **الأديان في القرآن**، مطبعة دار المعارف، مصر، 1970م.
94 ـ الشطي، أحمد شوكت: **الوجيز في الطب**، مطبعة جامعة دمشق، 1379هـ ـ 1960م.
95 ـ الشطي، أحمد شوكت: **الموجز في تاريخ الطب**، مطبعة جامعة دمشق 1379هـ ـ 1960م.
96 ـ الشلبي، أحمد رؤوف (د.): **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**. دار البشير، مصر 1985م.
97 ـ شلبي، أحمد: **مقارنة الأديان (الإسلام)** مطبعة السنة المحمدية، ط4، مصر، 1973م، ومطبعة النهضة المصرية، ط3، 1972م.
98 ـ شلبي، أحمد: **مقارنة الأديان (المسيحية)**، النهضة المصرية، ط6. القاهرة، 1978م.
99 ـ شلبي، أحمد: **مقارنة الأديان (اليهودية)**، ط4، 1973م.
100 ـ شلبي، متولي يوسف: **أضواء على المسيحية**، الدار الكويتية، ط2، 1973م.
101 ـ الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم: **الملل والنحل**، مطبعة الحيدري، بمبي، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1961م.
102 ـ الشوك، علي: **الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة**، دار السلام، لندن.
103 ـ شنودة، زكي: **موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية**، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1974م.
104 ـ شنودة، زكي: **المسيح شخصيته وشريعته وطبيعته**، مطبعة العالم العربي، مصر، 1975م.

ـ ص ـ

105 ـ الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، دار العلم، ط5، بيروت، 1406هـ.
106 ـ الصنعاني، الأمير: **سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، دار الفكر، بيروت.

ـ ط ـ

107 ـ الطباطبائي، محمد حسين: **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط3، 1973م.
108 ـ طبارة، عفيف عبد الرحمن: **روح الدين الإسلامي**، دار العلم، ط21، بيروت.
109 ـ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن: **مجمع البيان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
110 ـ الطبري: **تفسير الطبري**، دار الفكر العربي، بيروت، 1978م، المطبعة الأميرية، مصر.
111 ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد: **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مطبعة الزهراء الحديثة، ط2، 1409هـ ـ 1989م.
112 ـ طعيمة، صابر (د.): **التاريخ اليهودي العام**، دار الجيل، بيروت.
113 ـ طهطاوي، محمد عزت: **النصرانية والإسلام**، مطبعة التقدم، مصر.

ـ ظ ـ

114 ـ ظاظا، حسن: **الفكر الديني الإسرائيلي ـ أطواره ومذاهبه ـ** معهد البحوث والدراسات العربية، الإسكندرية، 1971م.

ـ ع ـ

115 ـ عبد الباقي، محمد فؤاد: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

116 ـ عبد العزيز، منصور حسين: **دعوة الحق والحقيقة بين المسيحية والإسلام**، مطابع مذكور، مصر.
117 ـ المهندس، عبد الوهاب أحمد: **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، دار غريب للطباعة.
118 ـ عبده، محمد: **الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية**، دار الحداثة، لبنان، 1983م.
118 ـ العسقلاني، ابن حجر: **فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.
119 ـ العسقلاني، ابن حجر: **بلوغ المرام الأحكام**، تحقيق رضوان، دار الكتب العربية، 1373هـ، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ ـ 1986م، بيروت.
120 ـ علي، سيد أمير: **روح الإسلام**، تعريب عمر الديراوي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1968م.
121 ـ عليان، رشدي (د.)، سعدون محمود الساموك: **الأديان، دراسة تاريخية مقارنة**، دار الحرية، بغداد، 1976م.
122 ـ العنداري: **سلاحك المسيحي**، مطبعة المرسلين اللبنانيين، لبنان، 1930م.

ـ غ ـ

123 ـ الغزالي: **إحياء علوم الدين**، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1302هـ، دار المعرفة، الزاوية التيجانية الكبرى، القاهرة.
124 ـ الغوابي، حامد (د.): **بين الطب والإسلام**، دار الكتاب العربي، القاهرة 1967م.

ـ ف ـ

125 ـ فارس، إبراهيم: **سبل المسيح**، دار منهل الحياة، لبنان، 1988م.
126 ـ فاضل، محمد: **الحراب في صدر البهائية البابية**، دار التقدم 1326هـ.
127 ـ **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**: سلسلة الآداب والعلوم الإسلامية، الدار التونسية، ط1، 1986م.
128 ـ **فجر المسيحية: الكتاب الثاني**، رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى، المطبعة الأمريكانية، بيروت 1956م.
129 ـ فرزلي، أغناطيوس: **التعليم المسيحي الأرثوذكسي**، مطبعة أناتولي، الإسكندرية.
130 ـ فكري، علي: **خلاصة الكلام**، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1367هـ ـ 1948م، مصر.
131 ـ الفنجري، أحمد شوقي (د.): **الطب الوقائي في الإسلام**، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1985م.
132 ـ الفيروزأبادي: **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت.

ـ ق ـ

133 ـ قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، ط2، مصر، دار المعرفة، ط7، 1971م.
134 ـ القرطبي: **تفسير القرطبي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ـ ك ـ

135 ـ كاظم، سلامة حسين: **مفهوم النبوة في الأديان الثلاثة**، رسالة دكتوراه، آلة طابعة، كلية العلوم الإسلامية. جامعة بغداد.
136 ـ كامل مراد (د.): **الكتب التاريخية في العهد القديم**، المطبعة الفنية الحديثة، مصر.

137 ـ كايرمان جوزيف: **حكمة الأديان الحية**، ترجمة: حسين الكيلاني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1964م.
138 ـ **الكتاب المقدس**: (أنا الألف والياء)، دار المشرق، بيروت، 1989م.
139 ـ **كتاب المزامير**: مترجم عن الفرنسية، مجموعة من العلماء اللاهوتية. المطبعة الأمريكانية، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، 1984م، ومطبعة دار الشروق، بيروت.
140 ـ **الكتاب المقدس**: بطبعات عديدة، منها دار المشرق، بيروت 1983م. مطبعة المرسلين اللبنانيين. المطبعة الكاثوليكية، فنلندا، 1993م.
141 ـ الكرملي، ناصر الدين أبو الفتوح، **الصوم في القديم والحديث**، مطبعة الكونكرد.
142 ـ كوب، لوسيان **مدخل للعهد الجديد**: آلة طابعة، منهج يدرس في كلية بابل للفلسفة واللاهوت، بغداد.
143 ـ الكوراني، علي سيدو: **زرادشت والزرداشتية**، مطبعة المجمع العلمي الكردي، بغداد، 1975م.

ـ ل ـ

144 ـ لابوم، جول: **تفصيل آيات القرآن الحكيم**، نقلها إلى العربية، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
145 ـ لوتسك، هارفي: **عبادات وتقاليد اليهود**، تعريب مصطفى محمد، مطبعة الوطن، ط1، الكويت، 1989م.
146 ـ لويس، القس يوسف: **شرح التعليم المسيحي**، مطبعة البوتيري، مصر، 1939م.
147 ـ لوبون، غوستاف: **اليهود في تاريخ الحضارات الأولى**، نقلها إلى العربية: عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، مصر، 1970م.

ـ م ـ

148 ـ **موطأ مالك** (ت 179هـ): مطابع شركة الإعلانات الشرقية 1389هـ، **المطبوع مع تنوير الحوالك للسيوطي**.
149 ـ محمود، هادي حسين: **منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية**، رسالة ماجستير، آلة طابعة، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد.
150 ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الأندلس، بيروت.
151 ـ **معجم اللاهوت الكتابي**: مجموعة الباحثين.
152 ـ **مناظرة بين الإسلام والنصرانية**: مجموعة متناظرين مسلمين ومسيحيين، طبع الإدارة العامة لإدارة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، الرياض، 1407هـ.
153 ـ المنذري، زكي الدين عبد العظيم (ت 656هـ): **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**، تعليق مصطفى محمد عمارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ ـ 1986م.
154 ـ **موسوعة الكتاب المقدس**: مجموعة الباحثين، دار منهل الحياة، لبنان، 1993م.
155 ـ **الموسوعة اليهودية (باللغة العبرية)**: إصدار مجموعة العلماء اليهود، تل أبيب.
156 ـ منصور ابن كمونة سعيد: **تنقيح الأبحاث في الملل الثلاث**، مطبوعات جامعة كاليفورنيا، 1967م.

157 ـ محمد، عبد القادر محمد (د.): **الديانة في مصر الفرعونية**، دار المعارف، القاهرة، 1984م.
158 ـ **المعجم الوجيز**، المركز العربي للثقافة والعلوم، ط2، بيروت، 1973م.
159 ـ مراني، ناجية: **مفاهيم صابئية مندائية**، مطبعة شركة التايمس، ط2، بغداد، 1988م.
160 ـ المنوفي، السيد محمود أبو الفيض: **الدين المقارن**، دار النهضة، مصر، ط1، مصر، 1970م.
161 ـ الموصلي، داوود الحلبي (د.): **القنديداد**، تعليق ونقل عن الفرنسية، مطبعة: الاتحاد الجديدة، موصل، 1972م.
162 ـ موريون، جان ـ **لويس ماسيينون**: ترجمة منى النجار، بيروت، ط1، 1988م.
163 ـ ميخائيل، نجيب (د.): **مصر والشرق الأدنى القديم**، مؤسسة المطبوعات الحديثة، ط3، مصر.

ـ ن ـ

164 ـ ناجي، س: **المفسدون في الأرض**، الكتاب العربي، ط2، دمشق، 1963م.
165 ـ نجم، الشيخ رافد عبدالله: **الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية**، مطبعة شركة التايمس، بغداد، 1988م.
166 ـ نجم، الشيخ رافد عبدالله: **التعميد المندائي**، ترجمة وتعليق: مطبعة التايمس، بغداد، ط1، 1990م.
166 ـ نجم، الشيخ رافد عبدالله: **مقالة خطية بعنوان الديانة المندائية** (تحت الطبع).
167 ـ الندوي، أبو الحسن علي الحسيني: **الأركان الأربعة**، دار العلم، بيروت.
168 ـ النشار، علي سامي، عباس أحمد الشربيني: **الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية**، الإسكندرية للطباعة، 1972م.
169 ـ النسائي: **سنن النسائي**، المطبعة المصرية بالأزهر، بدون تاريخ.
170 ـ النمري، ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة النهضة، مصر.
171 ـ نوفل، عبد الرزاق: **الإسلام والعلم الحديث**، دار المعارف، ط1، مصر 1377هـ ـ 1958م.
172 ـ النووي، **الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار صلى الله عليه وسلم**، المكتبة الثقافية، بيروت، 1973م.
173 ـ النيسابوري، **مسلم بن الحجاج**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1375هـ ـ 1956م. طبعة عز الدين، بيروت 1410هـ.
174 ـ النيسابوري، **مسلم بن الحجاج: بشرح النووي**، تحقيق عبدالله أحمد أبو زينة، مطبعة الشعب، القاهرة.
175 ـ النيسابوري: **الحاكم المستدرك على الصحيحين**، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

ـ هـ ـ

176 ـ الهيثمي، الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1402هـ ـ 1982م.
177 ـ الهاشمي، طه: **تاريخ الأديان وفلسفتها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1963م.

178 ـ هـ . فرنكفورت، وجون أ. ولسن وآخرون: ما قبل الفلسفة، ترجمة: إبراهيم جبرا، منشورات دار مكتبة الحياة، بغداد، 1960م.

ـ و ـ

179 ـ وجدي، محمد فريد: دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، ط3، 1971م، بيروت.

180 ـ ولنستون، إسرائيل (د.): موسى بن ميمون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، 1355هـ ـ 1936م، مصر.

181 ـ و. هـ. ب: الرومان، ترجمة عبد الرزاق يسري، مطبعة نهضة مصر.

ـ ي ـ

182 ـ اليازجي، ندرة: رد على التوراة، دار الغربال، ط3، بيروت.

183 ـ اليسوعي، الأب روفائيل نخلة: غرائب اللغة العربية، مطبعة الإحسان، حلب، 1954م.

ب ـ المجلات والدوريات:

184 ـ مجلة ما بين النهرين، مطبعة الأديب البغدادية، صاحب الامتياز د. جاك إسحق.

185 ـ مجلة جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق، مطبعة الأمة، بغداد.

186 ـ مجلة المشرق، مجلة كاثوليكية، صاحب الامتياز لويس شيخو، بيروت.

187 ـ مجلة الفكر المسيحي، بغداد.

188 ـ مجلة معهد الإسكندرية الديني، مطبعة الأزهر.

189 ـ مجلة المورد (العراقية) العدد 4/السنة 1401/9هـ ـ 1981م، إصدار دار الجاحظ، بغداد.

190 ـ مجلة التربية (القطرية)، العدد 58 سنة 1983م.

191 ـ مجلة المؤرخ (العراقية)، العدد 16 /سنة 1981م/ والعدد 13 /سنة 1980م، إتحاد المؤرخين العرب، بغداد.

جـ ـ المراجع الأجنبية:

1- Amen EM pe S.K.K.Granyille. ED, The Legocy of Egypt (Oxford 1963)
2- Aconise, Cyclopedia of Religion Knowledge by Elias Bengamin Sanford. Charles L.Webster Company, 1907.
3- Britanniea jouniour by Encyclopaedia, Britannica Inc., 1962.
4- Encyclopedia Britannica printed in U.S.A., By Encyclepaedia Britannic, 1970, and printed 1986. Great Britain. Encyclopaedia Inc.
5- Encyclopaeia International, Printed in U.S.A., N. Y., Copyright Grolier Incoporated, Theodor Gaster, V.A., 1987.
6- Encyclopadia of Religion Introduction by (Margery Silv University Books. N.Y. Edited by James Hastings.
7- Fast Chambres s Encyclopedia, Hazell Watson and Viney Ltd., 1962.
8- Grolier Encyclopaedia N.Y. Printed in U.S.A. by Grolier Incorporated.
9- Jon Mckay, Religion of Judah, under the Assyrians London, 1973.
10- Jonathan Z. Smith Fast. The World Book Encyclopedia World Book Inc. Copyright, 1989, U.S.A.
11- New Universal Encyclopaedia, Printed in The Amalgarated press, Ltd. London, New Encyclopadia Britannica, Inc. 1986.

12- Shorton Encyclopaedia of Islam, by H.A.R, Gibb and J. H. Kramers Printed in Netherlands, 1953.
13- The Encyclopedia of Religion and Ethikes Fourth Impression, 1960. N.Y.
14- The New Britannica Encyclopaed Inc. Printed in Great Britain.
15- Theoder H. Gaster Fasting in the Encyclopedia Americana International. Edition. 1976. And 1987.
16- The Interpreties Dictionary of the Bible. Abingdon. Pres N.Y. 1962.
17- The Book of common Prayer. The church of India and Pakistan Burma, and Ceylon. 1963, N.Y.
18- Lensegnement, Spiritual De jean Dalyatha, Robert Beaulay, Paris, Beauchesne, 1990.
19- New Universal Encyclopaedia, Printed in Great Britain The Amelgamted press, Ltd. London.
20- Grolier Encyclopaedia, printed in U.S.A. by Grolien Incorporated.
21- Authorised Dary, Hebrew, English, Sngers, London, 1962.
22- Cyrus Adler, And Others, Editor. The Jewish Encyclopad N.Y.
23- Hertsberg. Arthur. Judaism N.Y.

من إصدارات الدار

الكتاب	المؤلف
1 ـ أبناء آدم من الجن والشياطين	محمد منير إدلبي
2 ـ الألوهية والحاكمية	سامر إسلامبولي
(دراسة علمية من خلال القرآن الكريم)	
3 ـ أيام عربية ج1 و ج2	إبراهيم بيتموني
4 ـ انتبهوا الدجال يجتاح العالم	محمد منير إدلبي
5 ـ ببغاء أمريكو ((رواية من الأدب العالمي للفتيان))	هوجيت بيروت
	ت. فاطمة عابدين
6 ـ بين ابن المقفع ولافونتين	فاطمة عابدين
(مدخل إلى دراسة مقارنة)	
7 ـ تاريخ المؤسسات الجزائرية	د. إحسان الهندي
8 ـ تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي	د. محمد حسين محاسنة
9 ـ تحرير العقل من النقل	سامر إسلامبولي
(وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم)	
10 ـ توظيف التراث في المسرح	حسن علي المخلف
(دراسة تطبيقية في مسرح سعد الله ونوس "رسالة ماجستير")	
11 ـ الجزيرة العربية أهم اكتشاف للحضارات القديمة	علي سكيف
12 ـ الحاضر غائباً /مقولة/	د. محمد جمال طحان
13 ـ الحياة هي في مكان آخر /ميلان كونديرا/	ت. معن عاقل
14 ـ رحلة إلى الأعماق	د. نعيم اليافي
(حوارات في الفكر والثقافة والأدب)	
15 ـ سيبويه النحوي	هيثم الشيخ عبدو
(حياته ـ كتابه ـ مصادر ترجمته ومراجعها)	
16 ـ سيد العشاق	د. وجيه البارودي
ديوان د. وجيه البارودي	
17 ـ الشعر والتلقي	د. نعيم اليافي
(دراسات في الرؤى والمكونات)	
18 ـ الشعرية	د. أحمد جاسم الحسين
(قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)	

الكتاب	المؤلف
19 ـ قتل المرتد (الجريمة التي حرمها الإسلام)	محمد منير إدلبي
20 ـ القصة القصيرة جداً	أحمد جاسم الحسين
21 ـ القصر المسحور (سيد الباب السابع)	إيفلين بريزوبيللين
(من عيون الأدب العالمي للفتيان)	ت. فاطمة عابدين
22 ـ ليلة في غرفة تشريح الجثث	يوشيو ساكاب
(أدب ياباني)	ت. موسى الزعبي
23ـ مئة موال في الغزل	د. إحسان الهندي
(دراسة في نصوص مشروحة «جمعاً ونظماً»)	
24 ـ المحاورة /ميلان كونديرا	ت. معن عاقل
25 ـ المرأة اليهودية بين فضائح التوراة وقبضة الحاخامات	ديب علي حسن
26 ـ المرأة مفاهيم ينبغي أن تصحح	سامر إسلامبوني
27 ـ مظاهر اجتماعية في بعض روايات العجيلي	شاهر امرير
28 ـ مفهوم الجامعة	د. نعيم اليافي
29 ـ نزاع الصحراء الغربية بين المغرب والبوليساريو	طاهر مسعود
30 ـ النزاع على الصحراء الغربية بين حق القوة وقوة الحق	مصطفى الكتاب
31 ـ الوصايا المغدورة /ميلان كونديرا	ت. معن عاقل
32 ـ مقدمة في الجغرافية البشرية	د. إبراهيم سعيد
33 ـ نهاية علماء العرب في العصور الوسطى	د. إبراهيم سعيد
34 ـ مغامرات الكتابة منذ القديم وحتى الآن	ايستيل جيرار
(قواعدها ـ أدواتها ـ تطورها)	ت. سالم العيسى
35 ـ العبادات في الأديان السماوية	عبد الرزاق صلال الموحى
اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام	
36 ـ حوادث دمشق اليومية غداة الفتح العثماني	ابن طولون
	تحقيق: أحمد ايبش

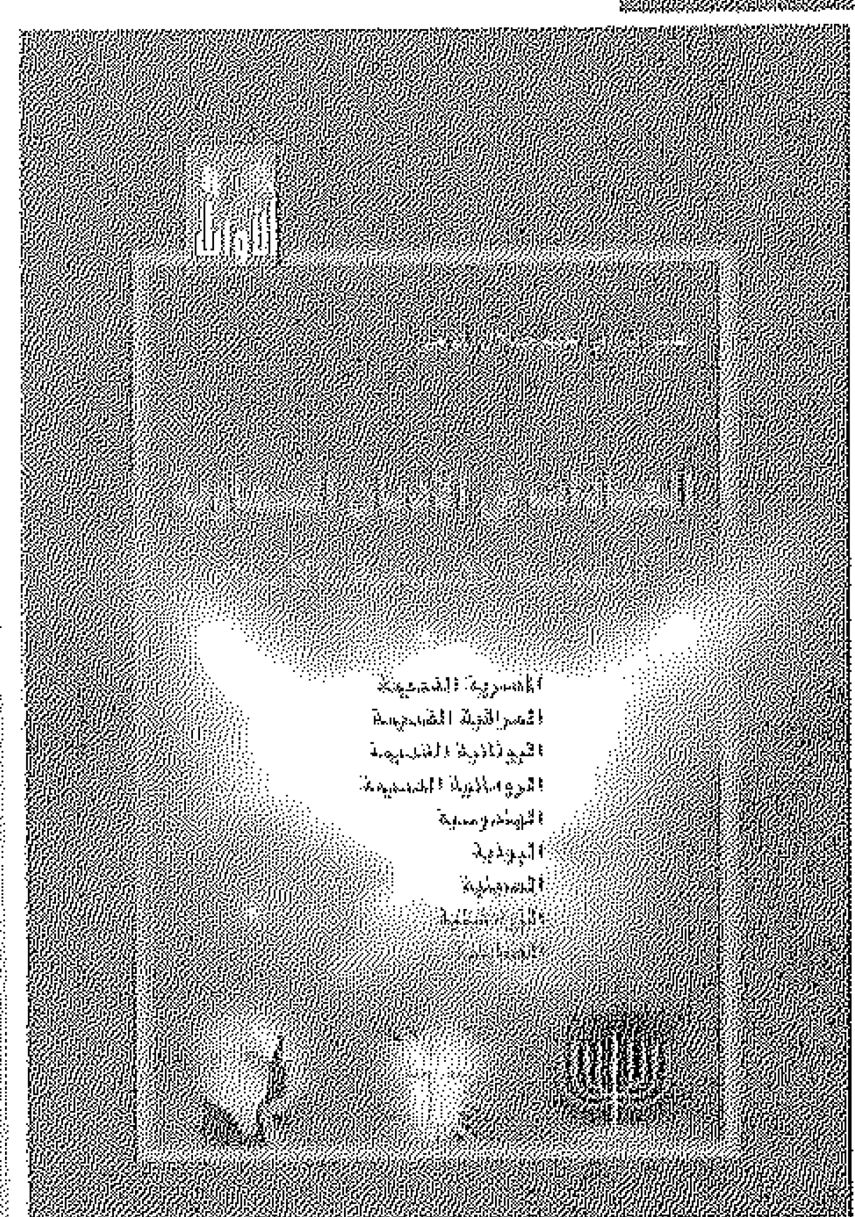
تنضيد وإخراج: مركز جديدة للخدمات الطباعية، هاتف 6816568 ، تلفاكس 6816630

التحضير الطباعي: مركز الباسل للفرز الالكتروني – دمشق – هاتف 2210667

تصميم الغلاف: جمال سعيد

طباعة الغلاف **طباعة الكتاب**

مطبعة نضر – دمشق – هاتف 2312363 **مطبعة البيان – دمشق – هاتف 6346871**



يقول المؤرخ الفرنسي هنري برجسون: "لقد وُجدت جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات. ولكن لم توجد، قط، جماعة بغير معابد".

ولا يخفى ما للعبادات من أهمية كبرى في تحديد هوية أمةٍ ما، وفي تحديد مستقبل أمةٍ ما

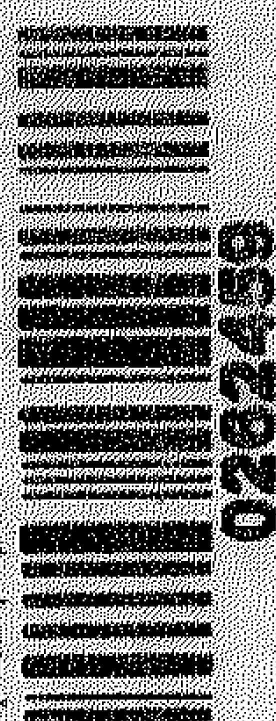
والباحث في دراسته هذه والموثقة توثيقاً دقيقاً يتناول مفهوم العبادات في الديانات السماوية: اليهودية والمسيحية والإسلامية وفي ديانات مندثرة مثل ديانة المصريين القدماء والعراقيين القدماء واليونانيين القدماء والرومانيين القدماء.. وفي ديانات ما زال لها معتنقون ومؤيدون إلى الآن مثل الديانة الهندوسية والبوذية والصينية والزرادشتية والصابئية

ولاشك أن الدراسة تسد نقصاً وثغرة كبيرين في مكتبتنا العربية والإسلامية، بل والعالمية أيضاً..

فكم من الناس والمثقفين يعرف كيف يصلّي اليهود؟ وكيف يزكّون. وكيف يتطهرون؟! والى أين يحجّون؟ وكيف يصومون؟ وكذلك الأمر بالنسبة للمسيحيين و

هذه الدراسة دراسة مقارنة هامة، تبيّن وبالنصوص الموثّقة من التوراة والأناجيل والقرآن الكريم والسنة النبوية ما أصاب بعض الديانات السماوية من تحريف وابتعاد عمّا نزل أصلاً في كتبها السماوية، حتى وصل بعضهم إلى تحليل ما حُرِّم في كتبهم، وتحريم ما أُحلّ، وتبديل ما ليس يُبَدَّلُ، رغم وجود دلائل قاطعة في كتب تلك الديانات على عباداتٍ حُرِّفت فيما بعد

ولاشك أنه، وبعد قراءة الدراسة، سيتضح، تماماً، جانب هام جداً من جوانب تاريخ العبادات المقارن في العالم







الأوائل
للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية

سورية - دمشق - ص.ب: 10181 (أو) 3397